مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء السادس

٣٣ - ٤٠ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان

في تواريخ الأعيان

(٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

الرسالة العالمية
دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.
Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي
2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305
الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic
info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com
فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

عبد الله بن مسعود

ابن غافل بن حَبيب بن شَمْخ بن فار بن مَخزوم بن صاهِلة [بن كاهل] بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدرِكة، واسمه عمرو بن إلياس بن مُضر، وأمُّه أمُّ عبد بنت عبد ودّ بن سُويّ بن قُرَيْم بن صاهِلة، هُذَليّة، وأمها هند بنت عبد الحارث بن زُهرة بن كِلاب.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين الأوَّلين، أسلم قديماً بمكة قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، ويُقال: كان سادِساً في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ وشهد اليرموك، وهو الذي ضرب عُنُق أبي جهل يوم بدر بعد أن أَثْبَته ابنا عَفراء.

وكان صاحبَ سرِّ رسول الله ﷺ ووِسادِه وسِواكِه ونَعلَيه وطهورِه في السفر، وكان يُلبسُه نَعلَيه، ويَمشي أمامَه بالعصا، فإذا جلس رسول الله ﷺ نزع نعلَيه وجعلهما بين أصابعه. وكان يُشبه رسولَ الله ﷺ في هَدْيه وسَمْتِه كلِّه، وكان أجودَ الناسِ، وأطيبَهم ريحاً، وأحسنَهم ثوباً، وولاه عمر رضوان الله عليه القضاءَ على الكوفة وبيتَ المال، وأقام عليهما صَدراً من خلافة عثمان رضوان الله عليه، ثم رجع إلى المدينة فمات بها.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الزُّبير بن العوام رضي الله عنه، وقيل: بينه وبين مُعاذِ بن جبل رضي الله عنه.

صفته:

كان خفيفَ اللحم، شديدَ الأُدمة، دحداحاً، يكاد الجالسُ يُواريه من قِصره، وشَعرُه يَبلغ تَرقُوته، فإذا صلّى تركه وراء أذنيه، له ضفرتان، عليه مِسحَةُ أهلِ البادية، لا يُغيِّر شيبه، ويَتختّم بالحديد.

ذكر إسلامه: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنتُ أرعى غنماً لعُقبة بن أبي مُعَيط، فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: «يا غُلام، هل من لَبَن؟» قلتُ: نعم ولكني مُؤتَمن، قال: «فهل من شاةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحل»، فأتيتُه بشاة، فمسح على ضَرعها، فنزل لَبنٌ، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضَّرعِ: «اقلِص» فقَلص، ثم أتيتُه بعد هذا فقلت: يا رسول الله، علِّمني من هذا القول، فمسح على رأسي وقال: «يرحمك الله فإنك غُلَيِّمٌ مُعلَّم»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥٩٨).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لقد أخذتُ من في رسولِ الله ﷺ بِضعاً وسبعين سورةً، وزيدُ بن ثابت غُلام، له ذُؤابتان، يَلعب مع الصِّبيان.

وقال: لقد رأيتُني سادسَ سِتَّةٍ ما على وجهِ الأرض مُسلمٌ غيرنا.

قال أبو موسى الأشعري: لقد أتيتُ النبي ﷺ ولا أُرى إلا ابن مسعود من أهله.

وقال: قدمتُ أنا و أخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نَرى ابنَ مسعودٍ وأمَّه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ؛ لما نَرى من كَثرة دُخوله وخُروجِه، ودُخول أمِّه عليه، وملازمتهما إياه.

وقال أبو المليح: كان ابنُ مسعود يُوقظ رسول الله ﷺ إذا نام، ويَستُره إذا اغتسل.

وأخرج البخاري عن حُذيفة بن اليَمان وسئل فقيل له: أخبِرنا برجلٍ قريبِ السَّمتِ والدَّلِّ والهَدْيِ من رسول الله ﷺ نأخذ عنه، فقال: ما نَعلم أقربَ سَمْتاً ودَلاً وهَدْياً برسول الله ﷺ من ابنِ أمِّ عبد حتى يَتوارى بجُدران بيته، ولقد عَلم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ ـ أو أصحاب محمد ـ أن ابنَ أمِّ عبد من أقربهم إلى الله وسيلة، وفي رواية: من أقربهم إلى الله زُلْفى(١).

قال علقمة: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وهو بعرَفَة فقال: جئتُ يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركتُ بها رجلاً يُملي المصاحفَ عن ظَهر قلبه، فغضبَ وانتفخ حتى كاد أن يَملأ ما بين شُعبَتَي الرَّحل، ثم قال: ويحك مَن هو؟ قال: ابن مسعود، فمازال ينطفىء ويُسرَّى عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه وسأحدّثك عن ذلك:

كان رسول الله ﷺ لا يزال يَسْمُر عند أبي بكر الليلَ كلَّه في أمور المسلمين ـ أو في الأمر من أمور المسلمين ـ فإنه سَمَر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسولُ الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجلٌ قائمٌ يُصلّي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يَستمع قراءتَه، فلما كِدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ: «من سَرَّه أن يَقرأ القرآن رَطباً كما أُنزل فلْيقرأه على قراءةِ ابنِ أمِّ عبد»، ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سَلْ تُعْطَه،

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٦٢).

سَلْ تُعْطَه»، فقال عمر رضي الله عنه: فقلتُ: والله لأَغدُونَّ عليه ولأُبَشِّرنّه، قال فغدوتُ إليه، فإذا أبو بكر قد سَبقني إليه فبَشَّره، لا والله، ما سابَقْتُه إلى خيرٍ قط إلا سَبقني إليه[1].

وأقبل ابنُ مسعود ذات يومٍ وعمر رضوان الله عليه جالس، فقال: كُنَيْفٌ مُلِيء عِلماً.

قال الشعبي: ذكروا أن عمر بن الخطاب لَقي رَكباً في سَفرٍ له، فيهم عبد الله بنُ مسعود، فأمر عمر رجلاً يُناديهم: من أين القوم؟ فأجابه عبد الله: أقبلْنا من الفَجِّ العَميق، قال: فأين تُريدون؟ قال عبد الله: البيتَ العَتيق، فقال عمر: إن فيهم عالماً، ثم أمر رجلاً فناداهم: أيُّ القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة: ٢٥٥] حتى ختم الآية، قال: فناداهم: أيُّ القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، فقال عمر: نادِهم، أيُّ القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ الآية [الزلزلة: ٧]، فقال عمر: نادهم، أيُّ القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٢٣]، فقال عمر: نادهم، أيُّ القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال عمر: نادهم، أفيكم ابنُ مسعود؟ قالوا: اللهمَّ نعم.

سُئل علي رضوان الله عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: انتهى إليه علمُ القُرآن والسُّنَّة.

قال أبو الأحوص: شهدتُ أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود أحدُهما يقول لصاحبه: أتُراه تَرك مثلَه؟ قال: إن قلتَ ذلك، إن كان لَيُؤذَن له إذا حُجِبنا، ويَشهَدُ إذا غِبْنا.

كان أبو موسى يقول: لا تَسألوني عن شيءٍ مادام هذا الحَبْر فيكم، يعني ابنَ مسعود.

قال مَسروق: انتهى عِلم الصحابة إلى ستَّةِ نَفر: عمر، وعلي، وعبد الله، وأبي بن كعب، وأبي الدَّرداء، وزيد بن ثابت، ثم انتهى علم هؤلاء إلى رجلين: علي وعبد الله.

(١) أخرجه أحمد (١٧٥).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ»، فقلتُ: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «نعم، إني أُحبُّ أن أسمعَه من غيري»، قال: فقرأتُ سورةَ النساء، حتى أتيتُ هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، قال: «حَسْبُك الآن»، فالتفتُّ فإذا عيناه تَذرِفان[1].

قال شقيق بن سَلَمة: خَطَبنا ابنُ مسعود فقال: على قراءةِ مَن تأمرونني أن أقرأ؟! والله لقد أخذتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحابُ محمد ﷺ أني من أعلمِهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، ولو أَعلمُ أن أحداً أعلمُ مني لرحلتُ إليه، قال شقيق: فجلستُ في حِلَقٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، فلم أسمع أحداً يَردُّ ذلك ولا يَعيبه.

قال مَسروق: قال عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو، ما نزلتْ آيةٌ في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نَزلتْ، وفيم نَزلتْ، ولو أعلم أحداً أعلمَ بكتاب الله مني تَنالُه المَطِي لأتيتُه.

كان عبد الله بن مسعود ﷺ يصوم الاثنين والخميس، وكان يقول: إني أختارُ الصلاةَ على الصوم؛ لأني إذا صُمتُ ضَعفتُ عن الصلاة.

قال عمرو بن مَيمون: اختلفتُ إلى ابن مسعود سنةً ما سمعتُه يُحدِّثُ فيها عن رسول الله ﷺ، ولا يقولُ فيها: قال رسول الله ﷺ، إلا أنه حَدَّث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، فعَلاه الكَربُ وأُرعِد، حتى رأيتُ العَرَقَ يَتحدَّرُ عن جبهته، ثم قال: إن شاء الله تعالى.

قال مَسروق: قال رجل لعبد الله بن مسعود: ما أحبُّ أن أكونَ من أصحاب اليَمين، أحبُّ أن أكونَ من المقرَّبين، فقال عبد الله: لكن ها هنا رجلٌ ودَّ أنه إذا مات لا يُبعَث، يعني نفسَه.

وقال: لو وقفتُ بين الجنة والنار، وقيل لي: اختر لاخترتُ أن أكونَ رَماداً.

قال زيد بن وَهب: بكى عبد الله بن مسعود، حتى رأيتُه أخذ بكفّه من دُموعه فقال به هكذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

قال حبيب بن ثابت: خرج ابنُ مسعود ذات يوم فاتّبعه ناسٌ، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نَمشي معك، قال: فارجعوا فإنه ذِلّةٌ للتّابع، وفِتنةٌ للمَتبوع.

قال عبد الله بن مسعود: لو تعلمون ما أعلم من نَفسي لحَثيتُم على رأسي التُّراب.

قال أبو الأحوص الجُشَمي: دخلنا على ابن مسعود وعنده بَنُون له، ثلاثة غِلمان، كأنهم الدَّنانيرُ حُسْناً، فجعلْنا نتعجَّبُ من حُسنِهم، فقال لنا: كأنكم تَغبِطوني بهم؟! قلنا: إي والله، بمثل هؤلاء يُغبَطُ المرءُ المسلم، فرفع رأسه إلى سَقفِ بيتٍ له صغير؛ قد عَشَّشَ فيه خُطَّافٌ وباض، فقال: والذي نفسي بيده، لأن أكونَ نَفَضْتُ يَدي من تُراب قُبورِهم أحبُّ إليَّ من أن يَسقُطَ عِشُّ هذا الخُطَّاف ويَنكسرَ بيضُه.

وكان يقول: ما أُبالي إذا رجعتُ إلى أهلي على أيِّ حالٍ أَراهم؛ بسَرَّاء أم بضَرَّاء، وما أصبحتُ على حالٍ فتمنَّيتُ أني على سواها.

وكان يقول: أكرَه المكروهات الموتُ والفقرُ، والله لا أُبالي بأيِّهما بُليت.

ذكر جملة من كلامه ومواعظه رضي الله عنه:

كان يقول: إنكم في مَمَرِّ الليل والنهار، في آجالٍ مَنقوصَة، وأعمالٍ مَحفوظَة، والموتُ يأتي بَغْتَةً؛ فمَن زرع خيراً فيوشِك أن يَحصِدَ رَغْبةً، ومَن زرع شرّاً فيوشك أن يَحصِدَ نَدامةً، ولكلِّ زارعٍ مثل ما زرع، لا يَسبق بطيءٌ بحظِّه، ولا يُدرِكُ حَريصٌ ما لم يُقَدَّر له، فمَن أُعطي خيراً فالله أعطاه، ومَن وُقِيَ شراً فالله وَقاه، المتَّقون سادَة، والعلماءُ قادَة، ومَجالسُهم زيادة.

قال أبو الأحوص: إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يَقوم يوم الخميس قائماً ويقول: إنما هما اثنان: الهَديُ والكلام، فأفضلُ الكلامِ كلامُ الله، وأفضلُ الهَديِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور مُحدثاتُها، وكلُّ مُحدَثَةٍ بِدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، فلا يَطولَنَّ عليكم الأَمَد، ولا يُلهِيَنّكم الأمَل، فإن كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ألا وإن بعيداً ما ليس بآتٍ، ألا وإن الشَّقيَّ مَن شَقي في بطن أُمِّه، ألا وإن السَّعيدَ مَن وُعِظَ بغيره، ألا وإن قتالَ المسلم كُفر، وسبابَه فُسوق، ولا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوق ثلاثة أيام حتى يُسَلِّم عليه إذا لَقِيَه، ويُجيبه إذا دعاه، ويَعوده إذا مَرِضَ، ألا وإن شَرَّ الرَّوايا [روايا] الكَذِب، ألا وإن

الكَذب لا يَصلُح منه جِدٌّ ولا هَزْلٌ، ولا يَعِدِ الرَّجلُ صَبيَّه شيئاً ثم لا يُنجِزُ له، ألا وإن الكَذبَ يَهدي إلى الفُجور، وإن الفُجورَ يَهدي إلى النَّار، وإن الصّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإن البِرَّ يَهدي إلى الجنَّة، ألا وإنه يُقال للصّادق: صَدقَ وبَرَّ، ويُقال للفاجر: فَجر وكَذب، وإن محمداً ﷺ حدّثنا أن الرجل يَصْدُق حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقاً، ويَكذب حتى يُكتبَ عند الله كذاباً، ألا وهل أُنبِّئكم بالعَضْهِ؟ قالوا: وما العَضْه؟ قال: النَّميمة، وهي تُفسِدُ ما بين الناس.

وقال ابنُ مسعود ﵁: إن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأوثقَ العُرى كلمةُ التَّقوى، وخيرَ المِلَل ملَّةُ إبراهيم، وأحسنَ السِّيرة سيرةُ محمد ﷺ، وخيرَ الهَدْي هَدْيُ الأنبياء، وأشرفَ الحديثِ ذكرُ الله، وخيرَ القصص القرآنُ، وخيرَ الأمورِ عواقبُها، وشرَّ الأمور مُحدَثاتُها، وما قَلَّ وكفى خيرٌ مما كَثُر وألهى، ونَفْسٌ تُنْجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها، وشرّ النَّدامة ندامةُ يوم القيامة، وشرّ الضَّلالِ الضلالةُ بعد الهُدى، وخير الغِنى غِنى النَّفس، وخير الزَّاد التَّقوى، وخير ما أُلقِي في القلب اليقينُ، والرّيبُ من الكُفر، وشرّ العَمى عَمى القَلب، والخَمرُ جِماعُ الإثم، والنِّساء حَبائلُ الشيطان، والشّبابُ شُعبةٌ من الجُنون، والنَّوحُ من عمل الجاهليّة، ومن الناس مَن لا يَأتي الجمعةَ إلا دَبْرا، ولا يَذكر الله إلا هَجرا، وحُرمَةُ مالِ المسلمِ كحُرمَةِ دَمِه، ومَن يَعْفُ يَعفُ الله عنه، ومَن كَظَم الغَيظَ يَأجُره الله، ومَن صَبر على الرَّزِيَّة أَعقَبه حُسنَ الأجر، وشَرُّ المكاسبِ كَسْبُ الرِّبا، وشَرُّ المآكِل [أكلُ] مالِ اليتيم، وإنما يَكفي أحدَكم ما قنعتْ به نَفْسُه، وإنما يَصيرُ إلى أربعةِ أَذْرُعٍ في ذِراعين، ومِلاكُ الأمرِ خَواتيمُه، وأشرفُ الموتِ قَتْلُ الشُّهداء، ومَن يَعرف البلاء يَصبر عليه، ومَن يَستكبر يَضَعْه الله، ومَن يُطِع الشيطان يَعصِ الله، ومَن يَعصِ الله يُعَذِّبْه.

وقال عبد الله بن مسعود: يَنبغي لحاملِ القرآن أن يُعرَفَ بليله إذ الناسُ نائمون، وبنهاره إذ الناسُ مُفطرون، وبحُزنه إذا الناسُ يَفرحون، وببكائه إذا الناس يَضحكون، وبصَمْته إذا الناسُ يَخلُطون، وبخُشوعه إذا الناس يَختالون، ويَنبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً مَحزوناً، حكيماً حليماً سكيناً، ولا يَنبغي له أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخَّاباً، ولا صَيَّاحاً، ولا حَديداً.

وقال: إني لأُبغِضُ الرجلَ أن أراه فارغاً، ليس في شيءٍ من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.

وقال: من اليقين أن لا تُرضي الناسَ بسَخَطِ الله، ولا تَحمدَنَّ أحداً على رزق الله، ولا تلومَنَّ أحداً على ما لم يُؤتِك الله؛ فإن رزقَ الله لا يَسوقُه حِرصُ الحَريص، ولا يَردُّه كُره الكاره، والله تعالى بحُكمه وعِلمه جعل الرَّوح والفرح في اليقين والرِّضا، وجعل الهَمَّ والحزنَ في الشكِّ والسّخط.

وقال: ما دمتَ في صلاةٍ فأنت تَقرع باب الملك، ومَن يقرع باب الملك يوشك أن يُفتَح له.

وقال: كونوا يَنابيعَ العلم، مَصابيحَ الهُدى، أحْلاسَ البيوت، سُرُجَ الليل، جُددَ القلوب، خُلْقان الثياب، تُعرفون في أهل السماء، وتَخْفَون على أهل الأرض.

وقال: إن للقُلوب شَهوةً وإقبالاً، وإن لها فَترةً وإدباراً، فاغتنموها عند شَهوتها وإقبالها، ودعوها عند فَترتها وإدبارها.

وقال: ليس العلم بكَثرة الرِّواية، لكنّ العلمَ الخَشيةُ.

وقال: إن الرجل لَيَخرجُ من بيته ومعه دِينُه، فيَرجع وما معه شيءٌ، يَلقى الرجلَ لا يَملك له ولا لنفسِه ضُرّاً ولا نفعاً، فيُقسِم له بالله إنك لَذَيتَ وذَيت، فيَرجع وما ظَفِر من حاجته بشيءٍ، وقد أسخطَ الله عليه.

وقال: مع كلِّ فَرحة تَرْحَة، وما مُلىء بيتٌ حَبْرةً إلا مُلىء عَبرة.

وقال: ما منكم إلا ضَيف ومالُه عارِيّة، فالضيف مُرتَحِل، والعارِيّة مُؤداة إلى أهلها.

وقال: مَن جاءك بالحقِّ فاقبلْ منه وإن كان بَعيداً بَغيضاً، ومَن جاءك بالباطل فاردُدْه وإن كان حبيباً قريباً.

وقال: الحقُّ ثَقيل مَريء، والباطلُ خَفيفٌ وَبيء، وربَّ شَهوة أورثتْ حُزناً طويلاً.

وقال: واللهِ الذي لا إله إلا هو، والله ما على وَجْهِ الأرض أحْوَج إلى طُولِ سَجْنٍ من لسان.

وقال: إذا ظهر الرِّبا والزِّنا في قريةٍ أُذِنَ بهلاكها، ومَن استطاع أن يَجعل كَنْزَه في السماء حيث لا يَأكُلُه السُّوس، ولا يَناله السُّرَّاق فليفعل، فإن قَلبَ الرجلِ مع كَنْزِه.

وقال له رجل: أوصِني، قال: ليَسَعْك بيتُك، واكفُفْ لِسانَك، وابْكِ على خَطيئتك.

وقال: لا تكونَنَّ إمَّعَة، قالوا: وما الإمَّعَة؟ قال: تقول: أنا مع الناس، إنْ اهتَدوا اهتَدَيْتُ، وإن ضَلُّوا ضَلَلْت.

وقال: مَن لم تَأمرْه صَلاتُه بالمعروف وتَنهاه عن المنكر؛ لم يَزدَدْ بها من الله إلا بُعْدا.

ذكر وصيّته ووفاته:

أوصى الزُّبيرَ بنَ العوام ﷺ في ماله ووَلدِه، ثم إلى عبد الله بن الزُّبير ﷺ من بعد أبيه، وكتب في وصيّته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عبد الله بنُ مسعود إن حَدَثَ به حَدَثٌ في مرضه هذا؛ أن مَرجِعَ وَصيَّته إلى الله وإلى الزبير بن العوّام وابنه عبد الله بن الزبير؛ أنهما في حِلٍّ وبِلٍّ مما وَلِيا، وأنه لا يُزَوِّجُ أحدٌ من بناتِ عبد الله إلا بإذنهما.

وفي رواية: أنه لا حَرَج فيما وَليا من ذلك، ولا تُزوَّجُ امرأةٌ من بناتِه إلا بعلمهما، ولا يُحْجَزُ [ذلك] عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفيّة، وأن يُكفَّن في حُلَّةٍ بمئَتَيْ دِرهم، وأن يُدفَنَ عند قبر عثمان بن مَظْعُون.

واختلفوا في وفاته، فقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وهو [ابن] بِضْعٍ وستِّين سنة، وقيل: سنة ثمان وعشرين، أو ستة وثلاثين، أو إحدى وثلاثين، والأول أصحّ، وصلّى عليه عمار بن ياسر بوصيَّةٍ منه، فلما علم عثمان رضوان الله عليه غضب وقال: سَبقتموني به، فقال له الزبير ﷺ: [من البسيط]

لا ألفَينّك بعد الموتِ تَندُبني وفي حياتي ما زَوَّدتني زادي

وذلك لأن عثمان رضوان الله عليه كان غَرّبه إلى الكوفة، وحَرمَه العطاء سنتين لإنكاره على الوليد بن عُقبة، وقيل: صلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، واستغفر كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه قبل موت ابن مسعود ﷺ، وهو أثبت.

وقيل: صلّى عليه الزبير ﷺ وترك تسعين ألف درهم.

ودخل الزبير ﷺ على عثمان ﷺ بعد وَفاةِ ابن مسعود ﷺ فقال: أعطِني عطاءَ عبد الله، فأهلُ عبد الله أحقُّ به من بيت المال، فأعطاه خمسةَ عشر ألفَ دِرهم، وقيل:

عشرين ألفاً، أو خمسة وعشرين ألفاً[١].

ذكر أولاده:

كان له من الولد عبد الرحمن وعُتبة وأبو عُبيدة، وبنات عِدّة.

فأما عبد الرحمن فكان على قضاء الكوفة، وابنُه معن بن عبد الرحمن والد القاسم بن معن، وَلي قضاءَ الكوفة[٢]، ولم يَرتزِق على القضاء شيئاً حتى مات، وكان عالماً بالقرآن والحديث والفقه والشعر وأنساب العرب وأيام الناس، وكان يُقال له: شَعبيّ زمانه.

وأما عُتبة بن عبد الله فله عَقِبٌ، منهم: أبو عُمَيْس عُتْبة بن عبد الله بن عُتبة بن عبد الله ابن مسعود، مات ببغداد، وهو المسعوديّ الأكبر، فأما المسعوديّ الأصغر فهو عبد الله ابنُ عبد الملك بن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود.

وزوجةُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه زينب بنتُ أبي معاوية الثقفيّة، روت الحديث عن النبي ﷺ، من ذلك ما رواه عَمرو بنُ الحارث، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: قال رسول الله ﷺ للنّساء: «تَصدَّقْنَ ولو من حُلِيِّكُنَّ»، قالت: وكان عبد الله خفيفَ ذاتِ اليد، فقلتُ له: يا عبد الله، أيَسعُني أن أضعَ صَدقتي فيك وفي بني أخ لي يتامى؟ فقال عبد الله: سَلي عن ذلك رسولَ الله ﷺ. قالت: فأتيتُ رسول الله ﷺ، فإذا على بابه امرأةٌ من الأنصار يُقال لها: زينب، تَسألُ عما أسألُ عنه، فخرج إلينا بلال، فقلنا: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذلك، ولا تُخبره مَن نحن. فانطلق إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال: «مَن هما؟» قال: زينب، قال: «أيُّ الزَّيانِب؟» قال: زينب امرأةُ عبد الله، وزينب الأنصارّية، فقال: «نعم، لهما أجران: أجرُ القَرابة، وأجرُ الصَّدقة»[٣].

---

(١) انظر في ترجمة ابن مسعود: طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٥ و٣/ ١٣٩ و٨/ ١٣٦، والمعارف ٢٤٩، والاستيعاب (١٣٩١)، وأنساب الأشراف ١٠/ ١٥٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٤٧، وحلية الأولياء ١/ ١٢٤، وتاريخ دمشق ٣٩/ ١ ـ١٣٩، والمنتظم ٥/ ٢٩، وصفة الصفوة ١/ ٣٩٥، ومعظم ترجمته منه، والسير ١/ ٤٦١، والإصابة ٢/ ٣٦٨.

(٢) في المعارف ٢٤٩: فأما عبد الرحمن فولد القاسم بن عبد الرحمن وكان على قضاء الكوفة، ومعن بن عبد الرحمن. وولد معن القاسمَ بنَ معن، وكان على قضاء الكوفة.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٠٨٢)، والبخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

واختلفوا في مسانيد عبد الله بن مسعود، فقيل: روى عن النبي ﷺ ثمان مئة حديث وثمانيةٍ وأربعين حديثاً، وقيل: نيِّفاً وثلاث مئة، وقيل غير ذلك.

وروى عنه جماعةٌ من الصّحابة، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى، وعمران بن حُصين، وأنس بن مالك، وابن الزبير، وجابر بنُ عبد الله، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وأبو رافع مولى النبيِّ ﷺ، وأبو أُمامةَ الباهلي، وأبو جُحَيفة، ووَابِصة بن مَعْبد، وأبو واقد اللّيثي، وأبو شُرَيح الخُزاعي، وعَمرو بن حُرَيْث، وقُرَّة بن إياس، والبراء بن عازب، وأبو الطُّفَيل عامر بن واثلة، في خلقٍ كثير.

وأما من التابعين فالجَمُّ الغَفير، منهم: الأسود بن يزيد، وعَلقَمة بن قيس، والرَّبيع ابن خُثَيْم، وأبو وائل شَقيق بن سَلَمة، وزِرُّ بن حُبَيْش وغيرهم.

ولما دخل علي رضوان الله عليه الكوفة ورأى هؤلاء قال: لقد تَركَ ابنُ مسعود هؤلاء سُرُجَ هذه القرية.

وروى ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه خطَّ خطَّاً مُربَّعاً، وخطَّ خطَّاً وَسَط الخطِّ المربَّع، وخُطوطاً صِغاراً إلى جنب الخطِّ الذي وَسَط الخطِّ المربَّع، وخطَّاً خارجاً من الخطِّ المربّع، وقال: «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان، الخطُّ الأوسط، وهذه الخُطوط التي إلى جَنبِه الأعْراضُ؛ تَنْهَشُه من كلِّ مكان، إن أخطأه هذا أصابَه هذا، والخطُّ المربَّعُ: الأَجَلُ المحيطُ به، والخطُّ الخارجُ الأَمَلُ». انفرد بإخراجه البخاري(١).

وفيها تُوفيِّ

عبد الرحمن بنُ عَوف

ابن عبد [عَوف بن عبد بن] الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب، يلتقي مع رسول الله ﷺ في النَّسب عند مُرَّة بن كعب، وقُتل أبوه عوفٌ بالغُميصاء في الجاهلية، قتله بنو جَذيمة.

وأمه الشِّفاء بنت عَوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، وقيل: صفية بنت عبد مَناف بن زُهرة، والشِّفاء لَقَبٌ لها، وهي ابنةُ عمّ أبيه، أسلمتْ وبايعتْ رسولَ الله ﷺ، وأمُّها سلمى

(١) مسند أحمد (٣٦٥٢)، وصحيح البخاري (٦٤١٧).

بنت عامر بن بَياضة، من خُزاعة، تَزوَّجها عَوف بن عبد عَوف، فولدت له: عبدَ الرحمن والأسود، أسلم وهاجر قبل الفتح، وعاتكة وأمة بني عوف، وأسلمتْ عاتكة وبايَعَتْ.

وكانت الشّفاء أمُّ عبد الرحمن من المهاجرات، وتُوفِّيت في حياة رسول الله ﷺ، فقال عبد الرحمن رضي الله عنه: يا رسول الله، أَعتِق عن أمّي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فأَعتَقَ عنها.

وكان اسمُ عبد الرحمن رضي الله عنه في الجاهلية: عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، وقيل: عبد هُبَل، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

ذكرُ صِفته:

كان رجلاً طويلاً، حسنَ الوَجْه، رقيقَ البَشَرة، فيه جَنأ، أبيضَ مُشرباً حُمرة، لا يُغيِّر شَيبَه، ضَخمَ الكفَّين، أَقنى الأنفِ، أَهتَم ساقط الثنيتين، أعرج، أُصيب يوم أُحد فُهتِم، وجُرح عشرين جِراحةً أو أكثر، أصابه بعضُها في رجله فخَمَعَ منها.

ذكر إسلامه:

أسلم قديماً على يد أبي بكر رضوان الله عليه، وكان خرج في الجاهلية إلى اليمن في تجارة، فاجتمع بشيخٍ كبيرٍ من مشايخ حِمْيَر، فسأله عن رسول الله ﷺ وقال: أتعرف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ قال: نعم، هو فينا وَسيط، فقال: إنه قد بُعث فيكم، فاحذرْ أن تُخالفَه فإنه نبيُّ الأمة. فرجع عبد الرحمن رضي الله عنه إلى مكة وقد بُعث النبي ﷺ، فأخبر أبا بكر رضوان الله عليه بقول الشيخ فقال: صَدق، هذا رسول الله ﷺ قد بُعث، ثم قام أبو بكر رضوان الله عليه، وأخذ بيد عبد الرحمن رضي الله عنه، فأدخله على النبي ﷺ فأسلم، وكان في بيت خديجة رضوان الله عليها، فقال عبد الرحمن رضي الله عنه: [من الطويل]

أجبتُ منادي الله لما سمِعْتُه ... يُنادي إلى الدين الحَنيفِ المكرَّمِ
فقلتُ [له] لبّيك لبّيك داعياً ... إليك مَثَابي بل إليك تَيَمُّمي
ألا إن خيرَ الناس في الأرض كلِّهم ... نبيٌّ جَلا عنّا شكوكَ التَّرجُّمِ
نبيٌّ أتى والناسُ في أعجميَّةٍ ... وفي سَدَفٍ من ظُلمةِ الكفرِ مُعْتِمِ
فأقْشَعَ بالنُّور المضيءِ ظلامَه ... وساعده في أمره كلُّ مُسلِمِ
وخالَفه الأَشقَون من كلِّ فرقةٍ ... فسُحْقاً لهم في قَعرِ مَثوى جَهنَّمِ (١)

---

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ٢٤٠-٢٤٣.

وعبد الرحمن ﷺ من الطبقة الأولى من المهاجرين الأوَّلين، وأحدُ العشرة المبشَّرين، وأحدُ الستّة المنصوص عليهم في الشُّورى، وأخرج نفسَه من الأمر لعَقله ووَرعه، واجتهد للمسلمين، وهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر رضوان الله عليه.

ولد بعد الفيل بعشرِ سنين، وأسلم قبل أن يَدخل رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتَيْن جميعاً، وقدم من الحبشة إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وثبت معه يوم حُنَين لما انهزمَ الناس عنه[1]، وفَداه بنفسه، وصلى رسول الله ﷺ خلفَه في غزاةِ تبوك، وقال رسول الله ﷺ حين صلّى خلفَ عبد الرحمن: «ما قُبِضَ نبيٌّ قط حتى يُصلِّي خلف رجلٍ صالحٍ من أمَّته»، وبعثه في سرايا، وعَمَّمه بيده.

وقال ابن عمر ﷺ: بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بنَ عَوف في سبع مئة إلى دُومَةِ الجَندل، وذلك في شعبان سنةَ ستٍّ من الهجرة، فنقَض عِمامته بيده، ثم عَمَّمه بعِمامة سوداء، فأرخى بين كَتفيه منها، فقدِم دُومةَ الجَندل، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم الأَصبْغ بن عمرو الكلبي ـ وكان نصرانيّاً، وكان رأسَهم فبعث عبدُ الرحمن فأخبرَ رسولَ الله ﷺ بذلك، فكتب إليه أن: «تزوَّجْ تُماضر بنت الأصبغ» فتزوَّجها عبد الرحمن، وبنى بها، وأقبل بها، فهي أمُّ ولده أبي سلمة بن عبد الرحمن.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبيع، ولما هاجر من مكة إلى المدينة نزل عليه في بَلْحارث بن الخَزْرج، وقيل: آخى بينه وبين سعد بن أبي وقاص ﷺ، وقيل بينه وبين عثمان بن عفان ﷺ.

قال أنس: لما قدم عبد الرحمن المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: أُقاسمُك مالي نِصفَين، ولي امرأتان، أُطلِّق إحداهما، فإذا انقضَتْ عِدَّتُها تزوَّجْتَها، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلَّني على السوق، فدَلَّه على سوق بني قينُقاع، فانطلق فما رجع إلا ومعه شيءٌ من أَقِطٍ وسَمْن قد

---

(١) في المصادر أنه ثبت معه يوم أحد.

استَفْضله، ثم تابع الغُدُوَّ، فرآه رسول الله ﷺ بعد ذلك وعليه أَثَرُ صُفْرَة، فقال: «مَهْيَمْ؟» قال: تزوَّجتُ امرأةً من الأنصار، قال: «ما أَصدَقْتَها؟» قال: وَزنَ نَواةٍ من ذَهَب، قال: «أَوْلِم ولو بشاة»(١).

قال ابن سعد، رفعه إلى أنس بن مَالِك: أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة، فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصاري فقال له سعد: أخي، أنا أكثرُ أهلِ المدينة مالاً، فانظُرْ شطرَ مالي فخُذْه، وتحتي امرأتان، فانظُرْ أيتهما أعجبُ إليك حتى أُطلِّقَها لك، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّوني على السوق، فاشترى وباع، فربح، فجاء بشيءٍ من أَقِط وسَمْنٍ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه رَدْعٌ من زَعْفَران، فقال: يا رسول الله، تزوَّجتُ امرأةً، قال: «ما أصدَقْتَها؟»، قال: وَزْنَ نَواةٍ من ذهب، قال: «أَوْلِمْ ولو بشاة»، قال عبد الرحمن رضي الله عنه: فلقد رأيتُني ولو رفعتُ حَجَراً رجوتُ أن أُصيبَ تحته ذهباً أو فِضّة(٢).

وكان عبد الرحمن رضي الله عنه مَجدوداً في التجارة.

قال المسور بن مَخرمة: بينما أنا أسير في رَكْبٍ بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف؛ وعبد الرحمن قُدّامي عليه خَميصةٌ سَوداء، قال عثمان: مَن صاحبُ الخَميصةِ السَّوداء؟ قالوا: عبد الرحمن بن عوف، فناداني عثمان: يا مِسْوَر، فقلتُ: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: مَن زَعم أنه خيرٌ من خالك في الهجرة الأولى وفي الهجرة الأخيرة فقد كَذب.

قال حَبيب بن أبي مَرزوق: قَدِمَت عِير لعبد الرحمن بن عوف، فكان لأهل المدينة يومئذٍ رَجَّةٌ، فقالت عائشة: ما هذا؟ قيل لها: هذه عِيرُ عبد الرحمن قَدِمتْ، فقالت عائشة: أما إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصّراط يَميل [به مرة] ويَستقيمُ أُخرى، حتى يُفلِت ولم يَكَدْ»، قال: فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: هي وما عليها صَدَقة، قال: وما كان عليها أفضلُ منها، وهي يومئذٍ خمس مئة راحِلة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٩٧٦)، والبخاري (٢٠٤٩)، ومسلم (١٤٢٧).
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١١٦-١١٧ .

وأخرج ابنُ سعدٍ حديثاً يَرفعه ويرويه عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ابنَ عوف، إنك من الأغنياء، ولن تَدخُلَ الجنّةَ إلا زَحْفاً، فأَقرِضِ الله يُطلِقْ لك قَدميك»، قال ابنُ عوف: وما الذي أُقرض يا رسول الله؟ قال: «تبرَّأ مما أَمسيتَ فيه»، قال: أمن كُلِّه أجمع؟ قال: «نعم»، فخرج ابنُ عوفٍ وهو يَهُمُّ بذلك، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال: «إن جبريل قال: مُرِ ابنَ عوفٍ فليُضِفِ الضَّيفَ، وليُطعِم المسكين، وليُعطي السَّائل، ويبدأ بمَن يَعول، فإنه إذا فعل ذلك كان تَزْكيةَ ما هو فيه»(١).

قال المِسور بنُ مَخْرَمَة: باع عبد الرحمن بنُ عَوف أرضاً له من عثمان بأربعينَ ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زُهْرَة وفُقراء المسلمين وأُمّهات المؤمنين، وبعث إلى عائشةَ معي بمالٍ من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لن يَحنُوَ بعدي عليكُنَّ إلا الصالحون الصابرون»، سقى الله ابنَ عوفٍ من سَلْسبيل الجنة.

قالت أمُّ سلمة ﵂: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «إن الذي يُحافظُ عليكنَّ بعدي لَهو الصَّادقُ البارّ»، اللهم اسقِ عبد الرحمن بنَ عوفٍ من سَلْسبيل الجنَّة.

وباع عبد الرحمن ﵁ أموالَه من كَيدَمة، وهو سَهْمُه من بني النَّضِير بأربعين ألف دينار، فقسمها على أزواج رسول الله ﷺ.

وقال الزهري: تصدّق عبد الرحمن بنُ عوف على عهد رسول الله ﷺ بشَطْرِ ماله أربعة آلاف، ثم تصدّق بأربعين ألفاً، ثم تصدّقَ بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمس مئةِ فرسٍ في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمس مئةِ راحلة في سبيل الله، وكان عامّةُ أمواله من التجارة، وأعتق ثلاثين ألف بيْت.

وأُتي بطعامٍ، وكان صائماً فقال: قُتل مُصعبُ بنُ عُمَير وهو خيرٌ منّي، وكُفِّن في بُرْدة؛ إن غُطّي رأسُه بَدتْ رجلاه، وإن غُطّي رجلاه بدا رأسُه، وقُتل حمزة وهو خيرٌ مني، فلم يُوجَد له ما يُكفَّن فيه إلا بُرْدة، ثم بُسِط لنا من الدنيا ما بُسِط، وقد خشينا أن تكونَ حَسناتُنا عُجِّلَتْ لنا، ثم جعل يبكي وترك الطعام(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٢٢

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٥).

قال نَوفل بن إياس الهُذَليّ: كان عبدُ الرحمن لنا جليساً، وكان نِعمَ الجليس، وإنه انقلب بنا يوماً إلى بيته، وأتانا بصَحْفَةٍ فيها خُبزٌ ولحم، فلما وُضعت بكى، فقلنا له: يا أبا محمد، ما يُبكيك؟ فقال: قُبِض رسول الله ﷺ ولم يَشبع هو وأهلُه من خُبزِ الشّعير، ولا أُرانا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا.

وكان عبد الرحمن رضي الله عنه لا يُعرف [من بين] عبيده.

قال الحسن: كان عبد الرحمن بن عوف رجلاً شَرِيّاً، فاستأذن رسول الله ﷺ في قميص من حرير، فأذِن له.

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: شكا عبد الرحمن إلى رسول الله ﷺ كثرةَ القَملِ وقال: يا رسول الله، تأذنُ لي أن ألبسَ قميصاً من حرير؟ فأذِن له، فلما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وقام عمر أقبل بابنه أبي سلمة وعليه قميصٌ من حرير، فقال عمر: ما هذا؟ ثم أدخل يده في جيب القَميص فشَقَّه إلى أسفله، فقال له عبد الرحمن: أما علمتَ أن رسول الله ﷺ أحلَّه؟ فقال: إنما أحلَّه لك؛ لأنك شكوتَ إليه القَمل، أمّا لغيرك فلا.

وكان عبد الرحمن رضي الله عنه يَلبَسُ البُرْدَ أو الحُلَّةَ تُساوي خمسَ مئة أو أربعَ مئة.

قال المِسوَر: لما وَلي عبد الرحمن الشُّورى كان أحبَّ الناس إليَّ أن يَلِيَه، فإنْ تركه فسعد بنُ أبي وقّاص، فلحِقَني عمرو بن العاص، فقال: ما ظَنُّ خالك بالله إن وَلّى هذا الأمرَ أحداً وهو يعلم أنه خيرٌ منه؟ فقال لي ما أحبُّ، فأتيتُ عبد الرحمن، فذكرتُ له ذلك فقال: مَن قال لك ذلك؟ قلتُ: لا أُخبرك، قال: لئن لم تُخبِرني لا أُكلّمك أبداً، فقلت: عمرو بنَ العاص، فقال عبد الرحمن: والله لأن تُؤخَذَ مُدْيَةٌ، فتُوضَعَ في حَلْقي، ثم يُنفَذَ بها إلى الجانب الآخر؛ أحبّ إليَّ من ذلك.

ذكر وفاته: قال إبراهيم بن عبد الرحمن: أُغمِيَ على عبد الرحمن، ثم أفاق فقال: أغُشِي عليَّ؟ قالوا: نعم، قال: فإنه أتاني مَلَكان أو رجُلان [فيهما فَظاظةٌ وغِلظة، فانطلقا بي، ثم أتاني رجلان أو مَلَكان] لم أر أرأفَ منهما وأرحم فقالا: أين تُريدان به؟ قالا: إلى العزيز الأمين، قالا: خَلِّيا عنه؛ فإنه ممّن كُتبت له السعادة وهو في بطن أمّه.

ومات سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة، وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وهو ابنُ ثمان وسبعين سنة، والأوّل أَثبت، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، ومشى في جنازته إلى البقيع، وقيل: سعد بن أبي وَقّاص، وقيل: علي، وقيل: الزبير رضي الله عنه.

لما أحدث عثمان رضي الله عنه ما أحدث من تَأمير الأحداث من أهل بيته على الجِلَّة من الصحابة رضي الله عنهم؛ قيل لعبد الرحمن: هذا فِعلُك، فدخل على عثمان رضوان الله عليه، فعاتبه ولامه، وقال: إنّما قَدَّمتُك لتَسيرَ بسِيرة الشّيخَين، وقد خالفتَهما وحابَيْتَ أهلَ بيتك وأوطَأْتَهم رقابَ المسلمين، فقال عثمان رضوان الله عليه: إن عمر كان قطع أقاربه في الله، وأنا أصلُ قرابتي في الله، فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه: عليَّ أن لا أكلِّمَك أبداً، فلم يُكلّمه حتى مات.

ودخل عليه عثمان رضوان الله عليه عائداً في مرضه، فحوَّل وَجهه إلى الحائط، ولم يُكلّمه حتى مات.

قال إبراهيم: رأيتُ سعدَ بنَ مالك عند قائمتَيْ سريرِ عبد الرحمن وهو يقول: واجبَلاه.

قال [إبراهيم بن] سعد، عن أبيه: أنه سمع عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه يقول يوم مات عبد الرحمن: اذْهَب ابنَ عَوف فقد أدركتَ صَفوَها، وسَبَقْتَ رَنْقَها.

قال أبو الأسود: أوصى عبد الرحمن في السَّبيل بخمسين ألف دينار. وترك ألف بعير، وثلاثة آلاف شاةٍ بالنَّقيع، ومئة فَرسٍ تُرعى بالنَّقيع، وكان يَزرع بالجُرُف على عشرين ناضِحاً، فكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة.

قال محمد بن عبد الرحمن بن عَوف: تُوفّي عبدُ الرحمن، فكان فيما ترك ذَهَبٌ قُطِع بالفؤوس؛ حتى مَجِلَتْ أيدي الرجال منه، وترك أربعَ نِسْوة، فأخرجت امرأة من ثُمنها ثمانين ألفاً.

قال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن: أصابتْ تُماضر بنت الأصبغ الكلبي رُبُع الثُّمن، فأخرجتْ بمئةِ ألف، وهي إحدى الأربع.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: سالم، مات قبل الإسلام، وأمُّه أمُّ كلثوم بنت عُتبة بن ربيعة، ومحمد، وبه كان يُكنى، وإبراهيم، وحُمَيد، وإسماعيل، وحَميدة، وأَمَةُ الرحمن، وأمُّهم أمُّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، ومَعْن، وعمر وزيد، وأمَةُ الرحمن الصُّغرى، وأمُّهم سَهْلَة بنت عاصم بن عديّ الأنصارية، وعُروة الأكبر، قُتل يوم إفريقية، وأمُّه بحرِيّه بنت هانىء بن قَبيصة، من بني شيبان، وسالم الأصغر قُتل يوم فتح إفريقية، وأمُّه سَهلة بنت سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ، وأبو بكر، وأمّه أمُّ حكيم بنت قارظ بن خالد بن عُبيد، حليفٌ لهم، وعبد الله قُتل بإفريقية يوم فُتحت، وأمه ابنة أبي الخَشْخاش[1] أنصارية، وأبو سلمة وهو عبد الله الأصغر، أمُّه تُماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب من كلب، وهي أوّل كلبّية نكحها قُرشيّ، وعبد الرحمن، وأمّه أسماء بنت سلامة بن مُخَرّبة بن جندل بن نَهْشَل بن دارم، ومصعب وآمنة ومريم، وأمُّهم أمُّ حُرَيث من سَبْي بَهْراء، وسُهيل وهو أبو الأبيض، وأمُّه مَجْد بنت يزيد بن سلامة ذي فائش الحميريّة، وعثمان، وأمّه غزال بنت كِسرى، أمّ وَلَد، من سَبْي سعد بن أبي وقاص ﷺ يوم المدائن، وعُروة دَرَج، ويحيى وبلال لأمَّهات أولاد دَرجوا، وأم يحيى وأمُّها زينب بنت الصبّاح بن ثعلبة بن عوف بن شبيب بن مازن، من سَبْي بَهراء أيضاً، وجُوَيرية بنت عبد الرحمن، وأمُّها بادية بنت غيلان بن سلمة بن مُعَتّب الثقفي، وتزوَّج جويرية المِسور بنُ مَخْرَمَة.

فالحاصل أنه كان له ثمانية وعشرين ولداً.

فمن أعيانهم محمد، كان شديدَ الغَيرة، وله عقِب بالمدينة.

ومنهم إبراهيم، كان سيِّد القوم، تزوَّج سُكينة بنت الحسين ﷺ، ولم يُرضِ ذلك بنو هاشم، فاختلعَت منه، كُنيته أبو إسحاق، مات سنة سبعٍ وتسعين وهو ابنُ خمس وسبعين سنة.

وأبو سلمة بن عبد الرحمن الفقيه الإمام، وابنه سلمة وَلي قضاء المدينة.

---

(١) كذا في (خ) وصفة الصفوة ١/ ٣٥١ ، ونسختي (ت) و(ث) من طبقات ابن سعد ٣/ ١١٨ ، وصوابه: الحَيْسَر، انظر حواشي طبقات ابن سعد (طبعة الخانجي).

ومصعبُ بن عبد الرحمن كان شجاعاً، وكان على شُرطة مروان بن الحكم، فأمره مروان أن يَهدم دورَ بني هاشم، و[مَن] في حَيّزهم، فقال: أيها الأمير، إنه لا ذَنْب لهؤلاء ولستُ أفعل، فقال مروان: انتفخ سَحْرُك، ألْقِ سيفَنا، فألقاه ثم خرج إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فكان معه.

وأما سُهيل بن عبد الرحمن فكان تزوّج امرأةً من بني أمية يُقال لها: الثريّا، وهي التي كان يُشَبِّب بها عمر بن أبي ربيعة، وفيها يقول: [من الخفيف]

أيُّها المُنكِحُ الثريّا سُهيلاً عَمرك الله كيف يَجتمعانِ
هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّت وسُهيلٌ إذا استقلَّ يَماني

ولسُهيل عَقب بالمدينة، منهم عُتَيْر بن سُهيل، وكان صاحبَ شراب، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

إذا أنت نادمتَ العُتَيْرَ وذا النّدى جُبيراً وعاطَيتَ الزّجاجةَ خالدا

وجُبير هذا هو ابنُ أمِّ أيمن حاضنةِ رسول الله ﷺ، وخالد ابنُ أبي أيوب الأنصاري.

وأما عمر بن عبد الرحمن فكان من دُهاة قريش، وهو أحدُ مَن عَمل في عزل الحجّاج عن المدينة حتى عَزله عبدُ الملك، ومن ولده محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، وكان على قضاء المدينة وبيتِ مالها زمن أبي جعفر المنصور، وكان عالماً فقيهاً.

وأما مَعن بن عبد الرحمن فله عَقِب، منهم هارون بن عبد الله بن كَثير بن مَعن، كان فقيهاً على مذهب أهل المدينة، ولاه المأمون قضاءَ المَصِّيصَة ثم صرفه، وولاه قضاءَ الرقة ثم صرفه، وولاه قضاءَ عسكر المهدي، ثم ولاه قضاءَ مصر.

ذكر نساء عبد الرحمن رضي الله عنه:

أمّ كُلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، أمُّها أروى بنتُ كُريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس، أسلمت قبل الهجرة، وبايعت رسول الله ﷺ، وهي أوّلُ امرأةٍ هاجرت من النساء بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، لا نعلم قرشيةً خرجت من بيت أبويها مُسلمةً مهاجرةً إلى الله ورسوله إلّا هي، خرجت من مكة وَحدَها وصاحبتْ رجلاً من خُزاعة، فقدمت المدينة في هُدنة الحُدَيبية، وخرج في طَلبها أخواها: الوليد وعُمارة ابنا عُقبة، فقدِما المدينة، فقالا: يا

محمد، فِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآيات [الممتحنة: ١٠] فقال لهما رسول الله ﷺ: «إن الله قد نقض العهد في النساء، فارجعا فلا سبيلَ لكما عليها» فرجعا.

ولم يكن لأم كلثوم بمكة زوجٌ، فتزوّجها بالمدينة زيد بن حارثة بقول النبي ﷺ، فوَلدت له، فقُتِل عنها يوم مُؤتة، فتزوَّجها الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه، فولدت له زينب، وكان في الزبير رضي الله عنه شِدَّةٌ على النساء، وكانت تكرهه، فكانت تَسأله الطلاق فيأبى عليها، فضربها الطَّلْقُ ولم يعلم، فألحَّت عليه وهو يتوضّأ للصلاة فطلَّقها تَطليقة، فخرجت فوضعت، فأُخبر بوَضْعها فقال: خدعَتْني خدعها الله، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بوَضْعها، فقال: «سبق فيها كتابُ الله فاخطُبها» فقال: لا ترجع إليَّ أبداً.

فتزوّجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فولدت له إبراهيم وحُميداً، ومات عنها فتزوَّجها عمرو بن العاص، فماتت عنده.

وأمّا أمُّ كُلثوم بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس زوجة عبد الرحمن رضي الله عنه فأمها ابنةُ حارثة بن الأَوْقَص، ولَدت لعبد الرحمن سالماً الأكبر، أسلمت وبايعت.

وأما سَهْلة بنت سُهيل بن عمرو فأمّها فاطمة بنت عبد العُزَّى، من بني عامر بن لؤي، أسلمت سَهلة قديماً، وهاجرت إلى الحبشة الهجرتين مع زوجها أبي حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وولدت هناك محمداً، وتزوّجها بعد أبي حُذيفة عبد الله بنُ الأسود بن عمرو، من بني مالك بن حِسْل، فوَلدت له سَليطَ بنَ عبد الله، ثم خَلَف عليها شَمّاخ بن سعيد، من بني سُليم بن منصور، فوَلدت له عامر بن شَمّاخ، ثم خَلف عليها عبدُ الرحمن بنُ عَوف رضي الله عنه، فوَلدت له سالماً الأصغر.

وسهلة هي التي قال لها رسول الله ﷺ: أرضعي سالماً مولى أبي حُذيفة خمسَ رضعات يَدخل عليك.

وأما تُماضر بنت الأصبغ ـ أمّها جُويرية بنت وَبْرة بن رُومانس، من كلب ـ فوَلدت له أبا سلمة لا غير، وهي التي طلَّقها عبد الرحمن رضي الله عنه في مرضه ثلاثاً، فوَرَّثها عثمان رضي الله عنه.

وقال: نُؤمن بكتاب الله، ونحمي حمى الله.

وكان في تُماضر سُوءُ خُلُق، وكانت على تطليقتين، فلما مرض عبد الرحمن رضي الله عنه جرى بينه وبينها شيءٌ فقال لها: والله لئن سألتِني الطَّلاقَ لأُطَلِّقنَّك، فقالت: والله لأسألنَّك، فقال: أمّا إذاً، فأعلميني إذا حِضْتِ وطَهُرتِ، فلما طَهُرت أرسلت إليه تُعلِمه، فمرَّ رسولُها ببعض أهله، فظنّ أنه لذلك، فدعاه وسأله، فأخبره، فقال له: ارجع إليها فقل لها: لا تفعلي، فوالله ما كان ليَرُدَّ قَسَمه، فرجع فأخبرها فقالت: وأنا والله لا أردُّ قَسَمي أبداً، اذهبي إليه فأعلميه، فذهبت فأعلمتْه فطلّقها.

ثم تزوّج تُماضر بعد عبد الرحمن رضي الله عنه الزبيرُ بنُ العوام رضي الله عنه، فأقامت عنده سبعَ ليالٍ ثم طلّقها، فكانت تقول للنساء: إذا تزوَّجتْ إحداكنّ فلا يَغُرَّنَّكنّ السَّبع بعدما صَنع بي الزبير.

وكان لعبد الرحمن رضي الله عنه إخوة، منهم:

الأسود بن عَوف، له صُحبة، وليس له رواية، هاجر قبل الفتح، وجابر بن الأسود، وَلي لابن الزّبير رضي الله عنهما، ومحمد وعباس ابنا الأسود، قُتلا مع ابنِ الأشعث.

وحَمْنَن بنُ عوف لم يُهاجر، وعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، وليس له رواية، ومن ولده القاسم بن محمد بن المعتمر بن عِياض بن حمنن، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

إن المكارمَ أحرزَتْ أسبابَها ... للقاسم بن محمد بن المعتَمِرْ
إن الفتى الزُّهريَّ سَيْبُ بَنانِه ... كالنِّيل أو فَيضِ الفُرات إذا زَخَرْ
ما يُعرَفُ المعروفُ إلا فيهم ... وهم الألى حازوا السَّماحَ على البَشَر

وعبد الله بن عَوف لم يُهاجر أيضاً، وابنُه طلحةُ النّدى بن عبد الله، كان من سَرَوات قريش، كُنيته أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد، وأمُّه بنت مُطيع بن الأسود، رُوي عنه الحديث، وكان هو وخارجة بن زيد من أرباب الفَتْوى بالمدينة، ويَقسمان المواريث، ويكتبان الوَثائق للناس بغير جُعْلٍ، وفي طلحة يقول الفرزدق: [من الكامل]

يا طلحُ أنت أخو النَّدى وعَقيدُه ... إن النَّدى إنْ مات طلحةُ ماتا

أعطى السلطانُ طلحة بنَ عبد الله بن عوف سبعةَ آلاف درهم، فخرج بها مع غلامٍ يَحملها، فلقيَه أعرابيٌّ حديثُ عهدٍ بعِلّة، فقال له: أعدني على الفقر وأعنّي عليه، فقال للغُلام: انثُر ما معك في كساء الأعرابيّ، فذهب الأعرابي يُقلُّها فلم يَقدر وعَجز عنها،

فقعد يبكي، فقال: لعلك استَقْلَلْتَها؟ قال: لا والله، ولكن نظرتُ في يَسير ما سألتُك، مع جَزيلِ ما أعطيتَني، وتفكَّرتُ فيما تأكُلُ الأرض من كَرمِك فبكيتُ.

وقدم الفرزدقُ المدينةَ زائراً، فوجد رجلاً خارجاً منها، فسأله عن أخبار الناس فقال: تُوفّي طلحة بن عبد الله، فقال: بفِيك الحَجَر، ودخل من رأس الثَّنيّة يُولولُ ويقول: يا أهلَ المدينة، كيف تركتُم طلحة يموت؟!

روى طلحةُ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي بَكرة، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، وروى عنه الزّهري، وسعد بن إبراهيم، وأبو عُبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر في آخرين.

وولي المدينة لابن الزبير رضي الله عنهما، وفيه يقول حُرَيث بن عنَّاب الطائي: [من الطويل]

إلى طلحةَ الفَيَّاضِ أعملتُ نَصَّها ... تَخبُّ برَحْلِي ساعةً ثم تُرقِلُ
إلى ماجدِ الجدَّين رَحْبٍ فناؤه ... له في قديم الدّهر مجدٌ مُؤثَّلُ

وعمُّ عبد الرحمن رضي الله عنه أزهر بنُ عبد عوف، هو أحد الذين بعثهم عمر رضوان الله عليه فنصبوا أنصابَ الحَرَم، وابنُه عبد الرحمن بن أزهر من الصحابة، شهد حُنيناً، وأروى الناسِ عنه الزّهري.

أسند عبد الرحمن بنُ عوف رضي الله عنه الحديثَ عن رسول الله ﷺ، روى خمسةً وستين حديثاً، روى عنه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وجابر، وبنو عبد الرحمن: إبراهيم، وحُميد، وأبو سلمة، ومُصعب، وعمرو بن العاص في آخرين.

وقدم مع عمر رضوان الله عليه الجابية، وشهد في كتاب الصُّلح الذي لأهل بيت المقدس، وكان على مَيمنة عمر رضوان الله عليه في أوَّلِ خَرْجة خَرجها إلى الشام، وفي الثانية التي رجع فيها من سَرْغ على الميسرة(١).

---

(١) انظر في ترجمة عبد الرحمن وأولاده ونسائه وإخوته: طبقات ابن سعد ٣/ ١١٥ و١٠/ ٢١٨، ٢٢٦، ٢٥٦، ٢٨٢، ونسب قريش ٢٦٥، والمعارف ٢٣٥، وأنساب الأشراف ٨/ ١٢٢، والاستيعاب (١٥٣٠)، وحلية الأولياء ١/ ٩٨، وتاريخ دمشق ٤١/ ٢٢٥ و٨/ ٥٣١ (مخطوط)، والمنتظم ٥/ ٣٣، وصفة الصفوة ١/ ٣٤٩، والتبيين ٢٩٥، والسير ١/ ٦٨، والإصابة ٢/ ٤١٦.

أبو بَرزة الأسلمي

واسمه نَضْلَة بن عُبيد وفيه خلاف، أسلم قديماً، وشهد فتح مكة، وهو الذي قتل عبد الله بنَ خَطَل لما كان مُتعلّقاً بأستار الكعبة، [ولم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، فتحوّل] فنزل البصرة، وبنى بها داراً، وله بها عقب، وغزا خُراسان فمات بمَرْو، وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ(١).

أبو سَبْرَة

ابن أبي رُهْم ابن عبد العُزّى، من بني عامر بن لُؤيّ، وأمُّه بَرَّة بنتُ عبد المطلب بن هاشم عمَّةُ رسول الله ﷺ، من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهجرتين، وكانت معه في الهجرة الثانية أمُّ كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين [سَلَمة بن] سَلامة بن وَقْش، ولما هاجر إلى المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجُلاح.

وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، ورجع إلى مكة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكره المسلمون له ذلك، ووَلَدُه يُنكرون رُجوعه(٢).

كعب الأحبار بن ماتِع الحِميريّ

من مُسلمةِ أهل الكتاب، قدم في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه فأسلم على يده، وقيل: على يد عمر رضوان الله عليه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، كُنيتُه أبو إسحاق، كان على دين يَهود فأسلم، وقدم المدينة، ثم نزح إلى الشام فسكن حمص.

وكان أبو الدرداء يقول: إن عند ابنِ الحميَريَّة لعِلماً كثيراً، وتُوفّي بحمص، على خلاف فيه، وأسند عن عمر رضوان الله عليه، وصُهيب، وعائشة، وروى عنه ابنُ عمر، وابنُ عباس، وأبو هُريرة، وعبد الله بن الزبير ﵄، وقال: لا يَصعد طيرٌ في

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٢ و٩/ ٩، ٣٦٩، والاستيعاب (٢٨٥٣)، والمنتظم ٥/ ٣٢، والسير ٣/ ٤٠ وفيه مصادر أخرى، والإصابة ٢/ ١٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٣ و٨/ ٥، ونسب قريش ٤٢٨، والاستيعاب (٢٩٦١)، والتبيين ٤٨٠، والإصابة ٤/ ٨٤.

السماء أكثر من اثني عشر ميلاً، ومُعظم رواياته عن التوراة[(١)].

أبو مُسْلم

الجَليلي ـ بالجيم ـ وهو جبل صيدا بساحل دمشق، أدرك رسول الله ﷺ ولم يُسْلم، وأسلم على عهد أبي بكر رضوان الله عليه، وقيل بعد ذلك، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وأسند عن معاوية، وروى عنه أبو مُسلم الخولاني، وأبو قِلابة، وأبو مَيسرة، وسعيد بن عبد العزيز وغيرُهم[(٢)].

نَوف وتُبَيْع

ابنا امرأةِ كعب الأحبار، فنَوف بن فَضالة الحميريّ، كُنيتُه أبو يَزيد، من الطبقة الثانية من تابعي أهلِ الشام، كان قاضياً بحمص، ثم انتقل إلى الكوفة في إمرة مصعب ابن الزبير، وكان من العلماء الفُضَلاء، إمامَ أهل دمشق، واستشهد مع محمد بن مروان، وقتل [في] غزاة الطُّوانة[(٣)].

قال نَوف: ذبح نبيٌّ أو صدِّيقٌ عِجلاً بين يدي أمِّه فخبل، فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها طائر؛ إذ وقع فَرخُ ذلك على الأرض في التُّراب، فجاء الطائر فجعل يُرفرف على رأس فَرخِه، فأخذه النبيُّ أو الصدِّيق، فمسح التُّرابَ عنه، وأعاده إلى وَكْره، فردّ الله عليه عَقْلَه.

أسند نوف عن علي رضي الله عنه، وأبي أيوب الأنصاري، وثوبان، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم، وروى عنه أبو عمران الجَوْني، وأبو إسحاق الهَمْداني، وشَهْر بن حَوْشَب في آخرين[(٤)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤٩، والمعارف ٤٣٠، والمنتظم ٥/ ٣٨، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٣٧١، والسير ٣/ ٤٨٩ وفيهما مصادر أخرى، والإصابة ٣/ ٣١٥.

(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ١٦٧ (مخطوط)، والإصابة ٤/ ١٩١.

(٣) في النسخ: مروان بن محمد، والمثبت من تاريخ دمشق ١٧/ ٦٨٧ (مخطوط). وقوله: في غزوة الطوانة، وهم فهي وقعت سنة (٨٨) للهجرة، وسيذكرها المصنف ٩/ ٤٢٣.

(٤) انظر في ترجمة نوف طبقات ابن سعد ٩/ ٤٥٥، والحلية ٦/ ٤٨، وتاريخ دمشق ١٧/ ٦٨٣ (مخطوط)، وتهذيب الكمال (٧٠٩٣) والمصادر في حواشيه.

وأما تُبَيْع فذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام، وكان عالماً، قرأ الكُتب، وسمع من كعب كثيراً، وكُنيته أبو عُبيد، وقيل: أبو عامر[1].

مُعَيْقيب

ابن أبي فاطمة الدَّوْسيّ الأزْدي، حليفُ بني عبد شمس بن عبد مَناف، أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وقيل: رجع إلى بلاد قومه، ثم قَدم مع وَفْد الأشعريّين ورسول الله ﷺ بخيبر، فشهدها، وعاش إلى خلافة عثمان رضوان الله عليه، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكان قد أسرع إليه الجُذام.

قال محمود بن لَبيد: أمَّرني يحيى بن الحكم على جُرَش، فقَدمتُها، فحدّثوني أن عبد الله بن جعفر حَدَّثهم، أن رسول الله ﷺ قال لصاحب هذا الوَجع ـ يعني الجُذام: «اتَّقوه كما يُتَّقى السَّبُعُ، إذا هبط وادياً فاهبطوا غيرَه»، فقلتُ لهم: والله لئن كان ابنُ جعفر حدَّثكم هذا ما كَذبكم، فلما عَزلني يحيى عن جُرَش، قدمتُ المدينة، فلَقيتُ عبد الله بن جعفر، فقلتُ ما حديثٌ بَلَّغني عنك أهلُ جُرَش، وذكرته له، فقال: كذبوا، والله ما حدَّثتُهم هذا، ولقد رأيتُ عمر بن الخطاب يُؤتى بالإناء فيه الماء فيُعطيه مُعَيقيباً، وكان رجلاً قد أسرع فيه ذلك الوجع ـ فيشرب منه، ثم يتناوله منه فيضع فمه مَوضعَ فمه فيَشرب منه، فعرفتُ أنّما صنع عمر ذلك فراراً أن يَدخُلَ شيءٌ من العَدْوى.

وكان يَطلُب له من الطّبِّ من كلِّ مَن سمع له بطبّ، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكما من طِبٍّ لهذا الرجل؟ فإن الوَجع قد أسرع فيه، فقالا: أمّا شيءٌ يُذهبُه فلا، أو فإنا لا نقدر، ولكنا سنداويه دواءً يَقِفُه ولا يَزيد، فقالا له: هل تُنبتُ أرضُك الحنظلَ؟ قال: نعم، قالا: فاجمع لنا منه، فأمر فجُمع منه مِكتَلَين عظيمين، فعمدا إلى كلِّ حَنظلة فشَقّاها نِصفَين أو ثِنتين، ثم أضطجعا مُعيقيباً، ثم أخذ كلُّ واحدٍ منهما بإحدى قدمَيْه، ثم جَعلا يَدلُكان بطون قدميه بالحنظلة، حتى إذا امَّحَقَتْ أخذا الأخرى، حتى رأيا مُعَيقيباً يَتنخّم أخضرَ مُرّاً، ثم أرسلاه، فقالا لعمر: لا يَزيد وَجعه بعد هذا، فوالله مازال مُعَيقيب متماسكاً، [لا يزيد] وجعه حتى مات.

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٥٥، والسير ٤/ ٤١٣ والمصادر فيه، والإصابة ١/ ١٨٧.

قال خارجة بن زيد: إن عمر قال لمعيقيب لما أكل معه: خُذْ مما يليك، فلو كان غيرك ما يأكل معي في صَحْفة، ولكان بيني وبينه قِيْدُ رُمْحٍ.

وكانت وفاةُ مُعيقيب رضي الله عنه في هذه السنة بالمدينة.

أسند الحديثَ عن النبي ﷺ، وقد أخرج البخاري تعليقاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «فِرَّ من المجذوم فِرارَك من الأسد»(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُديموا النَّظرَ إلى المجذوم»(٢).

وفي حديث عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال: «كَلِّم المجذومَ وبينك وبينه قِيْدُ رُمْحٍ أو رُمحَين»(٣).

وفي حديث عمرو بن الشَّريد: أن مجذوماً أتى رسول الله ﷺ لِيُبايعَه، فذكرتُ ذلك له فقال: «ائتِه فأعلمه أني قد بايعتُه»(٤).

وقيل: إنه قد يَسْقَمُ مُقارِبُ المجذومِ وصاحبِ السِّلِّ بالرّائحة لا بالعَدوى، وقد رُوي أن نَباتَ الشعرِ في الأنف أمانٌ من الجُذَام(٥).

❊ ❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري (٥٧٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٧٥).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٠٣، وأبو نعيم في الطب، فيما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ١٥٩ وقال: إسناده واهٍ.

(٤) أخرجه أحمد (١٩٤٦٨)، ومسلم (٢٢٣١).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣٥٠-٣٦٠) من حديث جابر وأنس وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم، وقال: هذا حديث ليس له صحة، ثم تكلم على كل طريق منها.

وانظر في ترجمة معيقيب: طبقات ابن سعد ٤/ ١٠٩، والمعارف ٣١٦، والاستيعاب (٢٤٩٦)، والمنتظم ٥/ ٣٨، والسير ٢/ ٤٩١، والإصابة ٣/ ٤٥١.

السنة الثالثة والثلاثون

فيها غزا معاويةُ بلادَ الرُّوم، ووصل إلى حصن المرأة، من أعمال مَلَطْية فافتتحه.

وفيها غزا عبد الله بن [سعد بن] أبي سَرْح إفريقية، وكانوا قد نَقضوا العَهْدَ، فقتل وسبى، واستُشهد في هذه الغزاة جماعة، منهم: معبد بن العباس بن عبد المطّلب.

وفيها بعث عبد الله بنُ عامر بن كُريز الأحنفَ بنَ قيس إلى خُراسان، وكانوا قد نَقضوا العَهدَ، فقاتلهم فظَفِر بهم، ولحقه ابنُ عامر فهَدَمَها.

وفيها نَفى عثمانُ جماعةً من أهل الكوفة إلى الشام؛ كانوا يُعيبون عليه ويَطعنون فيه، ويَسبُّون سعيد بن العاص والي الكوفة، فكتب إلى عثمان رضوان الله عليه يَشكوهم، فكتب إليه: سَيِّرهم إلى الشام، فسيَّرهم؛ منهم: عُروةُ بن الجَعْد البارِقيّ، ومالك بن الحارث الأشْتَر، وجُندب بن زهير، وعمرو بن الحَمِق، وكُمَيْل بن زياد، وزيد بن صُوحان، وابن الكَوّاء وغيرهم، فلما قَدموا على معاوية أكرمهم، وأنزلهم، وأحسنَ إليهم، وأجرى عليهم الضيافات ثم قارضهم فتَسمّحوا في عثمان رضوان الله عليه ونالوا من سعيد بن العاص، فقال: لا خيرَ فيكم، فنفاهم إلى حمص وكان بها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عاملاً من معاوية، فلما دخلوا عليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً، يا آلةَ الشيطان، الجوَّالين في الفتن، فنفاهم إلى فلسطين ثم عادوا إلى الكوفة، وهم أعيانُ أهل الكوفة.

أما عُروة بن الجَعْد البارِقيّ فكان من الأشراف، وهو من الصحابة، ورُوي الحديث عنه قال: عَرضَ للنبي ﷺ جَلَبٌ، فأعطاني ديناراً وقال: «أيْ عُروة، ائت الجَلَبَ، فاشترِ لنا شاةً» فأتيتُ الجَلَبَ، فساومْتُ صاحبَه، فاشتريتُ منه شاتَيْن بدينار، فجئتُ أسوقهما فلَقيني رجلٌ، فساوَمَني فأبيعُه شاةً بدينار، وجئتُ بالدينار والشاة، فقلتُ: يا رسول الله، هذا دينارُكم، وهذه شاتُكم، قال: «فكيف صنعتَ؟» فحدَّثتُه الحديث فقال: «اللهمَّ بارك له في صَفقةِ يَمينه»، فلقد رأيتُني أقفُ بكُناسةِ الكوفة، فأربح أربعين ألفاً قبل أن أَصِل إلى أهلي[١].

(١) أخرجه أحمد (١٩٣٦٢).

وكان عُروة نزل الكوفة، ووَلي القضاءَ بها، ثم نزل المدائن، وانتقل إلى بَراز الرُّوز على مرحلة من النَّهْرَوان، وأقام بها مُرابطاً، وكان في داره سبعون فَرساً مربوطةً للغَزاة في سبيل الله، منها فرسٌ واحد أخذه بعشرة آلاف دِرهم[1].

وأما جُندب بن زهير بن الحارث بن كَثير الأزديّ، يُقال إن له صُحبة، وكان على رجَّالةِ عليّ عليه السلام يومَ صِفّين، وقُتل معه[2].

وفيها نفى عثمان رضوان الله عليه حُمران مولاه إلى البَصرة بسبب امرأةٍ تَزوَّجها في عِدَّتها، ففرَّق بينهما وجَلده، فأقام بالبصرة، ثم عاد إلى المدينة.

وفيها سَيَّر عثمان رضوان الله عليه عامر بنَ عبد الله ويُعرف بابن عبد القَيس التَّميمي من البَصرة إلى الشام، وسببُه لما قَدم حُمران المدينة قدم معه قومٌ من أهل البصرة، فسَعَوا بعامر، وقالوا: لا يَرى التَّزويج، ولا يَأكلُ اللحم، ولا يَشهدُ الجمعة، فكتب عثمان رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عامر أن يُسيِّرَه إلى الشام، فلما قدم على معاوية وافقه وبين يديه ثَريدةٌ في قَصْعة وعليها لَحم، فأكل معه أكلاً غريباً، فعرف أن الرجل مَكذوبٌ عليه، فأخبره بما قيل عنه، فقال عامر: أما اللحم فقد أكلتُ معك، وما امتنعتُ منه إلّا لأن الذَّبّاحين بالبصرة ذبائحُهم مَيْتة؛ لأنهم لا يذكرون اسمَ الله عليها، وأما النكاح فلأني رجلٌ كبيرٌ لا طاقةَ لي بالنساء، وأما الجمعة فإني أشهدُها في آخرهم، وأخرجُ في أولهم خوفَ الفتنة، فقال له معاوية: فارجع إلى بلدك، فقال: لا والله، لا أرجع إلى بلدٍ استحلَّ مني أهلُه ما استحلُّوا، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي، فكان يكون بالسَّواحل، وكان يلقاه معاوية فيقول له: هل من حاجة؟ فيقول: لا، فلما كثر عليه قال: تَردُّ عليَّ من حَرِّ البصرة لعل الصوم يشتدُّ علي شيئاً، فإنه يَخِفُّ في بلادكم.

وفيها وُلد عليّ بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه.

وفيها خرج محمد بنُ أبي حُذَيفة إلى مصر، وكان رَبيبَ عثمان رضوان الله عليه، وخرج معه محمد بن أبي بكر فحرَّضا الناسَ على عثمان رضوان الله عليه، فكتب

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٨٥ و٨/ ١٥٦، وتاريخ بغداد ١/ ١٩٣.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٣٤ (مخطوط)، والإصابة ١/ ٢٤٨.

عبد الله بن سعد إلى عثمان رضوان الله عليه يُخبره، فلم يُجِبْه بشيءٍ وحج عثمان رضوان الله عليه بالناس.

فصل وفيها تُوفّي

المقداد بنُ عَمرو

ابن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمامة الكندي، ونسبه ابنُ سعد إلى بَهراء بن [عمرو بن] الحاف بن قُضاعة، وكُنيته أبو مَعبد، ويقال له: ابن الأسود؛ لأنه كان حالف الأسود بنَ عبد يَغوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة في الجاهلية، فتبنّاه، وإنما قيل له الكِنديّ لأن أباه حالف كِندة.

وكان شجاعاً، آدم، ذا بطن، كثيرَ الشَّعر، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين الأوّلين، هاجر الهجرةَ الثانية إلى الحبشة، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ.

وكانت أمُّه عند الأسود بن عبد يَغوث في الجاهلية، فخلف عليها بعده ابنُه عمرو، ولم يكن ذلك عيباً عندهم.

وكان المقداد من الرُّماة المذكورين، ويُقال له: فارس الإسلام، واسمُ فرسه يوم بدر: سَبْحَة، وهو القائل يوم بدر: لو ضربتَ بُطونها إلى بَرْكِ الغِماد لتابعناك، وهو أولُ مَن عدا به فَرسُه في سبيل الله.

وعن أنس أن المقداد خطب إلى رجلٍ من قريش، فأبى أن يُزوِّجه، وبلغ رسولَ الله ﷺ فقال له: «ولكني أُزوّجك ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، بنتُ عمِّ رسول الله» فزوَّجه إياها، وأطعمه رسولُ الله ﷺ بخيبر خمسة وعشرين وَسْقاً [شعيراً] طُعمةً، فاشتراها معاوية من أهله بمئة ألف درهم(١).

ولما هاجر إلى المدينة نزل على كُلثوم بن الهِدْم، وآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين جَبّار بن صَخْر.

---

(١) في طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٩: خمسة عشر وسقاً.

قال أنس: بعث رسولُ الله ﷺ المقدادَ على سَرِيَّة، فلما قدم قال له: «يا أبا مَعْبَد، كيف وجدتَ الإمارة؟ قال: كنتُ أُحْمَل وأُوضَع، حتى رأيتُ أن لي على القوم فَضْلاً، قال: «هو ذاك، فخُذْ أو دَعْ»، فقال: والذي بعثك بالحق، لا أتأمَّر على اثنين أبداً.

وشهد المقداد مع عمر رضوان الله عليه الجابية، وكان على ربع أهل اليمن، وخرج معه في خَرْجته التي رجع فيها من سَرْغ أميراً على رُبْع اليمن.

وشهد اليرموك، وهو القارىء لآيات الجهاد من سورة الأنفال؛ التي سنَّها رسول الله ﷺ عند لقاء العدو، وشهد فتحَ مصر، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح سنة سبعٍ وعشرين.

وقالت كريمة بنت المقداد: أوصى المقداد لكلِّ واحدٍ من الحسن والحسين بثمانية عشر ألف درهم، وأوصى لكل واحدة من أزواج رسول الله ﷺ بسبعة آلاف درهم، فقبلوا وصيَّته.

قال أبو فائد: مرض المقداد، فسُقي دُهنَ الخِرْوَع فمات، وكان بالجُرُف على ثلاثة أميالٍ من المدينة، فحُمل على أعناق الرجال، حتى دُفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان رضوان الله عليه، وهو ابنُ سبعين سنة أو نحوها، وجعل عثمان رضي الله عنه يُثني عليه بعد وفاته، فقال له الزبير رضي الله عنه: [من البسيط]

لا أَلفينَّك بعد الموتِ تَنْدُبُني(١)

وذلك لأن عثمان رضوان الله عليه كان قَصَّرَ في حقِّه.

أسند المقداد رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ، واختلفوا في عددها، والمشهور اثنان وأربعون حديثاً.

روى عنه علي، وابن مسعود، وابن عباس، وطارق بن شهاب، والمستورد بن شداد، وسعيد بن العاص، والسائب بن يزيد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وجُبير بن نُفير، وعبيد الله بن عدي بن الخِيار وغيرهم(٢).

---

(١) تمامه: وفي حياتي ما زَوَّدتني زادي. وهو لعبيد بن الأبرص، ديوانه ٦٣.

(٢) انظر في ترجمة المقداد: طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٨، والمعارف ٢٦٢، والاستيعاب (٢٤٩٥)، وحلية الأولياء ١/ ١٧٢، والسير ١/ ٣٨٥، والإصابة ٣/ ٤٥٤.

السنة الرابعة والثلاثون

فيها تكلم الناس في عثمان رضوان الله عليه مُجاهرةً، وطلبوا أن يُناظِروه على الأشياء التي نقموها عليه، منها: رَدُّ عمّه الحكم بن أبي العاصي إلى المدينة وإعطاؤه الأموال، وعزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة، وولايته إياها للوليد بن عُقبة، وتوليته إفريقية ومصر لعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإعطاؤه لمروان خمس إفريقية، ولتَسليطِه أحداثَ بني أمية على رقاب المسلمين، ونحو ذلك من الأحداث المتقدّمة.

قال الزهري: لما وَلي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً، يعمل ستّ سنين لا يَنقم الناسُ عليه شيئاً، وإنه لأحبُّ إليهم من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديداً عليهم، فلما وَلِيَهم عثمان لان لهم ووَصَلهم، ثم توانى في أمرهم، و استعمل أقرباءه وأهلَ بيته في الستّ الأواخر، وكتب لمروان بخُمس [إفريقية]، وأعطى أقرباءه المال، وتأوَّلَ في ذلك الصِّلَةَ التي أمر الله بها، واتَّخذ الأموال، واستسلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من المال ما هو لهما، وإني أخذتُه فقسمتُه في أقربائي، فأنكر الناسُ عليه ذلك.

وقال البلاذري: لما وَلي عثمان رضوان الله عليه كره وِلايتَه نفرٌ من الصحابة لأنه كان يُحبُّ قومَه، وكان كثيراً ما يُولّي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله ﷺ صُحبة، فكان يجيءُ من أُمرائه ما يُنكرُه الصحابة، وكان يُستَعْتَبُ [فيهم] فلا يَعزِلُهم، فلما كان في الستّ سنين الأواخر استأثر ببني عمّه وأهله فولّاهم، وقدم عليه أهلُ مصر يَتَظلّمون من عبد الله، فلم يرفع مَظالمهم.

وكان من عثمان رضوان الله عليه قبل ذلك هَناتٌ إلى أبي ذرّ وابن مسعود وعمار ﷺ؛ فإنه غرَّبهم، وكان في قلوب هُذيل وبني زُهرة وبني غِفار وبني مَخزوم لأجل هؤلاء ما فيها.

وقدم عليه سبعُ مئةٍ من المِصريين يَتظلّمون من عبد الله بن سعد، وما صنع في أوقات الصّلاة وتأخيرها فلم يُنصفْهم، فدخل عليه طلحة ﷺ فكلمه بكلام شديد، وأرسلت

إليه عائشة رضي الله عنها تأمُره أن يُنصِفَهم، ودخل عليّ فنهاه وقال له: اعزِله عنهم، وأقده منهم، فقال: اختاروا رجلاً أُوَلّيه، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر، فكتب له عَهده، وبعث معهم جماعةً من المهاجرين والأنصار يَنظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح.

ومن الأحداث المتجدّدة أنه قَدمت إبلُ الصَّدقة؛ نحو ثلاث مئة، فطلبها منه عمُّه الحكم فأعطاه إياها.

وقَدم عليه بثلاث مئة ألف درهم من صدقات قُضاعة، فطلبها الحكمُ فأعطاه إياها.

وحمى نَقيع الخَضمات لخيله، فأنكر عليه المسلمون.

وبعث إليه أبو موسى من البصرة بألفِ درهم ففرّقها في أهله وأقربائه.

وأقطع مروان فَدَكاً، وكانت صدقةَ رسول الله ﷺ.

وكان في بيت المال سَفَطٌ فيه جَوهر وحُلي، فأخذ منه مروان ما حلّى به نساءه، فأنكر عليه المسلمون، فقام عثمان رضوان الله عليه على المنبر وقال: لَنأخُذَنَّ حاجتَنا من هذا المال وإن رَغمتْ أُنوف، فناداه علي رضوان الله عليه: إذاً يُحال بينك وبين بيت مال المسلمين، وقال عمار: أشهد بالله أن أنفي أولُ راغم، فقال له عثمان: أعليَّ تَجترىء؟ وضربه، فقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان عمار حليفاً لهم، فقال: يا عثمان، أمّا علي بن أبي طالب فاتقيتَه وبني أبيه، وأما نحن فاجتَرأتَ علينا، وضربتَ أخانا أبا يحيى حتى أشفيتَ به على التَّلف، أما والله لئن مات لأقتلنَّ به رجلاً قبيح السِّيرة من بني أمية، فقال له عثمان رضوان الله عليه: وإنك ها هنا يا ابن القَسْرِيّة، فقال: يا عثمان، فإنهما قَسْرِيّتان.

قول هشام: هما قَسْرِيّتان، يشير إلى أم عثمان وجدَّته، فإنهما كانتا قَسْرِيَّتَيْن من بَجيلة.

وغضبت أم سلمة وعائشة رضي الله عنهما لذلك، واجتمع أعيانُ الصحابة، منهم طلحة والزبير رضي الله عنهما وغيرهما، فكتبوا كتاباً، وعَدَّدوا فيه أحداث عثمان، وأعلموه أنهم مُواثِبوه إن لم يُقلع عما هو عليه(١).

وعثمان رضوان الله عليه أولُ خليفةٍ نُخل له الدقيق بمناخل الشّعر، ووُضع بين يديه

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢٧٥.

الحُملان الصِّغار، والدَّرْمَك والحلوى، وأول مَن لبس الثياب الطِّوال، والعمائم الكِبار، والسراويلات، وضُربت له الطُّبول والبُوقات، واتَّخذ الحُجَّاب والبَوّابين، وصفَّ بين يديه المُؤَذِّنين، وأول من فوَّض الزكاة إلى أربابها في الأموال الباطنة، إلى غير ذلك.

ذكر قيام الناس عليه

مرَّ عثمان رضوان الله عليه بجَبَلة بن عمرو السَّاعديّ وهو على باب داره، فناداه جَبَلة: يا نَعْثَل، والله لأحمِلَنَّك على قَلُوصٍ أجرب[١]، ولأُخرِجَنَّك إلى حَرَّة النار، ثم أتاه يوماً آخر بجامعةٍ وهو على المنبر فقال: والله لتَنزِعَنَّ عن بِطانتِك من آل أبي مُعَيط أو لأَطرَحَنَّها في عُنُقك، ويْحك يا نَعْثَل، أطعمتَ أسواقَ المدينة بُنيّ الحكم الملعون، طَريد رسول الله ﷺ، يَشتري الجَلَبَ ويَبيعُه، ويجيءُ مَقاعد المتسوِّقين، وكان عثمان رضوان الله عليه قد أقطع الحارث بنَ الحكم في سوق المدينة مكاناً يُقال له: مَهْزور، وكان رسول الله ﷺ تَصدَّق به على المسلمين.

وجَبَلة أولُ من اجترأ على عثمان رضوان الله عليه، وكان في مَنَعَةٍ من قومه وساعده المسلمون، واجتمع الناس إلى عامر بن عبد قيس، وكلَّموه ليدخلَ على عثمان رضوان الله عليه، فيُعَدِّد عليه أحْداثَه، ويُناظِره فيما نَقَموا عليه، فدخل وقال: إن ناساً من المسلمين قد اجتمعوا ونَظروا في أعمالك، فوَجَدوك قد ركبتَ أموراً عِظاماً، فاتَّقِ الله، وتُبْ إليه، وانزِعْ عنها.

فقال عثمان رضوان الله عليه: انظروا إلى هذا، يَزعم أنه قارىء، ثم يُكلِّمني في المحقَّرات، فوالله ما يَدري أين الله، فقال له عامر: والله إنني لأدري أين الله، إنه لك لبالمرصاد.

ولما رأى عثمان رضوان الله عليه ضَجيجَ الناس عليه كتب إلى أُمرائه فاستَقدمهم، فقَدم عليه معاوية من الشام، وابن أبي سَرْح من مصر، وسعيد بن العاص من الكوفة، وعبد الله بن عامر من البصرة، ودعا بعمرو بن العاص، فلما اجتمعوا عنده قال لهم:

(١) في الطبري ٤/ ٣٦٥: جرباء. والقَلوص: الناقة الشابة، وهي مؤنثة.

إن لكلِّ أميرٍ وُزراء، وقد طلبوا مني عَزْلَ عُمّالي، والرُّجوع عما يكرهون إلى ما يُحبُّون، فأشيروا عليّ.

فقال له ابنُ عامر: أرى أنك تَأمُرُهم بالجهاد لتَشغَلَهم عنك، وقد نَقَموا عليك مَنعَ المال، فأعطهم إياه، فقال سعيد بن العاص: إن كنتَ على رأينا فاحسم عنك الداء، [واعمل برأيي تُصِبْ] قال: وما هو؟ قال: لكلِّ قومٍ قادة، فمتى يَهلكوا تفرّقوا، فلم يجتمع لهم رأيٌ ولا أمر.

وقال معاوية: أرى أن تَخرجَ إلى الشام، فقال: لا أخرج من مُهاجَر رسول الله ﷺ وجِواره، قال: فأبعثُ إليك جيشاً يُقيم عندك، قال: لا أكون أولَ مَن وَطِىء أصحابَ رسول الله ﷺ وأنصارَه بجيش.

وقال ابن أبي سَرْح: اشْغَلِ القوم بالعَطاء تَستعطِفْ قلوبَهم.

وقال عمرو بن العاص: إنك قد ركبتَ الناس بما يكرهون، فإما اعتدَلْتَ وإما اعتزلتَ، فقال له: قد قَمِلَ فَرْوُك، يعني من عَزْلِه إياه عن مصر، فقال له عَمرو: ستَعلم، فردّ عثمان رضوان الله عليه عُمَّاله إلى أمصارهم على تَجمِير الناس في البُعوث، وقيل رَدَّهم على غير شيء.

قال أبو اليَقظان: لما اجتمع عند عثمان رضوان الله عليه عُمَّالُه هؤلاء اتَّفقوا على نَفْيِ المشنِّعين عليه في الأمصار، وتَجميرهم في البعوث، ومنع أعطيتهم، والتَّضييق عليهم.

وكان الأشتَر ورؤساءُ الكوفة قد قَدِموا على عثمان رضوان الله عليه يَشكون سعيد بنَ العاص، وسألوه عَزلَه عنهم فامتنع، وكان الأشتر حينئذ بالمدينة، فجاء هو وأصحابُه إلى طلحة والزبير ﵄، وكان عندهما عمرو بنُ العاص وقد حضر المشورة، فقال له الأشتر: ما وراءه؟ فقال: ما ترك شيئاً من الشرِّ إلا وأمر به أمراءه، إنه قد أمرهم بتَجميركم في البُعوث، ومَنعِ أعطيتكم، والتّضييق عليكم، فقال الأشتر: لو كان معي نَفَقة لسبقتُ سعيد بنَ العاص إلى الكوفة، فمنعتُه من دُخولها، فأقرضه طلحة مئة ألف درهم، والزبير كذلك، فقسم المالَ في أصحابه، وسبق سعيداً إلى الكوفة، فصعد المنبر وقال: إن عاملكم الذي شكوتُم سُوءَ سيرته قد رُدَّ إليكم، وقد اتَّفق عثمان وعُمَّالُه

على كذا وكذا، فبايعوني على أن لا يَدخُلها ابنُ العاص، فبايعه منهم عشرةُ آلاف.

وخرج سعيد من المدينة طالباً الكوفة، فخرجوا إليه فرَدُّوه، وقالوا: والله لا وليتَنا ما حَملْنا سيوفَنَا، وتقدَّمهم الأشتر وقد تَقلَّد سيفَه، وعلى وجهه الغُبار وهو يقول: والله لا يَدخلها علينا، وقتلوا غُلامَه، ونهبوا مَتاعَه، وكاد يُقتل، فرجع إلى عثمان رضوان الله عليه خائفاً طريداً، فشقَّ ذلك على عثمان رضوان الله عليه.

ولما عاد سعيد إلى المدينة قال عثمان رضوان الله عليه: ليت شِعري ما يُريدون؟ قال سعيد: الاستبدال، وكتب أهل الكوفة إلى عثمان رضوان الله عليه: إنّا ما مَنَعْنا عاملَك دخولَ مِصرنا مُخالفةً لك؛ وإنما مَنعناه لسُوءِ سِيرته، فابعَثْ إلى عملك مَن تُريد، فكتب إليهم: اختاروا، فاختاروا أبا موسى وقالوا: إنه كان عامِلَنا في أيام عمر، فبعث به إليهم.

وقال: لما قدم أبو موسى الكوفة خطب وقال: أيها الناس، لا تعودوا لمثلها، وعليكم بالطّاعة، ولُزوم الجماعة، وإياكم والعَجلة فإنها من الشيطان.

ولما دخلت سنةُ أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضُهم إلى بعض: إن أردْتُم الجهادَ الأكبر فاقدموا علينا فإنه عندنا، فإن عثمان قد بدَّل وغيَّر.

وكثر الناس على عثمان رضوان الله عليه، ونالوا منه أقبحَ مَنال، والصحابةُ يَرون ويَسمعون، وليس أحدٌ منهم يَنهى عن ذلك، إلا نفرٌ منهم زيد بن ثابت، وأبو أسَيْد السَّاعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس إلى علي رضوان الله عليه، فسألوه أن يُكلِّمَه، فدخل عليه فقال له: الناسُ قد كثروا عليك، وإنهم ورائي، ووالله ما أدري ما أقول، وما أعرفُ شيئاً تَجهلُه، ولا أدُلُّك على أمرٍ [لا] تَعرفُه، وقد صَحِبتَ رسولَ الله ﷺ ونِلتَ صِهرَه، وما ابنُ أبي قُحافة وابنُ الخطاب بأولى بعملِ الحقِّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رَحِماً منهما، ونِلتَ من صهره ما لم يَنالا، وما سَبقاك إلى شيءٍ، فاللهَ اللهَ في نفسك، فإنك لا تُبصَّر من عَمًى، ولا تُعلَّم من جهل، وإن الطريق لَوَاضِحٌ، وإن أعلامَ الدِّين لَقائمةٌ، وأفضلُ عباد الله عند الله إمامٌ عادل؛ أقام سُنَّة وأمات بِدعة، وإن شرَّ الناس عند الله إمامٌ جائر، أمات سُنَّة وأحيا بِدعة.

فقال له عثمان رضوان الله عليه: قد والله كنتُ أظنُّ أنك لَتَقولَنَّ ما قُلتَ، ولو كنتَ

مكاني لما عَنَّفتُك ولا عِبتُ عليك، ثم قال: أَنشُدُك الله، هل تعلم أن عُمر وَلّى المغيرة ابنَ شُعبة البَصرة وليس هناك؟ قال: نعم، قال: فلِمَ أُلام أن وَلَّيتُ ابنَ عامر في شرفه وجُوده وقرابته؟ فقال عليّ رضوان الله عليه: إن عُمر كان إذا وَلّى والياً فإنما يَطأُ على صِماخِه إنْ بَلَغه عنه [حرف]، وأنت لا تَفعلُ ذلك رِقَّةٍ على أقربائك.

فقال عثمان رضوان الله عليه: ألست تَعلم أن عُمر وَلّى مُعاويةَ الشامَ خلافتَه كلّها؟ قال: نعم، [قال علي:] ألستَ تعلم أن مُعاوية كان أخوفَ لعمر من غُلامه يَرفَأ؟ قال: نعم، قال: فإن مُعاوية يَقتَطِع الأمورَ دونك، ويَبلُغُك فلا تُغيِّر عليه ولا تُنكره، ويقول الناس: هذا أمرُ عثمان.

ثم قام عليّ رضوان الله عليه فخرج، وقام عثمان رضوان الله عليه فصَعِد المنبر وقال: إن لكلِّ شيءٍ آفة، وإن لكلِّ أمرٍ عاهة، وإن آفةَ هذه الأمة عَيَّابون طَعَّانون، يُرونكم ما تُحبّون، ويُسِرُّون عنكم ما تكرهون، ألا وإنكم عِبتُم عليَّ ما أقررتُم ابنَ الخطاب على مِثله، وإني أعزُّ ناصراً منه، وأكثرُ عَدداً، وأمنعُ عَشيرةً، ولكنه وَطِئكم برِجله، وضربكم بيده، وقَمعَكم بلسانه، فَدِنْتُم له على ما أحبَبْتُم وكَرِهتُم، ووَليتُكم فأوْطَأتُكم كَنَفي، وكفَفْتُ يدي ولساني عنكم فاجترأتُم عليّ، فإن كنتُ إماماً فلِمَ يُعترَضُ عليّ، أفعلُ ما أُريد في المال وغيره، فكُفُّوا عني ألسنتكم وطَعنكم على وُلاتكم.

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتُم حَكَّمْنا بيننا وبينكم السيف، ونحن وإياكم كما قال القائل: [من الطويل]

فَرَشْنا لكم أَعْراضَنا فنَبَتْ بكم مَعارِسُكم تَبْنُون في دِمَنِ الثَّرى

فقال له عثمان رضوان الله عليه: اسكُت لا سكتَّ، دَعني وأصحابي، ما كلامُك في هذا، ألم أتقدَّمْ إليك أنك لا تَنطق بحَرف، فسكت مروان، ونزل عثمان رضوان الله عليه.

وحجّ عثمان رضوان الله عليه في هذه السنة، وحجّ معه أزواجُ رسول الله ﷺ كما فعل عمر رضوان الله عليه، وجعل في مُقدّمة القطار عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وفي مؤخرته سعيد بن زيد رضي الله عنه، وهي آخر حجّة حَجّها عثمان رضوان الله عليه.

فصل وفيها تُوفّي

أبو طلحة

زيد بن سهل بن الأسود بن حرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك ابن النّجار الأنصاري، وأمُّه عُبادة بنت مالك بن عديّ، نَجَّارية أيضاً.

وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العَقَبة مع السّبعين، وبدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي.

وكان رامياً، ورمى يومَ أُحد بين يدي رسول الله ﷺ، والنبيُّ ﷺ خلفَه، وهو يقول له: بأبي أنت وأمي، لا يُصيبُك سَهم، نَحري دون نَحرك، وثبت معه يومئذ، ووقاه بنفسه.

وكان صَيِّتاً، قال رسول الله ﷺ: «لَصوتُ أبي طَلحة في الجيش أشدُّ على الكفّار من فئة».

وكان فارساً رامياً، ويَخْطُر(١)، ويقول: [من الرجز]

أنا أبو طلحةَ واسمي زَيدُ   وكلّ يومٍ في سلاحي صَيدُ

وهو أولُ من أُنزل عليه النُّعاس يوم أحد، فسقط السيفُ من يده مِراراً.

قال أنس: لما حلق رسول الله ﷺ رأسَه في حِجَّته بدأ بشِقّه الأيمن، وقال هكذا، فوَزّعه بين الناس، فأصابهم الشعرةُ والشعرتان وأقلّ من ذلك وأكثر، ثم قال بشِقِّه الآخر كذا، وقال: «أين أبو طلحة»، فدفعه إليه، الحديث.

وقال أنس: قتل أبو طلحة يوم حُنَين عشرين رجلاً، ولم يُفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مَرضٍ أو سَفَر حتى لَقي الله تعالى.

ومات بالمدينة في سنة أربع وثلاثين، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، وهو يومئذ ابنُ سبعين سنة، ودُفن بالبقيع، وقيل: مات بالشام سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: مات بالبحر غازياً.

---

(١) أي: يتبختر.

وقيل: قرأ أبو طلحة ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية [التوبة: ٤١] فقال: أرى ربّي يَستنفِرُنا شُيوخاً وشُبّاناً، جهِّزوني أيْ بَنيَّ، فقالوا: قد غزوتَ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، ونحن نغزو عنك، فقال: جهِّزوني فجهزوه، فمات في البحر، فلم يجدوا جزيرةً إلا بعد سبعةِ أيام، فدفنوه بها ولم يَتغيَّر رضي الله عنه.

وكان له من الولد: عبد الله وأبو عُمَير، أمُّهما أمُّ سُلَيم بنت مِلْحان، وأبو عُمَير هو الذي قال له رسول الله ﷺ: «أبا عُمَير ما فعل النُّغَيْر».

وعبد الله وُلد على عهد رسول الله ﷺ وحَنّكه بيده، استُشهد بفارس.

أسند أبو طلحة رضي الله عنه الحديثَ عن رسول الله ﷺ(١).

سُوَيد بن شُعبة

اليَربوعي التَّميمي، من الطبقة الأولى من التابعين المجتهدين، من أصحاب الخِطَط الذين اختطُّوا بالكوفة في أيام عمر رضوان الله عليه، ولم يُروَ عنه شيءٌ.

روى أبو حيان التَّيمي عن أبيه قال: دخلتُ على سويد بن شُعبة وعليه ثوب، فلولا أني سمعتُ امرأتَه تقول: أهلي فِداؤك، ما نُطعمك، ما نَسقيك؟ ما شعرتُ أنّ تحت الثوب شيئاً، وكان قد ضَني على فِراشه، فقال: يا أخي، دَبِرت الحَراقِفُ والصُّلْب، فما من ضَجعَةٍ غير ما ترى، وكان مُتكئاً على وَجهه، قال: والله ما أحبُّ أني نُقصتُ منه قُلامَةَ ظُفرْ(٢).

عُبادة بن الصَّامت

ابن قيس بن أصْرَم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن الخَزْرج الأنصاري، من الطبقة الأولى من القَواقِلة، وكَناه النبي ﷺ أبا الوليد، وأمُّه قُرَّة العَين

---

(١) انظر ترجمة أبي طلحة في: طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٨، والاستيعاب (٣٠٢٩)، وتاريخ دمشق ٦/ ٦٠٨ (مخطوط)، والمنتظم ٥/ ٤٦، والاستبصار ٤٩، والسير ٢/ ٢٧، والإصابة ١/ ٥٦٦.

(٢) الزهد لابن المبارك (٤٦٣)، وطبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٠ وفيهما: سويد بن مثعبة، والزهد لأحمد ٤٢٩، والصبر لابن أبي الدنيا (١٧٨) و(١٨٥)، والمنتظم ٥/ ٤٦-٤٧، وصفة الصفوة ٣/ ٤٢. وانظر التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ١٤٣.

بنت عُبادة بن نَضْلة بن مالك خزرجيّة، وأمها عميرة بنت ثعلبة بن سنان خزرجيّة.

تزوج قُرَّةَ العين الصَّامت، فولدت له عُبادة وأُويساً ابنَيْ الصامت، أسلمت قُرَّة وبايعت النبي ﷺ.

شهد عُبادة العَقَبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو أحدُ النُّقَباء الاثني عشر.

وكان طُوالاً حسناً جميلاً، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مَرْثَد الغَنَوي، وكان قد بايع رسول الله ﷺ أن لا تأخُذَه في الله لومَةُ لائم.

ذكر معاويةُ الطاعون في خطبته فحذَّر منه، فقال له عُبادة: أمُّك هند أعلمُ منك، فلما نزل معاوية أرسل إليه فجاء، فقال: أما استَحْييت إمامك؟ فقال: أليس قد علمتَ أني بايعتُ رسول الله ﷺ [ليلة] العَقَبة أني لا أخافُ في الله لَومةَ لائم؟ ثم خرج معاوية فقال: أيها الناس، إني حدَّثتُكم حديثاً، ثم دخلتُ البيت فإذا الحديثُ كما حدَّثني عبادة، فاقتبسوا منه فإنه أفقَهُ مني.

وأنكر عبادة على معاوية شيئاً فقال: لا أُساكِنُك بأرض، فرحل عبادة إلى المدينة، فرآه عمر رضوان الله عليه فقال: ما أقدمك؟ فأخبره فقال: ارجع إلى مكانك، فقبَّح الله أرضاً لست فيها وأمثالك، ارجع فلا إمرةَ لمعاوية عليك، فرجع.

وكان مما أنكر على معاوية أن بعض الخطباء مدحه، فقام عبادة فحثى في وَجهه التُّراب، فغضب معاوية، فقال له عُبادة: أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «احثوا في وُجوه المدَّاحِين التُّراب».

وجرى بينه وبين معاوية كلامٌ، فقال له: يا معاوية، أنت والله أحقَرُ في عيني من أن أخافَك في الله تعالى.

ولما أكثر الناسُ على عثمان رضوان الله عليه قال عُبادة: والله لا أقمتُ بهذا البلد، فخرج من المدينة ولحق بالساحل، فأقام بعَسْقلان حتى جرى في أمر عثمان رضوان الله عليه ما جرى.

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية

[المائدة: ٥١] وذلك [لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسول الله ﷺ تشبَّث عبد الله بن أُبيّ وقام دونهم، فمشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حِلْفهم][١]، فنزلت هذه الآية.

شهد عُبادة فتح مصر، وكان أميراً على رُبع المدَد، وكان ممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ.

واختلفوا في وفاته، فقيل: مات بالرَّمْلَة سنةَ أربع وثلاثين، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة وله عَقِب، وقيل: تُوفّي في خلافة معاوية بالشام.

قال عبد الحميد بن يزيد الجُذامي: شهدتُ جنازةً ببيت المقدس مع رجاء بن حَيْوة، فقال لي: يا أبا عَمرو، ها هنا قبرُ أخيك عُبادة بن الصامت، إلى جانب الحائط الشرقي.

وكان له من الولد: الوليد، وأمُّه جَميلة بنت أبي صَعصعة، ومحمد، وأمُّه أم حرام بنت مِلْحان الأنصارية، وكان له عُبيد الله وداود وأمّ محمد، والكلّ من أمّ حرام.

دخل معاوية المدينةَ حاجّاً فلم يَخرجوا للقائه، فلقي بعض الأنصار فقال: أين نَواضِحُكم هلا لَقيتموني عليها؟ فقال له [أبو] الوليد عُبادة[٢]: أنضيناها في طلب أبيك يوم بدر.

أسند عبادة عن رسول الله ﷺ مئةً وثمانين حديثاً، فمن مسانيده:

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأُمَّة ثلاثون مثلُ إبراهيم الخليل، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلاً»[٣].

روى عن عبادة أنس بن مالك، وأبو أُمامة الباهِليّ، ومحمود بن الربيع وغيرهم، ومن التابعين أبو مسلم وأبو إدريس الخولانيّان، وخالد بن مَعدان، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعُبيد الله وداود والوليد بنو عُبادة.

---

(١) في (خ): وذلك لأن عبد الله بن أبي لما قام بأمر بني قينقاع من خلفهم فنزلت؟! والمثبت من تاريخ دمشق (عبادة بن أوفى - عبد الله بن ثوب) ٢٠-٢١.

(٢) في (خ): الوليد بن عبادة، والمثبت من تاريخ دمشق ٢٩ .

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٥١) وهو خبر منكر، وإسناده ضعيف.

وأخوه أوس بن الصّامت لأبيه وأمه، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وأدرك زمنَ عثمان رضوان الله عليه، وهو الذي ظاهر من امرأته خَولة بنت مالك، وهي المجادلة التي نَزل فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١]، وهو أول ظهار كان في الإسلام.

وكان لأوس ولد اسمه الربيع بن أوس من خولة(١).

أبو عبس بن جبر

ابن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة الأنصاري، واسمه عبد الرحمن وقيل عبد الله، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه ليلى بنت رافع حارثية.

وكان يكتب بالعربية في الجاهلية، وكان هو وأبو بُردة الأسلمي يَكسران أصنامَ بني حارثة.

شهد أبو عبس بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين خُنَيْس ابن حُذافة السهمي زوجِ حفصة بنت عمر رضوان الله عليها.

وكان في الذين قتلوا كعب بن الأشرف، وكان يَخضِب بالحِنَّاء، ويبعثه عمر وعثمان رضوان الله عليهما على الصدقات.

وتوفي بالمدينة في هذه السنة وهو ابن سبعين سنة، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه ودُفن بالبقيع، ونزل في قبره أبو بُرْدَة بن نِيار، وقتادة بن النعمان، ومحمد بن مَسْلَمة، وسلمة بن سَلامة بن وَقْش، وكلُّهم شهد بدراً، وله صحبة ورواية.

وكان له من الولد محمد ومحمود، أمهما أم عيسى بنت مَسلمة، أخت محمد ومحمود ابنَي مَسلمة لأبيها وأمها، أسلمتْ وبايعَتْ رسولَ الله ﷺ، وعُبيد الله بن أبي عَبْس، أمُّه أمُّ الحارث بنت محمد بن مَسْلمة، وزيد وحُميدة، ولأبي عَبْس عَقِبٌ كثير بالمدينة وبغداد(٢).

---

(١) انظر في ترجمة عبادة وأخيه: طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٦، ٥٧٣ و٩/ ٣٩١، والمعارف ٢٥٥، وتاريخ دمشق (عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب) ص ٥ فما بعدها، والمنتظم ٥/ ٤٧، والاستيعاب (١٦٧٤) و(٥٤)، والاستبصار ١٨٨ـ١٩١، والسير ٢/ ٥، والإصابة ٢/ ٢٦٨ و١/ ٨٥، وتهذيب الكمال وفروعه.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤١٥، والمعارف ٣٢٦، والاستيعاب (٣٠٣٨)، والمنتظم ٥/ ٤٧، والاستبصار =

عوف بن أُثاثَة

ابن عُبادة(١) بن المطلب بن عبد مناف، ويُلقّب مِسطَحاً، كُنيته أبو عبَّاد، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين.

شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين زيد بن المزَيَّن، وأطعمه رسول الله ﷺ خمسين وَسْقاً [بخيبر]، وهاجر مع عَبيدة بن الحارث.

وكانت أمُّه بنت أبي رُهْم بن المطّلب بن عبد مَناف، ابنة خالة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكانت من المبايعات، وهي التي كانت تقوم بأمر عائشة رضي الله عنها.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يُنفق على مِسْطَح حتى تكلّم في الإفك، فقطع عنه نفقتَه ثم أعادها، وأمُّ مِسْطَح التي أخبرت عائشة رضوان الله عليها بقول أهلِ الإفك، وكان من أشدّ الناس مِسْطَح حين تكلم في عائشة.

وتُوفّي مِسطَح سنة أربع وثلاثين بالمدينة، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل سنة سبع وثلاثين، وقيل إنه شهد صِفّين، والأوّل أصحّ، وليس له رواية رحمة الله عليه، وأخته لأبويه هند بنت أُثاثَة، كانت تَمدح رسول الله ﷺ(٢).

كُلثوم بن حُصَين

أبو رُهْم الغِفاري، أسلم بعد قُدوم رسول الله ﷺ المدينة، وشهد معه أُحداً، فرُمي يومئذ بسَهم في نَحْره، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصَق عليه، فكان يُسمّى المنحور.

قال محمد بن عُمر: بينا رسول الله ﷺ يسير من الطائف إلى الجِعرانة، وأبو رُهْم إلى جنبه على ناقةٍ له، وفي قَدَمَيْه نَعلان غَليظان، ازدحمت ناقتُه مع ناقة رسول الله ﷺ، قال أبو رُهْم: فوقع حَرْفُ نَعْلِي على ساقه فأوجَعه، فقال: «أوجَعْتَني، أخِّر رجلَك»، ثم قَرع رجلي بالسَّوط، فأخذني ما قَدُم وما حَدث، وخشيتُ أن يَنزل فيَّ

= ٣٣٧، والسير ١/ ١٨٨، والإصابة ٤/ ١٣٠.

(١) كذا في (خ) والمنتظم ٥/ ٤٨، وفي المصادر: عوف بن أثاثة بن عَبَّاد.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠، ونسب قريش ٩٥، والمعارف ٣٢٨، والاستيعاب (١٩٤٥)، والمنتظم ٥/ ٤٨، والتبيين ٢٣٢، والسير ١/ ١٨٧، والإصابة ٤/ ٤١.

قرآن، فلما أصبحنا بالجِعرانة خرجتُ أرعى الظَّهر وما هو يَومي، فَرَقاً أن يأتي لرسول الله ﷺ رسولٌ يَطلُبني، فلما رَوَّحتُ الرِّكاب سألتُ فقالوا: طَلبَك رسولُ الله ﷺ، فجئتُه وأنا أرتَقِب، فقال: «إنني قَرَعْتُك بالسَّوط فأوجَعتُك، فخُذْ هذه الغنم عوضاً من ضربتي» قال: فرِضاه عنّي كان أحبَّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يَستنفِرهم إلى تبوك.

ولكلثوم بن الحُصين رواية[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) في (خ): ولكلثوم بن الحصين وحبات عليه رواية؟! وانظر في ترجمته مغازي الواقدي ٣/ ٩٣٩، وطبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٩، والاستيعاب (٢٢٠٨)، والمنتظم ٥/ ٤٨.

السنة الخامسة والثلاثون

وفيها قُتل عثمان ﷺ، وحجَّ بالناس عبد الله بن عباس، وولي أمير المؤمنين علي عليه السلام الخلافة، وسنذكر سيرة عثمان في ترجمته إن شاء الله تعالى.

فصل في ذكر خلافته

وكُنيته أبو الحسن وأبو تُراب؛ قال البخاري بإسناده عن سهل بن سعد وجاءه رجل فقال: هذا فلان عند المِنبر يَذكر عليَّ بن أبي طالب أو يَسبُّه، قال: وماذا يقول؟ قال: يقول: أبو تُراب، فغضب سهل وقال: والله ما كَناه به إلّا رسول الله ﷺ، وما كان اسمٌ أحبَّ إليه منه؛ دخل علي يوماً على فاطمة، فأغضبتْه في شيء فخرج إلى المسجد، فنام على التراب، فخَلَص إلى ظَهره، فجاءه رسول الله ﷺ فمسح التُّراب عن ظهره وقال له: «اجلس أبا تُراب» قالها مرتين. متّفق عليه[1].

وقد أخرجه الحُميدي وفيه: فدخل رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة وقال: «أين ابنُ عمّك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني وخرج إلى المسجد، ولم يَقِل عندي، فخرج إليه رسول الله ﷺ وهو مُضطجِعٌ على التّراب فجعل يقول: «قم أبا تراب»[2].

وفي نسخة الحميديّ أيضاً عن سهل وفيه: استُعمل رجلٌ من آل مروان على المدينة فقال: لعن الله أبا تُراب، أو يلعن علياً، فقال سهل بن سعد، وذكره.

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: دخل سعد بن أبي وَقّاص على معاوية فقال له: ما مَنَعك أن تَسُبَّ أبا تُراب[3]، وسنذكر الحديث.

قال الحميدي: كان بنو أمية يَعيبون علياً بهذا، قال سهل: ووالله ما كَناه به إلا رسول الله ﷺ.

وقيل: إن الذي سَبَّه مروان بن الحكم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٣)، وصحيح مسلم (٢٤٠٩).
(٢) الجمع بين الصحيحين (٩١٦).
(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢).

وقال هشام: كان يُكنى أبا قَصْم، وذكره جدّي في «التّلقيح»[١] ولم يُفسِّره، وقال الفراء: القَصْم: الكَسْر، وكان عليّ يَكسرُ أعداءَ الله ورسولِه ويُبيدُهم.

وقال الواقدي: لما وضعته أمُّه سمَّته باسم أبيها أسداً، وكان أبوه غائباً، فلما قَدم سمَّاه علياً.

وقال ابنُ الكلبي: لما وضَعتْه أمُّه سَمَّته حَيدرة، وهو من أسامي الأسد، وسُمِّي به لغِلَظِ عُنُقه وذراعيه، وهذه من أوصاف عليّ، قال: والدّليل عليه أنه ارتَجز يومَ خيبر:

أنـا الـذي سَـمَّـتْـنـي أُمِّـي حَـيـدَرَهْ[٢]

ثم سمَّاه أبوه علياً.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وقد ذكرناها.

ذكر صفته:

قال ابن سعد: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن [أبي] خالد، عن الشعبي قال: رأيتُ علياً عليه السلام، وكان عريضَ اللحية قد أخذت ما بين مَنْكِبَيْه، أصلع، على رأسه زُغَيْبات.

قال: وقال أبو إسحاق: رأيت علياً أبيضَ الرّأس واللّحية، أصلع أجْلَح.

وروى ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي، وسُئل عن صفة علي، فقال: كان آدم شديدَ الأُدمة، عظيمَ العينين، ليس بالطويل ولا بالقصير، عظيمَ اللحية، أصلع، أبيضَ الرأس واللحية، ذا بَطن.

لم يَصفه بالخضاب سوى سَوادة بن حَنظلة فإنه قال: رأيتُه خَضَب.

وقال ابن سعد: قال سَوادة بن حَنْظلة القُشَيري: رأيت علياً أصفَرَ اللحية.

وروى ابن سعد أيضاً عن محمد ابن الحَنَفيّة قال: خضب عليّ بالحنّاء مرةً ثم ترك[٣].

وسنذكر ما يتعلّق به في سنة أربعين إن شاء الله تعالى.

---

(١) ص ١١٠.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٥٠، وانظر تاريخ دمشق ١٢/ ١١٨ (مخطوط).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣-٢٥.

ذكر خلافته:

اتّفق علماءُ السِّيَر على أنه وَلي الخلافة في ذي الحجَّة سنةَ خمسٍ وثلاثين في الأصح، وإنما اختلفوا في أيِّ يوم بُويع فيه على أقوال؛ أحدها: يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحِجَّة، قاله ابن الكلبي، وحكاه الطبري عن سيف بن عمر عن أشياخه.

والثاني: يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أشياخه.

والثالث: يوم السبت صَبيحةَ اليوم الذي قتل فيه عثمان، قاله الواقدي.

والرابع: يوم الأحد لثلاث عشرة أو ثمان عشرة بقين من ذي الحجة.

والأصح ما ذكره الواقدي، فإن ابن سعد قال في «الطبقات»[1]: قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلةً من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبُويع لعلي في الغد من اليوم الذي قُتل فيه عثمان.

وروى سيف عن أشياخه: محمد بن عبد الله بن سَواد، وطلحة بن الأعلم، وأبو حارثة قالوا: بقيت المدينةُ شاغِرةً خمسةَ أيام من إمام، وأميرُها الغافقي بن حرب، وهم يلتمسون مَن يُجيبُهم إلى القيام بالأمر فلا يَجدونه، فأتى المصريون علياً، فاختبأ منهم، وخرج إلى ظاهر المدينة، ولاذ بحيطانها، وتبرَّأ منهم، وتبعه المصريّون فلم يَقدروا عليه. وطلب الكوفيون الزُّبير فتباعد منهم، وطلب البصريّون طلحة فتبرَّأ منهم، فعدلوا عن الثلاثة، وبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: أنت من أهل الشُّورى، فأقبلْ نُبايعك، فرأيُنا قد اجتمع عليك، فبعث إليهم: قد خرجتُ أنا وابنُ عمي منها فلا حاجة لي فيها، ثم تمثَّل وقال: [من البسيط]

لا تخلِطنَّ خبيثاتٍ بطيِّبةٍ ... واخلع ثيابَك منها وانجُ عُريانا

قال سيف: ولما عرضوها على طلحة قال: [من الطويل]

ومن عَجَبِ الأيام والدهرِ أنني ... بَقيتُ وحيداً لا أُمِرُّ ولا أُحلي

(١) ٣/ ٢٩، وانظر الأخبار السابقة في تاريخ الطبري ٤/ ٤١٥-٤١٨، والمنتظم ٥/ ٦٥-٦٦، وتاريخ بغداد ١/ ١٣٥.

فتركوه وقالوا: إنك لتُوعِدنا، ثم لقوا الزبير فعرضوها عليه فأنشد: [من الطويل]

متى أنت عن دار بفَيحانَ راحلٌ وباحتِها تَخنو عليك الكتائبُ

فقالوا: إنك لتُوعِدنا، فلقوا علياً، فعرضوها عليه فتمثل: [من الطويل]

ولو أن قومي طاوَعَتْني سَراتُهم أمرتُهم أمراً يُديخُ الأعاديا

فقالوا: إنك تُوعدنا، ووالله لئن لم تفعل لنُلحقَنَّك بعثمان.

وقال سيف: لَقوا عبد الله بن عمر فعرضوها عليه، فقال: إن لهذا الأمر انتقاضاً، فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى لا يَدرون ما يَصنعون، فقالوا: يا أهل المدينة، قد أجَّلناكم يومَكم هذا، فوالله لئن لم تتَّفقوا اليوم على أحدٍ لنقتُلَنَّ علياً وطلحة والزبير وأُناساً كثيراً، فأقبل الناسُ على عليٍّ وقالوا: قد ترى ما نزل بالإسلام، فهلُمَّ لنُبايعك، فامتنع.

وقال الطبري(١): اجتمعت الصحابةُ إلى علي، وسألوه أن يَليَ أمرَهم، فأبى وقال: لأن أكونَ وزيراً خيرٌ من أن أكونَ أميراً، ولا حاجةَ لي في أمركم، أنا معكم، مَن اخترتُم رضيتُ به، ثم دخل حائط عمرو بن مَبْذول، وأغلق الباب، فتسوَّروا عليه الحائط، وبايعوه وقالوا: لا نُريد سواك.

وحكى داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: لما قُتل عثمان أتى الناسُ علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا: ابسُطْ يدَك نُبايعْك، فقال: لا تَعجَلوا، فإن عمر كان رجلاً مُبارَكاً، وقد أوصى بها شُورى، فأمهِلوا حتى يجتمع الناسُ عليّ ويتشاورون، فرجع الناس عنه، ثم قال بعضُهم لبعض: إن رجع الناسُ إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يَقُمْ إمام، لم نأمَن اختلافَ الأمّةِ وفسادَها، فعادوا إلى عليٍّ، فقبض الأشترُ على يده، فقبضها عليٌّ وقال: أبعد ثلاثة! فقال له: والله لئن تركتَها اليوم لتعْصِرنَّ عينيك عليها حيناً، فبايعه العامّة، قال: وأهل الكوفة يقولون: أوّلُ مَن بايعه الأشتر.

وروى سيف بن عمر عن أشياخه: محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما

(١) في تاريخه ٤/ ٤٢٧-٤٢٨.

كان يوم الخميس على خمسة أيام من مقتل عثمان؛ هرب من بني أمية مَن أطاق الهرب إلى مكة، فيهم مروان وسعيد وغيرهما، فقالوا أهلُ مصر لأهل المدينة: أنتم أهل الشورى، وأنتم تَعقدون الإمامة، وأمرُكم جائز على الأمة، فانظروا رجلاً تُنصّبونه، ونحن لكم تَبع، فقال الجمهور: نحن بعليٍّ راضون، فبايعوه.

وقال هشام: وقد قيل إن الزبير لم يُبايع، وليس كما زعموا بل بايع.

وقال سيف: حدثني محمد بن قيس، عن الحارث الوالِبيّ قال: جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع؛ فكان الزُّبير يقول: جاءني لُصوص عبد القَيس فبايعتُ واللّجُّ على عُنقي، يعني السيف.

وحكى الطبري أيضاً عن عمر بن شَبَّة بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنتُ مع أبي حين قُتل عثمان، فأتاه أصحابُ النبي ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بدَّ للناس من إمام، ولا نَجدُ أحداً اليوم أحقَّ بهذا الأمر منك؛ لا أقدمَ سابقةً، ولا أقربَ إلى رسول الله ﷺ، فقال: لا تفعلوا، فقالوا: والله ما نحن بفاعِلين حتى نُبايعَك، قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون إلا عن رِضى المسلمين، فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم تتابع الناس[(١)].

وقال في «نهج البلاغة»: إن علياً كرّم الله وَجهه قال لهم: دَعوني والتمسوا غيري، فإنا مُستقبلون أمراً له وجوه، وأسباباً لا تقوم لها القلوب، ولا تثبتُ عليها [العقول]، إن الآفاق قد أغامت، والمحجَّة قد تنكَّرتْ، وإني [إن] أحببتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أُصغِ إلى قولِ قائلٍ، وعيبِ عائب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعُكم وأطوعُكم لمن تُولُّونه أمرَكم، وأنا لكم وزيرٌ خيرٌ مني لكم أمير[(٢)].

قال الجوهري: يقال غامت السماء وأغامت؛ أي: تغيَّمت[(٣)]، ومعناه: أن الآفاق قد أظلمت بالفِتَن.

واختلفوا في أول من بايعه؛ فقال الواقدي: أول مَن بايعه طلحة بن عُبيد الله

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩، وانظر ٤٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧/ ٢٠.

(٣) الصحاح: (غيم).

التيمي، وكان أشلّ، شلَّت يدُه يومَ أُحد، فنظر إليه حَبيب بن ذُؤيب، وقيل قَبيصة بن ذؤيب فقال: إنا لله، يدٌ شَلاء، أمرٌ لا يَتمّ.

وقال ابن أبي الدنيا: بايعه الناس في دار عمَرو بن مِحصن الأنصاري ثم بويع البيعةَ العامة في المسجد.

وقال الهيثم عن الشعبي: لما جاء الناسُ أرسالاً إلى عليّ امتنع من البيعة، فأخذ الأَشتر بيده وقال: اقبل، قال علي: أبعد ثلاثة!؟ لا حاجةَ لي فيها، فقال الأشتر: والله لئن تركتَها اليوم لتَعصِرَنّ عليها عينيك غداً، ثم بايعه فهو أول مَن بايع وبايعه الناس.

وروي أن عماراً أوّلُ مَن بايَعه، فقال البلاذري: قُتل عثمان وعلي بأرضٍ يقال لها البُغَيبغة؛ فوق المدينة بأربعة فَراسخ، فلما أُخبر أقبل نحو المدينة، فلقيه عمار بن ياسر فقال: مُدَّ يدك، فهو أول من بايعه.

ذكر من تخلَّف عن بيعته:

قال هشام: بايعه أعيانُ المهاجرين والأنصار، وعامّة الصحابة: طلحة، والزبير، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وعمار بن ياسر، وسَهْل بن حُنَيف، وأبو أيّوب الأنصاري، وخُزَيمة بن ثابت، ومعظم أهل بدر وبيعة الرضوان، وامتنع من بيعته: حسان بن ثابت الشاعر، وكان عثمان قد أعطاه مالاً طائلاً، وزيد بن ثابت، وكان عثمان قد أعطاه مئة ألف درهم، وسعد بن أبي وقاص، و عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وصُهَيْب، ورافع بن خَديج، وعبد الله بن سلام، والنعمان بن بشير، وقُدامة بن مَظعون، وكعب بن مالك، وفَضالة ابن عُبيد، وكعب بن عُجرة، قال: وكانوا خمسة عشر، ولم يمتنع من البيعة غيرهم، وهؤلاء يُسمّون العثمانية.

قلت: وذكر ابن سعد في «الطبقات»[1] مَن سَمَّينا وقال: بايعه سعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مَسلمة، وزيد بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.

---

(١) ٣/ ٢٩.

وقال هشام وسيف وغيرهما: لما جيء بهؤلاء إلى المسجد ليُبايعوا بدؤوا بطلحة والزبير، فقيل لهما: بايعا، فقالا: نحن أول مَن بايع طوعاً.

وقال الطبري عن الزهري: تَلَكَّأا، فسَلَّ الأشترُ سيفَه وقال: بايعا وإلا ضربتُ عُنقكما، فقال طلحة: وأين المذهب عنه؟! فقال لهما علي: إن أحببتُما بايعتُكما، قالا: لا بل أنت أولى، فبايعاه، ثم طلبا منه أن يكونا على بيت المال فامتنع علي، فقالا: ما لنا في هذا الأمر إلا كلَحْسَةِ الكلبِ أنفَه، وكانا لما قُتل عثمان أخذا مفتاح بيت المال، فلما لم يولّهما علي إياه قالا: بايعناه خشيةً على أنفُسِنا[1].

وقيل إن طلحة قال لعلي: أمِّرني على البصرة، وقال الزبير: أمّرني على الكوفة، فقال: لا بل أَقيما عندي أتحمَّل بكما.

قال هشام ـ وقد حكاه الطبري ـ وجيء بسعد بن أبي وقاص فقالوا له: بايع، فقال: إذا بايع كافّة الناس بايعتُ، وفي رواية الطبري: فقال علي لسعد: بايع، فقال: لا حتى يبايع الناس فما عليك مني بَأسٌ، فقال الأشتر لعلي: دَعْني أضرب عُنُقَه، فقال له علي: دَعْه فأنا حَميلُه أي: كفيلُه، وقال علي لسعد: إنك ما علمت سيِّء الخُلُق صغيراً وكبيراً[2].

وجيءَ بعبد الله بن عمر، فقيل له: بايع فامتنع، فلبَّبه الأشتر وأراد قتلَه، فمنعه علي.

قال الزهري: والعجب لابن عمر: تَمنّع من بيعة علي ويُبايع ليزيد بن معاوية ولعبد الملك بن مروان.

قال: وجيءَ بأسامة بن زيد، فقيل له: بايع فاعتذر بقتل الرجل الذي قتله في السّرية وقال: لا أقاتِل من قال لا إله إلا الله على الدنيا، وإن مما عَهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُجاهدَ معكم الكفار، أما إذا قاتل بعضكم بعضاً كسرتُ سيفي، واتخذتُ سيفاً من خَشَب.

وقيل لزيد بن ثابت: بايع، فقال: قد كان بيننا مَودَّة، ولكن لا مُواساةَ في النار،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٨ أن علياً قال ذلك لابن عمر.

وقيل لمحمد بن مسلمة: بايع، فامتنع.

وقد أخرج أحمد في «المسند» قصةَ محمد بن مسلمة من طريقين؛ أحدهما:

قال أحمد بإسناده عن الحسن بن علي قال: لما بُويع أميرُ المؤمنين بعث إلى محمد ابن مَسلمة، فجيءَ به، فقال له علي: ما خَلَّفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إليّ ابنُ عمك - يعني النبي ﷺ - سيفاً وقال: «قاتلْ به ما قوتل العدوّ، فإذا رأيتَ الناسَ يضربُ بعضُهم بعضاً، فاعْمِد به صخرةً فاضرِبْه بها، ثم الزم بيتَك حتى تأتيك مَنِيَّةٌ قاضِيَةٌ، أو يَدٌ خاطئة»، فقال علي: خلُّوا عنه[1].

الطريق الثاني: قال أحمد بإسناده، عن علي بن زيد، عن أبي بُردة قال: مررتُ بالرَّبَذَة، فإذا فُسْطاط مَضروب، فقلت: لمن هذا؟ قيل: لمحمد بن مَسلمة، فاستأذنتُ عليه، فأَذِن لي، فدخلتُ عليه فقلتُ: رحمك الله، إنك من هذا الأمر بمكان، فلو خرجتَ إلى الناس فأمرتَ ونهيتَ، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ستكون فِتنةٌ وفُرقَةٌ واختلاف، فإذا كان كذلك، فأْتِ بسيفك أُحُداً فاضربْ به عُرضَه، واكسِرْ نَبْلَك، واقطَعْ وَتَرك، واجلِسْ في بيتك» فقد كان ذلك، وفعلتُ ما أمرني به رسول الله ﷺ، ثم استَنْزلَ سيفاً كان مُعَلَّقاً بعَمود فُسطاطه فاخترَطه، وإذا سيفٌ من خَشَب، قال: فقد فعلتُ ما أَمَرني رسول الله ﷺ واتخذتُ هذا أُرْهِبُ به الناس[2].

وذكر المسعودي في تاريخه[3] أن جماعة من بني أمية ممن تخلَّف عن بيعة علي عليه السلام؛ منهم: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عُقبة جاؤوا إلى علي، فقال له الوليد: إنا لم نَتخلَّف عن بيعتك رغبةً عنك، ولكنّك قتلت أبي، وجَلَدْتَني حَدّاً، وقال سعيد بن العاص: قتلتَ أبي، وقال مروان: شَتمتَني، ولعنتَ أبي، وعِبتَ على عثمان تقريبَه إياي، ثم بايعوه.

قلت: وقد وهم المسعودي، فإن هؤلاء المذكورين لما قُتل عثمان هربوا إلى مكة، وكانت عائشة بها، فاتّفقوا على ما اتّفقوا عليه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) مسند أحمد (١٧٩٧٩).

(٢) مسند أحمد (١٦٠٢٩).

(٣) ٤/٢٩٦-٢٩٧.

ذكر أوَّل خطبةٍ خطبها أمير المؤمنين:

قال هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما بويع علي عليه السلام صَعِد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إن الله أنزل كتاباً هادياً؛ بيَّنَ فيه الخير والشر، فخُذوا بالخير، ودَعوا الشرّ، وامتَثِلوا الأوامر تُؤدّيكم إلى الجنة، واجتنبوا النّواهي لئلا تُؤدّيكم إلى النار.

ذكر أول ما بدأ به بعد البيعة:

قال هشام ومَن سمَّينا، ورواه سيف بن عمر، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ ابن الحسين، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما استقرَّت له البيعةُ اجتمع إليه المهاجرون والأنصار وقالوا: إن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل، يعنون عثمان، فماذا ترى؟ فقال: يا إخوتي، لستُ أجهل ما قلتُم، ولكن كيف أمتنعُ بقومٍ يَملكوننا ولا نَملكُهم، وقد ثار معهم أعداؤكم وعُبدانكم، وثابت إليهم الأعرابُ من كلِّ أُفُقٍ، وهم خِلالكم يَسومونكم ما شاؤوا، فهل تَرون مَوضعاً للقُدرة على شيءٍ مما تُريدون؟ قالوا: لا، قال: فالصَّبرَ الصَّبر؛ حتى تهدأ الناس، ويتفرّقوا عنهم، وننظر ما يكون، قالوا: نعم، ثم أمر مُنادِيه فنادى: بَرئت الذمَّةُ من الأعراب الذين بالمدينة إن لم يَخرجوا إلى مياههم، ومن عبدٍ لا يَرجع إلى مواليه، فتَذَمَّرت السَّبَئيَّةُ، وخرجت الأعرابُ إلى مياهها، ورجعت العبيدُ إلى مَواليها، فدعى عليٌّ طلحة والزّبير وأعيانَ الصحابة، وقال: دونكم الآن وعَدُوّكم فخذوا ثأركم، فتقاعدوا وخافوا، فأنشد: [من الطويل]

ولـو أنّ قـومي طـاوَعَـتْـنـي سَـراتُـهـم[1]

وقال له طلحة: دَعْني آت البصرة، فلا أَفجؤك إلا بالخيل، وقال له الزُّبير: دعني آت الكوفة فلا أفجؤك إلا بالخيل، فقال: الأناةَ الأناة حتى أنظرَ في أمري.

(١) تمامه: أمرتهم أمراً يُديخ الأعاديا، وهو في تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٨، وسلف قريباً.

ذكر دخول المغيرة بن شُعبة عليه:

قال علماء السير منهم سيف بن عمر قالوا: دخل المغيرة بن شُعبة على أمير المؤمنين عقيب البيعة فقال له: إن لك حقَّ الطاعة والنّصيحة، وإن الرأيَ اليوم تُحرِزُ به ما في الغد، وإن الضَّياع اليوم تُضيّع به ما في الغد، أَقِرَّ معاوية وابنَ عامر على عملهما، وعمالَ عثمان على أعمالهم، حتى إذا أتَتْك طاعتُهم وبيعةُ الجنود استَبْدَلْتَ أو تركتَ، فإنك إذا أرسلتَ إليهم بعُهودهم مَهدوا البلاد، وسَكّنوا العباد، فقال له: والله لو كانت وِلايتي ساعةً من نهار لا وَلَّيتُهم وأمثالهم على المسلمين.

فخرج المغيرةُ من عنده، فلما كان من الغَد دخل عليه فقال: قد كنتُ أشرتُ عليك أمسِ برأيٍ، وقد رأيتُ اليومَ غيرَه؛ وهو أن تُبادِرَهم بالعَزْل ليُعرفَ المطيعُ من المخالف، ويُستقبَل أمرُك.

قال سيف: ثم خرج المغيرة من عنده، فاستقبله ابنُ عباس داخلاً ـ وقد كان ابنُ عباس على الحجّ، أمَّره عثمان ـ فقال له: رأيتُ المغيرة خارجاً من عندك؟! فقال: جاءني بالأمس بذَيَّة وذَيَّة، وجاءني اليوم بذَيَّة وذَيَّة.

وفي رواية هشام بن محمد عن أبيه قال: قَدِم ابنُ عباس المدينة بعد خمسةِ أيام من قتل عثمان، فوجد الناس يُبايعون علياً؛ وقد خرج المغيرة بن شعبة من عنده، فقال له ابن عباس: ما يصنع هذا الدَّاهيةُ عندك؟ فأخبره بما قال، فقال: أمّا أمسِ فقد نَصَحك، وأما اليوم فقد غشَّك، قال: فما الرّأي؟ قال: كان الرأيُ قبل اليوم أن تخرج حين قُتل الرجل، فتأتيَ مكة، فتدخُلَ دارَك، وتُغلقَ بابَك، فإن كانت العربُ لجائِلةً ومُضطرِبةً في أثرك فلا تَجدُ غيرَك، وأما اليوم فإن بني أمية يَطلبون بدم الرَّجل، وسيُلزمونك إياه، ويُموِّهون على الناس.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سَبْرة، عن عبد المجيد بن سُهيل، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس قال: دعاني عثمان، فاستعملني على الحج، فأقمتُ للناس الحج، ثم قدمتُ المدينةَ وقد بويع لعلي، فأتيتُه في داره، فوجدتُ عنده المغيرة ابن شُعبة مُستخْلِياً به، فحبَسَني حتى خرج من عنده، فدخلتُ فقلتُ له: ما قال لك؟ فقال: قال لي مرَّةً قبل هذه: أرسل إلى ابن عامر ومعاوية وعمالِ عثمان بعُهودهم،

وأَقِرَّهم على أعمالهم، ويبايعون لك الناس، قال: فأَبَيْتُ عليه وقلت: لا وَلَّيتُ هؤلاء أبداً، ولا يجوز أن يُولّى أمثالهم.

فانصرف وأنا أعرفُ أنه يَرى أني مُخطىء، ثم عاد إليَّ الآن فقال: قد رأيتُ بعد ذلك أن تصنَعَ الذي رأيتَ؛ فتَنزعهم وتستعين بمن تثق، فقلت: أما في المرّة الأولى فقد نَصَحك، وأما في الثانية فقد غَشّك، لأنك إذا عَزَلْتَهم يقولون: هو قتل صاحبَنا، فيُؤلّبون عليك، فقال: والله لا أُولّي أحداً منهم أبداً، فإن قَبِلوا فذلك خيرٌ لهم، وإن أدبروا بذلتُ لهم السيف.

قال ابن عباس: ثم قال لي: سر إلى الشام فقد وَلَّيتُكها، فقلتُ: ما هذا برأي، معاويةُ رجلٌ من بني أمية، وهو ابنُ عمِّ عثمان وعاملُه عليها، ولستُ آمَنُ أن يضربَ عُنُقي بعُثمان، أو أدنى ما يَصنَعُ بي أن يَحبسني، فيتحكَّمَ عليّ، ولكن اكتُب إلى معاوية فمَنِّه وعِدْه، فأبى عليّ وقال: والله لا كان هذا أبداً.

وهذه رواية الواقدي، وقال هشام: لما قال له ابن عباس: نصحك بالأمس وغشَّك اليوم، فقال: وكيف؟ قال: لأن بني أمية ومعاوية أصحابُ دنيا، فمتى أبقيتَهم لم يُبالوا مَن وَلِيَ هذا الأمر، ومتى عَزلتَهم أخذوا هذا الأمر بغير شورى، وقالوا: قَتل صاحبَنا، وألَّبوا عليك؛ فانتقَضَ أهلُ الشام وأهلُ العراق، مع أني لا آمَنُ طلحة والزبير أن يكونا عليك.

فقال له علي: أمّا ما ذكرتَ من إقرارهم؛ فما أشكُّ أنه خيرٌ في عاجل الدنيا وصلاحها، وأمّا الذي يَلزَمُني من الحقِّ والمعرفةِ بهم فلا يحلُّ لي أن أُبقي منهم واحداً ساعةً من نهار.

وبلغ المغيرة قول ابن عباس فقال: صدق، نصحتُه أولاً، فلما لم يَقبل غششتُه، فخرج المغيرة بعد هذه المقالة إلى مكة.

وقال الهيثم: قال المغيرة لعلي: وَلِّهم شهراً واعزلْهم دهراً، فقال: لا والله ولا ساعة، ثم تمثل فقال: [من الطويل]

فما مِيتةٌ إن مِتُّها غيرَ عاجزٍ ... بعارٍ إذا ما غالَتِ النَّفسَ غُولُها

فقال له المغيرة: اعزل من شِئتَ، واستَبْق من شئت، وفي رواية: اعزل من شئت واستبق معاوية، فلم يقبل، وكذا أشار عليه ابن عباس فامتنع.

وفي رواية أن ابن عباس قال لعلي: ألم تسمعْ رسول الله ﷺ يقول: «الحربُ خَدْعَة»[1]، فقال: والله لأَصدُرنَّ بهم بعد وُرود، ولأَترُكنَّهم يَنظُرون في دُبُر الأمور، ثم لا يَعرفون ما كان منها، فقال له ابن عباس: ستعلم.

وفي رواية الطبري: فقال علي: يا ابنَ عباس، لستُ من هناتك وهنات معاوية في شيءٍ، أنت تُشير علي وأنا أرى، فإذا عصيتُك فأطِعني، فقال له ابن عباس: إن أيسَرَ ما لك عندي الطاعة[2].

ذكر دخول الأشعث بن قيس عليه:

حكى أبو اليقظان، عن الأشعث قال: دخلتُ على أمير المؤمنين بعدما بويع بالخلافة، فقلتُ له: أَبْقِ معاوية على الشام، فإن عمر ولّاه مُدَّةَ خلافتِه، وولّى طلحةَ البصرة، والزبير الكوفة، ثم بعد ذلك أنت بالخيار فيهم، فامتنع علي، قال أبو اليقظان: فخرج الأشعث وهو يقول: [من الطويل]

نصحتُ علياً في ابن هنْدٍ مقالةً فردَّتْ ولا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلتُ له أرسلْ إليه بعَهده على الشام حتى يستقرّ معاويه
فتحكم فيه ما تراه فإنه لَداهيةٌ فارفِقْ به أيّ داهِيه
فلم يَقبل النُصحَ الذي جئتُه به وكانت له تلك النصيحةُ كافيه[3]

وقال الواقدي: ولما ولي علي الخلافة انتزع إقطاعات كان أقطعها عثمان لبني أمية وغيرهم، وردّها في بيت المال، وقسم ما كان في بيت المال، ولم يُفضّل أحداً على أحد، وأول من أجاب إلى بيعته أهل الكوفة ومصر.

وفي هذه السنة سار قُسْطنطين بن هرقل ملك الروم من بلاده قاصداً بلاد الإسلام فغرق.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٧) من حديث علي، والبخاري (٣٠٢٧) و(٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩) و(١٧٤٠) من حديث أبي هريرة وجابر.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤١.

(٣) في مروج الذهب ٤/ ٣٤٢ أن الشعر للمغيرة.

قال الواقدي: فحدثني هشام بن الغاز، عن عُبادة بن نُسيّ قال: سار ابنُ هرقل من القسطنطينية في ألف مركب؛ مملوءة من العُدد والأموال والرجال، وبِحمْلٍ لم يُرَ مثله، فلما توسَّطَت المراكبُ اللجَّة أرسل الله عليها قاصفاً، فغرق الجميع، ونجا ابنُ هرقل في مركب صغير؛ ألقته الريح إلى جزيرة صِقِلية، فدخل الحمّام، فدخلوا عليه وقالوا: أهلكتَ دين النصرانية بشُؤم زُحَلِك، فقتلوه.

فصل وفيها تُوفّي

عامر بن ربيعة

ابن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجْر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رُفَيدة بن عَنْز ابن وائل بن عبد الله العَنْزي العَدوي، حليفُ الخطّاب بن نُفَيل والد عمر بن الخطاب.

قال البخاري: عَنْز بإسْكان النون حيٌّ من اليمن.

وقال الدارقطني: عَنْز بن وائل؛ أخو بكر بن وائل.

وقال ابن سعد: ولما حالف الخطَّاب تبنّاه، فكان يُقال: عامر بن الخطاب؛ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[الأحزاب: ٥] فرجع عامر إلى نسبه، فقيل عامر ابن ربيعة[١].

وعامر من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وكانت معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة العدويّة، وهاجر إلى المدينة، فلم يَقدُمها أحدٌ قبله إلّا أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجةُ عامر أولُ ظَعينةٍ قَدِمت المدينة مُهاجرة.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين يزيد بن المنذر[٢] الأنصاري، وشهد عامر بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وقدم مع عمر الجابية في سنة ست عشرة، وعقد عمر لواءه ودفعه إلى عامر.

قال ابن عبد البر[٣]: ويزيد بن المنذر الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عامر؛ شهد

(١) التاريخ الكبير ٦/ ٤٤٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٦٦٢ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٩ .

(٢) في (خ): يزيد بن عبد المنذر، وسيرد كذلك، وهو خطأ.

(٣) في الاستيعاب (٢٧٢٨).

العقبة وبدراً، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

ذكر وفاة عامر:

قال ابن سعد بإسناده عن يحيى بن سعيد قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قام أبي يصلي في بيته بالليل، وذلك حين نَشِب الناس في الطعن على عثمان، فصلى من الليل، ثم نام، فأُتي في المنام فقيل له: قم فاسأل الله أن يُعيذك من الفِتنة التي أعاذ منها صالحَ عباده، فقام فصلّى، ثم اشتكى فما أُخرج إلا جنازة.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: كان موتُ عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام، وكان قد لزم بيتَه فلم يَشعر الناس إلا بجنازته وقد أُخرج[(١)].

وقيل: إنه مات قبل قتلِ عثمان بأيام.

وقال ابن عبد البرّ: كان لعامر ولدان كلاهما يقال له عبد الله، وأمّهما ليلى بنت أبي حَثْمة، وكُنيةُ الأكبر أبو محمد، قُتل يوم الطائف شهيداً، وعبد الله الأصغر وُلد على عهد النبي ﷺ وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابنُ خمس سنين، وله إدراك.

قال عبد الله: جاءنا رسول الله ﷺ في دارنا وأنا ألعب[(٢)].

أسند عامر بن ربيعة عن رسول الله ﷺ الحديث، فأخرج له أحمد في «المسند» أحد عشر حديثاً، وأُخرج عنه في «الصحيحين» حديثان متّفق عليهما.

وروى عامر عن أبي بكر وعمر، وروى عنه ابن عمر، وابنُه عبد الله بن عامر، وابنُ الزّبير عبد الله وغيرهم، وليس في الصحابة مَن اسمُه عامر بن ربيعة غيره، وذكره جدّي في «جامع المسانيد».

ومن مَسانيده؛ قال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ ما لا أُحصي يَتَسَوَّك وهو صائم[(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦٠.

(٢) الاستيعاب (١٤٤٩) و(١٤٥٠).

(٣) مسند أحمد (١٥٦٧٨)، وانظر في ترجمته الاستيعاب (١٨٢٢)، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ١١٢، والسير ٢/ ٣٣٣، والإصابة ٢/ ٢٤٩، والمنتظم ٥/ ٧٣.

وفيها توفي

عبد الله بن سُراقة

ابن المعتمر العَدَويّ، من الطبقة الثانية من الصحابة، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها، وأمُّه ابنةُ عبد الله بن عُمَير بن وهب الجُمحيّ.

روى عبد الله الحديث عن رسول الله ﷺ، وليس في الصحابة مَن اسمُه عبد الله بن سُراقة غيره[(١)].

وفيها توفي

عثمان بن عفّان رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وأمُّه أروى بنت كُرَيز ابن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وقد ذكرها ابن سعد في طبقات النساء[(٢)] وقال: وأمُّها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، تزوَّجها عفان بن أبي العاص، فولدت له عثمان وآمنة، ثم تزوَّجها عُقبة بن أبي مُعَيط فوَلدت له الوليد وعمارة وخالداً وأمّ كلثوم وأم حكيم وهنداً.

أسلمت أروى وهاجرت إلى المدينة بعد ابنتها أمِّ كلثوم بنت عُقبة، وبايعت رسول الله ﷺ، ولم تزل بالمدينة حتى توفّيت في خلافة ابنها عثمان، فحمل عثمان سريرَها، وصلّى عليها، ودفنها بالبقيع، وقد ذكرنا مَن اسمها أروى في عمات رسول الله ﷺ.

وكان عثمان في الجاهلية يُكنى أبا عمرو، فلما وُلد له في الإسلام عبد الله من رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ اكتَنى به، وكنّاه المسلمون به، وعاش عبد الله ستَّ سنين، فنقره ديك في عينه فمات، وقد ذكرناه في سنة أربع من الهجرة.

ذكر عثمان رضي الله عنه:

من الطبقة الأولى من المهاجرين، و أحد العشرة المبَشَّرين بالجنّة، وثالث الخلفاء

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٢ ، والاستيعاب (١٤٨٥)، والتبيين ٤٣٠ ، والإصابة ٢/ ٣١٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٧ .

الراشدين، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه زوجتُه رُقَيَّة بنتُ رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً؛ لأن رسول الله ﷺ خلّفه على ابنته رقية يُمرّضها، وقيل: كان مريضاً بعلَّةِ الجُدَري، فضرب له رسول الله ﷺ بأجره وسهمه، وزوّجه أمَّ كلثوم أخت رقية؛ ولذلك سُمِّي ذا النُّورَين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ، ولم يجمع قبلَه أحدٌ بين بنتي نبيٍّ غيره، وبايع عنه رسول الله ﷺ بيعةَ الرضوان بيده، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك.

وكان لَيِّن الجانب، حسنَ الخُلُق حَيِيَّ الطّرف، أحد حُفَّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ونافع وابن عامر يقرآن على قراءته.

وذكره الموفق رحمه الله في «الأنساب» وأثنى عليه وقال: قيل للمهلَّب بن أبي صُفرة: لمَ قيل لعثمان ذي النُّورَين؟ فقال: لا نعلم أحداً أرخى ستراً على ابنتي نبيٍّ غيره، وقال رسول الله ﷺ: «لو كان لنا ثالثة لزوَّجناها عثمان»[(١)].

وهو أحدُ أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر للخلافة، وقد ذكرنا إسلامَه فيما تقدّم، في السنة الرابعة والعشرين عند وِلايته، وبعضَ سيرته، وكان صوّاماً قوّاماً، وكان من أغنى الصحابة.

وقال الواقدي: وسبب غنائه أن أباه عفاناً وعبدَ المطَّلب وأبا مسعود الثقفي لما سلَّط الله على أبرهةَ الطيرَ الأبابيل؛ كانوا أول مَن نزل إلى خِيَم الحبشة، فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابِه شيئاً كثيراً، ودفنوها عن قريش، فكان ذلك سبباً لغنائهم، ومات عفان فأخذها عثمان.

وقال ابن عمر: كان عثمان يقوم الليل يَتلو القرآن، فنزل فيه قولُه تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ الآية [الزمر: ٩][(٢)]، وكان يُسمّى الوَقور لحيائه.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن يحيى بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فَخِذه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، ثم

---

(١) التبيين ١٧٩ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٥٦ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (عثمان) ٢٢٤ .

استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فاستأذن عثمان، فأرخى عليه ثيابَه، قالت: فقلت له في ذلك فقال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه ملائكةُ السماء»(١).

وقال أحمد بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب.

وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن مَوْهَب قال: جاء رجلٌ من أهل مصر يَحجُّ البيت، فرأى قوماً جُلوساً، فقال: مَن هؤلاء؟ قالوا: قريش، قال: فمَن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، فقال: يا ابن عمر، إني سائلُك عن شيءٍ فحدِّثني، قال: اسأل، قال: هل تعلم أن عثمانَ فرَّ يوم أُحُد؟ قال: نعَم، قال: هل تعلم أنه تَغيَّب عن بدرٍ فلم يَشهدها؟ قال: نعم، قال: فهل تعلم أنه تَغيّب عن بيعة الرِّضوان فلم يَشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، فقال ابن عمر: تعالَ أُبيِّنْ لك، أما فرارُه يوم أحد، فأَشهد [أن] الله عفا عنه وغفر له، وأما تَغَيُّبه يوم بدر، فإنه كانت تحته ابنةُ رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «لك أجرُ مَن شهدها»، وضرب له بسَهمه، وأما تَغَيُّبه عن بيعة الرِّضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبَعَثه مكانه، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ: «هذه يدي عن عثمان» فبايع عنه، وضرب باليُمنى على اليُسرى، وقال له ابن عمر: [اذهبْ] بها الآن معك(٢).

وقد أخرجه الحميدي في أفراد البخاري، وفيه: ثم قال ابن عمر للرجل: لعلّ يَسوؤك ذلك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله أنفَك، فانطلق فاجْهَد جَهدك، وسأله عن علي فذكر مَحاسِنَ عملِه(٣).

وحدثنا جدي بإسناده عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: رأيتُ رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول: «اللهمَّ عثمان، رضيتُ عنه فارضَ عنه»(٤).

---

(١) مسند أحمد (٥١٤) و(٢٥٢١٦).

(٢) مسند أحمد (٥٧٧٢)، وصحيح البخاري (٣٦٩٨).

(٣) الجمع بين الصحيحين (١٤٨٣).

(٤) صفة الصفوة ١/ ٢٩٨، وأخرجه ابن عساكر ٤٧-٤٩.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو موسى العَنَزي بإسناده، عن عبد الرحمن بن خَبّاب السّلَمي قال: خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العُسْرَة، فقال عثمان: عليَّ مئةٌ من الإبِل، أو مئةُ بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حثَّ، فقال عثمان: عليَّ مئةٌ أخرى بأحلاسِها وأقتابها، ثم نزل مِرقاةً من المِنبر، ثم حثَّ فقال عثمان: عليَّ مئةٌ أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ يقول بيده يُحرِّكُها: «ما على عثمان ما عَمِل بعد هذا»[(١)].

وقد ذكرنا طرفاً من هذا في غَزاة تبوك، وأنه جَهَّز جيشَ العُسْرة بخمس مئةِ بعير، وجاء بألف دينار فصبَّها في حِجر رسول الله ﷺ.

وروى أبو نعيم بإسناده إلى رُهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هَجعةً في أوَّله[(٢)].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن الحسن ـ وسُئل عن القَيلولة في المسجد ـ فقال: رأيتُ عُثمان يَقيل في المسجد وهو يومئذٍ خليفة، ويقوم وأثرُ الحَصى بجَنبه، قال: فيقولون: هذا أميرُ المؤمنين[(٣)].

وقال الحسن: رأيتُ عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيءُ الرَّجل فيَجلس إليه، ثم يجيءُ الرجل فيجلُس إليه، فيجلس كأنه أحدُهم[(٤)].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن شُرَحبيل بن مُسلم: أن عثمان كان يُطعم الناسَ بطعام الإمارة، ويَدخل بيتَه فيأكل الخلَّ والزيت[(٥)].

وروى ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن المبارك، عن الزّبير بن عبد الله قال: حدثتني جدَّتي: أن عثمان كان لا يُوقظ أحداً من أهله في الليل؛ إلا أن يَجده يقظاناً، فيدعوه

(١) مسند أحمد (١٦٦٩٦) وهو من زيادات ابنه عبد الله.
(٢) الحلية ١/ ٥٦، وأخرجه أحمد في الزهد ١٦١.
(٣) الزهد ١٥٨، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٦٠، وابن عساكر ٢١٩.
(٤) أخرجه ابن عساكر (عثمان) ٢١٨.
(٥) الزهد ١٦٠، وأخرجه أبو نعيم ١/ ٦٠.

فيُناوله وُضوءه، وكان يصوم الدَّهر[١].

وقال ابن سعد عن الواقدي أيضاً، عن عبد الله بن محمد، عن ثابت بن عجلان، عن سُليم أبي عامر قال: رأيتُ على عثمان بُرداً يَمانياً ثمنَ مئة دِرْهم أو مئتي درهم[٢].

وقد ذَكَرَ أن أبا بكر ﷺ لما أملى على عثمان وصيَّته؛ أُغمي عليه عند موته، ثم أفاق فقال لعثمان: مَن كتبتَ؟ قال: عمر، قال: والله لو كتبتَ لنفسك كنتَ لها أهلاً[٣].

وقال البخاري بإسناده عن ابن عمر قال: كنا نُخيِّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنُخَيِّرُ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان. انفرد بإخراجه البخاري[٤].

ذكر لباسه:

قال ابن سعد بإسناده عن شيخ من الحاطِبيّين قال: رأيتُ على عثمان قميصاً قُوهِيًّاً على المنبر[٥]. القُوهيّ: الغليظُ من الثّياب.

وقال هشام عن أبيه: لما وَلي عثمان الخلافة، خطب وعليه ثوبٌ قيمتُه خمسة دراهم. وقد ذكرنا طرفاً من لباسه، وشدِّه أسنانَه بالذهب[٦].

ذكر طرف من أخبار عثمان ﷺ:

حكى سيف بن عمر، عن عُمارة بن القعقاع، عن الحسن البصري قال: كان عمر ابن الخطاب قد حَجَر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج إلى البلدان إلا بإذنٍ وأَجَل، فشَكَوه، فقام خطيباً فقال: أما بعد، فإني قد سنَنْتُ الإسلام سَنَّ البَعير، يبدأ فيكون جَذَعاً، ثم ثَنِيّاً، ثم رَباعيّاً، ثم بازِلاً، فهل يَنتظر البازلُ غيرَ النُّقصان؟ ألا وإن الإسلام قد بَزَل، ألا وإن قريشاً يريدون أن يَتَّخِذوا مالَ الله مَعوناتٍ دون عباده، أما

(١) الزهد لابن المبارك ٤٣٨ ، والزهد لأحمد ١٥٧ (من زيادات ابنه عبد الله)، وتاريخ دمشق (عثمان) ٢٢٨_٢٢٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٤ .

(٤) في صحيحه (٣٦٥٥).

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤ .

(٦) في سنة أربع وعشرين.

وابنُ الخطاب حيٌّ فلا، ألا وإني آخذٌ بحُجَز قُريش أن يتهافتوا في النار.

وقال سيف فيما رواه عن محمد وطلحة: فلما قام عثمان لم يَأخُذهم بما كان يَأخُذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رَأَوْها ورَأوا سَعَةَ البلاد ورآهم الناس، انقطع [إليهم] مَن لم يكن له طَولٌ ولا مَزِيَّة في الإسلام، فصاروا أوزاعاً، فكان ذلك أوّل وَهْنٍ دخل في الإسلام، وأوّل فتنةٍ كانت في العامّة.

وحكى سيف، عن عمرو، عن الشعبي قال: لم يَمُتْ عمر حتى مَلَّته قريش، وكان قد حَصَرهم في المدينة وقال: أخوف ما [أخافُ] على هذه الأمة الانتشار في البلاد، فلما وَلي عثمان خَلّى سبيلَهم، فانفسحوا في البلاد، وانقطع إليهم الناس، فكان أحبَّ إليهم من عمر، فلم تمض سنةٌ من إمارة عثمان حتى اتَّخذ رجالٌ من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا على الأمر الأوّل سبعَ سنين، كلّ يوم يُحبُّون أن يَليَ صاحبُهم، ثم أسلم ابنُ السَّوداء، وتكلَّم وقد فاضَتِ الدّنيا، وطلعت الأحداثُ على يديه، فاستطالوا عُمْرَ عثمان.

وقال سيف بإسناده: أوَّلُ مُنكَرٍ ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طَيرانُ الحمام، والرَّميُ بالجُلاهِقات[1]، فاستعمل عثمان رجلاً من بني لَيث في سنة ثمانٍ، فقصَّ الحمام وكسر الجُلاهِقات، وكَثُرت الأحداثُ كشرب النّبيذ وغيره، فكان عثمان يُسَيِّر من المدينة مَن أحدث حَدَثاً، فقال الناس: ما أحدثَ التَّسييرَ إلا [أن] رسول الله ﷺ سَيَّر الحكم بن أبي العاص، وبلغ عثمان فصَعِد المنبر وقال: يا أهل المدينة، أنتم أَصلُ الإسلام، وإنما يَفسدُ الناسُ بفسادكم، ويَصلحون بصَلاحكم، والله لا يَبلغني عن أحدٍ منكم أنه أحدث حَدَثاً إلا سَيَّرتُه، وأما الحكم فإنه كان مَكيّاً، فسيَّره رسول الله ﷺ إلى الطائف، [ثم ردَّه] إلى بلده، وقد سَيّر الخلفاءُ بعده.

قال سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد قالا: سُئل سعيد بن المسيّب فقيل له: ما دعا محمد بن أبي حذيفة إلى الخروج على عثمان، وقد كان يتيماً في حِجْره، وكان عثمان واليَ [أيتام] أهل بيته، ومُحتمِلَ كَلِّهم؟! فقال: سأل عثمانَ

(١) الطين الأملس المدوَّر، والبندق الذي يرمى به، وقوس البندق.

العملَ حين وَلي فقال: يا بُنيّ، لو كنتَ رِضاً لاستعنتُ بك ولكنك لستَ هناك، قال: فَأْذن لي أن أخرجَ فأطلُبَ ما يُقَوِّيني، فقال له: اذهبْ حيث شِئتَ، فذهب إلى مِصر، فكان يُحَرِّضُ عليه لأنه منعه الإمارة.

وقال سيف، عن مُبَشِّر: سألتُ سالم بن عبد الله: ما دعا محمدَ بن أبي بكر إلى الخروج على عثمان؟ قال: الطّمعُ، إنه كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، فأغراه قوم فطَمِع، وكانت له دالَّة فلَزِمه حقٌّ، فأخذ عثمان الحدَّ من ظهره، فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مُذمَّماً بعد أن كان محمداً[1]. وسنذكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر اجتماع المصريين والبصريين والكوفيين وغيرِهم على قتل عثمان رضي الله عنه، وحَصرهم في داره، ونزولهم بذي خُشُب وذي المروة ونحو ذلك

فروى أربابُ السِّيَر منهم هشام والواقدي وسيف وغيرهم، فروى سيف بن عُمر، عن يزيد الفَقْعَسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، وأمُّه يهودية سوداء، أسلم في أول خلافة عثمان، وقيل في خلافة عمر، وكان قَصدُه بَوارَ الإسلام، فكان يَنتقلُ في البُلدان يحاول الفِتنة، فطاف الحجاز والشام والعراق، فأخرجوه، فلم يتأتّى له ما يُريد، وعُرف بالشَرّ في هذه الأمصار، فلم يَسَعْه فيها مُقام، وكلما دخل مِصراً نَفَوه منها، فدخل مِصر، وطاف في كُورها، وأظهر الأمرَ بالمعروف، وتكلّم في الرَّجْعَة، وقَرَّرها في قلوب المصريين، وكان يقول: العَجبُ ممن يَزعُم أن عيسى يَرجع إلى الدنيا ويُكذّب برجعة محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥] فمحمد أحقُّ بالرُّجوع من عيسى، فقرَّر الرَّجعة في قلوبهم، وهو مع هذا يَغمز عثمان.

ثم شرع في تقرير الوَصيّة فقال: قد كان ألفُ نبيّ، ولكلِّ نبيٍّ وَصيٌّ، وعليٌّ وصيُّ محمد ﷺ، ومحمد خاتم النبيِّين، فعليٌّ خاتم الوصيِّين، ثم قال: ومَن أظلَمُ ممّن أبطل وصيَّةَ رسول الله ﷺ، ووَثَب على وَصيِّه فابتَزَّه حقَّه، وحكم في الأمة بغير حقّ، ثم إن عثمان أخذ الخلافةَ بغير حقّ، ووصيُّ رسول الله ﷺ أوْلى، وقد غيَّر عثمان وبَدّلَ ما كان

(١) الأخبار السالفة كلها في الطبري ٤/ ٣٩٦ـ٤٠٠.

عليه رسول الله ﷺ والشيخان بعده، فانهضوا في الأمر فحرِّكوه، وابدؤوا بالطَّعن على أمرائكم، وأظهِروا الأمرَ بالمعروف، والنَّهيَ عن المنكر، تَستميلوا الناس، وبثّ الدُّعاة.

وكاتبَ الأمصارَ ممَّن كان قد استَفسدَهم فأجابوه، ودَعَوا في السّرِّ إلى ما دعا إليه، فأجابهم الناس، فقيل لعثمان: إن الأمصارَ قد فَسَدت عليك، وأخبروه الخبر، فقال: والله ما سمعتُ من هذا شيئاً، قالوا: بلى، فأرسِلْ رجالاً يَكشفوا لك الأمر، ويَرجعوا إليك بالأخبار، ويكونوا ممّن تَثِقُ بهم.

فبعث بمحمد بن مَسلَمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر، فرجعوا جميعاً إلّا عمار بن ياسر، فإنه أقام بمصر، ولما رجع الرُّسُل إلى عثمان استَبطؤوا عمار بن ياسر، فبينما هم كذلك إذ وَرد كتابُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: إن عماراً قد استماله قومٌ بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلْجَم، وسُودان بن حُمران وكنانة بن بِشْر.

وروى الواقدي عن أشياخه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قال: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فقد رُفع إليّ أن أقواماً يُشَنّعون عليَّ وعلى أمرائي؛ بغَصْب الأموال، وظُلم العباد، وفِعل المنكرات، فمن ادَّعى شيئاً من ذلك فلْيُوافِني بالموسم، فليأخُذْ بحقِّه مني ومن عُمّالي، فإنه لا يُرفع عليّ ولا عليهم شيءٌ من ذلك إلا رَددتُه، وليس لي ولعُمَّالي حقٌّ قبل الرَّعيَّة، فإما أن أدفعَ إليهم ذلك، أو تَتصدّقوا فإن الله يَجزي المتصدِّقين. فلما قُرِىء كتابُه على أهل الأمصار بَكَوا ودعوا له وقالوا: إن الأمّة لتَتَمخَّضُ بالشرّ.

ثم كتب إلى عُمَّاله فقدِموا عليه: عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد، وأدخلَ معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص، فقال: ويحكم، ما هذه الشِّكايات والإذاعات، والله إني لخائف أن تكونوا مَصدوقاً عليكم، وما يُعصَب هذا إلا بي، فقالوا: قد رجع إليك الرُّسُل الذين بعثتَهم إلى الأمصار بخلاف ما أُذيع وأُشيع، وما هي إلا شَناعة.

قال: فأشيروا عليّ، فقال له سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع، يُعمَل في السّرّ، ثم يُلقى به غيرُ أهل المعرفة، فيُخبرون به، فيتحدَّثُ به الناسُ في مجالسهم، قال: فما

الحيلة؟ قال: طَلبُ مَن يَفعلُ ذلك، وقتلُ مَن خرج من عنده.

وقال له عبد الله بن سعد: خُذْ من الناس الذي عليهم؛ فإنه أنفعُ لك من أن لا تأخُذَ منهم(١).

وقال له معاوية: لا يأتيك من الشام إلا ما تُريد، قال: فما ترى؟ قال: حُسْنُ الأدب.

قال: يا عمرو، فما ترى؟

قال: إنك قد وَلَّيتَهم، وتراخيتَ عنهم، وزدتَهم على ما كان يَصنع عمر، فأرى أن تُديمَ طريقةَ صاحبَيْك، فشِدَّةٌ في موضع الشِّدَّة، ولينٌ في مَوضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعتُ ما أشرتُم به، ولكلِّ أمرٍ بابٌ يُؤتى منه، وهذا الأمر الذي يُخافُ منه كائنٌ لا مَحالة، وإن رَحَى الفتنةِ لدائرة، فطُوبى لعثمان إن مات ولم يُحرِّكها.

وحكى الطبري عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: أرسل عثمان إلى طلحة يَدعوه، قال موسى: فخرجت معه، فدخل على عثمان، وإذا عليّ وسعد والزبير ومعاوية، فحمد معاوية [الله]، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أنتم أصحابُ رسول الله ﷺ، وخِيرتُه في الأرض وولاةُ أمر هذه الأمة، لا يَطمع في ذلك أحدٌ غيركم، اخترتُم صاحبَكم من غير غَلَبةٍ ولا طَمَع، وقد كبرت سِنُّه، وولَّى عُمرُه، ولو انتظرتم به الهَرَم كان قريباً، مع أني أرجو أن يكون أكرمَ على الله من أن يَبلُغَ به ذلك، وما عِبتُم عليه من شيءٍ فهذه يدي لكم به، ولا تُطمعوا الناسَ في أمركم، فوالله لئن طَمِعوا فيها؛ لا رأيتُم منها إلا إدباراً.

فقال علي عليه السلام: ومالك وهذا الأمر لا أُمَّ لك؟! فقال معاوية: دعْ عنك أمّي، فليست بشرِّ أُمَّهاتكم؛ قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وأجبني عما أقولُ لك.

فقال عثمان: صدق ابنُ أخي ـ يعني معاوية ـ ثم قال عثمان: إني أُخبركم عني وعمّا وَليتُ: إن صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفُسَهما ومَن كان بسبيلٍ منهما احتساباً، وإن رسول الله ﷺ كان يُعطي قرابتَه، وأنا في رَهْطٍ وعَيْلَةٍ وفقرٍ وقلَّةِ معاش، فبسطتُ يدي

(١) في الطبري ٤/ ٣٤٢ : خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتَهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

في شيءٍ من ذلك؛ لمكاني مما أقومُ به فيه، ورأيتُ أن ذلك لي، فإن رأيتُم أن ذلك خطأ فردُّوه، فإن أمري لأمركم تبَع.

فقالوا: أعطيتَ عبد الله بن خالد بن أَسِيد خمسين ألفاً، ومروان خمسة عشر ألفاً، فقال: نَردُّ ذلك، فرضوا وانصرفوا راضِين.

وكان معاوية قد قال لعثمان: اخرجْ معي إلى الشام، فإن أهل الشام لم يُغيِّروا ولم يُبدِّلوا، فقال: لا أختار على جِوار رسول الله ﷺ شيئاً، ولو كان فيه قَطعُ عُنُقي، قال: فأبعثُ إليك جيشاً يُقيم عندك، قال: لا أُقتِّر الأرزاقَ على أهل دار الهجرة، فقال: والله لتُغتالَنَّ ولتُقتلَنّ، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، ومضى معاويةُ إلى الشام.

وقال هشام عن أبيه: أولُ مَن خلع عثمان بالكوفة عَمرو بن زُرارة بن قيس والكُمَيل ابن زياد النَّخعيَّان وقالا: إن عثمان قد تَرك الحقَّ وهو يَعرفه، وولّى شراركم على صُلحائكم، واستأثر بالأموال، وقد خَلَعناه وبايَعنا عليًّا عليه السلام.

قال: وأوّلُ مَن خلعه بالمدينة عمار بن ياسر، نزع عِمامته وقال: اشهدوا أني قد خلعتُ عثمان كما خلعتُ عِمامتي هذه، ورمى بها إلى الأرض، فقال له سعد بن أبي وقاص: إنا لله، حين كَبرَ سِنُّك، ورقَّ عظمُك خلعتَ رِبقةَ الإسلام من عُنقك، فقال عمار: مه إنه قد بدَّل وغيَّر.

وروى سيف عن مُبشِّر بن الفُضَيل وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص بمعناه، وقال: قدم عمار من مصر وأبي مريض، فبلغه فبعثني أدعوه، فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنتَ فينا لمن أهل الخير، فما الذي بلغني من سعيك في إفسادٍ بين المسلمين، والتَّأليب على أمير المؤمنين، فأهوى عمار إلى عمامته فنزعها، وذكره، فبكى سعد وقال: يا بُنيّ، مَن يَأمَنُ الفتنة، لا يَخرُجَنَّ منك ما سمعتَ منه.

وروى سيف عن أشياخه والبلاذري وهشام قالوا: لما رأى الناسُ ما صنع عثمان كتبوا من المدينة إلى الآفاق: هَلُمّوا إلى الجهاد الأكبر، فاتّفق أهلُ الأمصار على المسير إلى عثمان، وتواعدوا أن يُوافوا المدينة في شوال أو في رجب هذه السَّنة، فخرج من مصر أربع رِفاق على أربعة أمراء: عبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي على رُبع،

وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي على رُبع، وكِنانة بن بِشْر التُّجيبي على رُبع، وسُودان بن حُمران السَّكوني على رُبع.

واختلفوا في عددهم؛ فقال سيف: المقلِّل يقول: كانوا ست مئة، والمكثر يقول: ألف، وقال هشام: كانوا أربع مئة، وقال الواقدي: كانوا خمس مئة، وقيل: سبع مئة، قال: وأميرُهم الغافقيّ بن حَرب العَكِّيّ، وكان فيهم ابنُ السَّوداء، وأظهروا أنهم يريدون الحجّ أو العُمرة، فإن كانوا خرجوا في رجب أظهروا العُمرة، وإن كانوا خرجوا في شوال فالحج، والظاهر أنهم خرجوا في شوال.

قالوا: وخرج أهلُ الكوفة [في] أربع رِفاق، على عدد المصريين، وأُمراؤهم: الأشتر النَّخَعي، وزيد بن صُوحان العبدي، وزياد بن النَّضر الحارثي، وعبد الله بن الأصمّ أحد بني عامر بن صعصعة، وأميرُهم عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة [في] أربع رفاق، وعددُهم على عدد أهل الكوفة، على كل رُبع أمير: حُكَيم بن جَبلة العبدي، وذَريح بن عَبّاد العبدي، وبشر بن شُريح الحُطَم القيسي، وسدوس بن عُبيس الشَّنِّي، وقيل: وابن المحرّش بن عبد عمرو الحنفي، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السعدي، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يُريدون علياً، وأما أهل الكوفة فهواهم مع الزبير، وأما أهل البصرة فيريدون طلحة.

وكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يُخبره بخروجهم، فقال عثمان: والله ما خرجوا إلا طلباً للفتنة، ولقد طال عُمري على الناس، ولئن فارقتُهم ليَتمنّون يوماً من أيامي.

ثم دخل عثمان على علي في منزله وقال: يا ابن عمّ، إن لي قرابةً قريبة، ورَحِماً ماسّة، وحقاً عظيماً، وهؤلاء قد عزموا على قتلي، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً، وأنهم يَسمعون منك فاركب إليهم فرُدَّهم عني، وأنا أصيرُ إلى ما تُريدون، ولا أخرج عن أمرك، وكانوا بذي خُشُب، فركب عليٌّ ومعه سعد، وسعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت، وعبد الرحمن بن عَتَّاب بن أسيد وجماعة من الصحابة، فالتقاهم ووَبَّخهم، وعنَّفهم في أمر عثمان، وضَمِن لهم ما أرادوا، فأظهروا أنهم راجعون إلى مصر، وجاءت الجموع فعادوا، فنزل بعضُهم ذا خُشُب، وبعضُهم الأعْوَص، وعامَّتُهم بذي المَرْوة.

قال البلاذري: وَرَد أهلُ مصر المدينة قبل ورود أهل العراق، فأتوا دار عثمان، ووثب معهم رجالٌ من الصحابة؛ منهم: عمار بن ياسر، ورِفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً، والحجّاج بن عمرو بن غَزيّة وكان صحابياً، وعامر بن بُكَير الكِناني، فحصروه في داره، وهذا يُسمّى الحصار الأول.

قال: ولم يُنكر أحدٌ من الصحابة عليهم، بل كانوا يأمرونهم بجهاد عثمان؛ إلّا ثلاثة: زيد بن ثابت، أعطاه عثمان مئة ألف درهم، وحسان بن ثابت، وأبو أُسَيد الساعدي، وهذه روايات الواقدي والبلاذري[١].

رجع الحديث إلى سيف قال: فسار القوم من مصر والعراق، حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاثة أيام تقدَّم ناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وناس من أهل مصر فنزلوا بذي المروة، وهم يُظهرون أنهم يَأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء، ومشى فيما بين أهل مصر والعراق زياد ابن النَّضْر وعبد الله بن الأصم وقالا: لا تَعجلوا حتى نَدخل المدينة ونَرتاد؛ فإنه قد بَلَغنا أنهم قد عسكروا لنا، فإن كان ذلك صحيحاً فقد خافوا واستَحلُّوا قتالَنا، وإن كان أن باطلاً لم يخافوا منا، فقالوا: اذهبا.

فدخل الرجلان المدينة، فأتيا أزواجَ النبي ﷺ وطلحةَ والزبير وعلياً وقالا: إنما جئنا نَؤمُّ هذا البيت، ونستعفي هذا الرجل من بعض عُمّالنا، ما جئنا إلا لهذا، واستأذنوهم في الدُّخول، فأبوا عليهما، فرجعا إلى إخوانهم.

ثم أتى نَفَرٌ من أهل مصر علياً، ونفرٌ من أهل الكوفة الزبير، ونفرٌ من أهل البصرة طلحة، وكلُّ طائفةٍ تقول: إن بايعنا صاحبنا[٢]، وإلّا قاتلناهم وفرَّقنا جماعتَهم.

قال سيف: فأتَوا علياً وهو في السُّوق عند أحجار الزيت، مُتقلِّداً سيفَه؛ وقد سَرَّح الحسن إلى عثمان، فالحسن جالسٌ عند عثمان، وعليّ عند أحجار الزَّيت، فسلَّم المصريون على علي، وعرضوا له، فصاح بهم وطرَدَهم وقال: لقد علم الصالحون أن

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٨٠-١٨١ .

(٢) في الطبري ٤/ ٣٥٠ : إن بايعوا صاحبنا.

جيشَ ذي المروة وذي خُشُب والأَعْوص مَلعون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صَحِبكم الله، قالوا: نعم وانصرفوا على ذلك.

وأتى البصريون طلحة، وقد أرسل ابنه محمداً على عثمان، فعرضوا له، فصاح بهم، وقال لهم مثلَ ما قال علي، وأتوا الزبير وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان، فردّ عليهم كذلك، فانصرفوا إلى عساكرهم مُظهرين الرجوع إلى أمصارهم، حتى تَفرَّق أهل المدينة، ويَكُرُّوا، فتفرَّق الناس، فلم يَشعروا إلا بالتّكبير في جوانب المدينة، فأحاطوا بعثمان والمسجد، ونادى مُناديهم: مَن كفَّ يدَه فهو آمن.

وصلّى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتَهم، وجاءهم علي فقال: ما رَدَّكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: وَجْدنا مع بريدٍ كتاباً بقتلنا، وقال البصريون لطلحة مثل ذلك، والكوفيون للزبير كذلك، قال: فقالوا: لا حاجةَ لنا في هذا الرَّجل، فليَعْتَزِلنا، وثبتوا على ذلك، وعثمان مع هذا يُصلّي بهم، ويَغشى عثمان من شاء منهم، وهم أحقرُ في عينه من التُّراب.

وكتب عثمان إلى عماله يَستمدُّهم ويقول: قد أغار الأعداء علينا في جِوار رسول الله ﷺ ودارِ الهجرة، وتحزَّبوا كما تَحزَّبت الأحزاب، فالوَحا الوحا، فبعث معاوية حَبيبَ ابن مَسلَمة الفِهريّ، وبعث ابن أبي سَرْح معاوية بن حُدَيْج السَّكوني، وبعث أبو موسى من الكوفة القعقاع بن عمرو، فساروا نحو المدينة.

وذكر هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: لما رأى عثمان ما قد نزل به ومَسيرَ الناس لقتله، كتب إلى معاوية: إن أهلَ المدينة قد كفروا وخلَعوا الطاعة، فابعث إليَّ مِن قِبلك من أهل الشام من المقاتِله على كلِّ صَعْبٍ وذَلول.

فلما وَقف معاوية على كتابه تربّص عليه، وكره مُخالفةَ أصحاب رسول الله ﷺ؛ وقد علم اجتماعهم عليه، فلما أبطأ جوابُه كتب إلى يزيد بن أسد والي أهل الشام يَستنفرهم، ويُعظّم حَقَّه عليهم، ويذكر ما يَجب من طاعته، ويقول في آخر كتابه: فإن كان عندكم غِياث فالعَجَل العَجَل، فنفر يزيد في أهل الشام.

وكتب عثمان إلى ابن عامر بالبصرة مثل ذلك، فقرأ ابن عامر كتابَه على أهل البصرة، فأجابوا إلى قتال مَن قصد عثمان، وأول مَن تكلَّم يومئذ مُجاشع بن مسعود

السُّلمي، فقدَّمه على الناس وساروا.

فأما يزيد بن أَسَد فلما وصل وادي القُرى بلغه قتل عثمان فرجع، وأما مُجاشع فلما وصل إلى الرَّبَذَة، ونزلتْ مُقدّمته عند صِرار، أتاه قَتْلُ عثمان فرجع.

وكان جماعةٌ من الصّحابة والتابعين يُحرِّضون الناس على نُصرة عثمان والذَّبِّ عنه، منهم بالكوفة: عُقبة بن عامر، وعبد الله بن أبي أوفى، وحَنظلة بن الربيع التميمي، في خلق من الصحابة، ومن التابعين أصحاب عبد الله بن مسعود: مسروق بن الأجدَع، والأسود بن يزيد، وشُريح القاضي وغيرهم، وكانوا يمشون على المجالس ويقولون: انهضوا لنَصْر خليفتكم وعصمةِ أمركم، وبالبصرة عمران بن الحصين وأنس بن مالك وأمثالهما من الصحابة، ومن التابعين: كعب بن سُور وهَرِم بن حَيَّان العبدي وأشباههما، وبالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وغيرهما، ومن التابعين أيضاً أبو مسلم الخولاني وعبد الرحمن بن غَنْم وغيرهما، وبمصر خارجة وأمثاله.

وقال ابن سعد بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل المصريون بذي خُشُب دعا عثمان محمد بن مَسلمة وقال: اذهب إليهم فارددْهم عني وأعطهم الرِّضى، وأخبرهم أني فاعلٌ وفاعلٌ بالأمور التي طَلبوا، ونازعٌ عن كذا وكذا للأمور التي تكلَّموا فيها، فركب محمد بن مسلمة إليهم إلى ذي خُشُب، وأرسل معه عثمان خمسين فارساً من الأنصار، وقال جابر: أنا فيهم.

وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوي، وسُودان بن حُمْران المرادي، وابن البَيَّاع، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي، وقد كان الاسم غلب عليهم، حتى كان يقال: جيشُ ابنِ الحَمِق.

فأتاهم محمد بن مسلمة فقال: إن أمير المؤمنين يقول كذا وكذا، وأخبرهم بقوله، فلم يزل بهم حتى رجعوا، فلما كانوا بالبُوَيْب رَأَوا جملاً عليه مِيسَمُ الصَّدَقة، فأخذوه، فإذا غلامٌ لعثمان، فأخذوا مَتاعَه ففتَّشوه، فوجدوا فيه قَصَبةً من رَصاص، فيها كتاب في جَوفِ الإداوة في الماء: إلى عبد الله بن سعد أن افعل بفلان كذا، وبفلان كذا وكذا، من القوم الذين شرعوا في عثمان، فرجع القوم ثانيةً حتى نزلوا بذي خُشُب، فأرسل عثمان إلى محمد بن مَسلمة أن: اخرُج فارددْهم عني، قال محمد: لا أكذب

في سنةٍ مَرَّتين ولم يَخرُج، قال: فقدموا حتى حصروا عثمان.

وروى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه: أن عثمان أنكر أن يكون كتب الكتاب، أو أرسل ذلك الرسول، وقال: فُعل ذلك دوني[(١)].

وقال محمد بن السائب الكلبي، وروى الطبري طرفاً من ذلك، عن أشياخه قالوا: لما صار القوم بظاهر المدينة خرج إليهم عثمان بنفسه، وكره أن يدخلوا عليه المدينة، فأتاهم فسلَّم عليهم، فدَعَوا بالمصحف فقالوا: افتح السابعة[(٢)] ـ يعنون سورة يونس، وكانوا يُسمّونها بذلك ـ وقالوا: اقرأ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ فلما قرأها ووصل إلى قوله ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[٥٩] قالوا: قف، فوقف، فقالوا: أرأيتَ ما حَميتَ من الحِمى، وما فعلتَ وفعلتَ، وعَدُّوا أفعالَه، منها: إتمامُه الصلاةَ بمنى، وردُّ عمِّه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، واستعمالُه الأحداث من بني أمية، وإعطاؤه مروان خُمس إفريقية، وإحراقُه المصاحف، ونفيُه أبا ذرّ وابنَ مسعود وعامر بنَ عبد قيس، وضربُه لعمار وابن مسعود، وصعودُه إلى مكان رسول الله ونحو ذلك ـ ثم قالوا: آلله أذِن لك في هذا أم على الله تفتري؟! فاعتذر إليهم، واستغفر الله، وأخذ رؤساءهم، ودخل المدينة فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

والله ما رأيتُ وفداً خيراً من وَفدنا هؤلاء، أما كوني صليتُ بمنى أربعاً؛ فإنه كان لي أهلٌ بمكة، وأما كوني حميتُ الحِمى؛ فقد حماه عمر قبلي، وأما كوني رددتُ عَمِّي الحكم؛ فقد كان رسول الله ﷺ وَعَدني برَدِّه في مرضه الذي تُوفّي فيه، فشهدتُ عند أبي بكر فقال: إنك شاهد واحد، ولا تُقبل شهادةُ الواحد، ثم قال لي عمر كذلك، فلما صار الأمر إليّ قضيتُ فيه بعلمي، ولي أن أفعل ذلك.

وقولهم: استعملتُ الأحداث، فقد استعمل رسول الله ﷺ عَتّاب بن أَسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، واستعمل زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما صبيان، وأعطيت

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) وكذا في تاريخ دمشق (عثمان) ٣٢٧ ، وفي الطبري ٤/ ٣٥٤ : التاسعة.

مروان الخمس وإنما هو من مالي، فلما كرهوا ذلك رددتُه.

وأما تحريق المصاحف فلأنّي نسختُ مصحفاً واحداً، وخِفتُ اختلافَ الناس في الزيادة والنقصان، فحسمتُ مادَّة الخلاف بجَمعي لهم على مصحف واحد.

وأما نفيي لأبي ذر فإنه كَثَّر عليَّ وشَنَّع، فدفعتُ الفتنة، وقد رددتُه فأبى، ولم أر في تأديبه أبلغ من إبعاده عن المدينة.

وأما صِلتي لأقاربي فإنما وصلتُهم من مالي، وأما إبعادي للمسيَّرين من الكوفة فإنهم قصدوا إفساد الأمور فأبعدتُهم عنها.

وأما اتِّخاذي الحُجَّاب فقد كان رسول الله ﷺ يُستَأذن عليه.

وأما صعودي إلى مكان رسول الله ﷺ فهو كقيامي مكانَه في المحراب، فأردتُ أن أُعلم الناس جوازَ ذلك.

وفي رواية: ولو لم أفعل لنزل كلُّ إمام درجة، فيَخطبون تحت الأرض.

وأما تفويضي الزكاةَ في الأموال إلى أربابها؛ فإنما فعلتُ ذلك لأني رأيتُ الأموال قد كَثُرت، فخشيتُ أن يُطالَبَ الرَّجلُ بباطن حاله، وما لا يعلمه المطالب، فيُخْرجه ذلك إلى العصيان، فاكتفيتُ بالأموال الظاهرة.

وأما مَن مات ممن نفيتُه فارضوا بالله حكماً بيني وبينه، ومَن بقي فردُّوه، ومن ضربتُه فليقتَصَّ مني.

وأما عمَّالي فمَن شئتم فاعزِلوه، ومَن شئتُم فأبقوه، واكتبوا عليَّ صِكاكاً بالمال الذي قلتُم إني فرَّطتُ فيه، فما قدرتُ عليه قمتُ به، وما عجزتُ عنه سعيتُ فيه.

فقالوا: لا تُعطوا العطاءَ إلا للمقاتلة، قال: نعم، فأخذوا عليه المواثيق والعهود، وأخذ عليهم أيضاً، ووقَّع الرضى بمحضرٍ من الصحابة، ونادى عثمان: مَن كان له ضَرْع فليلحق بضَرْعه، ومَن كان له زَرعٌ فليَلْحق بزرعه، ألا لا مالَ لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، وللشّيوخ من الصحابة، فغضب أهل المدينة وقالوا: هذا من مكر بني أمية.

ورحل المصريون إلى مصرهم، فبينما هم في الطريق إذا براكب يتعرَّض لهم، ثم

يُفارقهم، فأخذوه ففتَّشوه، وإذا معه كتابٌ إلى ابن أبي سرح بقتلِهم، فرجعوا إلى المدينة، فدخلوا على علي وطلحة والزبير والصحابة، فأوقفوهم على الكتاب وقالوا: قد أباح الله دمه، ثم أتوا إلى داره فحصروه، وخرج علي إلى ظاهر المدينة فأقام بقرية.

وحكى الطبري عن عمرو بن حماد بن طلحة القَنَّاد، وعلي بن الحصين، بإسنادهما إلى عبد الرحمن بن يسار قال: لما رأى الناسُ ما صنع عثمان، كتب مَن بالمدينة من الصحابة إلى مَن بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرّقوا في البعوث: إنكم إنما خرجتم لتجاهدوا في سبيل الله، تنصرون دينَ محمد ﷺ، ودينُ محمد قد أُفسِدَ خلفَكم، فهلمُّوا فأقيموا دينَ محمد، فأقبلوا من كل أُفق إلى عثمان.

وكتب عثمان إلى ابن أبي سَرْح عاملِه على مصر ـ حين تراجع الناس، وزعم عثمان أنه تائب، وكان أهل مصر أشدَّ الناس عليه، فكان في كتابه: انظر فلاناً وفلاناً إذا قدموا عليك فاضرب أعناقَهم، وعاقب فُلاناً بكذا وكذا، وفلاناً بكذا وكذا، منهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، ونفرٌ من التابعين، وكان رسوله في ذلك أبو الأعور السُّلَمي، حمله عثمان على جَمل له، وأمره أن يَسبق القوم إلى مصر، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فقالوا: إلى أين فقال: إلى مصر، ففتَّشوه فوجدوا الكتابَ المذكور، فعادوا إلى المدينة فقتلوه.

وحكى الطبري عن ابن الكلبي أنهم قالوا لعثمان: هذا غُلامك على جملك قال: انطلق بغير أمري، وأخذ الجملَ بغير علمي، قالوا: فنقش خاتمك؟ قال: نُقِش عليه[١].

وقال الواقدي: لما قال عثمان ما علمتُ بالكتاب قالوا: لا يخلو، إما أن تكون كاذباً أو صادقاً، فإن كنتَ كاذباً فقد استحققْتَ الخلع لما أمرتَ به من سفك دمائنا، وإن كنتَ صادقاً فقد وجب خلعُك لضعفك وغَفْلتك وخُبث بِطانتك، وإنه لا يجوز تركُ هذا الأمر مع مَن يكون بهذه الصفة، ثم إنك أحدثتَ أحداثاً عظيمة، فاستحققتَ بها الخلع، فإذا كُلِّمتَ فيها أعطيتَ التوبة ثم نكَثْتَ، فقال: فأنا تائبٌ، فقالوا: لا نَقبل

(١) الخبران في الطبري ٤/ ٣٦٧ـ٣٦٨.

توبةَ ناكث، ولا نزال حتى تخلعَ نفسَك من هذا الأمر، ونُولّيه مَن يَصلح، فقال: لا أفعل، ولو أردتُ قتالكم لكتبتُ إلى أمُراء الأجناد، فجاؤوا بالجيوش فقاتلوكم، فقالوا: فقد كتبتَ.

وقال هشام: وكان في الجمع الذين ساروا من مصر إلى عثمان محمد بنُ أبي حُذيفة ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ومحمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وكان السبب في خروج محمد بن أبي حُذيفة على عثمان، أنه كان يتيماً في حِجْر عثمان، وكان مُحسناً إليه، فلما شبَّ محمد سأل عثمانَ أن يَستعمله فأبى، فاستأذنه في الخروج فقال: اذهب أين شئتَ، فخرج إلى مصر، وقام يُؤلّب عليه.

قال ابن سيرين: وأما محمد بن أبي بكر فكان في الإسلام بمكان عظيم، ومنزلةٍ عالية من عثمان، فما زال مروان بن الحكم يُغري بينهما ويقول: إن محمداً يَروم الخلافة، حتى مَنعه عثمان العطاء، ونال منه، وكتب في حقّه ذاك الكتاب، وأما عمرو ابن العاص فعزله عن مصر، وكان أشدَّ الناس عليه هو وعمار لأنه ضربه، كما ذكرنا.

ولما جاء المصريون، ونزلوا ذا خشب، وقال عثمان لمحمد بن مَسلمة: اخرج إليهم فامتنع؛ قال عثمان للمغيرة بن شُعبة: اخرج إليهم فخرج، فصاحوا به: يا أعور، يا فاسق، يا زاني، يا عدوَّ الله، ارجع وإلا قتلناك، فقال عثمان لعمرو بن العاص: اخرج إليهم فخرج، فصاحوا به: يا ابن النابغة، ارجع فلستَ عندنا بأمين، فقال عثمان لعلي: اخرج إليهم، فقال: على أن تُعطيني عهدَ الله وميثاقَه أن لا تُخالِفَني، فأعطاه، فخرج إليهم، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: بل أمامي، إن عثمان يَدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، فقالوا: أضامِنٌ عنه أنت؟ قال: نعم، قالوا: رَضينا.

وخرج أشرافُهم معه، فدخلوا على عثمان، فعاتبوه وعاتبهم، وضَمِن لهم كلَّ ما أرادوا، فقالوا: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فكتب: من عبد الله عثمان لمن نَقم عليه من المسلمين، أن لهم عليه العمل بكتاب الله، وسنّة رسوله، وأنه يُعطي المحروم، ويُؤمّن الخائف، ويَردُّ المنفي، ويُوفِّر الفيءَ، وعلي بن أبي طالب ضَمينٌ عنه بالوفاء بما فيه، شهد بذلك طلحة والزبير وسعد وابن عمر وزيد بن ثابت وآخرون، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين، وأخذوا بالكتاب نُسخاً وانصرفوا.

فقال علي لعثمان: إن البلاد قد تَمخَّضت عليك، ولا آمَنُ أن يأتيَ ركبٌ آخر من بعض الأمصار فتقول لي: اخرج إليهم، فإن لم أفعل قلتَ: قطعتَ رَحِمي، فاصعد المنبر، فتكلَّم بكلام يَحمله الناس عنك، وأشْهِد اللهَ على ما في قلبك.

فصعد عثمان المنبر، فأقرَّ بما فعل، واستغفر ربّه وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَن زلَّ فليَتُبْ، ومَن أخطأ فليتُبْ، ولا يَتمادى في الهَلكة»، فوالله لئن رَدَّني إلى الحقّ عبدٌ لأتَّبعنَّه، ولأستَنَّ بسنَّة العَدْل، ولأذِلَّنَ ذلَّ العبد المرقوق، إن مُلِك صبر، وإن عَتق شكر، وأنا أوَّل مَن اتَّعظ، وما عن الله مَذهب، فإذا نزلتُ فليأتِني أشرافُكم، فلْيَروا فيَّ رأيَهم، فقام إليه سعيد بنُ زيد بن عمرو بن نُفَيل فقال له: الله الله في نفسك، فأتمّ على ما أنت.

ونزل عثمان، وسُرَّ الناسُ بقوله، واجتمعوا إلى بابه مُبتهِجين بما كان منه، فخرج إليهم مروان فزبرهم، وقال: شاهت الوجوه، انصرفوا فإن أمير المؤمنين مشغول.

وبلغ علياً ما قال مروان، فدخل على عثمان وقال له: ما رضي مروان منك إلا بإفساد دِينك، وخديعته إياك عن عقلك، والله إني لأراه يُوردُك ولا يُصدرك، وما أنا بعائدٍ إليك بعد يومي هذا، ثم خرج وعثمان ساكت، فقالت له زوجه نائلة بنت الفَرافِصة: إنه لا قَدرَ لمروان عند الناس ولا هيبة، فابعث إلى عليٍّ فأرضه، فأرسل إليه فلم يأته.

وأما المصريون فإنهم لما وصلوا أَيْلَة لَقَوا عندها عبداً على بعير، فاستخرجوا منه كتاباً إلى عبد الله بن سعد، وفيه ضَربُ عُنقِ ابن عُدَيس، وقطع أيدي الباقين وأرجلهم، ويُتركون يَتشحَّطون في دمائهم حتى يموتوا، فعادوا إلى المدينة، فدخلوا على عليّ وناولوه الكتاب، فعرف أنه خَتْم عثمان، فجمع عليٌّ كبارَ الصحابة، ودخلوا على عثمان فقالوا: أتعرفُ هذا الكتاب؟ فقال: أما الخطُّ فخطُّ كاتبي، وأما الخاتم فخاتمي، فقال له علي: فمن تَتَّهم؟ فقال: لا أتَّهِمُك ولا أتَّهم كاتبي، فقام علي مغضباً وهو يقول: والله إنه لكتابُك وأمرُك.

وقال ابن إسحاق: أشار كبار الصحابة على عثمان بعزل عبد الله بن سعد عن مصر، وتَوليةِ محمد بن أبي بكر، فكتب لمحمد عهدَه، وخرج مع المصريين، فأرسل مروان كتاباً إلى ابن سعد بقتل محمد والمصريين، فالتقوا عبدَ عثمان على بعير، ومعه الكتاب

المذكور ـ والكتاب بخطّ مروان ـ فعادوا إلى علي، فدخل علي وطلحة والزبير على عثمان، فقالوا: ما هذا؟ فأنكر، فقال: العبدُ عَبدُك، والبعير بعيرُك، والكتاب بخطّ كاتبك، والختم خاتمك، فإن كنتَ فعلتَ فاعترف، فقال: والله ما عَلِمتُ به، فقالوا: فسلّم إليهم مروان، فأبى، فقاموا من عنده، ولَزِموا منازلَهم حنقاً عليه.

وقال هشام: وكان في الكتاب: واذبحْ محمد بنَ أبي بكر، واحشُ جلدَه تبناً.

وقال له المصريون: يا عثمان قد حلفتَ لنا ونكثتَ وأنكرتَ، وقد وجب خلعُك وقتلُك؛ لأنه لا يَخلو إما أن تكونَ كاذباً أو صادقاً، وقد ذكرناه.

وقال سيف بن عمر عن أشياخه: ولما جاءت الجمعة التي على أثر نُزولِ الجموع حول المدينة، وقد دخل منهم جماعةٌ إلى المسجد، ونزلوا حوله، خرج عثمان، فصعِد المنبر فقال: يا هؤلاء العِدى، اللهَ اللهَ، إن أهل المدينة ليَعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطايا بالصَّواب فإن الله لا يَمحو السِّيِّئَ إلا بالحَسَن.

فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهدُ بذلك، فأخذه حُكَيم بن جَبَلَة فأقعده، وقام زيد بن ثابت فثار إليه محمد بن أبي قُتَيرة فأقعده، وثار القوم بأجمعهم، فحَصَبوا عثمان حتى وقع عن المنبر مَغشيّاً عليه، وحَصَبوا الناس فأخرجوهم من المسجد، واحتُمل عثمان فأُدخل دارَه، وتفرَّق الناس من أهل المدينة في حيطانهم، ودخل علي وطلحة والزبير والصحابة على عثمان يَعودونه من صَرعته، وعزم قومٌ على القتال، منهم: سعد ابن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، والحسن بن علي، فأرسل إليهم عثمان يَنهاهم فكَفُّوا.

وقال سيف: صلّى بهم عثمان عشرين يوماً، ثم مَنعوه من الصّلاة.

وفي رواية سيف أيضاً عن محمد وطلحة وأبي حارثة قالوا: صلّى عثمان بالناس ثلاثين يوماً بعدما نزل القوم في المسجد، ثم مَنعوه الصَّلاةَ، وصلَّى بالناس أميرُ المصريين الغافقي، وتفرَّق أهلُ المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتَهم، لا يَخرج أحدٌ منهم ولا يَجلس ولا يَمشي إلا وعليه سيفُه خوفاً على نفسه، وكان الحصار الأوَّل عشرين يوماً، والحصار الأخير أربعين يوماً.

وحكى الواقدي عن أشياخه، منهم: عبد الله بن جعفر، حدَّثه عن أبي عَوْن مولى

المِسوَر قال: كان عمرو بن العاص عاملاً لعثمان بمصر على الخراج، فعزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، ثم جمعَهما لعبد الله بن سعد.

فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يَطعن على عثمان، فأرسل إليه عثمان يوماً وكان خالياً، فجاءه فقال: يا ابن النابغة، ما أسرع ما [قَمِل جُرُبّانُ] جُبَّتك، إنما عَهدُك بالعمل عامَ أوَّل، أتطعن عليَّ، وتأتيني بوَجهٍ وتَذهبُ عني بآخر؟! والله لولا الله لفعلتُ وفعلتُ، فقال له عمرو: اتّقِ الله يا أمير المؤمنين؛ فإن كثيراً مما يَنقل الناسُ إلى وُلاتهم باطل.

فقال له عثمان: والله لقد استعملتُك على ظَلَعِك وكَثرةِ القالة فيك، فقال عمرو: قد كنتُ عاملاً لعمر بن الخطاب قَبلَك، ففارقَني وهو عني راضٍ، فقال له عثمان: والله لو أخذتُك بما أَخَذك به عمر لاستقمتَ، ولكنني لِنتُ لك، فاجترأتَ عليّ، أما والله لأنا أعزُّ منك نَفراً في الجاهلية، وقبل أن ألي هذا السُّلطان.

فقال له عَمرو: دع عنك هذا، إن الإسلام قد جَمعنا، فالحمد لله الذي هدانا بمحمد وأكرمنا به، قد رأيتُ العاص بن وائل ورأيتُ أباك عفّان، فوالله لَلعاص كان أشرفَ من أبيك، فانكسر عثمان وقال: ما لنا ولذِكر الجاهلية.

ثم خرج عمرو ودخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين، قد بلغتَ مَبلغاً يَذكر عمرو بنُ العاص أباك! فقال عثمان: دع هذا عنك، مَن ذكر أبا الرجل ذكر أباه.

وخرج عمرو من عند عثمان وهو حَنِقٌ عليه، فأتى علياً فألّبه على عثمان، وأتى طلحة والزبير ففعل كذلك، وجعل يتعرَّض للحاج، فيُخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان الحصار الأول خرج عمرو من المدينة، فنزل فلسطين بمكان يقال له: السَّبْع، في قصرٍ يقال له: العَجلان، وجعل يقول: العجب مما يأتينا عن ابن عفان.

قال: فبينا هو جالسٌ في القصر ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن رَوْح الجُذاميّ؛ إذ مرَّ بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قَدِم الرجل؟ قال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل ـ يعني عثمان؟ قال: تركتُه محصوراً شديد الحصار، فقال عمرو: الله أكبر، أنا أبو عبد الله، قد يَضرُطُ العَيْرُ والمِكواةُ في النّار(١).

---

(١) انظر جمهرة الأمثال ٢/ ١٢٣، ومجمع الأمثال ٢/ ٩٥.

فلم يبرح مجلسَه حتى مرَّ به راكبٌ آخر، فناداه عمرو: ما فعل الرجل؟ قال: قُتل، قال: الله أكبر، أنا أبو عبد الله، إذا حَككتُ قَرحةً نكأتُها، إن كنتُ لأُحرِّضُ عليه حتى الراعي في غنمه في شواهق الجبال.

فقال له سلامة بن رَوْح الجُذاميّ: يا معاشر قريش، إنه قد كان بينكم وبين العرب بابٌ وَثيقٌ فكسرتُموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردْنا أن نُخرجَ الحقَّ من خاصرة[1] الباطل، وأن يكون الناس في الحقِّ شَرَعاً سَواء.

وكانت عند عمرو يومئذ أمُّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، أخت عثمان لأمِّه، ففارقها حين عَزله عثمان.

فقال أبو القاسم السِّمناني: أوَّلُ رجلٍ لَقيه عمرو قال له: ما اسمُك؟ قال: حرب، قال: حورب والله الرجل، وسأل الثاني فقال: ما اسمُك؟ فقال: مقتول، قال: قُتل الرجل، ثم قال: ما وراءك؟ قال: وَلّوا ابن أبي طالب، فقال: جاءنا والله شرٌّ من الذي ذهب.

وقال الواقدي: حدثني شُرحبيل بن أبي عَون، عن أبيه قال: سمعتُ عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغوث يقول: قبَّح الله مروان بن الحكم، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرِّضا، وبكى على المنبر، وبكى الناسُ حتى نظروا إلى لحية عثمان مُخضلَّةً بالدُّموع، وهو يقول: اللهمَّ إني أتوب إليك ـ ثلاثاً ـ والله، لو رَدَّني الحقُّ إلى أن أكون عبداً لأرضيَنَّ به، إذا دخلتُ إلى منزلي فادخلوا عليَّ، فوالله لا أحتجبُ منكم، ولأُعطينّكم الرِّضا، ولأزيدنّكم على الرِّضا، ولأُنَحِّيَنَّ مروان وذريته[2].

قال: فلما دخل أمر بالباب ففُتح، ودخل عليه مروان، فلم يزل يَفتِلُه في الذِّروة والغارب حتى ألفته عن رأيه، وأزاله عما كان يُريد أن يفعل، فلقد مكث عثمان ثلاثةَ أيام لا يَخرج حياءً من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شاهَت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجةٌ إلى أحدٍ منكم يُرسل إليه، وإلا قَرَّ في بيته.

قال عبد الرحمن: فأتيتُ علياً وهو بين القبر والمنبر، وعنده عمار بن ياسر ومحمد ابن أبي بكر، وهما يقولان: صَنع مروان بالناس وصَنع وصَنع، فقال لي علي:

(١) في الطبري ٤/ ٣٥٧: حافرة.

(٢) في الطبري ٤/ ٣٦٣: وذويه.

حَضرتَ خُطبةَ عثمان؟ قلتُ: نعم، قال: أفحضرتَ مقالةَ مروان للناس؟ قلتُ: نعم، فقال علي: إن قعدتُ في بيتي قال: تركتَني وقرابتي وحقِّي، وإن تكلَّمتُ فجاء بما يريد يَلعبُ به مروان كيف أراد، ويَسوقه حيث شاء، بعد كِبَر السنِّ وصُحبةِ رسول الله ﷺ.

قال عبد الرحمن: فلم يقم عليّ حتى جاء رسول عثمان يقول: ائتِني، فقال علي بصوتٍ مُرتفعٍ مغضباً: قل له ما أنا بداخلٍ عليك، ولا عائدٍ إليك، قال: فانصرف الرسول، فلقيتُ عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً، فسالتُ غُلامَه: من أين جاء؟ فقال: كان عند علي.

قال عبد الرحمن: فغدوتُ على عليّ فقال: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إنني غيرُ عائدٍ، وإني فاعل كذا وكذا، فقلتُ له: أبعد ما تكلَّمتَ على منبر رسول الله ﷺ، فأعطيتَ من نفسك، ثم دخلتَ بيتك، وخرج مروان إلى الناس يَشتمهم على بابك، ويؤذيهم وأنت تَسمع، قال: فرجع وهو يقول: قطعتَ رَحِمي، وخذلتَني، وجرَّأتَ الناس عليّ، فقلتُ: والله إني لأذبُّ الناس عنك، ولكن كلما جئتُك بهَنَةٍ أظنُّها لك رضاً سمعتَ قولَ مروان، واستدخلتَ مروان، ثم لم يزل علي حتى أدخل الرَّوايا على عثمان.

وقال أحمد بإسناده عن محمد بن عبد الملك بن مروان، أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة: أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال له: إنك إمامُ العامّة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أَعرضُ عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهُنّ: إما أن تَخرج فتُقاتلَهم، فإن معك عَدداً وقوّة، وأنت على الحقِّ وهم على الباطل، وإما أن نَخرقَ لك باباً سوى الباب الذي هم عليه، فتَقعُدَ على رَواحِلك، فتَلحقَ بمكة، فإنهم لن يَستَحِلُّوك وأنت بها، وإما أن تَلحقَ بالشام، فإنهم أهلُ الشام، وفيهم معاوية.

فقال عثمان: أمّا أن أخرجَ فأُقاتلْ، فلن أكونَ أوّلَ مَن خَلَف رسولَ الله ﷺ في أمته بسفك الدِّماء، وأمّا خُروجي إلى مكة فإنهم لن يَستَحلُّوني بها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُلحِد رجلٌ في الحَرم من قريش أو بمكة، يكونُ عليه نصفُ عذاب العالم»، وأمّا أن ألحَقَ بالشام، فلن أُفارقَ دارَ هجرتي، ومجاوَرةَ رسول الله ﷺ[1].

(١) مسند أحمد (٤٨١).

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل بن أبان الوَرَّاق، بإسناده عن ابن أَبْزى، عن عثمان بن عَفَّان قال: قال لي عبد الله بن الزبير: إنّ عندي نجائبَ أعدَدْتُها لك، فهل لك أن تتحوَّلَ إلى مكة فيَأتيك مَن أرادَ أن يأتيك؟ قال: لا، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُلحِد بمكة كَبْشٌ من قُريشٍ، اسمُه عبد الله، عليه مِثلُ نصفِ أوزارِ الناس»[1].

ذكر ما قالوا لعثمان في خلْعه وما قال لهم:

قال ابن سعد بإسناده عن نافع، عن ابن عمر قال: قال لي عثمان وهو مَحصورٌ في الدار: ما ترى فيما أشار به عليَّ المغيرةُ بنُ الأخنس؟ فقلت: وما الذي أشار به؟ قال: قال لي: إن هؤلاء القوم يُريدون خَلعي، فإن خَلَعْتُ تركوني، وإن لم أخلَع قتلوني، قال: فقلتُ: أرأيتَ إن خَلَعْتَ تُترَك مُخلَّداً في الدنيا؟ قال: لا، قلتُ: فهل يَملكون الجنةَ والنّار؟ قال: لا، قلتُ: أرأيتَ إن لم تَخْلَع هل يَزيدون على قتلك؟ قال: لا، قلتُ: فلا أرى أن تَسُنَّ هذه السُّنَّةَ في الإسلام، كلما سَخِط قومٌ على أميرهم خَلَعوه، لا تَخْلَع قميصاً قَمَّصَك الله.

وروى ابن سعد عن عثمان أنهم كانوا يَدخلون عليه وهو مَحصور، فيقولون: اعتزِلْنا، فيقول: لا أَنزِعُ سِربالاً سَرْبَلَنيه الله عز وجل، ولكن أَنزِعُ عما تكرهون.

قال ابن سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن جُبير قال: قال رسول الله ﷺ لعثمان: «إنْ كساك الله يوماً سِربالاً، فأرادك المنافقون على خَلْعه فلا تَخْلَعْه لظالم».

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي سَهْلة مولى عثمان، قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وَدِدْتُ أنّ عندي بعضَ أصحابي»، فقالت عائشة: فقلتُ: يا رسول الله، أدعو لك أبا بكر؟ فسكتَ، فعرفتُ أنه لا يُريده، فقلتُ: أَدْعُو لك عمر؟ فسكتَ، فعرفتُ أنه لا يُريده، فقلتُ: أدعو لك عثمان بن عفان؟ قال: «نعم»، فدعوتُه، فلما جاء أشار إليَّ

---

(١) مسند أحمد (٤٦١) وإسناده والذي قبله ضعيف، ومتنه منكر، وانظر الكلام عليهما في المسند.

وجاء في هامش (خ) ما نصه: أنا أتعجب من أمره غاية العجب، فإني ما رأيتُ كتاباً فيه تفصيل قصة عثمان ﷺ إلا وقد كتب فيه أنه ﷺ كلما عُرض عليه من أمر الحرب شيء يمنعه غاية المنع، حتى نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال يوماً لعبيده وقد رأى بعضهم يريد القتال: مَن ألقى سلاحه فهو حرّ، ومع هذا فقد أجمع أهل التاريخ أن عثمان ﷺ كتب إلى عماله بإرسال الجيوش إليه، وقد ذكر في هذا الكتاب أيضاً في مواضع كثيرة.

رسولُ الله ﷺ أن تَباعدي، فجاء عثمان، فجلس إليه، فجعل رسول الله ﷺ يقول له ولَونُ عثمانَ يتغيَّر.

قال قيس: فأخبرني أبو سَهْلَةَ قال: لما كان يومُ الدَّار قيل لعثمان: ألا تُقاتل؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً وأنا صابرٌ عليه، قال أبو سهلة: فيرُون أنه ذلك اليوم.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي أُمامة بن سهل، قال: كنتُ مع عثمان في الدار وهو مَحصور، فخرج إلينا مُنْتَقِعاً لونُه فقال: إنهم لَيَتَوعَّدونني بالقتل آنِفاً، قلنا: يَكفيكَهم الله، فقال: ولِمَ يَقتلونني وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجلٍ كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نَفْساً بغير حقّ، أو بغير نفس»، ووالله ما زَنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام قط، ولا تمنَّيتُ أن [لي] بدِيني بَدَلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفساً، ففيم يَقتلونني؟

وقال ابن سعد بإسناده عن مجاهد قال: أشرفَ عثمان على الذين حصروه فقال: يا قوم، لا تقتلوني فإني والٍ وأخٌ مُسلم، فوالله إنْ أردتُ إلا الإصلاح ما استطعتُ، أصبتُ أو أخطأتُ، وإنكم إنْ تقتلوني لا تُصلُّون جميعاً، ولا يُقسَم فَيْئُكم بينكم أبداً، فلما أَبَوا قال: اللهمَّ أَحْصِهم عدداً، واقتُلْهم بَدَداً، ولا تُبقِ منهم أحداً.

قال مجاهد: فقتلَ الله منهم مَن قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى أهلِ المدينة عشرين ألفاً، فأباحوا المدينة ثلاثاً؛ يَصنعون ما شاؤوا لمداهَنَتِهم[١].

وفي رواية فقالوا: اخلع نفسَك، فقال: لا ولا كَرامة، إن رسول الله ﷺ قال: «يا عثمان، إن الله مُقَمِّصُك قميصاً، فإنْ أرادوك على خَلْعه فلا تخلَعْه لهم ولا كَرامة» قالها مرتين أو ثلاثاً[٢].

وقد أخرج أحمد في «المسند»[٣] بمعناه فقال: حدثنا موسى بن داود بإسناده، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كنتُ عند النبي ﷺ فقال: «يا عائشة، لو كان

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٢-٦٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢٧٩ (عثمان).

(٣) برقم (٢٤٤٦٦).

عندنا مَن يُحدِّثنا»، قالت: فقلتُ: يا رسول الله، ألا أبعَثُ إلى أبي بكر؟ فسكتَ، قالت: ثم قال: «لو كان عندنا مَن يُحدِّثنا»، فقلتُ: ألا أبعَثُ إلى عمر؟ فسكت، ثم دعا وَصيفاً بين يديه، فسارَّه بشيءٍ فذهب، فإذا عثمان يَستأذن، فأذن له، فدخل، فناجاه طويلاً، ثم قال: «يا عثمان، إن الله مُقَمِّصُك قميصاً، ...» وذكره.

وقال أحمد بإسناده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان وهو محصور في القصر، فقال: أَنْشُدُ بالله مَن سمع من رسول الله ﷺ يومَ حِراء إذِ اهتزَّ الجَبل فرَكَله برِجله، ثم قال: «اسكُنْ حِراء، فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيد» وأنا معه؟ فانتشَدَ له رِجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله مَن شَهد بَيعةَ الرِّضوان وقد بَعَثني رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مكة، فقال: «هذه يدي، وهذه يدُ عثمان» فبايع لي؟ فانتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله من سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن يُوَسِّع لنا بهذا البيت في هذا المسجد بنى الله له بيتاً في الجنة»، فاشتريتُه بمالي، فوَسَّعتُ به في المسجد؟ فانْتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله مَن سمع رسول الله ﷺ - أو شَهد رسولَ الله ﷺ - يقول يومَ جيشِ العُسرة: «مَن يُنفِق اليوم نَفَقةً مُتقَبَّلَةً»، فجهَّزتُ نِصفَ الجيش بمالي؟ فانتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله رجلاً شَهِد بئرَ رُوْمَةَ يُباع ماؤها، فابتعتُها بمالي، أو من مالي، وأَبَحتُها ابنَ السبيل؟ فانتَشَد له رجال. أخرجه أحمد في «المسند»[١].

وأخرج البخاري طرفاً منه عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: إن عثمان لما حَصَروه أشرفَ عليهم من دارِه وقال: أَنْشُدكم اللهَ يا أصحابَ محمد، ولا أَنْشُدُكم إلا أنتم، ألستُم تَعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَن جَهَّز جيشَ العُسْرَةِ فله الجنَّة» فجهَّزتُه؟ ألستُم تَعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفر بئر رُومَةَ فله الجنة» فحفرتها؟ قال: فصدَّقوه بما قال[٢].

(١) برقم (٤٢٠).
(٢) صحيح البخاري (٢٧٧٨).

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي ليلى الكِندي قال: شهدتُ عثمان وهو محصور، فاطَّلع من كُوٍّ وهو يقول: أيها الناس، لا تَقتلوني واستَتيبوني، فوالله لئن قتلتُموني لا تُصلُّون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتَختَلفُنّ حتى تَصيروا هكذا، وشبَّك بين أصابعه، ثم قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ الآية [هود: ٩٠]، ثم أرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: ما ترى؟ فقال: الكفَّ الكفَّ، فإنه أبلغُ لك في الحُجَّة.

وفي رواية أنه قال: والله لئن قَتلتُموني لا تَضعون السَّيفَ عن أعناقكم أبداً إلى يوم القيامة، فقالوا: أمّا ما ذكرتَ مما يُصيبنُا من البلاء، فإنه لا يحلُّ تَركُ إقامةِ الحقِّ مخافةَ الفتنة في المستقبل، وأما قولك: فإنه لا يَحلُّ قتلُ غير الثلاثة الذين ذكرتَهم، فقتلُ السَّاعي بالفساد في الأرض، والباغي، ومَن حال بين الحقِّ وأهله واجبٌ، وقد بغيتَ، ومنعتَ الحقَّ، وكابرتَ، فلو خلعتَ نفسَك لانصرفنا عنك(١).

ذكر من كان يصلي بالناس وعثمان محصور:

واختلفوا في ذلك:

أخرج البخاري عن عُبيد الله بن عديّ بن الخيار، أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال له: إنك إمامُ العامَّة، وقد نزل بك ما ترى، وإنه يُصلّي بنا إمامُ فتنة، وأنا أتحرَّجُ من الصلاة معه؟ فقال عثمان: إن الصلاة من أحسن ما يَصنَعُ الناس، فإذا أحسن الناسُ فأحسِنْ معهم، وإذا أساؤوا فاجتنِبْ إساءَتَهم(٢).

وإنما قال ابنُ الخيار هذا لأنه أقام القومُ على الصلاة الغافقيَّ، وقيل ابن عُدَيْس، وقيل كِنانة بن بشر.

وروى ابن إسحاق عن أشياخه قال: وأشرف عثمان وهو محصور فقال: أين عبد الله ابن عباس؟ فأجابه، فقال: اذهب على الموسم فحُجَّ بالناس، فقال: يا أمير المؤمنين، الجهاد في هؤلاء أحبُّ إليّ، فأقسم عليه، ثم قال عثمان: لِيُصَلِّ بالناس الجمعة والعيد

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٦٧.
(٢) صحيح البخاري (٦٩٥).

عليُّ بن أبي طالب، وباقي الصلوات سَهْل بن حُنَيْف، وقيل صلى بهم طلحة، وقيل الزبير الصلوات الخمس.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رومان قال: لما حُصر عثمان جاء المؤذِّنُ سعدٌ القرظي إلى علي عليه السلام، فقال: مَن يُصلّي بالناس؟ قال: سهل ابنُ حُنَيف، فلما كان يوم العيد صلّى عليّ بالناس، وقيل صلى بهم كِنانة بن بشر.

وقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئتَ كنا أنصار الله مرتين، فقال عثمان: أما القتال فلا.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قال عثمان يومَ الدّار: أعظمُكم عنّي غَناءً رجلٌ كفَّ يده وسلاحَه.

وروى ابن سعد أيضاً بإسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: دخلتُ على عثمان يومَ الدار، فقلتُ: يا أمير المؤمنين: طاب امْضَربُ، فقال: يا أبا هريرة، أيَسُرُّك أن تَقتُلَ الناس جميعاً وإيّاي؟ قلت: لا، قال: فإنك والله إنْ قتلتَ رجلاً واحداً فكأنما قتلتَ الناس جميعاً، قال: فرجعتُ ولم أُقاتل[1].

قلتُ: والظاهر أن قولَ أبي هريرة: طاب امْضَرْبُ ليس له معنى، والأصحُّ ما ذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله في «الأنساب»[2] عن أبي هريرة قال: إني لمحصورٌ مع عثمان في الدار، إذ رَمى رجلٌ بسهم، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، طاب الضِّراب، قتلوا منا رجلاً، فقال عثمان: عَزَمْتُ عليك يا أبا هريرة إلا ما رميت سيفَك، فإنما تُراد نَفْسي، وسَأقي المسلمين أو المؤمنين بنفسي، قال: فرميتُ بسيفي، فلا أدري أين هو إلى الساعة.

وقال ابن سعد بإسناده: أمّر عثمان عبد الله بن الزُّبير على الدار، وقال: مَن كانت

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٦، وقوله: طاب امضرب، قال ابن الأثير في النهاية (طيب) أراد: طاب الضرب، فأبدل لام التعريف ميماً، وهي لغة معروفة.

(٢) التبيين ١٨٠.

لي عليه طاعةٌ فليُطع ابنَ الزبير.

وفي رواية ابن سعد، قال ابنُ الزبير: يا أمير المؤمنين، قاتلْهم، فوالله لقد حلَّ لك قتالُهم أبداً، وإن في الدّار عصابة مُستنصِرةً بنصر الله بأقلَّ منهم، فأذنْ لي فلأُقاتِلْ، فقال: أَنشُدُ الله ـ أو أُذكِّر الله ـ رجلاً أهراق فيَّ دمَه، أو فيَّ مِحْجَمةَ دمٍ.

وقال ابن سعد بإسناده عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان في الدَّار يومئذٍ سبعُ مئة، لو يَدعهم لضَربوهم حتى يُخرجوهم من أقطارها، ابنُ عمر والحسن بن علي وابن الزبير.

وقال ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن أبي جعفر القاري مولى ابنِ عياش المخزومي قال: كان المصريّون الذين حصروا عثمان ستّ مئة، رأسُهم عبد الرحمن ابن عُدَيْس البَلَوي، وكِنانة بن بشر بن عَتَّاب الكِندي، وعمرو بن الحَمِق الخزاعيّ، والذين قَدِموا من الكوفة مئتين، رأسُهم مالك الأشتر النّخَعي، والذين قدموا من البصرة مئة، رأسُهم حُكَيم بن جَبَلة العبدي، وكانوا يداً واحدة في الشرّ، وكان حُثالةٌ من الناس قد ضَوَوا إليهم، قد مَرِجَت عُهودُهم وأماناتهم، مَفتونون، وكان أصحابُ النبي ﷺ الذين خَذلوه كرهوا الفِتنة، وظنوا أن الأمر لا يَبلُغُ قتلَه، ثم ندموا على ما صنعوا في أمره، ولعَمري لو أقاموا أو أقام بعضُهم فحثا في وجوههم التُّراب لانصرفوا خائبين.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن الحكم بن القاسم، عن أبي عون مولى المِسور ابن مَخْرَمة قال: مازال المصريُّون كافّين عن دمه وعن القتال حتى قدمت أمدادُ وفود أهل العراق من الكوفة والبصرة، فلما جاؤوا شَجُعَ القوم حين بلغهم أن البُعوثَ قد فَصَلَتْ من العراق من عند ابن عامر، ومن مصر من عند ابن سعد، فقالوا: نُعاجِلُه قبل أن تَقدم الأمداد.

وفي رواية: وكان عثمان قد كتب إلى عُمَّاله: الوَحا الوَحا، فنَفروا على الصَّعبة والذَّلول.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه، قال مالك بن أبي عامر: خرج سعد ابن أبي وقاص من عند عثمان وهو محصور، فرأى عبد الرحمن بنَ عُدَيْس، والأشتر النَّخعيّ، وحُكَيم بن جَبَلَة، فصَفّق بيده على الأُخرى، ثم استَرجعَ وقال: إن أمراً

هؤلاء رؤساؤه لأمرُ سوء(١).

وقال محمد بن إسحاق: كتب أهلُ مصر من ذي خُشُب، وكتب أهلُ المدينة إلى عثمان، لا نَرضى منك إلا بالتوبة، والرجوعِ عما أنت عليه، فلما خاف القتل شاور بني أمية فقالوا: الرأيُ أن تبعثَ إليهم علياً، فيَرُدَّهم ويعطيهم ما يطلبون، ويُطاولهم مُدّة، فقال: إن القوم لن يَقبلوا التعليل، ومتى أعطيتُهم ذلك سألوني الوفاءَ به، وقد أعطيتُهم في الأول عهداً ولم أفِ لهم به، فقال له مروان: إنما هم بُغاةٌ، ولا عهدَ لهم، فطاوِلْهم مُدَّةً إلى أن تأتيك الأمداد.

فدعا علياً وقال له: يا أبا الحسن، إنه قد كان من أمر الناس ما رأيتَ، ولستُ آمنُهم على قتلي، فارددْهم عني، ولله عليَّ أن أُعطيَهم كلَّ ما يَطلبون، وأُزيل عنهم ما يَكرهون مني ومن غيري، وإن كان في ذلك سَفْكُ دمي.

فقال له علي: الناسُ إلى عَدْلك أحوجُ منهم إلى قَتْلك، وقد كنتَ أعطيتَهم في قَدمَتهم الأولى عهداً لتَرجعَنَّ عن جميع ما نقموا عليك، فرددتَهم عنك، ثم لم تفِ لهم بشيءٍ من ذلك، فلا تَغُرّني في هذه المرة كما فعلتَ، ووالله لئن أعطيتَهم الحقّ لأفينَّ لهم(٢).

ثم خرج عليّ إلى الناس فقال: إن عثمان قد زعم أنه مُنصِفُكم من نفسه ومن غيره، وراجعٌ عن جميع ما تكرهون، فقالوا: قد قبلنا ورضِينا، فاستوثِقْ لنا منه، فإنّا والله لا نَرضى بقولٍ دون فعل، فعاد إليه فأخبره، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مُهلة، فإني لا أقدِرُ على ردِّ ما كَرهوا في يوم واحد، فقال له علي: ما كان حاضراً بالمدينة لا أجلَ فيه، وما غاب فأجَلُه وصولُ أمرِك. فقال: نعم، ولكن أَجِّلني فيما كان في المدينة ثلاثةَ أيام، قال علي: نعم، وخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك فرَضُوا، وكتبوا بينهم وبينه كتاباً أجَّلوه ثلاثة أيام؛ على أن يَردَّ كلَّ مَظلمة، ويَعزِلَ كلَّ عاملٍ كرهوه، وأخذ عليه في الكتاب أعظمَ ما أخذ الله على أحدٍ من خلقِه من عهدٍ

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٧-٦٨.

(٢) في الطبري ٤/ ٣٧٠: فلا تغرني... فإني معطيهم عليك الحق، قال [يعني عثمان]: نعم فأعطهم، فوالله لأفينّ لهم.

وميثاق، وأشهد عليه وُجوهَ المهاجرين والأنصار.

فكفَّ المسلمون عنه، ورَجَوا أن يَفيَ لهم من نفسه بما أخذوا عليه، فجعل يَتأهَّبُ للقتال، ويَستعدُّ بالسلاح، وقد كان اتّخذ عَبيداً [من رقيق] الخُمْس، فلما مضت الأيامُ الثلاثة ـ وهو على حاله لم يردّ مَظلمة، ولم يَعزل عاملاً، ولم يُغيِّر شيئاً مما يَكرهون ـ ثار به الناس.

وخرج ابن حَزْمٍ الأنصاري، فأتى المصريّين بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، فدخلوا المدينة، وأرسلوا إلى عثمان: ألم تُعطِنا عهدَ الله على إزالة ما نكره، وأنك تائبٌ من إحداثك؟ وأين العهود والمواثيق؟ وكانوا قد وجدوا كتابَه إلى ابن سعد بقتلِهم، فلما بعثوا إلى عثمان بهذا قال: بلى، وأنا مقيمٌ على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب، وما هذا الفعل؟ فقال: الخَطُّ قد يُشبه الخط، والجمل فيُسرق، قالوا: فقد رضينا وقَبِلنا عُذرَك، من الآن فاردُد المظالم، واعزِلْ عُمَّالك، واستعمل علينا مَن لا نَتَّهمه في أموالنا وحَريمنا ودمائنا، فقال عثمان: فما أُراني إذن في شيءٍ إن كنتُ أستعمِل مَن هَويتم، وأعزِل مَن كَرِهتُم، فقالوا: والله لنَقتُلَنّك، فحصروه أربعين ليلة، وطلحةُ يُصلّي بالناس، ثم قتلوه.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث عثمان إلى عليّ يَدعوه وهو محصور في الدار، فأراد أن يأتيَه، فتعلَّقوا به ومنعوه، قال: فحلَّ عمامةً سوداءَ عن رأسه وقال: اللهمَّ لا أرضى قتلَه ولا آمُر به، يُكرّرها.

وفي رواية ابن سعد، عن أبي فَزارة العبسيّ قال: فقام عليّ ليأتيه؛ فقام بعض أهله فمنعه، وفي رواية: فقام بنو هاشم فمنعوه وقالوا: أما تَرى إلى ما بين يديك من الكتائب؟ لا تَخلُصُ إليه أبداً، فنقض علي عِمامته، ورمى بها إلى رسول عثمان وقال: أخبِرْه بالذي رأيتَ، ثم خرج عليّ من المسجد حتى انتهى إلى أحجار الزيت في سوق المدينة، فأتاه قتلُه فقال: اللهمَّ إني أبرأُ إليك من دمه [أن أكون قَتلتُ]، أو أكونَ مالأتُ على قتلِه[1].

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٤-٦٥ .

وقال هشام: كتب عثمان إلى عليّ وهو محصور: [من الطويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ أنت آكِلي ... وإلا فأدرِكْني ولما أُمَزَّقِ[(١)]

فقام علي متقلِّداً سيفَه، وقام إليه بنو هاشم فقالوا: نخافُ عليك القتل، والله لا نُمكّنك من المضيّ أبداً.

وروى ابن إسحاق، عن أشياخه قال: لما طَلب عثمان علياً جاء مُتقلداً لسيفه، يَشُقُّ الصّفوف، حتى وقف بباب عثمان، وقال لابنه الحسن: ادخل إليه، وقل له: إنما جئتُ لنُصرتِك، فما تأمُرني؟

فقال: قلْ له: لا حاجةَ لي في إهراق الدّماء، فخرج إليه فأخبره، فرمى عمامتَه وقال: الله أكبر ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[يوسف: ٥٢].

وقال البلاذريّ: الأصح أن عثمان قُتل وعلي بظاهرِ المدينة، في قريةٍ يُقال لها البُغَيْبِغَة[(٢)].

وقال المسعودي: لما أحدقوا بالدار طَلبوا من عثمان أن يُسْلم إليهم مروان، فأبى[(٣)].

ولما بلغ علياً أنهم قاتلوه أرسل إليه بالحسن والحسين مع مواليه بالسلاح يقاتلون عنه، وبعث إليه طلحةُ ابنَه محمد، والزبير ابنَه عبد الله.

وقال الواقدي: جاءهم عبد الله بن سلام، فوقف عليهم وصاح: يا قوم، إنه والله ما قتلتْ أمّةٌ نبياً إلا قُتل مكانه سبعون ألفاً، ولا قتل قومٌ خليفةً إلا قُتل مكانه خمسةٌ وثلاثون ألفاً، فسَبُّوه وقالوا: يا ابنَ اليهوديّة.

وقال عثمان لعبيده: مَن أغمد سيفَه فهو حُرّ، فبينما عثمان كذلك أحرقوا الباب.

قال الواقدي: لما مضى من الحصار خمسةٌ وثلاثون يوماً، وقد طرحوا رُقَباء على علي وطلحة والزبير، وقالوا: إن تَحرّكوا اقتُلوهم، فلما حِيل بينهم وبين عثمان بعثوا

---

(١) البيت في الأصمعيات ١٦٦ للممزّق العبدي.

(٢) انظر أنساب الأشراف ٢/ ١٤٨ .

(٣) انظر مروج الذهب ٤/ ٢٨١ .

إليه بأولادهم، فقال عثمان: أَغمِدوا سيوفكم، وما صَبري إلا بالله، فإني رأيتُ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر في المنام وهم يقولون: اصبر، فإنك ستصلُ إلينا في وقت كذا وكذا، في اليوم الذي قُتل فيه.

قال: وبلغ القوم أن الأمدادَ واصلةٌ إليهم، فجَدُّوا في أمره، ومَنَعوه الماء، فأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأزواج النبي ﷺ يقول: قد مَنعوني الماء، فجاء عليّ إليهم، فوقف عليهم وقال: إن الروم تأسِر فتُطعم وتَسقي، وفِعلُكم لا يُشبِه فعلَ المسلمين ولا فعلَ الكافرين، فقالوا: لا ولا كَرامة، لا نَسقيه ولا نُطعمه حتى يَخلعَ نَفْسَه.

وجاءت أمُّ سلمة، وقيل أم حبيبة، زوجةُ النبي ﷺ راكبةً على بغلةٍ، وهي مُشتملةٌ على إداوةٍ، فقالت لهم: إن وصايا بني أمية عند هذا الرجل، وإني أحبُّ لقاءه، فقالوا: كذبْتِ، وقُطع ذَنب بَغْلتها بالسيف، فلم تصل إليه.

قال: وخرجت عائشة هاربةً إلى مكة، سألت أخاها محمداً أن يَصحَبها فأبى.

وقال هشام: عَزمَتْ عائشةُ على الحجِّ وعثمان مَحصور، فجاءها مروان فقال: أتخرُجين وأميرُ المؤمنين محصور؟ لا تفعلي، فإن مقامك مما يَدفع الله به، فأبت فتمثّل مروان: [من المتقارب]

وحَـرَّقَ قـيـسٌ عـلـيَّ الـبـلادَ حـتـى إذا اسـتَـعَـرَتْ أجـذَمـا

فقالت عائشة: أيُّها المتمثِّل عليَّ بالأشعار، وددتُ والله أنك وصاحبَك هذا الذي يَعْنيك أمرُه؛ في رِجل كلِّ واحدٍ منكما رَحى، وأنكما في البحر، ثم خرجت.

وقال ابن إسحاق: أشرف عثمان من داره وقد اشتدَّ به العَطَش، فقال: هل فيكم من يُبلِّغ علياً عَطَشنا، فأبلغوه، فأرسل إليه بثلاث قِرَب من الماء مع عبيده وطائفةٍ من بني هاشم، فما وصلت إليه إلا بعد مشقّة.

وكانوا قد وَكلوا بعلي وطلحة والزبير رُقَباء، فوضعوا على علي خالد بن مُلْجَم في نفرٍ، وعلى طلحة سُودان بن حُمْران، وقالوا: إن تحرّكوا اقتلوهم.

ذكر مقتله رضي الله عنه:

قد أخبر رسول الله ﷺ بذلك.

قال أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فمرَّ رجلٌ مُقَنَّع، فقال رسول الله ﷺ: «يُقتَل فيها هذا المقنَّعُ مظلوماً»، قال ابن عمر: فنظرت فإذا الرجل عثمان[١].

رَجَعْنا إلى قتل عثمان، قال الطبري في تاريخه: حدثني يعقوب، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عَوْن بإسناده، وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد:

أن محمد بن أبي بكر تَسوَّر على عثمان من دارِ عمرو بن حزم، ومعه كِنانة بن بِشْر ابن عتَّاب وسُودان بن حُمران وعمرو بن الحَمِق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة، وهو يقرأ سورة البقرة من المصحف، فتقدَّمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان وقال: قد أخْزاك الله يا نَعْثَل، فقال عثمان: لستُ بنَعْثَل ولكني عبد الله وأميرُ المؤمنين، فقال محمد: ما أغنى عنك مُعاوية وفلان وفلان؟ فقال عثمان: يا ابن أخي، دعْ عنك لحيتي فما كان أبوك ليَقْبضَ على ما قبضتَ عليه، فقال محمد: ما أُريدُ بك أشدَّ من قبضتي على لحيتك، فقال عثمان: أَستنصِرُ بالله عليك وأستعينُ به، ثم طعن جبينَه بمِشْقَصٍ في يده، ورفع كِنانةُ بن بشر بن عتّاب مَشاقِصَ كانت في يده فوَجأ بها في أصل أُذُن عثمان، فمضت حتى دخلت في حَلْقه، ثم علاه بالسيف حتى قتلَه.

قال عبد الرحمن بن عبد العزيز: فسمعتُ ابنَ أبي عون يقول: ضرب كِنانة بن بِشر جبينَه ومُقَدَّم رأسِه بعمود حديد، فخرَّ لجَنبه، وضربه سُودان بن حُمران المراديّ بعدما خَرَّ لجَنبه فقتله، وأما عمرو بن الحَمِق فوَثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رَمَقٌ، فطعنه تسعَ طَعْنات وقال: أما ثلاثٌ منهنّ فإني طعنتُهنّ لله، وأما ستّ فإني طعنتُه لما كان في صدري عليه[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن الزبير بن عبد الله، عن جدّته قالت: لما ضربه بالمشاقِص قال عثمان: بسم الله توكَّلتُ على الله، وإذا الدَّمُ يَسيل على لحيته يَقطُر، والمصحف بين يديه، فاتّكأ على شِقّه الأيسر وهو يقول: سبحان الله العظيم، وهو في ذلك يَقرأ في

(١) مسند أحمد (٥٩٥٣).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٧١، وطبقات ابن سعد ٣/ ٧٠ واللفظ له.

المصحف، حتى وقف الدَّمُ عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧]، وأطبق المصحف، وضربوه جميعاً ضربةً واحدة فقتلوه، ولقد كان يُحيي الليلَ في ركعة، ويَصلُ الرَّحم، ويُطعم الملهوف، ويَحمل الكَلّ، فرحمه الله.

وقال ابن سعد عن الزهري قال: قُتل عثمان عند صلاةِ العصر، وشدَّ عبدٌ لعثمان أسود على كِنانه بن بِشر فقتله، وشدَّ سُودان على العبد فقتله، ودخلت الغَوغاء دار عثمان، فصاح إنسانٌ منهم: أيَحِلُّ دمُ عثمان ولا يحلُّ مالُه؟ فانتهبوا مَتاعَه، فقامت نائلة وقالت: لُصوص وربِّ الكعبة، أعداءَ الله، ما ركبتُم من دم عثمان أعظم، أما والله لقد قتلتموه صوَّاماً قوَّاماً، يَقرأ القرآن في ركعة واحدة، ثم خرج الناس من دار عثمان، وأُغلق بابُه على ثلاثةٍ قُتلوا: عثمان، وعبد عثمان، وكنانة بن بشر.

وقال ابن سعد بإسناده ويزيد بن هارون قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن يَعلى ابن حكيم، عن نافع قال: أصبح عثمان بن عفان يوم قُتل يَقُصُّ رؤيا على أصحابه رآها، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ البارحةَ فقال لي: يا عثمان، أفطِرْ عندنا، قال: فأصبح صائماً، وقُتل في ذلك اليوم.

وفي رواية ابن سعد: نام عثمان يوم الجمعة، وأتيتُه فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي هذا فقال: إنك شاهدٌ فينا الجمعة.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن نائلة قالت: أغفى عثمان، فلما استيقظ قال: إني مقتول، فقلتُ: كلا يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر وعمر فقالوا: أفطِرْ عندنا الليلة، أو قالوا: إنك تُفطر عندنا الليلة.

وقال ابن سعد بإسناده، عن محمد بن سيرين قال: لما أحاطوا بعثمان ودخلوا عليه ليقتلوه قالت امرأتُه: إن تَقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيي الليلَ بركعةٍ يَجمع فيها القرآن.

وقال ابن سعد فيما رواه، عن عطاء بن أبي رباح: أن عثمان بن عفان صلّى بالناس، ثم قام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره، فسُمِّيت البُتَيراء[1].

قلت: وهذا حاصل ما ذكره ابن سعد في «الطبقات» في مَقتل عثمان.

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٠ ـ ٧٢.

وقال الواقدي: صَعدوا من دار عَمرو بن حَزْم، وكان قد دنا بعضُهم من الباب، فشغلوا مَن كان عليه بالقتال، مثل الحسن بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، ومحمد ابن طلحة، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وبني أمية، وجاءت طائفةٌ من وراء الدار فصعدوا إلى دار عمرو بن حزم، فتسوَّروا عليه منها، ولم يَعلم بهم مَن على الباب، فلما رآهم عثمان أخذ المصحف، فجعله في حجره فقتلوه.

واختلفوا في قاتله؛ فحكينا عن ابن سعد أن محمد بن أبي بكر باشر قتلَه ومعه ثلاثة وسمَّيناهم[١].

وأنكر جماعة أن يكون محمد باشر قتلَه، منهم البلاذري فإنه قال: لما قال له ما قال استرخت يده وخرج، وكذا قال المسعودي، فإنه لما أمسك لحيةَ عثمان قال له: يا محمد، لو رآك أبوك لساءه فِعلُك، فخجل، واسترخت يدُه، وخرج من الدار، ولم يَشهد قتلَه[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن كِنانة مولى صفيّة قال: رأيتُ قاتلَ عثمان في الدار، رجلاً أسود من أهل مصر يُقال له: جَبَلَة، رافع يديه يقول: أنا قاتلُ نَعْثَل.

وروى ابن سعد، عن حجَّاج بن نُصَير، عن أبي خَلدة، عن المسيّب بن دارم قال: إن الذي قَتل عثمان قام في قتال العدوِّ سبعَ عشرة سنة، يُقتَل مَن حوله، لا يُصيبه شيءٌ حتى مات على فراشه[٣].

وقال هشام: ضربه الغافقيّ بحَرْبةٍ فشجّه بها، فقطر الدّمُ على المصحف، فأبقى الحربةَ بيده ورفع المصحف، فضربه الغافقيّ برجله، ثم ضربه سودان بن حُمران بالسيف، فاتّقته نائلة زوجةُ عثمان، فقطع أصابعَ يديها، وضربه نِيار بن عِياض الأسلمي بالسيف على وجهه.

وفي رواية عن هشام بن محمد: أن الذي باشر قَتْلَه الأسود النَّخَعيّ المصري.

---

(١) في (خ): ثلاثة عشر وسميناهم.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ١٩٦، ومروج الذهب ٤/ ٢٨٠-٢٨١.

(٣) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٩.

ولما ضرب سُودانُ بن حُمران يدَ نائلة فأطنّها وثب غلامٌ لعثمان فقَتل سودان، وقاتل مروان وبنو أمية حتى أُثخنوا بالجراح، وجُرح الحسن بنُ علي، وقَنْبر، وابنُ الزبير، وابنُ عمر جراحات كثيرة، وكان مروان يَحمل ويقول: لا يُقتل [ابنُ] عَمّي وأنا أسمع الصوت.

وقال الواقدي: لما أحرقوا الدار قال عثمان: ما بعد الحريق من خير، فاحترقت السّقوف والأبواب، وقال عثمان: مَن كان لي عليه طاعة فليُمْسك يده، فإنما يُريد القومُ قتلي، وسيندمون بعدي، ولو تركوني لظننتُ أني لا أُحبُّ الحياة، قد تغيَّر حالي، وسقطت أسناني، ورقّ عظمي، ثم قال لمروان: اقعُدْ ولا تَخرجْ، فقال مروان: والله لا يُخلَص إليك وأنا أسمع الصَّوت، ثم حمل مروان وهو يقول: [من الرجز]

قـد عَـلـمـتْ ذاتُ الـقـرونِ الـمِـيـلِ
والـكَـفّ والأنـامـلِ الـطُّـفـولِ
أنـي أَرُوعُ أوّلَ الـرَّعـيـلِ
بـغـارَةٍ مـثـلِ قَـطـا الـشَّـلـيـلِ

فضربه ابنُ البيّاع بالسيف على رقبته من خلفه فأثبته، فوقع على وجهه صريعاً، فأخذتْه فاطمة بنت أوس جدَّةُ إبراهيم بن العربي، فأدخلتْه بيتَها، فكان بنو عبد الملك يَعرفون ذلك لآل عَربي.

وفي رواية هشام: أن مروان خرج من الدَّار وصاح: هل من مُبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عُدَيْس لرجل: قُمْ إليه، والذي برز إليه يُقال له عُروة، فضربه على عُنُقه فأثبَتَه، فخرَّ صريعاً، فأراد عُبيد بن رفاعة الزُّرقي أن يُدَفّفَ على مروان، فوَثبت فاطمة أمُّ إبراهيم بن عَربي صاحب اليمامة، وكانت قد أرضعت مروان، فقالت: إن كنتَ تُريد قتلَ الرجل فقد قُتل، وإن كنتَ تُريد تَلعبُ بلحمه فهذا قبيحٌ، فكفَّ عنه، فمازال بنو مروان يَعرفون لها ذلك حتى استعملوا ابنَها إبراهيم فيما بعد.

وحكى الطبري عن حُسين بن عيسى، عن أبيه قال: لما مضت أيامُ التّشريق أطافوا بدار عثمان، وأبى إلا الإقامة على أمره، فأرسل إلى حَشَمه وحاشيته فجَمَعهم، فناداه

رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ من أسلم، يقال له: نِيار بن عِياض، وكان شيخاً كبيراً: يا عثمان، فأشرف عليه من داره، فناشده الله وذكّره لما اعتزلهم، فرماه رجلٌ من أصحاب عثمان بسهم فقتله، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصَّلْت الكِندي، فقالوا لعثمان: ادفع إلينا قاتلَ نيار لنقتُلَه به، فقال: لم أكن لأدفعَ رجلاً نَصَرني، وأنتم تُريدون قتلي، فلما قال لهم ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان من دار عُثمان في عصابة، وخرج سعيدُ بن العاص في عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان الذي جَرَّأهم على القتال أنه بلَغهم أن مَدَداً من أهل البصرة نزلوا صِراراً ـ وهي من المدينة على لَيلةٍ ـ وأن أهلَ الشام قد توجَّهوا مُقبِلين، فاقتتلوا، وجُرح عبد الله ابنُ الزبير جِراحات كثيرة، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري على مروان فأثبته، ونزع عنه وهو يرى أنه قد قتلَه.

ثم انهزم أصحابُ عثمان فالتجؤوا إلى القصر، واعتصموا ببابه، فلم يزل الناس يَقتتلون حتى فتح عمرو بن حَزْم الأنصاري بابَ داره، وهي إلى جانب دار عثمان، ثم نادى الناس، فأقبلوا إليه، فدخلوا عليهم في داره فقتلوهم في جوفِ الدار، حتى انهزموا وخَلّوا لهم عن باب الدّار، فخرجوا هاربين في أزِقَّة المدينة، وبقي عثمان في ناسٍ من أهل بيته وأصحابه، فقُتل عثمان وقُتلوا معه.

وحكى الطبريّ عن يعقوب بن إبراهيم بإسناده، عن أبي سعيد مولى أبي أَسَيْد الأنصاري: أن عثمان أشرف عليهم وقال: السلام عليكم، فما ردَّ أحدٌ منهم عليه، فقال: أَنشُدكم بالله، هل علمتُم أني اشتريتُ بئرَ رُومَةَ من مالي؟ قيل: نعم، قال: فعلام تَمنعوني أن أشربَ منها؟! وذكر أنه اشترى قطعةً من الأرض فأدخلها في المسجد، وذكر أشياء.

ثم فتح الباب، ووَضَعَ المصحفَ في حجره، فدخل محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته، فقال له: لقد أخذتَ مني مَأخذاً، وقعدتَ مني مقعداً، ما كان أبوك ليَأخُذَه ويَقعُدَه، فخرج وتركه.

قال: فدخل عليه رجلٌ يُقال له: الموت الأسود، فخَنقه ثم خرج وهو يقول: والله ما رأيتُ شيئاً ألينَ من حَلْقه، ولقد خنقتُه حتى رأيتُ نَفَسه يَتردَّدُ في جسده كنَفَس

الجانّ، يعني الحيّة(١).

قلت: وعامة الرّواة على خلاف ما ذكر الطبري، فإنهم أجمعوا على أن عثمان قُتِل قتلاً ولم يُخْنَق.

قال هشام: وجعل الغافقيُّ يَضرب برجله رأسَ عثمان، وهو مُلقى إلى جانب المصحف.

وقال جدّي رحمه الله في «التّلقيح»(٢): واختلفوا في قاتله؛ فقيل: قتله الأسود التُّجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر، وقيل: قتله سُودان بن رومان المرادي، وقيل: وَجَأه محمد بن أبي بكر بمِشْقَص، ثم دَفّف عليه التُّجيبي ومحمد بن أبي حُذيفة، فضرباه بأسيافِهما حتى أثبتاه، وكان صائماً.

قلت: محمد بن أبي حذيفة لم يشهد قتلَ عثمان، وعامّة المؤرّخين على أنه كان بمصر.

وقال هشام: ودخل عُمَيْر بنُ ضابىء فنَزا على عثمان، فكسر ضِلعاً من أضلاعه، وقال: سجنتَ أبي ضابئاً حتى مات في السِّجن.

وكان السّببُ في حبسِ عثمان ضابىءَ بن الحارث؛ أنه استعار كلباً من قومٍ من الأنصار في زمان الوليد بن عُقبة يُدعى قُرحان لصيد الظَّبي، فمنعه منهم، فأخذوه قَهراً، فقال: [من الطويل]

وكلبُكم لا تتركوا فهو أمّكم ... فإن عُقوقَ الأُمَّهات كبيرُ

من أبيات، فاستعدَوْا عليه عثمان، فَعَزَّرهُ وحبسه حتى مات في السّجن، وهذا مما أُخذ أيضاً على عثمان.

وعمير هو القائل(٣): [من الطويل]

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتَني ... تركتُ على عثمانَ تَبكي حَلائلُهْ

---

(١) الخبران في الطبري ٤/ ٣٨١ـ٣٨٤.

(٢) ص ١١٠.

(٣) الذي في المصادر أن القائل ضابىء البرجمي أبو عمير، ورواية البيت السابق في المصادر: لا تتركوه وأمكم، وفيه فحش كبير

وقـائـلـةٍ قـد مـات فـي الـسِّـجـنِ ضـابـىءٌ ألا مَـن لـخَـصْـمٍ لا يَـجـدْ مَـن يُـجـادِلُـهْ

وقيل: إن عُميراً أنفذ السيفَ في بطن عثمان(١).

وقال الواقدي: أقبل عُمير بن ضابىء والكُميل بن زياد ليقتلا عثمان، ثم نكصا، وسوف نذكر قتلَ الحجاج عمير بن ضابىء والكُميل بنَ زياد في أيام الحجاج.

وقال أبو اليقظان: ولما انتهبوا ما في دار عثمان أخذوا مُلاءَةَ نائلة، فتنحَّت فقال: ويح أم هذه ما أتمَّ عَجيزَتَها، فوَثب عليه غلامٌ لعثمان فقتله.

وذكره الطبري فقال: الذي أخذ مُلاءة نائلة اسمُه كُلثوم بن تُجيب(٢).

وحكى سيف، عن مُجالد، عن الشعبي، عن المغيرة بن شُعبة قال: قُلْتُ لعلي: إن هذا مقتولٌ، وإنه إن قُتِل وأنت بالمدينة ألحدوا فيك، فاخرجْ فكُن في موضع كذا وكذا، فإنك إنْ فعلتَ ذلك وكنتَ في غارٍ باليمن طلبك الناس، قال: فأبى حتى قُتل عثمان، وألزموه دمَه.

وقال سيف بهذا الإسناد: لما أُغشي على عثمان جَرُّوا برجله، وصاحت نائلة وبناتُه، وجاء التُجيبي مخترِطاً سيفَه ليَضَعه في بطنه فوَقَتْه نائلة، فقطع إصبعَها، وأتكأ بالسيف على صدره فأخرجه من ظهره.

وقال الطبري بإسناده عن يزيد بن أبي حبيب: وَلِيَ قتلَ عثمان نهران الأصبَحيّ(٣).

وقال البلاذري: قال عليّ للحسن والحسين: اذهبا بسيفكما فقِفا على الباب، فلا يَصلُ أحدٌ إلى عثمان، وبعث الصحابة أولادهم، فرُمي الحسنُ بسهم فشُجَّ في وَجهه، وشُجَّ قَنْبَر ومحمد بن طلحة، فخاف محمد بن أبي بكر أن ترى بنو هاشم الدماءَ على وجهِ الحسن والحسين فيَكشفوا الناس عن عثمان، فقال: تَسوَّروا عليه الجدار، فتَسوَّروا فقَتلوه، ولم يكن عنده أحدٌ سوى نائلة، فصرخت فلم يَسمع الناسُ صُراخَها من شدَّةِ الجَلَبة والصِّياح، فصعِدت إلى السَّطح وصاحت: قُتل أميرُ المؤمنين، وبنو

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٣ـ١٧٥ (والمصادر فيه)، وتاريخ الطبري ٤/ ٤٠٢ـ٤٠٣، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٩١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٣٩٤ وما قبله منه.

هاشم على الباب لا يَعلمون.

وبلغ عليّاً قتلُه، فأقبل إلى الباب، وقال للحسن والحسين وقنبر وابن الزّبير وابن طلحة: وَيحكم، كيف قُتل وأنتم بالباب، وشتمَهم، فقال له ابن طلحة: وكان أمرُ الله قَدراً مَقدوراً، فدخل وقال لنائلة: مَن قَتَله؟ فقالت: دخل محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: كذا وكذا، فاستَرْخَتْ يدُ محمد، وكان معه رجلان فقتلاه، فجلس علي والحسن والحسين وابن الزبير وابن طلحة يَبكون، وذهب المصريّون إلى بيت المال فانتَهبوه، فلم يَجدوا فيه سوى غِرارتين[١].

واختلفوا في الوقت الذي قُتل فيه على أقوال؛

أحدها ذكره ابن سعد عن الواقدي فقال: حدثنا محمد بن عمر بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: بُويع عثمان بالخلافة أوّلَ يوم من المحرّم سنة أربعٍ وعشرين، وقُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلةً خلت من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين بعد العصر، وكان صائماً، ودُفن ليلةَ السبتِ بين المغرب والعشاء في حُشّ كوكب بالبقيع، فهو مقبرة بني أمية اليوم، وكانت خلافتُه اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً، وقُتل وهو ابنُ اثنتين وثمانين سنة، قال: وكان أبو معشر يقول: قُتِل وهو ابن خمس وسبعين سنة[٢].

قلت: وقول الواقدي سنة ست وثلاثين وَهم، وقد حكاه الطبري[٣]، والأصحّ سنة خمس وثلاثين.

وقال ابن سعد بإسناده عن الربيع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه قال: كان الناس يَتَوَقَّون أن يَدفنوا مَوتاهم في حُشِّ كَوكب، فكان عثمان بن عفان يقول: يوشكُ أن يَهلك رجلٌ صالح فيُدْفَنَ هناك، فتأسّى به الناس، قال مالك بن أبي عامر: فكان عثمان بن عفان أوّلَ مَن دُفن هناك[٤].

قال الجوهري: الحَشّ ـ بفتح الحاء وضمّها ـ البُستان، قال: والحشّ أيضاً

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٩٦ـ١٩٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٣ .

(٣) في تاريخه ٤/ ٤١٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٣ .

المخرج؛ لأنهم كانوا يَقضون حوائجَهم في البساتين[١].

وروي عن أبي بَشير العابدي قال: نُبِذ عثمان ثلاثةَ أيام لا يُدفن، ثم إن حكيم بن حِزام وجُبَير بنَ مُطعم النَّوفلي كلّما علياً عليه السلام في دَفنِه، وطلبا أن يَأذن لأهله في ذلك، فأذِن لهم، فلما سمع القوم ذلك قَعدوا له على الطريق بالحجارة، وخرجوا به يُريدون حُشَّ كوكب؛ مكاناً كانت اليهود تَدفن فيه موتاهم، فلما خرجوا به رَجموا سَريره بالحجارة، وهمُّوا بطَرْحه، وبلغ علياً، فأرسل إلى الناس يَعزم عليهم ليَكُفُّوا عنه، فانطلقوا به، فدفنوه في حُشّ كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهُدِم حتى أفضى به إلى البَقيع، وأمر الناسَ أن يَدفنوا موتاهم حول قبره، حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وروى الطبري عن أبي كَرِب ـ وكان عاملَ عثمان على بيت المال ـ قال: دُفن عثمان فيما بين العشاء والعَتَمة، ولم يكن في جنازته إلا مروان بن الحكم، وثلاثةٌ من مَواليه، وابنتُه الخامسة، فرفعت ابنتُه صوتَها تَندُبه، فأخذ الناسُ الحجارة وقالوا: نَعثَل نعثل، فكادت أن تُرجَم، فدفنوه في الحائط.

وحكى الطبري عن سيف: أن مروان بن الحكم حضر جنازته وصلّى عليه[٢]، وهو وهم، لم يحضر مروان جنازته، كان مجروحاً مُثْخَناً، وهرب إلى مكة.

قال الواقدي: الثّبتُ عندنا أنه صلى عليه جُبير بن مطعم.

قال الواقدي بإسناده عن مَخرَمة بن سليمان الوالبي قال: قُتل عثمان يوم الجمعة ضَحوةً، فلم يَقدروا على دفنه، وأرسلت نائلة بنتُ الفَرافضة إلى حُويطب بن عبد العُزَّى، وجُبير بن مُطعم، وأبي جَهم بن حُذيفة، وحَكيم بن حزام، ونِيار الأسلمي فقالوا: إنا لا نَقدر أن نَخرُجَ به نهاراً، هؤلاء المصريون على الباب، فأمْهِلوه إلى ما بين المغرب والعشاء.

فدخل القوم فحِيل بينهم وبينه، فقال أبو جَهم: والله لا يَحول بيني وبينه أحدٌ إلا متُّ

(١) الصحاح: (حش).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤١٥ وما سلف من الأخبار فيه ٤١٢.

دونه، احملوه، فحملوه حتى انتهَوا إلى البقيع، وتبعتهم نائلة وبيدها سراج، فانتهوا به إلى نَخَلات عليها حائط، فرَقَوا الجدار، ثم دفنوه في تلك النّخلات، وصلى عليه جُبير ابن مُطعِم، وذهبت نائلة تتكلّم فزَبَرها القوم وقالوا: إنا نَخاف عليك من هؤلاء السّفهاء، فرجعت إلى منزلها.

وقال الواقدي بإسناده عن عبد الله بن ساعدة قال: لَبث عثمان بعدما قُتل لَيلتين لا يستطيعون دفنَه، [فلما وُضع ليُصَلّى عليه جاء نفرٌ من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه] فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلّى الله عليه وملائكتُه، فقال المصريون: لا والله، لا يُدفَن في مقابر المسلمين أبداً، فدُفِن في حُشّ كوكب، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع، فصار مقبرة بني أمية.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن موسى المخزومي قال: لما قُتل عثمان أرادوا حزَّ رأسِه، فوَقعت عليه نائلة وأمُّ البنين، وصِحْنَ وضربْنَ الوجوه وخَرقن الثياب، فقال ابنُ عُدَيْس: اتركوه، فأُخرج عثمان إلى البقيع، ولم يُغسل، وأرادوا أن يُصلّوا عليه في موضع الجنائز فأبَت الأنصار(١).

وفي رواية ابن سعد: فحملوه على باب، وإن رأسه ليَقْرعُ الباب لإسراعهم به من شدَّة الخوف(٢).

وقال سيف عن أشياخه: ولم يُغسل عثمان ولا غُلاماه اللذان قُتلا معه، وهما نجيح وصبيح، فأمّا عثمان فدُفن، وأمّا الغلامان فجرُّوا برجلَيهما، وألقوهما على البَلاط فأكلتهما الكلاب.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن نِيار الأسلمي، عن أبيه قال: لما حجّ معاوية نظر إلى بيوت أسلم شَوارع في السوق فقال: أَظلِموا بيوتَهم أظلم الله عليهم قبورَهم قتلةَ عثمان.

قال نِيار بن مُكرم: فخرجتُ إليه وقلتُ: أَتُظلِم عليّ بيتي وقد حملتُ عُثمان وقبرتُه

(١) الأخبار السالفة في الطبري ٤/ ٤١٣_٤١٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥.

وصلّيتُ عليه، فعرفه معاوية فقال: اقطَعوا البناء، لا تبنوا على وجه داره، ثم دعاني خالياً فقال: متى حملتُموه، ومتى قبرتموه، ومن صلى عليه؟ قلت: حملناه ليلةَ السبت بين المغرب والعشاء، فكنتُ أنا وجُبير بن مُطعم، وحَكيم بن حزام، وأبو جهم بن حُذَيفة العَدَوي، وتقدّم جُبير بن مُطعم فصلّى عليه، فصدّقه معاوية، وكانوا هم الذين نزلوا في حُفرَته[١].

واختلفوا فيمن صلّى عليه؛ فقال جدي رحمه الله في «التلقيح»[٢] قيل: الزبير، وقيل: حكيم بن حِزام، وقيل: جبير بن مطعم.

قلت: والأشهر جُبير بن مُطعم، قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن يوسف قال: خرجت نائلة بنتُ الفرافصة تلك الليلة، وقد شقّت جَيبَها قُبُلاً ودُبُراً، ومعها سراج، وهي تَصيح: وا أمير المؤمنيناه، فقال لها جُبير بن مُطعم: أَطفئي السّراج فلا يُفطَنُ بنا، فأَطفأتْه، وانتَهوا إلى البقيع، فصلّى عليه جُبير بن مُطعم، وخلفه: حكيم بن حزام، وأبو جهم بن حُذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، ونائلة وأمّ البنين بنت عُيينة امرأتا عثمان، ونزل في حُفرته نيار بن مكرم، وأبو جهم، وجُبير، وكان حكيم بن حزام وأمّ البنين يُدَلّونه على الرّجال حتى ألحدوا له، وبَنَوا عليه، وطيَّنوا قبرَه، وتفرَّقوا.

وقال ابن سعد: وقد قيل: إنه صلى عليه سبعة عشر رجلاً، والأول أثبت؛ أنه صلّى عليه أربعة[٣].

وقال ابن سعد: إن الزّبير لم يَشهد قتلَ عثمان، وسنذكره.

والقول الثاني: أنه قُتل يوم الأربعاء بعد العصر، ودُفن يوم السبت بعد العصر، قاله هشام.

والثالث: أنه قُتل لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة، والأوّل أشهر.

وقال الموفّق رحمه الله في «الأنساب»: قُتل في ذي الحجّة أو في المحَرَّم[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٤.

(٢) ص ١١٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٤_٧٥.

(٤) التبيين ١٧٩.

وقال ابن سعد بإسناده عن مُعتمر بن سليمان قال: سمعتُ أبي يقول: حدثنا أبو عثمان: أن عثمان قُتل في أول أيام التّشريق[١].

وقال جدّي رحمه الله في «التلقيح»[٢]: قُتل عثمان يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة، وقيل: لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: أول سنة ستّ وثلاثين، وأُخفي قبرُه.

وقال البخاري بإسناده، عن أبي موسى الأشعري قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى حائطٍ من حَوائط المدينة لحاجته، وخرجتُ في إثْره، فلما دخل الحائط جلستُ على بابه وقلتُ: لأكونَنّ اليوم بَوّاب رسول الله ﷺ، فذهب فقضى حاجتَه، وجلس على قُفِّ البئر، وكشف عن ساقيه، ودَلّاهما في البئر، فجاء أبو بكر يَستأذن، فقلتُ: يا رسول الله، إن أبا بكر يَستأذن عليك، فقال: «ائذنْ له وبَشِّره بالجنة» فدخل، فجلس عن يمينِ رسول الله ﷺ، وفعل كما فعلَ رسول الله ﷺ، كشف عن ساقَيه، ودلّاهما في البئر، وجاء عمر يَستأذن، فقال: «ائذنْ له وبَشِّره بالجنة» فدخل، فجلس على القُفّ، وفعل كما فعل أبو بكر؛ كشف عن ساقيه ودَلّاهما في البئر، فامتلأ القُفُّ، فلم يكن فيه مجلس، فجاء عثمان يَستأذن فقال: «ائذَنْ له وبَشّره بالجنة مع بَلاءٍ أو بَلوى تُصيبُه» فدخل فلم يَجد معهم مَجلساً، فتحوّل حتى جاء مُقابِلَهم على شَفير البئر، فكشف عن ساقَيه، ثم دَلّاهما في البئر.

قال ابنُ المسيّب: فأوّلتُ ذلك قبورَهم، اجتمعت ها هنا وانفرد عثمان عنهم. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

واختلفوا في سِنّه على أقوال:

أحدها: اثنان وثمانون سنة، وقد حكيناه عن الواقدي.

والثاني: خمس وسبعون، وقد حكيناه عن أبي معشر.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥.

(٢) ص ١١٠.

(٣) صحيح البخاري (٧٠٩٧)، وصحيح مسلم (٢٤٠٣).

والثالث: أنه كان ابنَ تسعين سنة.

والرابع: ابنَ ثمان وثمانين سنة.

والخامس: ابن ستة وثمانين سنة، قاله قتادة.

والسادس: ابنَ ثلاث وستين، حكاه سيف عن أشياخه.

وقد حكى الطبري هذه الأقوال[(١)].

وقال جدي رحمه الله في «التلقيح»[(٢)]: وفي سنه ثلاثة أقوال:

أحدها: تسعون سنة، والثاني: ثمان وثمانون، والثالث: اثنان وثمانون، وقيل: لم يَبلغ الثمانين.

وقال في «الصفوة»[(٣)]: خمسة وتِسعون.

واختلفوا في مبلغ خلافته، فحكَينا عن الواقدي أنه أقام اثنتي عشرة سنة إلّا اثني عشر يوماً.

والثاني: اثنتي عشرة سنة إلا إحدى عشرة ليلة، قاله أبو معشر ويعقوب بن شيبة.

ذكر ما نُقل عن الصحابة في قتل عثمان:

قال ابن سعد بإسناده عن ابن عباس قال: لو أجمع الناس على قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمي قومُ لُوط.

وفي رواية ابن سعد عن ابن عباس قال: لو لم يَطلب الناس بدم عثمان لرُمُوا بالحجارة من السماء.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عُكَيم قال: لا أُعينُ على دم خليفة أبداً بعد عثمان، قال: فقيل له: يا أبا مَعبد، أوَأعنتَ على دمه؟ فقال: إني لأعُدُّ ذكر مساوئه عوناً على دمه.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٤١٧ـ٤١٨ .

(٢) ص ١١٠ .

(٣) ١/ ٣٠٥.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي قِلابة قال: لما بلغ ثُمامةَ بن عديّ قتلُ عثمان ـ وكان أميراً على صنعاء، وكانت له صحبة، وهو من قريش ـ بكى فطال بُكاؤه، ثم قال: هذا حين انتُزِعتْ خلافةُ النبوّةِ عن أمة محمد ﷺ، وصار مُلكاً وجَبريَّة، مَن غلب على شيءٍ أكله.

وحكى ابن سعد عن أبي أحمد السَّاعدي ـ وكان قد شهد بدراً ـ أنه قال لما قُتل عثمان: اللهمَّ إن لك عليَّ أن لا أفعلَ كذا وكذا، ولا أضحك حتى ألقاك.

وكان أبو هريرة إذا ذكر ما فعلوا بعثمان يبكي وينتحب، يقول: هاه هاه، وكان معه يومَ الدّار.

وروى ابن سعد عن عبد الله بن سلام أنه قال يوم قُتل عثمان: هَلكتِ العرب، قيل له: فما تَجدون صفةَ عثمان في كُتبكم؟ فقال: نَجِده أميراً يوم القيامة على القاتل والخاذِل، وفي رواية عنه: يُحكَّم في القاتل والخاذِل.

وقال ابن سعد بإسناده عن طاووس، عن ابن عباس قال: سمعتُ علياً يقول حين قُتل عثمان: والله ما قَتلتُ ولا أَمرتُ، ولكن غُلبتُ، قالها ثلاثاً.

وفي رواية ابن أبي ليلى عنه قال: رأيتُ علياً عند أحجار الزّيت رافعاً ضَبْعَيْه يقول: اللهمَّ إني أبرأُ إليك من أمر عثمان.

وكان عليّ يقول: إنما وَهنتُ يوم قُتل عثمان.

وقال ابن سعد بإسناده عن مَسروق، عن عائشة قالت حين قُتل عثمان: تركتموه كالثّوب النقيِّ من الدَّنَس، ثم قَرّبتموه، تَذبحونه كما يُذبَح الكَبش، هلّا كان هذا قبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عَملُك، أنت كتبتِ إلى الناس تَأمرينهم بالخروج إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبتُ إليهم بسوداءَ في بيضاء حتى جلستُ مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِبَ على لسانها.

وقال عُروة: كانوا يتَّهمونها أنها كتبتْ إلى مصر والعراق، وهذا معنى قولِ مروان لها: حرَّق قيسٌ عليَّ البلاد.

وروى ابن سعد عن عمرو بن عاصم الكِلابي، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال:

لما أُدرِكوا بالعُقوبة ـ يعني قتلةَ عثمان ـ قال الحسن: أُخِذ الفاسق ابنُ أبي بكر ـ قال أبو الأشهب: وكان لا يُسمّيه إلا الفاسق، ولا يُسمّيه باسمه ـ قال: أُخِذ فجُعِل في جَوف حمار، ثم أُحرق عليه.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي المَليح، عن ابن سلام قال: ما قُتلَ نبيٌّ قطّ إلا قُتل به سبعون ألفاً من أُمّته، ولا قُتل خليفةٌ إلا قُتل به خمسةٌ وثلاثون ألفاً(١).

وذكر الموفَّق في «الأنساب» وقال: كان مع عثمان في الدار: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن بن علي، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، ومحمد بن حاطِب، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن الأخنَس وغيرهم(٢)، قُتل عثمان والمغيرة بن الأخنس وغلامٌ لعثمان، فأُغلق البابُ على ثلاثة مقتولين.

قلت: لم يذكر ابنُ سعد وهشام المغيرةَ بن الأخنَس.

قال الموفَّق: رأى رجلٌ من أهل العَسكرِ الذين حصروا عثمان ليلةً في منامه مراجلَ يَغلي فيها الماء، فقال: ما هذه؟ فقيل: لقاتل المغيرة بن الأخنس، فأصبح الرجل فَزِعاً وقال: والله لا قاتلتُ بعدها، ولَزِم المسجد يُصلّي فيه، وكان في مَوضعٍ يُشاهد القتال، فكان يَرى الناس كلّما دَنَوا من باب الدار التي فيها عثمان خرج إليهم رجلٌ فطَردَهم، فجعل يَغِيظُه ذلك ويقول: ألا رجلٌ يَكفي الناسَ أمرَ هذا الخارج عليهم، فلما طال ذلك عليه أخذ سيفَه، وخرج من المسجد، فحَمل على الخارج من الدار، فضَربه فقتله، ثم سأل عنه فقالوا: هذا المغيرة بنُ الأخنس(٣).

ذكر ما رُثي به من الأشعار:

قد رثاه خلقٌ كثير، منهم حسان بن ثابت، قال في بعض ما رَثى به عثمان بنَ عفان: [من البسيط]

ضَحَّوا بأشْمَطَ عُنوانُ السُّجود به ... يُقَطِّع الليلَ تَسبيحاً وقرآنا

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥-٧٩.

(٢) التبيين ١٨٠.

(٣) التبيين ١٨٠.

مَن سرّه الموتُ صِرفاً لا مِزاجَ له فليأتِ مَأسَدَةً في دارِ عُثمانا
صبراً فِدى لكمُ أمّي وما وَلَدتْ قد يَنفعُ الصَّبرُ في المكروه أحيانا
وقد رضيتُ بأهلِ الشامِ نافِرةً وبالأميرِ وبالإخوانِ إخوانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شَهِدوا ما دُمتُ حيّاً وما سُمِّيتُ حسّانا
لتَسمَعنَّ ضجيجاً في ديارِهم الله أكبر يا ثاراتِ عُثمانا(١)

وقال: [من الخفيف]

وعليٌّ في بيته يسألُ النا سَ رُويداً وعنده الأخبارُ
باسطٌ بالذي يُريدُ ذِراعَيْـ ـهِ عليه سَكينةٌ ووَقارُ
يَنظُرُ الأمرَ كي يَصيرَ إليه كالذي سُبِّبت له الأقدارُ
قد رأى كثرةَ الكلامِ قبيحاً كلُّ قولٍ يَشينُه الإكثارُ(٢)

قلت: إن صحَّ عن حسّان أنه قال هذا فقد أعمى الله بصيرتَه كما أعمى بصرَه، لأنه ذَمَّ أهلَه الأنصار، ونَسبهم إلى خِذلان عثمان في أمرٍ أمضاه الله وقدّره، ونسب أمير المؤمنين إلى أمرٍ قبيحٍ ذَميم، ويكفي حساناً أنه نزل فيه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١١]، وقد ذكرنا قصّتَه في حديث الإفك، وإنما جرَّأه على ذلك لأن عثمان أعطاه مئةَ ألف درهم من بيت المال، وقيل أكثر من ذلك، وكان ذلك مما أُخذ على عثمان، وقد ذكرناه.

وأما قوله: لتسمعنّ ضجيجاً في ديارهم، يَتوعَّد المهاجرين والأنصار.

وقد أكثرت الشعراء في عثمان، وقال الشعبي: قد أكثر الشعراء في مَراثي عثمان، فلم أسمع أحسنَ مما قال كعب بن مالك من أبيات: [من الطويل]

فكفَّ يدَيهِ ثم أغلقَ بابَه وأيقنَ أنّ الله ليس بغافلِ

---

(١) ديوانه ١/ ٩٦، وذكر بعض أبياتها ابن قتيبة في المعارف ١٩٧، وابن عبد ربه في العقد ٤/ ٢٩٧، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ٢٤٩، والطبري في تاريخه ٤/ ٤٢٥، وابن أعثم في الفتوح ٢/ ٢٤٠ـ٢٤١، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٢٨٤، وابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٧٨).

(٢) ليست في ديوانه، ومنها بيتان في الفتوح لابن أعثم ٢/ ٢٣٩، ونسبها ابن عبد ربه في العقد ٤/ ٢٩٧ إلى رجل من أهل الشام، وانظر مروج الذهب ٤/ ٢٨٤.

وقـال لأهـل الـدار لا تـقـتـلـوهـم عـفـا الله عـن كـلِّ امـرءٍ لـم يُـقـاتـلِ
فـكـيـف رأيـتَ الله ألـقـى عـلـيـهـم الـعـداوةَ والـبَـغْـضـاءَ بـعـد الـتَّـواصُـلِ
وكـيـف رأيـتَ الـخـيـر أدبـرَ بـعـده عـن الـنـاسِ إدبـار الـنَّـعـام الـجـوافِـلِ

ويقال هي لحسان بن ثابت، وقيل: للوليد بن عقبة(١).

ذكر ما خلّف عثمان من المال:

حكى ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان لعثمان بن عفان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألفَ ألف درهم وخمس مئة ألف درهم وخمسون ومئة ألف دينار فانتُهبت وذهبت، وترك ألف بعير بالرَّبذَة، وترك صَدَقاتٍ كان يتصدق بها ببئر أرِيس وخيبر ووادي القرى، قيمته مئتي ألف دينار(٢).

وقال هشام: ترك عثمان ألفَ ألفِ درهم، وقيل: مئة ألف ألف درهم، وخيلاً بالحِمى، وأغناماً لا تُحصى، وعشرةَ آلاف بعير، فنُهب الجميع.

ذِكر عمّال عثمان رضي الله عنه:

قال الواقدي بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قُتِل عثمان وعُمَّاله على الأمصار: على مكة عبد الله بن الحَضْرميّ، وعلى الطّائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يَعلى بن أميّة، وعلى الجَنَد عبد الله بن [أبي] ربيعة، وعلى البصرة عبد الله ابن عامر بن كُرَيز، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، غلبه عليها محمد بن أبي حُذيفة فأخرجه منها، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قِنّسرين حُبيب بن مَسْلَمة، وعلى الأردن أبو الأعور السُّلَمي، وعلى فلسطين عَلقمة بن حكيم الكِناني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفَزاري، وكلُّ هؤلاء الذين بالشام من قِبل معاوية.

وحكى سيف بن عمر، عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: مات عثمان وعلى الكوفة

---

(١) ديوان كعب ٢٠٧ ، والأغاني ١٦/ ٢٣٣ ، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٠١ ، والاستيعاب (١٨٧٨)، وتاريخ دمشق ٥٤٧ـ٥٤٨ ، والتبيين ١٨٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٢ـ٧٣ .

أبو موسى على صلاتها، وعلى خراج السَّواد جابر بن فُلان المزنيّ ـ وهو صاحب المُسَنَّاة إلى جانب الكوفة ـ وعلى حَربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حُلوان عتبة بن النّهّاس، وعلى الرّي سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السّائب بن الأقرع، وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت(١).

وقال جدي في «المنتظم»(٢): وكان على قضاء عثمان لما مات أبو الدرداء.

قلت: وأبو الدرداء مات في سنة اثنتين وثلاثين، وقد ذكرناه.

فصل في ذكر فتوحات عثمان:

ذكر يعقوب بن سفيان وأبو مَعشر قالا: وفي العام الذي بُويع فيه عثمان وهو سنة أربع وعشرين فُتحت الرّي، وفي عام خمسٍ وعشرين فُتحت أرمينية، وفي سنة ست وعشرين فُتحت الإسكندرية، وفي سنة سبع وعشرين فُتحت إفريقية، وفي سنة ثمان وعشرين فُتحت إصطَخر، وفي سنة تسع وعشرين فُتحت فارس الأخيرة، وفي سنة ثلاثين فتحت إصطخر الثانية، وفي سنة إحدى وثلاثين كانت غزاة البحر، وفي سنة اثنتين كانت غزاة المضيق، وفي سنة ثلاث وثلاثين كانت غزاة قبرس، وفي سنة أربع وثلاثين كانت غزاة الصّواري، وفي سنة خمس وثلاثين كانت ذات الخُشُب وفيها قُتل عثمان(٣)، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك وما فيه من التقديم والتأخير.

ذكر إرسال قميص عثمان رضي الله عنه إلى الشام:

روى هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: دمُ عثمان في هذه الأمة كدم يحيى بن زكريا في بني إسرائيل، فكلُّ دمٍ يُسفَك إلى يوم القيامة فهو السّبب، كدم علي بن أبي طالب وأولاده الحسين وإخوته، ومَن قُتل يوم الجمل، وأيام صفين، وهلمّ جراً من الصحابة والتابعين وأهل البيت والخلفاء وبني أمية وغيرهم، قرناً بعد قرن وخَلَفاً بعد سلف.

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢١ـ٤٢٢ .

(٢) ٤/ ٥٩ .

(٣) تاريخ دمشق (عثمان) ٢٠٤ .

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رُومان قال: بعثتْ نائلةُ بقميص عثمان، وعليه دمُه وأصابعُ يدِها، مع النعمان بن بشير، وكتبت كتاباً فيه: واأميرَ المؤمنيناه، بُغي عليه، وحُصِر في داره، ومُنع الماء، واحترق بابُه، ودخلوا عليه فأخذوا بلحيته، وضربوه على رأسه، وطعنوه بمشاقِصَ، وكسروا أضلاعَه، ولوَّثوا مُصحفَه بدمه، واستجار فلم يُجره أحدٌ منهم، ولعبوا برأسه بأرجُلهم، ونهبوا أمواله، واستحلوها مع دمه، ودفنّاه ليلاً ونحن نَرتقبُ القتلَ... وذكرت كلاماً طويلاً.

فلما قدم النعمان بن بشير وقَرُبَ من دمشق نشر القميصَ وعليه الدّم، وعَلّق أصابعَ نائلة، وخرج معاوية إلى لقائه ومعه الناس، وقيل: بل جلس له مَجلساً عاماً، فلما قرأ الكتاب قام قائماً، أو نزل من دابّته، وحثى التراب على رأسه، ومَزّق ثيابَه، وفعلوا بنو أمية كذلك، وارتفع البكاءُ والنّحيب، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه، ثم صَعد منبرَ جامع دمشق، وقرأ الكتاب على الناس، فازدادوا بكاءً وعويلاً، وعلّق القميصَ والأصابع على المنبر سنة، يَنتابُه الناس من كلّ مكان، وآلى أهلُ الشام أن لا ينامون على فُرُشٍ، ولا يأكلون سميناً، ولا يَقربون النّساء حتى يَقتلوا قَتلةَ عثمان.

ذكر حاجبه وكاتبه وقاضيه ونَقش خاتمه:

قال هشام والواقدي وغيرهما: كان مَروان بن الحكم كاتبه، وحُمران مولاه حاجبه، وزيد بن ثابت قاضيه، وقيل شُريح بن الحارث، والأوّل أصحّ، وفي نقش خاتمه قولان، أحدهما: آمن بالله العظيم عثمان مخلصاً، والثاني: لتَصبِرَنَّ أو لتَندَمَنّ.

ذكر أولاد عثمان ﷺ وأزواجه:

قد ذكرهم علماء السِّيَر: كابن سعد، والواقدي، وهشام بن محمد والبلاذري والطبري وغيرهم.

فقال ابن سعد: كان لعثمان من الولد سوى عبد الله بن رُقَيّة: عبد الله الأصغر دَرَج، وأمُّه فاختة بنت غزوان بن جابر، ونسبها إلى قيس بن عَيْلان، قال: وعمرو، وخالد، وأبان، وعمر، ومريم الكُبرى، وأمُّهم أمّ عمرو بنت جُندب بن عمرو، أزديّة.

قال: والوليد، وسعيد، وأمّ سعيد، وأمهم فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم.

قال: وعبد الملك دَرَج، وأمُّه أمُّ البَنين بنت عُيَينة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر الفَزاري.

قال: وعائشة، وأمّ أبان، وأمّ عَمرو، وأمُّهنّ رَمْلة بنت شَيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مَناف بن قُصيّ.

ومريم الصُّغرى وأمها نائلة بنت الفَرافِصَة الكلبيّة، وأمُّ البَنين لأُمّ وَلَد، وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان هذا قولُ ابنِ سعد[(١)].

وقال الطبري: ذكرُ أزواجه، كانت عند عُثمان: رُقيّة وأمّ كُلثوم ابنتا رسول الله ﷺ، وَلَدت له رُقيَّة عبد الله.

قال: وكانت عنده فاخِتة بنتُ غَزوان ـ ونسبها كما نسبها ابن سعد ـ قال: ووَلدت له وَلداً فسمّاه عبد الله الأصغر هلك.

قال: وكانت عنده أمُّ عمرو ابنةُ جُندب بن عمرو، أزديّة، وَلَدتْ له عَمراً، وعُمر، وخالداً، وأباناً، ومريم، كما ذكر ابن سعد.

قال: وكانت عنده فاطمة بنت الوليد [بن عبد شمس] بن المغيرة، وَلَدت له: الوليد وسعيداً وأمّ سعيد.

قال: وأمّ البَنين بنت عُيينة بن حِصن، وَلَدت له عبدَ الملك.

قال: ونائلة بنت الفرافصة، وَلَدت له مريم. وإلى ها هنا وافق الطبريُّ ابنَ سعد في أولاد عثمان، وابن سعد شيخُ شيخِ الطبريّ؛ لأنه روى عن واحد عن ابن سعد.

ثم قال الطبري: وقال هشام: وَلدت أم البنين بنت عُيينة بن حِصن لعثمان عبد الملك وعُتبة، قال: وقال أيضاً: ولدت له نائلةُ عَنبسة.

قال الطبري: وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تُدعى أمّ البَنين من نائلة، وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

قال: وقُتل عثمان وعنده رَمْلة بنت شَيبة، ونائلة، وأمّ البنين بنت عُيينة، وفاختة بنت غزوان، وقيل: إنه طلق أمّ البنين وهو مَحصور.

---

(١) في الطبقات ٣/ ٥١ـ٥٢.

قال الطبري: فهؤلاء أزواجه اللاتي كن [له] في الجاهلية والإسلام وأولاده؛ رجالهم ونساؤهم(١).

قلت: انتهى كلامُ الطبري وابن سعد في هذا الباب، فنذكرُ أقوالَ غيرهما فنقول:

ذكر هشام والواقدي والبلاذري وغيرُهم، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض قالوا: أما عبد الله الأكبر ابنُ رقية بنت رسول الله ﷺ فهو الذي عاش ستَّ سنين، ونَقَره ديكٌ في عينه فمات، وقد ذكرناه في سنة ستّ من الهجرة.

وأما عبدُ الله الأصغر فأمُّه فاختة بنت غَزوان، فاختة أختُ عتبة بن غزوان، وكان عبد الله مُمَدَّحاً، مَدحه الفرزدق وغيره.

وقال البلاذري: وفاطمة بنت الوليد [بن عبد شمس] بن المغيرة، زوجة عثمان، تُكنى أم عبد الله، وأمُّها أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وأمُّها [أروى] بنت أبي العِيص ابن أمية، وأمُّها رُقيَّة بنت الحارث بن عُبيد بن مخزوم، وأمّها رُقية بنت أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ، وأمّها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي(٢).

قال: وأمّا أمُّ البنين بنت عُيينة بن حصن زوجة عثمان فاسمُها مُليكة بنت عُيينة.

قال: وأما رَملة بنت شَيبة بن ربيعة بن عبد شمس فكانت من المبايعات المهاجرات، ولها تقول هند بنتُ عُتبة بن ربيعة أمُّ معاوية، وهي ابنةُ عمِّها تهجوها لما أسلمت: [من الوافر]

عَدِمنا كلَّ صابئة بوَجٍّ ومكةَ أو بأطراف الحَجُونِ
تدينُ لمعشرٍ قتلوا أباها أقتلُ أبيكِ جاءكِ باليقينِ

قال: وكان لعثمان ولد يُقال له: المغيرة من أسماء بنت أبي جهل(٣).

وذكر الزبير بن بكّار أن عثمان أولد نائلةَ بنتَ الفَرافصَة: أمَّ خالد ورُقيَّة وأروى وأمَّ أبان(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٠-٤٢١.

(٢) لم أجد هذا الكلام في مطبوع أنساب الأشراف، وهو بهذا السياق في طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٢ وما بين حاصرتين منه.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٠٥ (تراجم النساء) عن الزبير دون ذكر رقية، وانظر نسب قريش ١٠٥.

وقال الواقدي: الثّبت عندنا أنها ما أولدها غير مريم. وقد ذكرنا أنه تزوّج نائلة في سنة ثمان وعشرين.

وقال أبو القاسم بن عساكر: روت نائلة عن عثمان الحديث، وروى عنها النعمان ابن بشير[(١)].

وكانت مريم أصغر بنات عثمان، وكلُّ نساء عثمان وَلَدْن له إلا أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

قال هشام: وكانت نائلة تحته يوم قُتل في أصحِّ الروايات، واختُلف فيما عداها، فقيل: كانت عنده رملة وفاختة وأمّ البنين، وقيل: إنه طلّقهن وهو محصور ما عدا نائلة، وقيل: إنما طلق أمَّ البنين وقد ذكرناه.

ذكر أعيان أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

منهم عمرو بن عثمان: كان أسنَّ ولد عثمان، وأعقلَهم، وأشرفَهم، وأكثرَهم عَقِباً، وبه كان عثمان يُكنى.

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: ويقال إن عمرو بن عثمان صلّى على أبيه بعدما قُتل[(٢)].

ذكره ابن سعد في موضعين في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: له أحاديث، قال: وأمُّه أمُّ عمرو بنت جُندب بن عمرو بن حُمَمة بن الحارث بن رفاعة ابن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غَنْم بن دُهمان بن مُنهِب بن دَوْس[(٣)].

وقال الوليد بن مسلم: قدم عمرو على معاوية، فأغزاه أنقرة من بلاد الروم، ففَتَحها فزوّجه ابنتَه رَمْلة بنت معاوية، وهو يومئذ خليفة، فولدت له عثمان الأكبر لا عَقِب له، وخالداً وله عقب.

وقال الوليد بن مسلم: وكان مروان قد أغرى بينه وبين معاوية، ووَثَبه على الخلافة

(١) تاريخ دمشق ٤٠٤ (تراجم النساء).

(٢) التبيين ١٨١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ، ولم يرد في موضع آخر، وإنما ورد أخوه عقبه.

وقال: إنما نالها معاوية باسم أبيك، وتَمويهه على أهل الشام بطلَبه بدمه، وأنت أولى، ونحن أكثر عدداً من آل حرب، وجعل يُعدّد رجال بني العاص، وكانت زوجته رَمْلة بنت معاوية تسمع من وراء الحجاب.

ثم خرج مروان وعمرو إلى مكة حاجَّين أو معتمِرَيْن، وخرجت رملةُ إلى الشام، فأخبرت أباها وقالت: مازال مروان يُعَدِّدُ رجالَ بني [أبي] العاص ويُفضِّلُهم على بني حَرْب حتى عَدَّ ابنيَّ: عثمان وخالداً، فتمنيّتُ أنهما ماتا، فحَقَدها معاويةُ على مروان[١].

وحكى ابن سعد عن عَمرو بن عثمان: أنه كان يَصبغ بالسَّواد[٢].

وقال البلاذري: عاش عمرو بن عثمان إلى أيَّام الحَرَّة، وكان مع أهل المدينة حين قدم مُسلم بن عُقبة المرِّي لقتال أهلِ الحَرَّة في أيام يزيد بن معاوية، فدعا به مُسلم، وقال له: إيه يا فاسق، إذا خرج أهلُ المدينة قلتَ: أنا رجلٌ منكم، وإذا ظهر أهلُ الشام قلتَ: أنا ابنُ أمير المؤمنين، ثم التفت إلى مَن حوله وقال: هذا الخبيثُ ابنُ الطيِّب، وإنما أُتي مِن قِبَل أمّه الحمقاء، لقد بلغني أنها كانت تَجعل في فِيها خُنفساء، وتقول: حاجتُك في فمي، وفي فمها ما ساءها؛ ثم أمر به فضُرب بالسّياط[٣].

أسند عمرو بن عثمان بن عفان الحديث.

قال ابن سعد: روى عن أبيه، وعن أسامة بن زيد، وكان ثقةً له أحاديث[٤].

وقال أبو القاسم بنُ عساكر: وروى عنه عليّ بنُ الحسين وابنُ المسيّب وأبو الزّناد.

قال: ومما روى عنه علي بن الحسين، عن أسامةَ بن زيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ»[٥].

قلت: وهذا الحديثُ في «الصحيحين»[٦].

(١) نسب قريش ١٠٩ـ١١٠، وتاريخ دمشق ٥٥/ ٣٧٢ـ٣٧٣.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠.
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٤.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠.
(٥) تاريخ دمشق ٥٥/ ٣٦١.
(٦) صحيح البخاري (٦٧٦٤)، وصحيح مسلم (١٦١٤).

قلت: قد ثبت أن في أولاد عثمان بن عفان مَن اسمُه عُمر - بغير واو - وهو أخو عَمرو لأبيه وأُمِّه، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة في أولاد عثمان.

قال: وروى عُمر عن أسامة بن زيد، وروى عنه الزهري.

قال: وولد عمر بن عثمان: زيداً وعاصماً لأمّ ولد. وكان لعمر دارٌ بالمدينة، وله عَقِب، وكان قليلَ الحديث، ومن ولده العَرْجيّ الشاعر(١).

وذكره البلاذري فقال: وَلد عُمر بن عثمان بن عفان: زيداً وعاصماً وأمَّ أيّوب، قال: فأما عاصم بن عمر بن عثمان فكان يُبَخَّل، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

ألا أيّها الرُّكبانُ سِيروا وأدْلِجوا ... فقد خاب مَن يَبغي القِرى عند عاصمِ
فمالي من ذنبٍ إليه عرفتُه ... سوى أنني قد زُرتُه غيرَ صائمِ(٢)

وأما زيد فتزوَّج سُكَينة بنت الحسين عليه السلام، فنهاه سليمان بن عبد الملك عنها فطلَّقها؛ لأن سليمان خطبها بعد قتل مُصعب(٣).

قلت: وهذا وهم من البلاذري؛ لأن الذي خطب سُكينة بعد قتلِ مصعب عبد الملك ابن مروان، فلم تُجِبْه لكونه قتل زوجَها مُصعباً، وقالت: أيَخطبني أبو الذِّبَّان، لما نذكر.

قال: وأما أمّ أيوب بنت عمر بن عثمان بن عفان فتزوَّجها عبد الملك بن مروان(٤).

وأما أبان بن عثمان بن عفان فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه أم عَمرو بنت جُندب من دَوْس، وهو أخو عُمر وعَمرو ابني عثمان لأمهما وأبيهما، وأمّ عمر هي الحمقاء.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠، والمعارف ٢٠٠.

(٢) البيتان للحزين الكناني في هجاء عاصم بن عمرو بن عثمان في الأغاني ١٥/ ٣٣٩-٣٤٠، وفي هجاء عاصم بن عمر بن عمرو بن عثمان في أنساب الأشراف ٥/ ٢٦٧-٢٦٨، وفي هجاء عاصم بن عمر بن عثمان في المعارف ٢٠١ وكأن المصنف ينقل عنه.

(٣) أنساب الأشراف (١٥٨٤) (عباس)، ٥/ ٢٧١ (العظم)، وفيه أن الذي خطبها عبد الملك لا سليمان، وبذلك فلا وهم من البلاذري كما سيذكر المصنف.

(٤) لم أجده في أنساب الأشراف، وهو في المعارف ٢٠١.

قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن عمر، عن بعض أصحابه قال: كان يحيى بنُ الحكم بن أبي العاص بن أُميّة على المدينة عاملاً لعبد الملك بن مروان، وكان فيه حُمْق، فخرج إلى عبد الملك وافداً عليه بغير إذنه، فلما قدم عليه قال: ما أقدمك عليَّ بغير إذني؟! مَن استعملتَ على المدينة؟ قال: أبان بن عثمان، قال لا جَرَمَ، لا تَرجعُ إليها، فأقرَّ عبد الملك أباناً على المدينة، فعزل أبان عبد الله بنَ قيس بن مَخرمة عن القضاء، وولّى نوفل بن مُساحِق قضاءَ المدينة.

وأقام أبان والياً على المدينة سبعَ سنين، وحجّ بالناس سبع سنين[١]، وفي ولاية أبان تُوفّي جابر بن عبد الله ومحمد بنُ الحنفية، فصلى عليهما بالمدينة، [ثم عزل عبد الملك أباناً عن المدينة] وولاها هشام بن إسماعيل.

وروى ابن سعد عن الواقدي: أنه كان بأبان وَضَحٌ كثير، فكان يَخضب مَواضعه [من يده] ولا يَخضبه في وجهه، وكان به صَمَمٌ، وكان يُصفّر لحيتَه ورأسَه بالحِنّاء، وكان مَفلوجاً.

قال ابن سعد بإسناده عن الحجّاج بن فُرافصَة، عن رجلٍ قال: دخلتُ على أبان بن عثمان، فقال أبان: مَن قال حين يصبح: لا إله إلا الله العظيم، سبحان الله العظيم وبحمده، لا حول ولا قوّة إلا بالله، عُوفي من كلّ بلاءٍ يومئذ. قال: وبأبان يومئذٍ الفالِج، قال: أما إن الحديث كما حدَّثتُك؛ إلا أنه يومَ أصابني هذا لم أكن قلتُه.

قال: وقال الواقدي: أصاب أباناً الفالجُ سنةً قبل أن يَموت، وكان يُقال بالمدينة: فالج أبان، لشدّته.

قال: وتُوفّي أبان في المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك.

وروى أبان عن أبيه، وكان ثقةً، وله أحاديث، وكان له من الولد سعيد، وبه كان يُكنى، وأمُّه بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز[٢].

هذا صورةُ كلام ابن سعد عن الواقدي.

---

(١) في طبقات ابن سعد ٧/ ١٥١ : وحج بالناس سنتين.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠-١٥١ .

قد ذكر أرباب السِّيَر سيرةَ أبان بن عثمان، فقالوا: شهد الجَمل مع عائشة وكان ثاني المنهزِمين.

وقال ابنُ قتيبة: وهو ابنُ الحمقاء التي كانت تَجعل الخُنفساء في فيها وتقول حاجتُك في فمي.

قال: وكان من أصحاب العاهات؛ أبرص، أصمّ، أحول، سيّء السيرة، صاحبَ رشوة وجَورٍ في ولايته، وقد وَلي مكة والمدينة، وكان يُلقَّب بُقَيعاً، وكانت عنده أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثم خلف عليها بعدَه الحجَّاج بن يوسف[١].

وقال الموفق رحمه الله: كان أبان فقيهاً، وقد رُوي عنه الحديث، وولدُه عبد الرحمن بن أبان من خيار المسلمين، قال: وكان عبد الرحمن يَشتري أهلَ البيت فيَكسوهم ويُعتقهم، ويقول: أنتم أحرار لوجه الله، أستعينُ بكم على غَمَرات الموت، قال: فزعموا أنه صلّى يوماً في مسجده، فوجدوه مَيتاً في مُصَلّاه[٢]، وكان في سنة أربع ومئة.

وأما خالد بن عثمان فأمُّه الحمقاء أيضاً، قال البلاذري: تُوفّي في خِلافة أبيه، ويُلَقَّب كَسِيراً.

قال الواقدي: ركب بغلةً من السُّقْيا ليَدخل المدينة فيُدرِكَ صلاةَ الجمعة مع أبيه عثمان، فعثرت البغلةُ فنفقَتْ، وكُسِر خالد، أصابه قطعٌ فهلك منه، وله عَقِب، كان عندهم مصحف عثمان الذي دَمُه عليه[٣].

وأما سعيد بن عثمان فكُنيتُه أبو عثمان، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، وأمُّها أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وكان سعيد قليلَ الحديث[٤]. هذه صورة كلام ابن سعد.

---

(١) المعارف ٢٠١ و٥٧٨، وانظر أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) التبيين ١٨٢.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧١.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٢.

وقال الواقدي: ولّاه معاوية بعضَ خُراسان، ففتح سَمَرقند، وأُصيبت عينُه بها، وفتح بُخارى، وكان يُبَخَّل، فعزله معاوية عن خُراسان.

قال البلاذري: إنما عَزَله معاوية عن خُراسان لأنه طلب الخِلافة.

ولما بايع معاوية لابنِه يزيد بلغ صبيانَ المدينة، فجعلوا يقولون: [من الرجز]

والله لا يَنالُها يزيدُ

حتى ينالَ رأسَه الحديدُ

إن الأميرَ بعده سعيدُ

وبلغ معاوية، فاستقدمه فقال: يا ابن أخي، ما شيءٌ يَقوله صبيانُ أهلِ المدينة؟ فقال له: يا معاوية، وما تُنكر من ذلك؟ والله إن أبي لخيرٌ من أبي يزيد، وإن أمّي لخيرٌ من أمه، وإني لخيرٌ منه، وقد استعملناك فما عَزلناك، ووَصَلْناك فما قطعناك، وصار أمرُنا بيدك.

فولاه معاوية بعض خُراسان ليَشغَلَه عنه، ثم عزله وحبسه خوفاً منه[1].

وقال البخاري: غزا سعيدُ بن عثمان ما وراء النهر.

وقال أبو أحمد الحاكم: فتح سعيد فُتوحاً كثيرة، وأُصيبت عينُه مع الأحنف بن قيس.

وقال خليفة: عزل معاويةُ عبيد الله بنَ زياد عن خراسان في سنة ست وخمسين، ووَلّاها سعيد بنَ عثمان، فغزا سعيد ومعه المهلّب بن أبي صُفرة، وطلحة الطّلحات، وأوس بن ثَعْلبة من بني تَيْم اللات، وربيعة بن عَسّال اليَربوعي، فنازل سَمَرقَنْد، فخرجوا إليه فقاتلوه، فألجأهم إلى المدينة، فصالحوه وأعطَوْه رهائن، ثم عَزله معاوية في سنة سبعٍ وخمسين، وولاها عُبيد الله بن زياد[2].

وقدم سعيد المدينة، ومعه الرَّهائن من أولاد الصُّغد، فأخذ كِسوتَهم ومناطِقَهم،

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٣١٢-٣١٣ (خ)، وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٥٠٣، وتاريخ خليفة ٢٢٤.

فدفعها إلى غِلمانه، وألبسهم جِباب الصُّوف، وكلَّفهم العملَ الصَّعب والسواني، وكانوا من أولاد الملوك، فاستعملهم يوماً في حائطٍ له، فقتلوه بالمَساحي، وطُلِبوا فقتلوا نفوسهم.

وهل قُتل قبل وفاة معاوية أو بعده؟ فيه قولان.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني عن العُتبي قال: لما قُتل سعيد قالت أمُّه: أشتهي مَن يَرثيه بما في نفسي، فقال عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان: [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ باكيةً فتًى ... فابكي هُبِلتِ على سعيدِ
فارقتَ أهلَك بغتةً ... وجلبتَ حتفَك من بعيدِ
أذْرِي دموعَكِ والدِّما ... ء على الشّهيد ابنِ الشهيدِ

فقالت: هذا والله الذي كان في نفسي، ووصَلتْه(١).

وأما الوليد بن عثمان بن عفان فأمُّه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو أخو سعيد لأمّه وأبيه.

قال أبو اليقظان: كان صاحب شراب، قُتل أبوه عثمان وهو في حَجَلةٍ سكران، عليه المصبّغات من الأحمر والأصفر والأخضر، وقد خَلّق رأسَه ولحيتَه.

وذكره المدائني وقال: كان للوليد هذا ولدٌ اسمه عبد الله بن الوليد، يسبُّ علي بنَ أبي طالب، وأمُّه ابنةُ الزبير بن العوام، وهو الذي قام إلى هشام بن عبد الملك يومَ عَرَفة وقال له: لم لا تَسبُّ أبا تُراب؟! فزَبَره هشام وقال له: اسكت، ما أتَينا إلى ها هنا لهذا(٢).

وأما عبد الملك بن عثمان فمات في حياة أبيه وهو غلام.

وأما بناتُ عثمان بن عفان فسبع: مريم الكُبرى، وأمُّها أمُّ عمرو بنت جُندب الحمقاء، وأمُّ سعيد، وأمُّها فاطمة بنت الوليد، وعائشة وأمّ أبان وأمّ عمر، وأمُّهن رَمْلة بنت شَيبة بن ربيعة، ومريم الصُّغرى، وأمُّها نائلة بنت الفَرافِصَة، وأمُّ البَنين لأُمِّ وَلَد.

---

(١) الأغاني ٢/ ٢٥٣، وانظر نسب قريش ١١٠، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٧٥.
(٢) المعارف ٢٠٢، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٦٩-٢٧١.

فأما مريم الكُبرى فتزوّجها سعيد بنُ العاص بن أمية، وكان قد تزوَّج سعيدٌ قبلها أختها أمَّ عمرو بنت عثمان فهَلَكت عنده، فتزوّج بعدها أختَها مريم، فهلك عنها، فتزوَّجها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فهلكت عنده.

وأما عائشة بنت عثمان فتزوَّجها الحارث بنُ الحكم بن أبي العاص، ثم خلف عليها بعده عبد الله بنُ الزبير.

وأما أم أبان بنت عثمان فتزوَّجها مروان بنُ الحَكَم.

وأما أم سعيد بنت عثمان فتزوَّجها عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العِيص.

وأما مريم الصُّغرى فتزوَّجها عَمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط.

وأما أمُّ البَنين فتزوّجها عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب.

ذكر موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان له عِدَّة من الموالي، المشهور منهم: حُمران وكَيْسان.

فأما حُمران بن أبان فكُنيتُه أبو زيد، وهو من سَبْي عينِ التَّمر، سباه المسيَّب بن نَجَبة الفَزاري في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وكان الأمير خالد بن الوليد، وكان حُمران يهودياً فأسلم، فأعتقه عثمان، وكان يَكتب له، ثم تزوَّج امرأةً في عِدَّتها، فجلده عثمان ونَفاه إلى البصرة، وهو الذي سعى بعامر بن عبد القيس حتى نفاه عثمان بن عفان إلى الشام، وقد ذكرناه.

وقد ذكره ابنُ سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة في الموالي فقال: حُمران بنُ أبان مولى عثمان، روى عن عثمان، وتحوَّل إلى البصرة فنزلها، وادَّعى وَلَدُه أنهم من النَّمِر بن قاسط بن ربيعة، وكان كثيرَ الحديث، ولم أرهم يَحتجُّون بحديثه[١].

وقيل: إنه أفشى سرَّ عثمان، فنفاه إلى البصرة، وقيل: سببُ نفيه أن عثمان بعثه إلى الكوفة ليكشِفَ عما قيل عن الوليد بن عُقبة، فرشاه الوليد، فلم يُخبر عثمان وأخبر مروان، فأخبر مروانُ عثمان، وقد ذكرناه[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٩.

(٢) انظر ترجمة حمران في المعارف ٢٠٢ و٤٣٥، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٨٨، والسير ٤/ ١٨٢.

وأما كَيْسان مولى عثمان فكُنيتُه أبو فَروة، وولدُه عبد الله بنُ أبي فروة كان عظيمَ القَدْر، وكان مع مُصعب بن الزبير لما قُتل، فحَمل أموال مصعب إلى مكة، وكانت عشرة آلاف ألف درهم(١).

ذكر مسانيد عثمان بن عفان:

واختلفوا فيها، قال قوم: روى عن رسول الله ﷺ مئةً وستةً وأربعين حديثاً، وقال ابن البرقي: أسند نحواً من أربعين حديثاً، وقال أبو نُعيم: نيّفاً وستين حديثاً سوى الطُّرق.

وأخرج له أحمد أحداً وخمسين حديثاً، ذكرها جدي في «جامع المسانيد»، أخرج له منها في «الصحيحين» ستة عشر، المتفق عليها منها ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة(٢).

وروى عثمان عن أبي بكر وعمر، وروى عنه أعيانُ الصحابة: العبادلة، وزيد بن ثابت، وعمران بن حُصين، وأنس، وأبو هريرة، والمغيرة بن شُعبة، وزيد بن خالد الجُهَني، وأبو قتادة في آخَرين، ومن التابعين عبد الله بن عامر بن كُرَيز ابنُ خال عثمان، ومروان بن الحكم ابنُ عمه، وبنو عثمان: أبان وسعيد وعُمر في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عثمان بن عفان سوى رجلين؛ أحدهما صاحب هذه الترجمة، والثاني عثمان بن عفان الثقفي، ذكره جدّي في «التّلقيح» في أسامي الصحابة(٣)، ولم يَذكره فيمن له رواية، والظاهر أنه عثمان بن أبي العاص الثقفي، وقد فرّقنا في الكتاب جملةً من مَسانيد عثمان.

قال أحمد بإسناده، عن محمود بن لبيد، عن عثمان بن عفان قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن بنى لله مسجداً بنى الله له مثلَه في الجنة». أخرجاه في «الصحيحين»(٤).

انتهت ترجمة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه(٥).

---

(١) في المعارف ٢٠٢ : فحمل عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى المدينة.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٤ ، ٣٩٦ .

(٣) في مطبوع التلقيح ٢٢٩ : عثمان بن عثمان الثقفي.

(٤) مسند أحمد (٤٣٤)، وصحيح البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٥) انظر في ترجمة عثمان ـ إضافة إلى ما ذكر من مصادر: تاريخ المدينة ٣/ ٩٥٢ ، والاستيعاب (١٨٧٨)، =

فصل وفيها توفي

عِياض بن زهير

ابن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال الفِهريّ، وكُنيته أبو سعد، من الطبقة الأولى من المهاجرين وأمه سَلْمى بنت عامر بن ربيعة، فهريّةٌ أيضاً، هاجر إلى الحبشة الهجرةَ الثانية في قول ابن إسحاق والواقدي، ثم قدم المدينة مهاجراً قبل بدر، فشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، قالوا: وهو عمُّ عياض بن غَنْم الفهري والي الجزيرة.

ومات عياض بنُ غَنْم في سنة عشرين، وصاحبُ هذه الترجمة في سنة خمس وثلاثين، وليس في الصحابة مَن اسمُه عياض بن زهير غيرُه، وله رواية وصُحبة[١].

وفيها تُوفّي

فيروز الدَّيلمي الحِميريّ

نُسِب إلى حِمْيَر لأنه نزل فيهم، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة في الوافِدِين على النبي ﷺ وقال: هو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى لنَفْي الحبشة من اليمن، فنَفَوْهُم عنها وأقاموا بها[٢].

وفيروز هو الذي حضر قتلَ الأسود العَنْسي، وقال رسول الله ﷺ لما جاء الخبرُ من السماء بقتل الأسود: «فاز فيروز الرجلُ الصّالح».

وكُنية فيروز أبو عبد الرحمن.

وقال جدّي رحمه الله في «التلقيح»[٣]: فيروز ابن أخت النَّجاشي.

= والحلية ١/ ٥٥، والمنتظم ٤/ ٣٣٤ و٥/ ٤٩، وصفة الصفوة ١/ ٢٩٤، وتهذيب الكمال وفروعه، والإصابة ٢/ ٤٦٢.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٦، والاستيعاب (١٩٣٨)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٢٣٩، والتبيين ٤٩٤، والإصابة ٣/ ٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٧.

(٣) ص ٢٤٢.

وقال الواقدي: وكان لفيروز ثلاثةُ أولاد: عبد الله والضحاك وعيَّاش، وكُنية عبد الله أبو بِشر، ويُقال: أبو نَسْر بنون وسين[١].

صحب عبد الله معاذ بنَ جَبَل بالشام إلى أن مات، وسكن فلسطين والأردن، وحدّث عن معاذ، وأبيّ بن كعب، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحُذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وحَنَش بن عبد الله، وعن أبيه فيروز.

وروى عنه يحيى بن أبي عمرو السَّيباني، ومحمد بن سيرين، وحُكَيم بن زُرَيق الأيلي. وَفَد على عمر بن عبد العزيز.

والضحاك بن فيروز صحب عبد الملك بن مروان[٢].

وليس في الصحابة مَن اسمُه فيروز سواه.

وقيل: مات في هذه السنة، قال ابن سعد: مات في خلافة عثمان بن عفان، ولم يَذكر تاريخَ وفاتِه[٣].

أسند فيروز عن رسول الله ﷺ أحاديث، أخرج له أحمد في «المسند» ثلاثةَ أحاديث.

الحديث الأول: قال أحمد بإسناده عن الأوزاعي، عن عبد الله بن فَيروز الدَّيلمي، عن أبيه: أنهم أسلموا وبعثوا وَفْدَهم إلى رسول الله ﷺ ببيعتهم وإسلامِهم، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم، فقالوا: يا رسول الله، نحن مَن قد عَرفتَ، وجئنا من حيث قد عَلمتَ، وأسلمنا فمَن وَليُّنا؟ فقال: «الله ورسولُه»، قالوا: حَسبُنا.

الحديث الثاني: قال أحمد بإسناده عن ابن فَيروز الدَّيلمي، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُنْقَضَنّ الإسلامُ عُروةً عُروة».

الحديث الثالث: قال أحمد بإسناده عن الضحاك بن فيروز: أن أباه فيروز أدركَه الإسلام وتحته أختان، فقال له النبي ﷺ: «طَلِّق أيَّتهما شِئتَ»[٤]. وأخرج له غيرُ أحمد أحاديث.

---

(١) لم يذكر هذا أحد ممن ترجم له، والصواب: أبو بُسر، انظر الإكمال ١/ ٦٠، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩٥.

(٢) في (خ): وفد على عمر بن عبد العزيز والضحاك بن قيس وصحب عبد الملك بن مروان، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٩٣ و٨/ ٤٠٦ (خ).

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٨ و٨/ ٩٣.

(٤) مسند أحمد (١٨٠٣٧) و(١٨٠٣٩) و(١٨٠٤٠).

وقال ابن سعد: وَفَد فيروز على رسول الله ﷺ، وروى عنه أحاديثَ، منها حديثٌ في القِدْر، قال وبعضُهم يَروي عنه فيقول: حدَّثني الدَّيلمي، وبعضهم يقول: الحِميريّ، وبعضهم يقول: عن الدَّيلم، وهذا كلُّه واحد.

قال ابن سعد بإسناده عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني، عن الدَّيلمي قال: قلتُ: يا رسول الله، إنا بأرضٍ باردة، وإنا نَستعين بشرابٍ من القَمح، قال: «أيُسْكِر؟» قلتُ: نعم، قال: «فلا تشربوه»، ثم أعاد فقال له كذلك، فقال: إنهم لا يَصبرون عنه، قال: «فإن لم يَصبروا عنه فاقتُلْهم»[١].

وفيها تُوفّي

مُعاذ ابن عَفْراء

وعفراء اسمُ أمّه، وأبوه الحارث بن رِفاعة بن الحارث بن سَواد بن مالك بن غَنْم، ومعاذ من الطبقة الأولى من الأنصار، وسنذكر أمّه في آخر ترجمته.

وحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: ويُروى أن معاذ بنَ الحارث ورافع بن مالك الزّرَقي أول مَن أسلم بمكة من الأنصار، ويُجعل في الثمانية نَفَرٍ الذين أسلموا أوّل مَن أسلم من الأنصار بمكة، قال: ويُجعل في الستّة النفر الذين يُروى أنهم لقوا النبي بمكة من الأنصار فأسلموا، ولم يَتقدَّمهم أحد.

قال محمد بن عمر: وأمرُ الستة أثبتُ الأقاويل عندنا.

قال: وشهد معاذ العَقَبَتين في روايتهم جميعاً، وبدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بين معاذ ومَعمر بن الحارث[٢].

وكان معاذ يَتصدّق بجميع ما يُفتح به عليه.

قال هشام: وكان عمر بن الخطاب يَبعث إلى أهل بدر حُلَلاً، ويبعث إليه بالحُلّة، فيبيعها ويَشتري بثمنها رقاباً فيُعتقهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٨ و٨/ ٩٣ . وانظر ترجمة فيروز في المعارف ٣٣٥ ، والاستيعاب (٢٠٨١)، وتاريخ دمشق ٥٨/ ١٩٨ ، والإصابة ٣/ ٢١٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦ .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده إلى ابن أبي ليلى قال: كان معاذ بن عَفراء لا يَدع شيئاً إلا تصدق به، فلما وُلد له مولودٌ استشفعت إليه امرأتُه بأخواله، فكلّموه وقالوا: إنك قد أَعَلْتَ، فلو جمعتَ شيئاً لوَلَدك، فقال: إن نَفْسي قد أبَتْ إلا أن تَستترَ بكلِّ شيءٍ أجده من النار. فلما مات ترك أرضاً إلى جَنْب أرضٍ لرجل، فاحتاج إليها جارُه، فباعها وليُّ صبيانه بثلاث مئةِ ألف درهم، وكانت تُساوي عشرة دنانير[(١)].

ذكر أولاده: قال ابن سعد: كان له من الولد عُبيد الله، وأمُّه حَبيبة بنت قيس بن زيد، من الأوس، والحارث وعوف وسلمى، وهي أمُّ عبد الله، ورَمْلة، وأمُّهم أمُّ الحارث بنت سَبْرة بن رِفاعة، من بني النّجّار، وإبراهيم وعائشة، وأمُّهما أمُّ عبد الله بنت نُمَير، من جُهَينة، وسارة، وأمُّها أمُّ ثابت، وهي رَمْلة بنت الحارث بن ثعلبة، من بني النجّار[(٢)].

وليس في الصحابة مَن اسمُه معاذ ويُنسب إلى أمّه عفراء غيرُه.

وذكر جدّي في «المنتظم»[(٣)] أنه توفي في هذه السنة، ولم يذكر ابن سعد تاريخَ وفاته بل قال: تُوفّي معاذ بن الحارث بعد قتلِ عثمان بن عفان؛ أيّام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وله اليوم عَقِب[(٤)].

ذكر أمّه عَفْراء: قال ابن سعد: وهي عَفْراء بنت عُبيد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وأمُّها الرعاة بنت عديّ، من بني النجّار، تزوّجها الحارث بن رِفاعة، فوَلَدت له مُعاذاً ومُعوّذاً وعوفاً، وشهدوا بدراً، أسلمتْ وبايعتْ رسول الله ﷺ[(٥)].

وليس في الصحابيات مَن اسمُها عفراء سوى اثنتين: إحداهما هذه، والثانية عفراء بنت السَّكَن بن رافع، أنصارية أيضاً[(٦)].

---

(١) المنتظم ٥/ ٧٣-٧٤، وصفة الصفوة ١/ ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦.

(٣) ٥/ ٧٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦، وانظر في ترجمته: الاستيعاب (٢٢٧٢)، والاستبصار ٦٥، والسير ٢/ ٣٥٨، والإصابة ٣/ ٤٢٨.

(٥) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤١٢.

(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٩.

قلت: وعَفراء بنت عبيد [أمّ] صاحب هذه الترجمة هي التي شهد لها بدراً سبعُ بنين مُسلِمين، وقد ذكرناهم في غزاة بدر.

فصل وفيها توفّي

أبو لُبابةَ

ابنُ عبد المنذر بن رفاعة بن زَنْبر بن أمية، من الطبقة الأولى من الأنصار [من] بني عمرو بن عوف، وقيل: اسمه بَشير، وإنما اشتهر بكنيته، وأمه نسيبة بنت زيد بن ضُبَيْعَة، من بني عمرو بن عوف.

شهد أبو لبابة المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ ما عدا بدراً، فإنه ردّه رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر من الرَّوحاء، واستعمله على المدينة، وضرب له بأجره وسَهْمه، فكان كمن شَهدها، وقد ذكرناه. وشهد أُحداً، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة أيضاً حين خرج إلى غزوة السَّويق، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح.

وهو الذي ربط نفسه إلى سارية لما قال لبني قُرَيظة: الذَّبح الذّبح، ثم تاب الله عليه، وفي الصحابة آخر يُقال له أبو لبابة من بني أسلم.

وقد روى أبو لُبابة بن عبد المنذر الحديثَ عن رسول الله ﷺ.

ذكر أولاده: كان له من الولد: السّائب وأمُّه زينب بنت خِذام أنصارية، ولُبابَة وبها كان يُكنى، تزوّجها زيد بن الخطاب فوَلَدت له، وأمُّها نسيبة بنت فَضالة أنصارية.

وكان لأبي لُبابة أخوان: مُبَشِّر ورفاعة لأبيه وأمه، شهد مُبَشّر بدراً، وقُتل يومئذ شهيداً، قتله أبو ثور، وأخوه رفاعه قُتل يوم أحدٍ شهيداً[1]، وقد ذكرناه، وهذا ما انتهى إلينا.

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٢ و٤٢٣، والمعارف ٣٢٥، والاستيعاب (٣١٢٣)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٩١ و٢٨٠، والاستبصار ٢٧٦، والإصابة ٤/ ١٦٨.

السنة السادسة والثلاثون

قال علماء السير كابن هشام والواقدي وسيف بن عمر عن أشياخهم: لما دخلت سنة ست وثلاثين فرَّق أميرُ المؤمنين عُمَّاله على الأقطار، قال سيف: فحدّثني محمد وطلحة قالا: بعث عثمان بنَ حُنَيف إلى البصرة، وعُمارة بن حسان بن شهاب الثوري على الكوفة، وكان من المهاجرين، وعبيد الله بن العباس إلى اليمن، وقيس بن سعد بن عُبادة إلى مصر، وسهل بن حُنَيف إلى الشام.

فأما سهل بن حُنَيف فإنه لما وصل إلى تبوك لَقيَتْه خيلٌ، فقالوا: مَن أنت؟ قال: أمير، [قالوا: على أي شيء؟ قال:] على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بَعَثَك فحَيَّهَلا بك، وإن كان غيرُه فارجع، فليس لك علينا إمرة، فقال: أوَما سمعتُم بما جرى؟ قالوا: بلى، فرجع إلى المدينة، وأخبر علياً بذلك.

وأما قيس بن سعد فإنه لما وصل إلى أيلة لقيَتْه خيلٌ، فقالوا: مَن أنت؟ قال: من فالَّة عثمان، أطلبُ مَن آوي إليه، قالوا: ادخل، فدخل مصر وقال: أنا قيس بنُ سعد، وافترق أهلُ مصر عليه فِرَقاً؛ فرقة دخلت في الجماعة فكانوا مع قيس، وفرقة اعتزلت إلى مكان يُقال له: خَرِبْتا، ووافقهم أهلُها وقالوا: الأمر موقوف؛ إن قتل عليٌّ قتلةَ عُثمان فنحن معه، وإلا كنا على حالنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي إلا أن يَقتُل إخواننا، يعنون قتلةَ عثمان، وهم في ذلك مع الجماعة.

فكتب قيس إلى علي بذلك، وسنذكر قصة قيس بن سعد بعد هذا.

وأما عثمان بن حُنَيف فسار حتى دخل البصرة، فلم يَرُدّه عنها أحد، وافترق أهلُها، ففِرقة دخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت، وفرقة قالوا: نحن مع أهل المدينة، نَنظُر ما يصنعون فنصنع كذلك.

قال أبو جعفر الطبري في «تاريخه»(١): وأما عُمارة فإنه لما وصل إلى زُبالة تلقّاه طُليحة بن خُويلد ـ وقد كان حين بلغه قتلُ عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول:

---

(١) ٤/ ٤٢٢ـ٤٤٣ وما سبق منه.

لَهْفي على أمرٍ لم أُدركْه ـ فقال لعُمارة: ارجع، فإن القوم لا يُريدون بأميرهم بديلاً، فإن أبيتَ ضربتُ عُنُقَك، فرجع عُمارة إلى المدينة.

قلت: وقولُ الطبري: لَقيَه طُليحة بن خُويلد وَهم، فإن طُليحة بن خويلد استشهد بنَهاوَنْد في سنة إحدى وعشرين، في أيام عمر بن الخطاب من غير خلاف.

ولما حكى جدّي رحمه الله في «المنتظم»[(١)] قصةَ عُمارة قال: ولما وصل إلىٰ زُبالة رُدّ، ولم يذكر سوى هذه اللفظة، ولم يحْكِ ما حكاه الطبري عن طليحة بن خويلد.

وأما عُبيد الله بن عباس فإنه لما وصل إلى اليمن، جمع يَعلى بن أُميَّة ما كان بها من مال، وسار على حامية، حتى نزل مكة، وهذا يَعلى بن أُمَيّة؛ أميةُ أبوه، وأمه مُنْيَة بنون، وهي بنت غزوان، وأخت عُتبة بن غزوان، وسنذكره فيما بعد.

قالوا: ولما رجع سهل بن حُنَيف من الشام دعا عليّ طلحةَ والزبير، وقال لهما: إن الفتنة قد وقعت، والذي كنا نَحذره من معاوية قد كان، وإن الفتنة تُسعّر، كالنار تزداد بالوَقود، فماذا تريان؟ قالا: ائذن لنا في الخروج من المدينة، فإما أن نُكاثر وإما أن تَدَعنا، فقال: سأُمسك الأمرَ ما استمسك، فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدَّاء الكيّ.

وحكى جدي رحمه الله في «المنتظم» القصة وقال: آخر الدواء الكي[(٢)].

وكتب علي إلى أبي موسى الأشعري أن يَأخذ البيعةَ على أهل الكوفة، وبعث بكتابه مع مَعْبد الأسلمي، فكتب إليه ببيعة أهل الكوفة، وبيَّن الراضي منهم والكاره، حتى كان علي عليه السلام على الواضحة من أهل الكوفة[(٣)].

ثم كتب أمير المؤمنين إلى معاوية، قال علماء السير ممّن سمَّينا: كتب مع الجُهَنيّ كتاباً يَدعو فيه معاوية إلى الطاعة، ويَتواعده على المخالفة، فقدم عليه، فدفع الكتاب إليه، فلما قرأه تَمثَّل وقال: [من البسيط]

أدِمْ إدامةَ حصنٍ أو خُذاً بيدي ... حَرْباً ضروساً تَشُبُّ الجَزْلَ والضَّرَما

---

(١) ٥/ ٧٦.

(٢) المنتظم ٥/ ٧٦.

(٣) في الطبري ٤/ ٤٤٣: حتى كأن علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة.

في جاركم وابنكم إذ كان مَقتلهُ شَنْعاءَ شَيَّبَتِ الأصداغَ واللّمَما
أعيا المَسُودُ بها والسَّيِّدون فلم يُوجَدْ لها غيرُنا مَولًى ولا حَكَما

فأقام الجُهَنيّ عنده ثلاثة أشهر إلى سَلْخِ صَفَر، كلما سأله الجواب تمثّل بهذه الأبيات، فلما مضى الشهرُ الثالث من مَقتل عثمان؛ دعا معاويةُ برجلٍ من بني عَبْس يُدعى قَبيصة، فدفع إليه طُوماراً مَختوماً عنوانه: من معاوية إلى علي، وقال له: إذا دخلتَ المدينة فاقبض على أصلِ الطُّومار وارفعه، ثم أوصاه بما يقول، وأشخص معه رسولَ عليّ الجُهني، وخرجا، فقدما المدينةَ في ربيعٍ الأول، فلما دخلا رفع العبسيُّ الطُّومار، وقد خرج الناس ينظرون إليه، فلما رأوا الطومار تَفرَّقوا إلى منازلهم، وعلموا أن معاوية مُخالفٌ معتَرِض.

ودخل العبسيُّ على أمير المؤمنين، فدفع إليه الطُّومار، ففضَّ خاتمه فوجده كلّه بياضاً ليس فيه كتاب، فقال للرسول: وَيحك، ما وراءك؟ فقال: أنا آمن؟ قال: نعم إن الرُّسُلَ لا تُقتل، قال: تركتُ ورائي أقواماً لا يَرضَون إلا بالقَود، قال: ممّن؟ قال: منك، وتركتُ ستين ألفَ شيخٍ يَبكون تحت قميص عثمان، وهو مَنصوبٌ لهم على منبر دمشق، قد ألبسوه إياه، فقال علي: أمنّي يَطلبون دمَ عثمان؟! نجا والله قَتَلةُ عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج، فقال: وأنا آمِن؟ فقال: نعم.

فخرج، وصاحت السّبئية: اقتُلوا الكلب وافِدَ الكلاب، فصاح: يا [آل] قَيس، الخيل والنَّبْل، وأقسم بالله: لَيَردنَّها عليكم أربعةُ آلاف خصيّ، فانظروا كم الفحول والرّكاب، فمالوا عليه، فمنَعتْه مُضر، وجعلوا يقولون له: اسكت، وهو يقول: لا والله لا يُفلح هؤلاء أبداً، ولقد أتاهم ما يُوعَدون، وحلَّ بهم ما يَحذرون، انتهت والله أعمالُهم، وذهبت ريحُهم، وكلما قالوا: اسكُتْ وهو يكرِّر الكلمات، فوالله ما أمسوا من يومهم حتى عُرِف الذلُّ فيهم.

وقال سيف: حدثني أبو حارثة وأبو عثمان قالا: واستأذن طلحة والزبير علياً في العُمرة، فأذِن لهما، فلحقا بمكة، وفي رواية: فقال لهما علي: لعلكما تُريدان الشام؟ قالا: لا والله، وقَدِما مكة.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: وأحبَّ أهلُ المدينة أن يَعلموا رأي علي

في معاوية، ليعلموا بذلك رأيَه في قتال أهلِ القبلة؛ هل يَجسُر عليه أو يَنكُل عنه، وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه، وخلى [به]، ودعاه إلى القُعود وتركِ الناس، فدسُّوا إليه زياد بنَ حَنظلة التميميّ ـ وكان منقطعاً إلى علي ـ فدخل عليه، فقال له علي: يا زياد، تجهَّز؟ قال: إلى أين؟ قال: إلى غزوِ أهلِ الشام، فقال زياد: الأناةَ الأناةَ، والرِّفقَ الرِّفق، فخرج زياد على الناس وهم يَنتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف، فعرفوا ما هو فاعل.

ذكر تجهّز أمير المؤمنين إلى الشام

قال سيف: وأخذ في المسير إلى الشام، وعبَّأ جيوشَه، فجعل على مُقدّمته أبا ليلى ابن عمر بن الجرَّاح، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عُمر بن أبي سلمة، ومعه عمرو بن سفيان بن عبد الأسد[1]، ودفع لواءه إلى محمد بن الحنفية، واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس، ولم يُولِّ أحداً ممن خرج على عثمان شيئاً، وكتب إلى أبي موسى وعثمان بن حنيف أن يَندُبا أهلَ العراق إلى غزو أهل الشام، وكتب إلى [قيس بن] سعد بن عُبادة بمثل ذلك.

وأقبل على أخذ العُدَّة، ثم خطب أهلَ المدينة، ودعاهم إلى قتال أهل القِبلة[2]، وقال في خطبته: انهضوا إلى قتال هؤلاء الذين يُريدون تفريقَ جَماعتِكم، وتبديدَ كلمتِكم، لعلّ الله أن يُصلح بكم ما أفسد أهلُ الآفاق، أو تَقضوا الذي عليكم.

فبينما هم على ذلك إذ جاءه الخَبَر باجتماع طلحة والزبير بعائشة على نحوٍ آخر، فثنى عَزمَه عن المسير إلى الشام، وعزم على المسير إلى مكة، ثم خطب فقال: أيّها الناس، إن الله جعل لظالم هذه الأمة العَفوَ والمغفرة، وجعل لمن لَزِم الأمرَ واستقام الفوزَ والنّجاة، ألا وإن طلحة والزبير وعائشة قد تمالؤوا عليَّ وسخطوا إمارتي، وسأصبر ما لم أَخَفْ على جماعتكم، وأكفّ إن كَفّوا، وأقتصر على ما بَلَغني عنهم.

ثم أتاه الخبر أنهم يُريدون البصرة للإصلاح بين الناس.

---

(١) في الطبري ٤/ ٤٤٥، والمنتظم ٥/ ٧٨: عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد.

(٢) في الطبري ٤/ ٤٤٥، ومطبوع المنتظم ٥/ ٧٨: أهل الفرقة، والمثبت موافق لما في أصل المنتظم.

قال هشام: فقام خطيباً وقال: أيها الناس إن طلحةَ والزّبير خرجا يَجُرّان حُرمةَ رسول الله ﷺ كما تُجَرُّ الأمَةُ عند شرائها، وحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيسَ الله وحبيسَ رسوله، وما منهما إلا مَن أعطاني الطّاعة، وسألني البيعةَ طائعاً غيرَ مُكره، فتهيّؤوا للمسير إليهم، ثم نزل.

قال سيف: فثَقُل ذلك على أهل المدينة وتثاقلوا، وقالوا: لا ندري كيف نَصنع، وإنه أمرٌ مشتبه، ونحن مُقيمون حتى يُضيء لنا، فبعث كُميل بن زياد إلى عبد الله بن عمر، فجاء فقال له: انهض معي لقتال هؤلاء القوم، قال: إنما أنا رجل من أهل المدينة، إن خرج أهلُها خرجْتُ، وإن قَعدوا قعدتُ، فقال له علي: أعطِني زعيماً بأنك لا تخرج، فقال: لا أعطيك زعيماً، فقال علي: أنا أعرفُ الناس بك.

ثم خرج عبد الله من تحت ليلته، وأخبر أمّ كلثوم بنت علي أنه خرج مُعتمراً، مقيماً على الطاعة، وكان صدوقاً.

وأصبح علي فأُخبر بخروجه، وقيل له: خُروجه أشدُّ عليك من معاوية وطلحة والزبير، وأنه قد ذهب إلى الشام، فبَثّ علي في طَلَبه الرجالَ والخيلَ، وماجت المدينة، فجاءت أمّ كلثوم إلى أبيها وقالت: مالك وللرجل؟ إن الأمر على خلاف ما بلَغك، ما خرج إلّا مُعتمراً، وأنا ضامِنَتُه، فطابت نفسُه فقال: إنه عندي ثِقةٌ صَدوق.

ذكر اجتماع طلحة والزبير وعائشة وبني أمية بمكة

قال علماء السير منهم سيف بن عمر، عن أشياخه، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض قالوا: لما قُتل عثمان وقبل أن يُبايَع عليّ، هرب بنو أمية إلى مكة، وبويع علي لخمسٍ بقين من ذي الحجة ـ كذا وقعت هذه الرواية ـ وكانت عائشة مُقيمةً بمكة تُريد العُمرة في المحرَّم، فلما قضت عُمرتها، وخرجت تقصد المدينة، وانتهت إلى سَرِف، لقيَها رجلٌ من أخوالها من بني ليث؛ يقال له: عُبيد بن أبي سلمة، فقالت له: مَهْيَمْ؟ فهَمْهَمَ ودَمْدَمَ، فقالت له: ويحك علينا أولنا؟ فقال: قُتل عثمان، وبقوا خمسة أيام بغير إمام، قالت: ثم ماذا؟ قال: اجتمع أهلُ المدينة على علي فبايعوه، فعادت إلى مكة وهي ساكتة.

وفي رواية سيف: فدخلت المسجد، وقصدت الحِجر، فتسترت فيه، واجتمع إليها الناس، فقالت: أيها الناس، إن الغَوغاء من أهل الأمصار، وأعراب أهل المياه، وعَبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظُلماً، فبادَروه بالعدوان، فسَفكوا الدم الحرام، واستَحلُّوا الشهرَ الحرام والبلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، فاجتماعُكم عليهم يُنكّل بهم غيرَهم، ويُشرِّدُ بهم مَن خَلفهم.

وفي رواية سيف أيضاً أنها لما رجعت قال لها عبد الله بن عامر الحضرمي: ما رَدَّكِ يا أم المؤمنين؟ وكان عبد الله عامل عثمان على مكة، فقالت: رَدَّني أن عثمان قُتل مَظلوماً، وأن أمر الأمة لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا بدم عثمان تُعِزُّوا الإسلام، فكان أول مَن أجابها عبد الله بن عامر، وذلك أوّل ما تكلّمتْ بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم.

وروى الطبري بإسناده عن عبيد الله بن عمرو القُرشي قال: خرجت عائشة وعثمان محصور إلى مكة، فقدم مكة رجلٌ يُقال له: أخضر، فقالت له عائشة: ما صنع الناس؟ قال: قتل عثمان المصريين، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أيُقتلُ قومٌ جاؤوا يَطلبون الحقّ ويُنكرون الظلم، والله لا نرضى بهذا.

ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل المصريون عثمان، فقالت: عجباً للأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل، فكان يُضرب به المثل فيقال: أكذبُ من الأخضر[١].

وقال سيف بن عمر بإسناده: الذي لقي عائشة في الطريق عُبيد بن أمّ كلاب، فقالت: مَهْيَم، قال: قتلوا عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: واجتمع الناس على علي، فقالت: بِفيك الحَجَر، والله وَدِدْتُ أن هذه انطبقت على هذه، يعني السماء على الأرض، ولا وَلي علي، رُدّوني، والله لأطلُبنّ بدم المظلوم عثمان، فقال لها عُبيد: فأنت والله أول مَن حَرَّض الناسَ على قتله، ألستِ القائلة: اقتلوا نَعثلاً فقد كفر؟ فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، فأنشد عبيد: [من المتقارب]

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩.

فمنكِ الرّياحُ ومنك المطرْ ومنك البَداءُ ومنك الغِيَرْ
وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمامِ وقلتِ لنا إنه قد كَفَرْ
فهبْنا أطعناكِ في قتله فقاتلُه عندنا مَن أَمَرْ
ولم يَسْقُطِ السقفُ من فوقنا ولم تَنكسِف شمسُنا والقمر
وقد بايع الناسُ ذا تُدْرَأ يُزيل الشَّبَا ويُقيم الصَّعَر
ويَلبسُ للحرب أوزارَها وما مَن وَفَى مثلُ مَن قد غَدَرْ

وقد ذكر الأبيات الطبري(١).

وقال سيف: حدثني عمرو بن محمد، عن الشعبي قال: أولُ مَن أجاب عائشة إلى الطَّلَب بدم عثمان عبد الله بنُ عامر الحضرميّ، وسعيد بنُ العاص، والوليد بنُ عُقْبة، وسائر بني أمية، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بن كُرَيْز من البصرة، ويَعلى بن أمية من اليمن، واجتمع مَلَؤهم بعد نَظَرٍ طويل في مسيرهم إلى البصرة، وقالت لهم عائشة: إن هذا حدثٌ عظيم، فانهضوا فيه إلى إخوانكم بالبصرة، فقد كفاكم أهلُ الشام ما عندهم، لعل الله يُدرك لعثمان ثأرَه.

ذكر الأموال التي جَهّزوا بها الجيش

روى سيف عن أشياخه قال: قدم يعلى بن أمية من اليمن إلى مكة ومعه ستُّ مئة ألف ألف درهم، وست مئة بعير(٢)، فأناخ بالأَبْطَح ـ وقيل: كان معه ست مئة ألف دينار زيادة على ما ذكرنا ـ وقدم ابنُ عامر من البصرة بأكثر من ذلك، واجتمع بنو أمية بالأبطح فقالت لهم عائشة: ما تَرون؟ فأشار كلّ واحدٍ بقَصْد جِهةٍ.

وقال عبد الله بن عامر بن كُريز: اقصدوا البصرة؛ فإن لي بها صنائع وأيادي، وقد كفانا معاويةُ الشام، فقالوا له: قاتلك الله، والله ما كنتَ لا بالمحارب ولا بالمسالم، هلا أقمتَ بها كما أقام معاوية بالشام؛ فنكتفي بك، ونأتي الكوفة فنَسُدّ عليهم المذاهب، فلم ينطق ابنُ عامر بحرف، واتفق قَصْدُهم إلى البصرة.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٤٥٩.

(٢) في الطبري ٤/ ٤٥٠، والمنتظم ٥/ ٨٠: ومعه ست مئة بعير وست مئة ألف.

واختلفوا في الجمل الذي ركبَتْه عائشة، فقال الواقدي: قدم به يَعلى بن أمية من اليمن، اشتراه بثمانين ديناراً.

وقال الهيثم: جاء به معه عبد الله بنُ عامر من البصرة، اشتراه بمئتي دينارٍ، فدفعه إلى عائشة، وقيل: اشترته عائشة من رجل من عُرَيْنَة بست مئة درهم، وأخذته يدلُّ بها الطريق إلى البصرة، وسنذكره.

وقال خليفة بن خياط: الأصَّح أن يَعلى بن أمية اشتراه من اليمن بمئتي دينار، ولم يُرَ مثلُه.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: قدم يَعلى بن أمية من اليمن ومعه ست مئة بعير وست مئة ألف، فأناخ بالأبطح مُعَسكِراً، وقدم عليهم طلحة والزبير، فلقيا عائشة فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: إنا تحمَّلنا هُرَّاباً من المدينة من غَوْغاء وأعراب، وفارَقْنا قوماً حَيارى، لا يَعرفون حقّاً ولا يُنكرون باطلاً، ثم قالوا: يا أمَّ المؤمنين، دعي المدينة، واشخَصي معنا إلى البصرة، فإن صَلُح هذا الأمر وإلا دَفَعنا بجهدنا، قالت: نعم.

فانطلقوا إلى حفصة، فقالت حفصة: رأيي [تبَعٌ لرأي] عائشة، حتى إذا لم يَبق إلا الخروج قالوا: [كيف] نستَقِلُّ ولا مالَ معنا نتَجهَّز به؟ فقال يعلى بن أمية: معي المال والجمال فاركبوها، وقال ابن عامر كذلك، فنادى المنادي: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يُريد إعزازَ الإسلام، وقتالَ المحِلِّين، والطلبَ بثأر عثمان فليَخرُج، فخرجوا واستقلّوا سائرين.

وأرادت حَفصة الخروج، فأتى عبد الله بن عمر، فسألها أن تَقعُد فقعَدت وبعثتْ إلى عائشة: إن عبد الله مَنَعني، أو حال بيني وبين الخروج، فقالت: يَغفر الله لعبد الله.

وخرج المغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص معهم مَرحلةً من مكة، فقال سعيد للمغيرة: ما الرّأي؟ قال: الرَّأيُ والله الاعتزال، فأيّهم أظفره الله أتيناه فقلنا: كان صَفوُنا معك، فَجَلسا.

وقال الطبري: وبعثت أمُّ الفضل ابنة الحارث امرأةُ العباس رجلاً من جُهينة يُدعى

ظفراً، فاستأجَرته على أن يَطوي البلاد ويأتي علياً بكتابها، فقَدِم على عليّ بكتاب أمّ الفضل بالخبر[١].

قلت: ليس في الصحابيات مَن كُنيتُها أمُّ الفضل سوى أم الفضل ابنة الحارث الهلالية، زوجة العباس بن عبد المطلب، وقد تقدَّمت وفاتُها[٢]، فإن كان الطبري أشار إليها فقد وَهم.

وقال الواقدي: قالت عائشة لابن عمر: تخرُجُ معنا؟ فقال: مَعاذ الله أن أدخل في الفتنة.

وذكر هشام: أن أم سَلَمة جاءت إلى عائشة فقالت لها: إن حجابَ الله عليك لم يُرفع، وما أنتِ يا هذه وهذا الأمر، وقد تنازعته الأيدي وتهافتَ فيه الرجال، وتسكينُه للمسلمين أصلح، فأبقِ على رسول الله من الافتضاح في زوجته، واتَّقِ دماً لم يُبح الله لك، فلما رأتها لا تُصغي إلى نُصحها قالت هذه الأبيات: [من الطويل]

نصحتُ ولكن ليس للنُّصح قابِلٌ ... ولو قبلتْ ما عنَّفَتْها العواذِلُ
كأني بها قد رَدَّت الحرب رحلها ... وليس لها إلا التَّرَحُّلُ راجِلُ

وقال الجوهري: قالت أمُّ سَلَمة لعائشة: قد جَمّع القرآنُ ذَيْلَكِ فلا تَنْدَحِيه، أي: لا تُوسِّعيه بالخُروج إلى البصرة، والنُّدْحُ بالضم: الأرض الواسعة[٣].

قلت: إلا أن الصحيح من الروايات أنه لم يكن بمكة في هذه السنة إلا عائشة وحفصة، وفي حفصة خلافٌ، وأن أم سلمة كانت بالمدينة، ويُحتمل أنها كتبت إلى عائشة بذلك، ولما عادت عائشة من البصرة إلى المدينة كانت تُنشد البيتين وتبكي.

وقال سيف والهيثم بنُ عديّ: لما خرجت من مكة خرج نساءُ أهل مكة معها إلى ذات عِرْق لوَدَاعِها، فلم يُرَ باكياً في الإسلام مثل ذلك اليوم، ويُسمَّى يوم النَّحيب.

وحكى سيف عن الأغرّ قال: لما أجمع القوم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئيّة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥١.
(٢) في سنة أربع وعشرين.
(٣) الصحاح: (ندح).

قالت لهم عائشة: اخرجوا إلى المدينة، فرُدُّوها إلى البصرة، وقال لها طلحة والزبير: كيف نأتي أرضاً قد صارت لعلي؟! وله في رقابنا بَيعةٌ، فيحتجُّ علينا بذلك، ونحن في ست مئة بعير، ولا تقدرون على قتال الغَوغاء والأعراب والعَبيد، وقد افترَشوا أذرِعَتَهم مُستعدِّين لأول واعِية.

فسارت إلى البصرة، وأمَّرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتّاب بن أَسِيد، فكان يصلِّي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قُتِل، وخرج جميعُ بني أمية إلا مَن خَشَع.

وحكى الطبري عن أبي كثير، عن ابن عباس قال: خرج أهل الجَمل في ست مئة، معهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[1] وعبد الله بن صفوان الجُمَحي، فلما جاوزوا بئرَ مَيمون إذا بجَزورٍ قد نُحِرت ونَحرُها يَثعَبُ دماً، فتطيَّروا من ذلك، وأذَّن مروان بن الحكم ـ وهو كان المؤذِّن ـ حين فَصَلوا من مكة، فلما أذَّنَ عند بئر ميمون جاء فوقف على طلحة والزبير فقال: على أيّكما أُسَلِّم بالإمرة وأُؤذِّن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، يعني أباه، وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد يعني أباه، وبلغ عائشة فأرسلت إلى مروان: مالك يا مروان؟ أتُريد أن تُفرِّقَ أمرَنا؟ ليُصلِّ ابنُ أختي، فكان يُصلّي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدموا البصرة.

وحكى سيف بإسناده عن محمد وطلحة قالا: لقي طلحة والزبير عبد الله بن عمر بمكة، فدعواه إلى الخروج معهم، فقال لهم: إني امرؤ من أهل المدينة، وقد زعمتم أنكم خرجتم في الطَّلب بدم عثمان، وقتل قَتَلَته، وما قتله إلا مَن أشار بقَتله، وهي زعيمتكم ورئيستكم، وأخوها الذي أخذ بلحيته، فهزّها حتى صارت أضراسُه تتقَلْقَل، وضربه بالمِشقَص فقتله، أما تخافون الله أيّها القوم، وتَدعون هذه الأباطيل عنكم؟! وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب بالسيف وقد عرفتُ فضلَه وسابقتَه ومَكانتَه من رسول الله ﷺ؟! وإنكما بايعتُما وسألتُماه القيامَ بهذا الأمر، ثم نكثتُما ونقضتُما عهدَه بعدما جعل الله عليكما شهيداً، وإنه ما بدَّلَ ولا غيَّر، ولا حلّ ولا عقد، ولا حال عن سنة رسول الله ﷺ، ولا عمل عملاً يُخالف كتابَ الله، ولكنكم أيها القوم أطعنتم

(١) في الطبري ٤/ ٤٥٤: عبد الرحمن بن أبي بكرة.

له، وكمنتم له العداوة بين ضُلوعكم، والله حَسيبُه عليكم، فلما سمعا كلامَه تركاه وذهبا.

ذكر مسير أمير المؤمنين خلفهم

حكى سيف بن عمر عن أشياخه قالوا: لما بلغ علياً خبرُهم، خرج من المدينة على تَعبيته التي كان يريد الخروجَ فيها إلى الشام، واستخلف على المدينة تَمّام بن العباس، وبعث إلى مكة قُثَم بن العباس، وخرج معه تسع مئةٍ من أهل مصر والكوفة والبصرة، فلقيه عبد الله بن سَلام، فأخذ بعِنان فرسه وقال له: يا أمير المؤمنين، لا تخرجْ منها، فوالله لئن خرجتَ منها لا يعود إليها سلطانُ المسلمين أبداً، وفي رواية: لا تعودُ إليها أبداً، فسَبُّوه، فقال علي: دعوه، فنِعمَ الرجل هو من أصحاب رسول الله ﷺ.

وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذة ففاتوه، وجاء بخبرهم عطاء بنُ رِئاب مولى الحارث، فأقام بالرَّبَذة يأتَمرُ في أمره، وقد كان يَرجو أن يأخُذَهم في الطريق.

وقال أبو مِخْنَف: بعثت إليه أمُّ سَلَمة تقول: يا أمير المؤمنين، لولا أن الله نهاني عن الخروج من بيتي لخرجتُ معك، وقد أمرنا الله بالقرار في بيوتنا، وهذا ابني عُمر، هو أعزُّ عليّ من نفسي، خارجٌ معك، وشاهدٌ مَشاهدَك، فخرج عمر معه ولَزِمَه، فاستعمله على البحرين، ثم عزله واستعمل النعمان بنَ عَجْلان الزُّرَقيّ.

وقال سيف: حدثني خالد بن مِهران بإسناده، عن طارق بن شهاب قال: لما نزل علي عليه السلام الرَّبَذة صلّى الفجر بغَلَس، فلما انصرف من صلاته جاءه وَلدُه الحسن، فأراد أن يتكلَّم فخنقَتْه العَبْرة، فقال له: يا بُنيّ تكلَّم، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أمرتُك أمراً فعَصيتَني، وما أخوفني أن تُقتل غداً بمَضِيعَة ولا ناصرَ لك، فقال له علي: يا حسن، لا تزال تخِنُّ خَنينَ الجارية، ما الذي أمرتَني به فعَصَيتُك؟!

قال: قلتُ لك يومَ أُحيطَ بالرجل ـ يعني عثمان ـ اخرج من المدينة فيُقتل ولستَ بها فخالفتني ـ وفي رواية: فإن قُتل لم تكن بها فخالفتني.

وقلتُ لك يوم قُتل: لا تقبل البيعةَ حتى تأتيك وُفودُ العرب وبيعةُ أهل الأمصار فَعَصَيْتَني، ثم أمرتُك يومَ فعل هذان الرجلان ما فعلا ـ يعني طلحة والزبير ـ أن تجلسَ

في بيتك، فإن كان الفساد يكون على يد غيرك فعصيتَني.

فقال له: يا بنيّ، أما قولُك: لو خرجتَ من المدينة يوم أُحيط بعثمان، فوالله لقد أُحيط بنا كما أُحيط به، وأما قولُك: لا تقبلِ البيعةَ حتى تأتيك وُفودُ العرب، فإن الأمر أمرُ أهل المدينة، وهم الذين يُولُّون، وكرهتُ أن يَضيعَ هذا الأمر، وأُكرهتُ عليه.

وأما قولُك حين خرج طلحة والزبير؛ فإن ذلك وَهْناً على الإسلام، ووالله مازلتُ مقهوراً منذ وليت، لا أصل إلى شيءٍ مما يَنبغي.

وأما قولك إنني أجلسُ في بيتي، فكيف لي بما قد لَزِمَني؟ أتريدُني أن أكون كالضَّبُع اللدم، التي يُحاط بها ويُقال: دَبابِ دَبابِ ليست ها هنا، حتى يثقب عرقوبها ثم تُخْرَج، وإذا لم أنظُر في هذا الأمر فمَن يَنظُر فيه؟! فكُفَّ عني يا بُني.

ومعنى اللّدْم: أن صائدَ الضَّبُع يضرب الأرضَ بشيءٍ، فتخرج الضبعُ فتُصاد، وقال الجوهري: اللَّدْمُ: صوتُ الحَجَر والشيء يَقع على الأرض، وليس بالصوت الشديد، قال: ودَبابِ: ضربٌ من الصوت، ومنه الدَّبْدَبَةُ(١).

وقال سيف: حدثني سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة قال: لما نزل أمير المؤمنين الرَّبَذَةَ قيل له: لا تَخَفْ فإن البصرة والكوفة في يديك، فقال: ويحكم، إني ابتُليتُ بثلاثةٍ ما رُمي عليهم أحد؛ ابتُليتُ بفتى العرب وأجودِهم طلحة، وبفارس العرب وأحرَبهم الزبير، وبأم المؤمنين أطوَعِ الناس في الناس.

ذكر ما جرى لطلحة والزبير وعائشة في طريق البصرة

قد ذكرنا خروجَهم من مكة، ووصولَهم إلى ذات عِرق، ولما انفصلوا عن ذات عِرق لقيهم العُرَني.

فحكى الطبري عن صفوان بن قبيصة قال: حدثنا العُرَنيّ صاحب الجمَل ـ رجل من عُرَينة ـ قال: بينما أسير على جَملي إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحبَ الجمل، أتبيعُ جملَك؟ قلتُ: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم، قال: أمجنون أنت؟ جملٌ يُباع بألفِ درهم؟ قلت: نعم جملي هذا، قال: ولِمَ؟ قلت: ما طلبتُ عليه أحداً إلا أدركتُه،

(١) الصحاح: (لدم، دبب).

ولا طَلَبني أحدٌ إلا فُتُّه، فقال: لو تعلم لمن نُريدُه؟ قلت: لمن؟ قال: لأمِّك، قلت: إني تركتُ أمّي قاعدةً في بيتي ما تُريد بَراحاً، قال: إنما نُريده لأم المؤمنين عائشة، فقلت: خُذه بغير ثَمَن، فقال: لا، ولكن ارجع معنا إلى الرَّحْل، فرجعتُ فأعطوني ناقةً مَهريّة، وزادوني ست مئة درهم أو أربع مئة، ثم قالوا لي: يا أخا عُرَينة، هل لك دلالة بالطريق؟ قلت: نعم، أنا أدَلُّ الناس، قالوا: فسِرْ معنا، فسرتُ بين أيديهم، فلا أمرُّ على ماءٍ ولا وادٍ إلا سألوني عنه.

حديث الحَوْأب

قال العُرَني: فسرنا حتى طرَقْنا ماءَ الحَوْأب، فنَبَحتنا كلابُه، فقالوا: أيُّ ماءٍ هذا؟ قلت: ماء الحَوْأب، قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وضربت عَضُدَ بعيرها فأناختْه وقالت: والله أنا صاحبةُ الحَوْأب طروقاً، ردُّوني ردُّوني ـ تقول ذلك ثلاثاً ـ وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى المسير، حتى إذا كانت الساعة التي أناخت فيها من الغد فَجاءها عبد الله بنُ الزبير فقال: النَّجاء النَّجاء، فقد أدرككم علي بن أبي طالب.

قال: فرحلوا وشتموني وانصرفتُ، فما سرتُ إلا قليلا وإذا بأمير المؤمنين علي ومعه رَكْبٌ نحو ثلاث مئة، فلما رآني قال: عليَّ بالرّاكب، فأتيتُه فقال: أين لقيتَ الظَّعينة؟ قلت: في مكان كذا وكذا، وهذه ناقتُها، وبعتُهم جملي، قال: وركبتْه؟ قلت: نعم، وأعطوني ستَّ مئة درهم، ووصلنا الحَوْأب، ونبحتْها كلابُه وقالت كذا وكذا، فقال علي: هل لك دلالة بذي قار؟ قلت: نعم.

فسرتُ معهم إلى ذي قار، فلما جئناها نزل، وقام خطيباً على رَحْلِ جَمَل، فخطب وقال: قد رأيتُم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة، فقام إليه الحسن بن علي فبكى، فقال له علي: قد جئتَ تَخِنُّ خنينَ الجارية، وذكر بمعنى ما تقدم.

وقال علي: يا بُنيّ، قُبض رسول الله ﷺ، وما أعلم أحداً أحقَّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس أبا بكر، فبايعتُ كما بايعوا، ثم هلك وبايعوا لعمر، فبايعتُ كما بايعوا، وما رأيت أحداً أحقّ بهذا الأمر مني، فجُعِلْتُ سهماً من ستة أسهم، فبايع الناس لعثمان، فبايعتُ كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه، ثم أتوني طائِعين غير

مُكرَهين، فأنا مُقاتلٌ من خالفني بمَن اتَّبعني، حتى يَحكمَ الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين[١].

كذا وقعت هذه الرواية؛ أن مُعاتبةَ الحسن لأمير المؤمنين كانت بذي قار، وفي تلك الرواية بالرَّبَذَة، ويُحتمل أن الواقعتين كانتا في المكانَين. انتهى كلامُ الطبري في الحَوْأب.

وقد أخرج حديث الحَوْأب أحمد في «المسند» فقال: حدثنا يحيى، عن إسماعيل، عن قيس قال[٢]: لما أقبلت عائشةُ تُريد البصرة بلغت مياه بني عامر ليلاً، فنَبحت الكلاب، فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ قالوا: الحَوْأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعضُ من كان معها: بل تَقدَمين، فيراكِ المسلمون، فيُصلح الله بك ذات البَيْن، قالت: فإن رسول الله ﷺ قال لي ذات يوم: «كيف بإحداكُنّ إذا نَبحتْها كلابُ الحَوْأب؟».

وقال هشام بن الكلبي: لما قيل لعائشة: هذا ماء الحوأب خافت، وذكرت قولَ النبي ﷺ: «كيف بك إذا نبحتْك كلابُ الحوأب؟» وقالت: ردّوني، لا حاجةَ لي في المسير.

وفي رواية فقالت: وإني لَهِيَهْ، وقد كانت سمعت النبي ﷺ يقول لنسائه وهنّ عنده: «أيّتكن تَنبَحُها كلابُ الحوأب؟».

فلما أصرّت على الرجوع أحضر طلحة والزبير خمسين رجلاً، فشهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب، وأن العُرَنيَّ كذب، قال الشعبي: فهي أوَّلُ شهادة زُورٍ أُقيمت في الإسلام.

ولا خلافَ أن ماء الحوأب لبني عامر بين البصرة والحجاز، وأن عائشة مرَّت به.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٦-٤٥٨.

(٢) في (خ): حدثنا يحيى بن إسماعيل بإسناده عن أبي سهلة. اهـ. وهذا الإسناد للحديث الذي قبل هذا في مسند أحمد (٢٤٢٥٣) ونصه: حدثنا يحيى، عن إسماعيل قال: حدثنا قيس، عن أبي سهلة (وهو مولى عثمان بن عفان)، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي بعض أصحابي قلت: أبو بكر؟ قال: لا. قلت: عمر؟ قال: لا قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا قلت: عثمان؟ قال: نعم فلما جاء قال: تنحَّي فجعل يُسارُّه ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، وإني صابر نفسي عليه. اهـ. وأما الحديث المثبت فهو في المسند برقم (٢٤٣٥٤).

ذكر وصولهم إلى البصرة

حكى سيف عن أشياخه قالوا: كان علي عليه السلام في همٍّ من توَجُّه القوم، لا يَدري أين يأخذون، وكان إتيانُهم البصرةَ أحبّ إليه، لأن الكوفة بها رجالُ العرب وأشرافُهم، فقال له ابن عباس: إن الذي يَسرُّك من ذلك يَسوؤني، قال: ولِمَ؟ قال: لأن الكوفة فُسطاط الإسلام، وبها أعلامُ الناس، وفيهم من تَسمو هِمَّتُه إلى الأمر، فربما فسد الأمر أو مال إليهم، فقال علي: الأمر يَختصّ بأهل السَّوابق، فلا يُزاحمهم غيرُهم.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: لما كان القوم بفناء البصرة، لقيهم عمير ابن عبد الله التميمي، فقال لعائشة: يا أمَّ المؤمنين، أما تتَّقِين اللهَ في فِعلك هذا؟ فقالت: إليك عني يا تميمي، فقال لها: أنشدكِ الله إذا أنت لا تهوّني هذا الأمر أن تَقدَمي على قوم ولم تُراسِليهم أو أحداً منهم، فقالت: جئتَ الآن بالرأي، فقال: أرسلي إليهم عبد الله بن عامر، فإن له فيهم الصَّنائع، فكتبت كُتباً إلى رجالٍ من البصرة؛ منهم الأحنف بن قيس وصَبْرة بن شَيْمان وغيرهما، ومضت حتى إذا كانت بالحُفَيْر أقامت تنتظر الجواب.

قال سيف: ولما بلغ عثمان بنَ حُنَيف عاملَ علي عليه السلام على البصرة قال لعمران بن الحُصَين وأبي الأسود الدِّيلي: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمَها، وإلى هؤلاء القوم فاعلموا علمَهم، فخرجا حتى انتهيا إليها وهي بالحُفَيْر، فاستأذنا عليها فأذِنت لهما، فدخلا وسلّما وقالا: إن الأمير أرسلنا إليك، نسألُك عن مسيرك هذا، فهل أنت مُخبِرتنا؟ فقالت: أمثلي يسير بالأمر المكتوم؟

إن الغَوْغاء من أهل الأمصار ونُزّاع القبائل غَزَوْا حريمَ رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآوَوْا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنةَ الله ورسوله، مع ما نالوا فيه من قتلِ أمير المؤمنين، واستحلُّوا الدّمَ الحرام، والشهرَ الحرام، وانتهبوا المالَ الحرام، ومزَّقوا الأعراض، وقتلوا إمامَ المسلمين من غير تِرةٍ ولا حَدثٍ ولا عُذرٍ، وأقاموا في دار قوم كارهين لمقامهم، ضارِّين غير نافِعين، لا يَقدرون على الامتناع، ولا يأمَنون على النفوس والأموال، فخرجتُ في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه

الناس وراءنا.

ثم قرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، فالنهوض في الإصلاح مما أمر الله به ورسوله، فهذا شأنُنا الذي قدمنا له؛ نأمركم بمعروفٍ ونحضُّكم عليه، ونهاكم عن مُنكرٍ ونحُثّكم على تغييره والسلام.

قال سيف: فخرجا من عندها، فأتيا طلحة فقالا: ما أقدمَك؟ قال: الطلبُ بدم عثمان، قالا: ألم تُبايع علياً؟ قال: بلى واللُّجُّ على عُنقي ـ يعني السيف ـ وما أستقيلُه البيعة إن خلّى بيننا وبين قَتَلة عثمان، فقالا له: أتركتم قتلةَ عثمان بالمدينة، وقصدتُم العراقَ لإفساده وتوهينِ أمر أمير المؤمنين؟! أما تستحيون من هذا الفعل، وتخافون الله، ألستم المهاجرين وأصحابَ رسول الله ﷺ؟.

ثم انصرفا عنه وأتيا الزبير، فقالا له مثلَ ما قالا لطلحة، وردُّوا عليه مثل ما ردوا على طلحة، ثم رجعا إلى عائشة فودعاها، وقالا لها مثلَ ما قالا لطلحة والزبير، فودَّعت عمران، وقالت عائشة: يا أبا الأسود، إياك أن يَقودَك الهوى إلى النار، فقد قال الله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥] فقال لها أبو الأسود: لو اتّعظتِ بما وعظتيني للزمتِ بيتَك أو منزلك، ولم تهتكي لرسول الله ﷺ ستراً، وقد عرفتِ محلَّك منه، وموضعَك من قبله، وقد أدَّبك بأحسن ما أدَّبه الله به، ألم يأمركنَّ الله يا أزواج رسول الله بالقرار في البيوت؟ فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[الأحزاب: ٣٣]، فقالت: اغرُبا عني، فخرجا من عندها، ونادت بالرّحيل.

ومضى عِمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حُنَيف، فبَدَر أبو الأسود عمران فقال: [من الرجز]

يا بنَ حُنَيفٍ قد أتيتَ فانفِر
وطاعِنِ القومَ وجالِدْ واصبِرِ
وابرُزْ لهم مُسْتَلئماً وشمِّرِ

فقال عثمان بن حُنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحا الحرب على الإسلام وربِّ الكعبة، ثم قال لعمران بن حُصين: ما ترى؟ قال: إني قاعِدٌ فاقعُدْ، فقال عثمان: لا والله، بل أمنعُهم حتى يأتيَ أميرُ المؤمنين، فقال عمران: بل يَحكم الله بما يُريد.

ثم انصرف عمران إلى بيته، وقام عثمان في أمره، فأتاه هشام بن عامر فقال له: إن هذا الأمر الذي تَرومُ يصير إلى ما تكره، وإن هذا فَتْقٌ لا يُرتَق، وصَدْعٌ لا يَنْجَبر، فسامِحْهم حتى يأتيَ أمرُ علي ولاتحادّهم، فقال: لا والله.

ونادى عثمان بن حُنَيف في الناس، فلبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وأراد عثمان أن يَختبر أهلَ البصرة، فدسَّ رجلاً كوفيّاً خُدَعة فقال: أيّها الناس، أنا ابنُ العَقَديّة الحُميْسي، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوكم خائفين، فقد جاؤوكم من المكان الذي تأمَنُ فيه الطيرُ والوحش، وإن كانوا طالبين بدم عثمان فما نحن قَتَلَة عثمان، أطيعوني ورُدُّوهم من حيث جاؤوا.

فقام الأسود بن سريع السَّعديّ فقال: أوَ زعموا أنّا قتلةُ عثمان؟! إنما جاؤوا إلينا ـ أو فَزِعوا إلينا ـ يَستعينون بنا على قَتَلةِ عثمان، ثم حَصَب الناسُ ابن العَقَديّة وتحاصبوا، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن معه، فكسره ذلك.

وأقبلت عائشة ومَن معها حتى انتهوا إلى المِرْبَد، فدخلوا من أعلاه، وأمسكوا ووقفوا، حتى خرج عثمان ومَن معه، وخرج إلى عائشة من أهل البصرة مَن أراد.

وتكلَّم طلحة، وكان في مَيمنة المِرْبَد، وعثمان بن حُنَيف في ميسرته يَسمع، وأنصت الناس، فحمِد اللهَ طلحةُ وأثنى عليه، وذكر عثمان وفضْلَه، والمدينةَ وما استحلَّ منها، ودعا إلى الطّلَب بدمه وقال: الخليفةُ المظلوم، وإن الطلبَ بدمه حدٌّ من حدود الله، فإن فعلتم أصبْتُم وعاد أمرُكم، وإن لم تفعلوا لم يَقُم لكم [نظام]، ولم يَثْبُت لكم سُلطان، فقال مَن في مَيمنة المِربد: صدق وبَرّ، وقال مَن في مَيسرته: كذب وفَجَر وغَدَرَ.

وفي رواية أن طلحة والزبير خطبا وقالا ذلك، وأن مَن في ميمنة المِربد قال: صدقا وبرّا، ومَن في ميسرته قال: كذَبا وفجرا وغدَرا، إنهما قد بايعا أمير المؤمنين وجاءا يقولان ما يقولان.

ثم تحاصَب الناس وأرهجوا، فتكلَّمت عائشة وكانت جَهْوَريّة الصوت، فحمدت الله وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يَتجنَّون على عثمان ويُزرُون على عُمّاله، ويأتوننا بالمدينة فيَستشيروننا فيما يُخبروننا عنهم، فننظر في ذلك، فنجد عثمان برّاً نقيّا وفيّاً، ونجدهم فَجرةً غَدرةً كَذَبة، فلما قَوُوا على المكاثرة اقتحموا عليه داره فقتلوه، وإن مما ينبغي لكم أخذ قَتَلَته، والطلب بثأره، وإقامة كتاب الله، ثم قرأت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٢٣].

فافترق أصحاب عثمان بن حُنَيف فرقتين؛ فرقة قالت: صدقتْ وبرَّتْ، وجاءت بالحق وأمرت بالمعروف، وقال الآخرون: كذبتم، والله ما نعرف ما تقولون، فتحاصَبوا وأرْهجوا، فلمّا رأت عائشة ذلك انحدرت، وانحدر أهلُ الميمنة مفارقين لعثمان، حتى وَقفوا بالمربد في موضع الدَّبّاغين، وبقي أصحابُ عثمان على حالهم حتى تحاجَزوا، ومال بعضُهم إلى عائشة، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السّكّة، فوقف عليها.

قال سيف فيما رواه عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد قال: وأقبل جارية ابن قُدامة السعديّ فنادى: يا أمّ المؤمنين، والله لَقتلُ عثمان أهونُ من خُروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عُرضةً للسلاح، إنه قد كان لك من الله سِترٌ وحُرمة، فهتكتِ ستَرَك، وأبحتِ حُرمتك، إنه مَن يرى قتالَك فإنه يرى قَتْلَك، فإن كنتِ أتيتنا طائعةً فارجعي إلى منزلك، وإن كنتِ مُستَكرهةً فاستعيني بالناس.

قال: وخرج غلامٌ شاب من بني سعد، فصاح بطلحة والزبير: أما أنت يا زبير فحَواريُّ رسول الله ﷺ، وأما أنت يا طلحة فوَقَيته بيدك يوم أُحد، وإني أرى أُمَّكما معكما، فهل جئتُما بنسائكما؟ قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شيءٍ، واعتزل، ثم قال: [من الكامل]

صُنتُم حَلائلَكم وقُدْتُم أُمَّكم ... هذا لَعَمْري قِلَّةُ الإنصافِ
أُمِرتْ بجَرِّ ذيولها في بيتها ... فهَوَتْ تشُقُّ البِيدَ بالإيجافِ
غَرَضاً يقاتلُ دونَها أبناؤها ... بالنَّبل والخَطِّيِّ والأسيافِ
هُتِكت بطلحةَ والزبير سُتورُها ... هذا المخَبّر عنهم والكافي

قال سيف: وأقبل غُلامٌ من جُهَينة على محمد بن طلحة ـ وكان ابنُ طلحةَ رجلاً عابداً ـ فقال: أخبرني عن دم عثمان، فقال: نعم، هو ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة الهَوْدَج ـ يعني عائشة ـ وثلث على صاحب الجمل الأحمر، وثلثٌ على علي بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أُراني إلا على ضلال، ولحق بعلي عليه السلام، وقال الغلام في ذلك شعراً: [من المتقارب]

سألتُ ابنَ طلحةَ عن هالِكٍ ... بجَوفِ المدينة لم يُقبَرِ
فقال ثلاثة رَهْطٍ هم ... أماتوا ابنَ عفان فاستَعْبِرِ
فثلْثٌ على تلك في خِدرِها ... وثلثٌ على راكب الأحمرِ
وثلثٌ على ابن أبي طالبٍ ... ونحن بداوِيَّةٍ قَرْقَرِ
فقلتُ صدقتَ على الأوَّلَيْنِ ... وأخطأتَ في الثالث الأزهرِ

قلت: إنما ضحك الغلامُ على محمد بن طلحة لأنه عَنى بقوله صاحب الأحمر الزبير، ونَسي أباه طلحة[1]، وبنو أمية ما نسبوا قتل عثمان إلا إلى طلحة، ولهذا قتله مروان بن الحكم يوم الجمل لما نذكر.

قال سيف: وأقبل حُكيم بنُ جَبَلة على خيل عثمان بن حُنَيف فأنشب القتال، وأشرع أصحابُ عائشة رماحَهم، وأمسكوا بعضَ التَّمسُّك فلم يَنْتَهِ، فاقتتلوا على فم السّكة، وأشرف أهلُ الدُّور ممن كان له في أحد الفريقين هوًى، فرمَوا الآخرين بالحجارة.

وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا، حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا عندها مليّاً، وثاب إليهم الناس، فحجز الليل بينهم، ورجع عثمان إلى القصر، ورجع الناس إلى قبائلهم.

وجاء أبو الجَرْباء ـ أحدُ بني عثمان التميمي ـ إلى عائشة وطلحة والزبير، فأشار عليهم بالنزول في مكانٍ أمثل من مكانهم فقَبلوا رأيَه، فساروا من مقبرة بني مازن، فأخذوا على مُسَنّاة البصرة من قِبل الجبّانة، حتى انتَهوا إلى الزّابُوقة، [ثم أتوا] مقبرة بني حِصن فنزلوا بها، وباتوا على تعبية، وأصبحوا على القتال.

(١) صرّح سيف ـ كما ذكر الطبري ٤/ ٤٦٥ ـ بأن المقصود بصاحب الأحمر هو طلحة.

وغدا حُكيم بن جَبَلة، وبيده الرُّمح ويُبربِر، وهو ينال من عائشة، فقال له رجل من عبد القيس: مَن هذه التي تسُبُّ؟ قال: أمّك، قال: عائشة؟ قال: نعم، قال: يا ابنَ الخبيثة، ألأمّ المؤمنين تقول هذا؟ فطعنه فقتله، وقتل امرأة أخرى بهذا السَّبب، واقتتلوا عامَّةَ النهار، وقيل إلى الزَّوال، وكَثُرت القَتلى والجِراحات في الفريقين، ومُنادي عائشة يَدعوهم ويُناشِدُهم الله أن يَكُفُّوا ولم يَفعلوا، فلما كان في آخر النهار كَثُرت القتلى في أصحاب عثمان بن حُنَيف، وعضّتْهم الحرب، فسألوا أصحابَ عائشة الصُّلحَ والمهادنة، فأجابوهم.

وكانت هذه الوقعة في شهر ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين، لخمس ليالٍ بقين منه، واصطلحوا على أن يَكتبوا بينهما كتاباً إلى المدينة، ويبعثوا رسولاً إليها، ومَضمون الكتاب: إن كان طلحة والزبير أُكرِها على البيعة لأمير المؤمنين؛ خرج عثمان من البصرة فخلّاها لهم، وإن لم يكونا أكرِها، رجع طلحة والزبير وعائشة عن البصرة، وخَلّوها لعثمان بن حُنَيف، وتواعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا على ذلك، وبعثوا بالكتاب مع كعب بن سُور قاضي البصرة، وكان قد قَعَد في بيته، وطيَّن بابَه، واعتزل القوم، فجاءت عائشة بنفسها إليه وأخرجتْه لما نذكر.

قال سيف: وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومَن معهما من المسلمين، وعثمان بن حنيف ومَن معه من المؤمنين... وذكر بمعنى ما ذكرنا.

وخرج كعب حتى قدم المدينة يوم جمعة، وأقام عند المنبر وقال: إني رسولُ أهلِ البصرة إليكم، هل أُكرِه طلحةُ والزبير على بيعة علي أو أتيا طائعَيْن؟ فأرَمَّ القومُ؛ إلا ما كان من أسامة بن زيد، فإنه قام فقال: لم يُبايعا إلا مُكرهَين، فأمر به تَمَّامُ بنُ العباس، فداسَه سهل بنُ حُنَيف والناس حتى كادوا يَقتلونه، وثار صُهيب بنُ سِنان وأبو أيُّوب الأنصاري ومحمد بن مَسلمة وجماعة من الصحابة خافوا أن يَقتلوا أسامة، فقالوا: اللهمَّ نعم، وأخذ صُهيب يدَه فأدخله منزلَه، وقال له: أما علمتَ أن أمَّ عامر جائعة، أما وَسِعَك ما وَسِعَنا من السّكوت؟ قال: ما كنتُ أظنُّ أن الأمر يَترامى إلى ما رأيت، أو يُفضي إلى هذا.

وعاد كعب إلى البصرة، وبلغ علياً الخبر، فكتب إلى عثمان بن حُنَيف يَلومُه ويُعَجِّزُه ويقول: والله ما أُكرِها، ولقد بايعا طوعاً، فإن كانا يُريدان الخلع فلا عُذرَ لهما، وإن كانا يُريدان غير ذلك نظرنا.

وقدم كعب إلى البصرة، وقدم كتابُ علي إلى عثمان، فأخبر كعب الناسَ بما رأى، فأرسلت عائشة إلى عثمان تقول: اخرج عنا فقد أقرَّ الجمُّ الغَفِير بالحقّ، فاحتجَّ عليهم بكتاب علي وقال: هذا كتابُ أمير المؤمنين، وقد جاء أمرٌ آخر، وما لكم عندنا سوى السيف.

فأمهل طلحةُ والزبير، حتى إذا كانت ليلةٌ مُظلمةٌ ذاتُ رياح، قصدا المسجد بالرجال والسِّلاح، وكان عثمان يُؤخّر الصلاة فقَدَّم القومُ عبد الرحمن بن عَتَّاب، وجاء عثمان في جماعةٍ من أصحابه، فدخل في الصلاة، فوضع فيهم أصحابُ طلحة والزبير السِّلاح، فقتلوا منهم أربعين رجلاً، وأخذوا عثمان قبضاً، وأخرجوه من المسجد وقد نَتَفوا رأسه ولحيتَه فما أبقوا فيه شعرة، وأرسلوا إلى عائشة يَستطلعون رأيَها فيه، فأرسلت إليهما: خَلُّوا سبيلَه ولا تَحبسوه، وليذهب أين شاء.

وفي رواية الطبري عن أبي مِخنَف قال: لما أخذوا عثمان بن حُنَيف أرسلوا أبانَ بن عثمان إلى عائشة يَستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة كانت عندها: نَشدتُك الله يا أمّ المؤمنين في عثمان وصُحبتِه لرسول الله ﷺ، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه.

وقال مُجاشع بن مسعود: اضربوه، وانتِفوا شعرَ لحيته ورأسِه وحاجبيه وأشفار عينيه، واضربوه أربعين سَوطاً واحبسوه، ففعلوا به ذلك[1].

وروي عن الزهري أنه قال: إنما لم يَقتلوا عثمان بن حُنَيف لأنهم خافوا غَضَبَ الأنصار بالمدينة على أهاليهم أن يُقتّلوهم.

رجع الحديث إلى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة قالا: وأصبح طلحة والزبير وبيتُ المال في أيديهما، فبعث إليهما حُكيم بن جَبَلة وهو في جمعٍ كثير يقول: أطلِقا

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٨-٤٦٩ وما قبله وما بعده منه.

عثمان، فأطلقاه، فخرج عثمان، ومضى لِطِيَّته، فوافى علياً بذي قار وهو على تلك الحال، فقال: يا أمير المؤمنين، بعثتَني ذا لحية فجئتُك أمرد، فقال: بعثتُك شيخاً وجئتَنا شاباً، أصبتَ أجراً وخيراً، ودعا له.

وقال الهيثم: لم يكتبوا كتاباً إلى المدينة، ولم يَبعثوا رسولاً؛ لأن أمير المؤمنين ما أقام في طريق البصرة مدةً يُرسلون فيها رسولاً ويعود إليهم بالجواب، وإنما اتّفقوا مع عثمان أن يُوقف الأمر حتى يَرَوا ما يكون من أمير المؤمنين، ولا يَعترض أحدٌ لأحد، وتكون دارُ الإمارة والمسجد وبيت المال بيد عثمان، ويترك طلحة والزبير وعائشة أين شاؤوا.

فلما كتبوا كتاب الصُّلح على هذه القاعدة خلا طلحة بالزبير، فقال له طلحة: والله لئن قَدِم ابنُ أبي طالب ليَأخذنَّ بأعناقنا، فاتفقا على تَبييتِ عثمان والغدرِ به، فهجموا عليه، فأخذوه من المسجد غيلة وهو غار. فقال لهما: وَيحَكما، أغدراً بعد العهود والمواثيق والأيمان؟ فقالا خِفنا من ابن أبي طالب، وأرادا قتلَه فقال لهما: والله لئن شاكني أحدٌ منكم بشوكة لَيَضعنَّ أخي سَهل بنُ حُنَيف السيفَ في المدينة في آل طلحة والزبير، وليَقتُلنّ أولادَكما، ويَسبي حريمَكما، فكفّا عنه، وقالا لعائشة: ما نَصنع به؟ فقالت: أطلِقوه، وفي رواية: انتِفوا رأسَه وشعرَ وَجهه، ففعلوا.

وأصبح حُكيم بن جَبَلة ومَن تبعه من عبد القيس، ومَن نزع إليه من ربيعة، [فانتهى بهم إلى الزّابوقة عند دار الرِّزق] فقالت عائشة: لا تقاتلوا إلا مَن قاتلكم، ونادَوا: مَن لم يكن من قَتلَةِ عثمان فليَكفُفْ عنا، فأنشب حُكيمٌ القتال وهو يَنال من عائشة.

وكان مع حُكيم بن جَبَلة ثلاثة: ذَرِيح بحِيال الزبير، وابن المحرِّش بحيال عبد الرحمن بن عتّاب، وحُرْقوص بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وحكيم بن جبلة بحيال طلحة، فحمل عليه طلحة في ثلاث مئة رجل، وحُكيم يضرب بسيفه ويقول: [من مجزوء الرجز]

أضـرِبـهـمُ بـالـيـابـس

ضـربَ غـلامٍ عـابِـس

مـــن الـــحـــيـــاةِ آيـــس

فـــي الـــغُـــرُفـــات نـــافِـــس

فضرب رجلٌ من أصحاب طلحة رِجْلَ حكيم فأطنَّها، فحَبا حتى أخذها، ورمى بها نحو الرجل الذي قطعها فأصاب عينيه، ثم أتاه حكيم فقتله وقال: [من مجزوء الرجز]

يـــا فَـــخْـــذ لـــن تُـــراعـــي

إنّ مـــعـــي ذِراعـــي

ثم وقع، فمرَّ به رجل وهو رَثيث، ورأسُه على آخره، فقال: مالك يا حكيم؟ فقال: قتلتُ، فاحتمله وضمَّه في سبعين من أصحابه، فتكلّم يومئذٍ، وإن السيوف لتَأخُذُه وهو قائمٌ على رِجلٍ واحدة ما يتتعتع، وأشار إلى طلحة والزبير: إنا خلَّفنا هذين، وقد بايعا أميرَ المؤمنين وأعطياه الطاعة، ثم أقبلا مُخالفَيْن محاربَيْن، يطلبان دمَ عثمان، فناداه مُنادٍ: يا حكيم، جَزِعتَ حين عَضَّك نَكالُ الله أنت وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم، وفرَّقتم الجماعة، وأصبتُم الدِّماء، وذكر كلاماً طويلاً.

وقُتل ذَريح ومَن معه، وأفلت حُرقوص بنُ زهير في نفرٍ من أصحابه، فلجؤوا إلى قومهم بني سعد فحمَوْهم، ونادى مُنادي طلحة والزبير: ألا مَن كان فيهم من قبائلهم من غزا عثمان بالمدينة فليأتِنا بهم، فجيءَ بهم فقُتلوا، ولم يُفلت من القوم إلا حُرقوص؛ منعه بنو سعد، فطُلب منهم فغضبوا، وغضبت عبدُ القيس حين غضب بنو سعد لمن قُتل منهم بعد الوَقعة، مَن كان لَجأ إليهم مع طاعتهم لأمير المؤمنين.

وقال هشام: كان حُكيم بن جَبَلة من ربيعة، وكان شجاعاً يحمل على القوم ويقول: وَيحك يا زبير ويا طلحة، صُنتُما نساءكما في الخدور، وأبرزتُما عِرسَ رسول الله للحرب والحرور؟!

ولما قُتل عَزَّ قتلُه على عبد القيس وبني سعد، فخرجوا من البصرة في ستّة آلاف ينتظرون قُدوم علي عليه السلام. ولما قَتل طلحة والزبير الغوغاء ممن اتّهموه بقتل عثمان، خرج الباقون مع بني سعد وعبد قيس، فقعدوا على طريق العراق للقاء أمير المؤمنين.

وقال سيف عن محمد وطلحة: وكتب طلحة والزّبير إلى أهل الشام يُخبرونهم بما صنعوا بقَتَلَة عثمان، ويُحرِّضونهم على القيام معهم، ويقولون: قَتَلْنا من قتلَةِ عثمان ست مئة إلا واحداً ـ يُشيرون إلى حُرقوص ـ ونحن في طَلَبه، وبعثوا بالكتاب مع سَيَّار العِجلي، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثل ذلك، وبعثوا بالكتاب مع مُظفَّر بن مُعرّض الأسدي، وكتبوا إلى اليمامة مع الحارث السَّدوسي، وعليها سَبْرة بن عمرو العنبري، وكتبوا إلى أهل المدينة، وبعثوا به مع جعونة بن قُدامة القُشيريّ.

وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة كتابين؛ أحدهما خاص والآخر عام.

فأما الخاص فقال الطبري، عن الشعبي قال: كتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان: من عائشة ابنة أبي بكر، أم المؤمنين، وحبيبة رسول رب العالمين، إلى ابنها الخالص زيد ابن صُوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم علينا لتَنصُرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخَذِّل الناسَ عن علي بن أبي طالب.

وأما كتابُها العام فمضمونُه إلى أهل الكوفة: أما بعد، فإني أذكّركم الله والإسلام، أقيموا كتاب الله واعتصموا بحَبله، وإنا قَدِمنا البصرة، فدَعونا أهلَها إلى كتاب الله، فأجابنا الصالحون، واستقبلنا الغَوغاء بالسلاح، وقاتلونا فنَصَرنا الله عليهم، فقتَلْنا قتلَةَ عثمان، ولم يُفلت منهم إلا واحدٌ ـ تُشير إلى حُرقوص ـ وذكرت كلاماً طويلاً حاصِلُه التَّخذيل عن أمير المؤمنين والتقاعد عنه، فما أجابها أحدٌ منهم بشيء.

قال الطبري: وأما زيد بن صُوحان فكتب إليها: من زيد بن صُوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد، فإن الله أمرك أن تلزمي بيتك، وأمَرنا أن نُقاتل، فتركتِ ما أُمرت به، ونهيتِنا أن نفعل ما أُمِرنا، فإن اعتزلتِ هذا الأمر وعُدتِ إلى بيتك، وإلا قاتلناك حتى ترجعي إلى الموضع الذي أُمرتِ بالقرار فيه[١].

ولما بلغ علياً وهو بالثعلَبيّة قتلُ حُكَيم بن جَبَلة، استرجع وعزَّ عليه.

واختلفوا في قاتله على قولين؛ أحدهما: سُحيم الحُدَّاني، والثاني يزيد بن الأَسْحَم الحُدَّاني، وُجِدا قتيلَين قد قتل كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه.

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٦ـ٤٧٧، ٤٧٢ـ٤٧٣.

وحكى الطبري عن أبي المَليح قال: لما قُتل [حكيم بن] جَبلة أرادوا أن يَقتلوا عثمان بن حُنَيف فقال لهم: أما إن أخي سَهل بن حُنَيف والٍ على المدينة، فإن قتلتموني انتصر، فخَلَّوا سبيلَه[1].

وقال ابن عبد البرّ: لما قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فلم يأتها، فأرسلت إليه ثانياً تقول: عَقَقْتَ أمَّك؟! فأتاها فقالت له: وَيحك يا أحنف، بم تعتذر غداً إلى الله من تركك جهاد قتلَةِ عثمان؟ فقال لها: ما كبرت السنّ، ولا طال العهد، ولعَهدي بك عام أوّل تنالين من عثمان، وتأمرين بقتله، وهذا قولك اليوم، لا آخذ بأمرك وأنت راضية وأَدَعهُ وأنت ساخطة، ثم اعتزل الفريقين، ولم يقاتل مع أحد منهم.

وقال الهيثم بن عدي: قدم الأحنف بن قيس المدينة وعثمان محصور في داره، وكان الأحنف يُريد الحج، قال: فأتيتُ طلحة والزبير فقلتُ: ما أرى هذا الرجلَ إلا مقتولاً، فما تأمراني؟ فقالا: عليك بعلي، فقلت: أترضَياه؟ قالا: نعم، فأتيتُ مكة، فأقمت الحج، وبلغني قتلُ عثمان، فأتيتُ عائشة وهي بمكة، فقلت: مَن تأمريني أن أُبايع؟ قالت: علياً، قلت: أتَرضينَه؟ قالت: نعم، فعدتُ إلى المدينة، فبايعتُ علياً، ثم عُدتُ إلى البصرة إلى أهلي، فما شعرتُ إلا بعائشة وطلحة والزبير قد قدموا، قال: فأتيتُهم فقلت: ما الذي أقدمكم؟ قالوا: نَستنصر بكم على دم عثمان فإنه قُتل مَظلوماً، فقلت: ألستُم بايعتم وقلتم: بايعه فإنا نرضى به؟ قالا: بلى، ولكنه بدَّل، فقلت: ومتى كان هذا؟ والله لا أقاتل ابنَ عمّ النبي ﷺ، ولا أقاتلكم ومعكم أمّ المؤمنين، واعتزل بالجَلْحاء على فرسخين من البصرة ومعه زُهاءُ ستةِ آلاف.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي إلى البصرة

روى سيف عن أشياخه قالوا: لما أتى علياً عليه السلام خبرُ طلحة والزبير وعائشة وهو بالمدينة، وأنهم قد ساروا نحو العراق، خرج غُرَّةَ ربيع الأول مبادراً، وهو يرجو أن يُدركهم فيَرُدَّهم، فلما نزل الرَّبَذَة أتاه الخبرُ أنهم قد أمْعنوا نحو البصرة، فسُرِّي عنه، وقال: إن أهل الكوفة أشدّ لي حباً، وفيهم فرسانُ العرب وأعلامُهم، فكتب

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٤ .

إليهم: إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، وإني على الأثر.

وحكى الطبري عن [محمد بن] عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: كتب علي إلى أهل الكوفة: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى سادات أهل الكوفة، أما بعد، فإني قد اخترتُكم، واخترتُ النُّزولَ بين ظَهرانيكم؛ لما أعرف من مودَّتِكم وحبّكم لله ورسوله، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقَّ وقضى ما عليه.

قال ابن أبي ليلى: بعث بالكتاب مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن عوف، وقيل: محمد بن جعفر، فجاء الناس إلى أبي موسى يَستشيرونه في الخروج، فقال أبو موسى: أما سبيلُ الآخرة فأن تُقيموا، وأما سبيلُ الدنيا فأن تَخرجوا، وأنتم أعلم، وبلغ المحمَّدَيْن فأتيا أبا موسى فأغلظا له، فقال: أما والله إن بيعة عثمان في عُنقي وفي عُنق صاحبكما الذي أرسلكما، وإن أرادنا أن نُقاتل معه لا نُقاتل حتى لا يَبقى أحدٌ من قتَلَةِ عثمان إلا قُتل.

فانطلقا إلى علي، فوافياه بذي قار، فأخبراه الخَبَر، فقال علي للأشتر ولعبد الله بن عباس: اذهبا إلى أبي موسى، فقدِما عليه وكلَّماه، واستعانا عليه بأناس من أهل الكوفة، فأجاب بنحو ما أجاب في الأول، وذكر خُطبة طويلةً منها:

أيها الناس إن أصحاب رسول الله ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممّن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً فأنا مُؤدِّيه إليكم، كان الرأي أولاً أن لا تستخِفّوا بسلطان الله، ولا تجترؤوا على الله، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا مَن قَدِم عليكم من أهل المدينة، فتردّوهم إليها حتى يَجتمعوا، فهم أعلم بمَن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلَّفوا الدخولَ في هذا، فأمّا إذا كان ما كان فإنها فتنةٌ صَمَّاء، النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القاعد، والقاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الرّاكب، فكونوا جُرثومةً من جراثيم العرب، فأغمِدوا السّيوف، وأنصِلوا الأسنّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئمَ هذا الأمر، وتَنجليَ هذه الفتنة.

وقال سيف، عن أشياخه منهم محمد وطلحة: ولما بلغ علياً عليه السلام الخبرُ أرسل الحسن بن علي، وأرسل معه عمار بن ياسر، وقال لعمار: انطلق فأصلح ما أفسَدْتَ، فأقبلا حتى قدما الكوفة، فدخلا المسجد، فأول مَن أتاهما مَسروق بن

الأَجْدَع، فسلَّم عليهما وقال لعمار: يا أبا اليقظان عَلام قتلتم عثمان؟ قال: على شَتْم أعراضِنا وضَربِ أجسادنا، فقال: والله ما عاقبتُم بمثل ما عُوقِبتم به، ولا صبرتم فكان خيراً للصّابرين.

ولقي أبو موسى الحسن فضمه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا عمار، أعَدوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحلَلْتَ نفسَك محلَّ الفُجّار؟ فقال: لم أفعل، ولم تسؤني؟ فقطع الحسن عليهما الكلام وقال: يا أبا موسى، لم تُثبِّط الناسَ عنا؟ فوالله ما نُريد إلا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين مَن يُخاف على شيء، فقال: صدقتَ بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتَمن، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب»، وقد جعلنا الله إخواناً، وحرَّم علينا دماءنا وأموالنا، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية [النساء: ٩٣].

فسبّ عمار أبا موسى، فقال رجلٌ من بني تميم لعمار: اسكت أيّها العبد، بالأمس أنت مع الغَوغاء، وتُسافِه اليوم أميرَنا بهذا؟ وثار زيد بن صُوحان وأتباعُه، وثار الناس، وجعل أبو موسى يُكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر، وسكن الناس.

وأقبل زيد بن صُوحان ومعه الكتابان اللذان كتبتهما عائشة إلى الكوفة؛ كتاب الخاصة وكتاب العامة، وقال: أُمِرت بالقَرار في بيتها، وأُمِرنا بالقتال، فأَمرتنا بما أُمرت، وركبت ما أُمِرنا به!

وقال أبو موسى: أيها الناس، أطيعوني، شيموا سيوفكم، وقصّدوا رماحَكم، فإن الفتنة قد أقبلت، وذكر كلاماً طويلاً.

وقال عمار: هذا ابنُ عمّ رسول الله، وهو مُستنفِرُكم إلى زوجة رسول الله ﷺ، وإني أشهد أنها زوجتُه في الدنيا والآخرة، فانظروا في الحق، وقاتلوا معه طلحة والزبير.

وقام الحسن بن علي فقال: أيها الناس، أجيبوا دعوةَ أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَن يَنفر إليه، ولأن يليه أولو النُّهى أمثلُ في العاجلة، وخيرٌ في العاقبة، فأجيبوا دعوتَنا [وأعينونا] على ما ابتُلينا به وابتُليتم، فتسامح الناس،

وأجابوا ورضوا.

وقال الحسن: إني غادٍ، فمَن شاء منكم أن يَخرج معي على الظَّهر، ومَن شاء في الماء، فنفر معه تسعةُ آلاف، أخذ بعضهم البرّ، وأخذ بعضهم الماء، ففي البرّ ستة آلاف ومئتان، وأخذ الماء ألفان وثمان مئة.

قلت: وقد أخرج البخاري طرفاً من هذا عن شقيق قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عماراً وحسناً فقدما الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن في أعلاه وعمار في أسفله، فاجتمع الناس إليهما، فقال عمار: أما بعد، فإن عائشة قد صارت إلى البصرة، ووالله إنها زوجةُ نبيّكم... وذكره، وقال: ليَنظر إياه تُطيعون أم هي(١).

وفي رواية الطبري عن بعض أهل العلم: أن الأشتر قال لأمير المؤمنين: إنك قد بعثتَ إلى أهل الكوفة قبل هذين رجالاً، فلم أرَهم أبرموا وأحكموا أمراً، فإن رأيتَ أن تُتبعني في إثرهم، فإن أهل المِصر أحسنُ شيءٍ لي طاعة، ولو قَدمتُ عليهم رجوتُ أن لا يُخالفني منهم أحدٌ، فقال علي: الحق بهم.

فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة، فجعل لا يمرُّ بقبيلة إلا ويقول: اتّبعوني إلى القصر، وكان أبو موسى قائماً يخطب، يُثبِّط الناس عن علي ويقول: أيها الناس، إنها فتنة عمياء صمّاء، وذكر بمثل ما تقدّم، وعمار ينهاه، والحسن يقول له: اعتزل عملَنا، وتَنحَّ عن منبرنا لا أُمَّ لك.

قال نُعَيم عن أبي مريم الثقفي: والله إني في المسجد يومئذٍ، وعمار يُخاطب أبا موسى ويقول له: أنتَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه فتنة عمياء صمّاء، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب؟» قال: نعم، إذ خرج علينا غِلمانٌ لأبي موسى يشتدّون يُنادون: يا أبا موسى، هذا الأشتر قد دخل القصر، فنزل وأتى إلى القصر، فقال له

(١) أخرجه البخاري بهذا السياق (٧١٠٠) من رواية أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي، عن عمار، به. أما رواية شقيق فأخرجها البخاري (٣٧٧٢) و(٧١٠١) مختصرة، وانظر مسند أحمد (١٨٣٣١).

الأشتر: أخرج الله نفسَك، فإنك من المنافقين قديماً، فقال: أجِرْني فأجاره، وقال: اخرُج العشيَّة، قال: نعم، ودخل الناس فانتهبوا متاعَ أبي موسى[١].

وذكر المسعودي في تاريخه وقال: كتب عليّ عليه السلام إلى أبي موسى: اعتزل عَمَلَنا يا ابن الحائك مَذموماً مَدْحوراً، فما هذه بأوّل هَناتنا منك، وإن لك لهنات وهنات، وفي رواية: فهذا أول يوم منك[٢].

وروى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة قالا: لما أراد عليّ الخروجَ من الرَّبذة إلى البصرة قام إليه [ابن] رِفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، [أيّ شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟] قال علي: [ندعهم بعُذرهم ونعطيهم] الحق [ونصبر، قال: فإن لم يرضَوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً]. وسار الحسن وعمار ومعهما رؤساء أهل الكوفة.

ذكر اجتماعهم بأمير المؤمنين ومسيرهم إلى البصرة

روى سيف بن عمر، عن الشعبي، ومحمد وطلحة قالوا: التقوا بذي قار فالتقاهم علي، ورحّب بهم، وقال: يا أهل الكوفة، أنتم جُرثومةُ العرب ووجوهها، وقال ابن عباس: أنتم فَضَضْتُم جموعَ العَجم، حتى صارت إليكم مواريثهم... وذكر كلاماً في هذا المعنى.

وكان رؤساء الجماعة القعقاع بن عمرو، وشَدّاد[٣] بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب، وزيد بن صُوحان، والأشتر النَّخعي، والمسيّب بن نَجَبة، وعَدي ابن حاتم، وحُجر بن عدي الكندي، وابن مَجْدوح الذهلي في آخرين، وهؤلاء كانوا على رأي أمير المؤمنين، وكان القعقاع وعدي صحابيَّيْن.

قال هشام: وكان فيهم زياد بن النَّضْر الحارثي، وسعد بن مسعود الثقفي عمّ

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٦ـ٤٨٧ .

(٢) في مروج الذهب ٤/ ٣٠٨ : فما هذا أول يومنا منك.

(٣) في الطبري ٤/ ٤٨٨ : وسِعْر.

المختار بن أبي عبيد، ومِخنَف بن سُلَيم الأزدي، ووَعْلة وهو ابن مَجْدوح، ومعقل بن قيس الرياحي[1]، وسعيد بن قيس الهمذاني.

وقال هشام: وكمل أهل الكوفة بذي قار اثني عشر ألفاً، وجعلهم علي أرباعاً وقيل أسباعاً، فكان القعقاع بن عمرو على سُبع، وسعيد بن قيس الهمذاني على همذان وحمير، وزياد بن النَّضْر الحارثي على مَذْحِج والأشعريين، وحُجر بن عديّ على كِندة وحضرموت، وسعد بن مسعود على غيلان وعبد القيس، ومخنف بن سُلَيم على الأزد وبَجيلة وخَثْعَم، ووعلة بن مَجْدوح الذُّهلي على بكر بن وائل وتغلب وربيعة، ومعقل ابن قيس الرِّياحي على قريش وتميم وكِنانة وضَبَّة والرِّباب ومُزَينة.

قال هشام بن الكلبي، عن أبيه: فشهد هؤلاء الجمل وصفّين والنَّهروان مع أمير المؤمنين على هذا الترتيب.

قال سيف: اجتمعوا على ذي قار، وهل لَقيهم عثمان بنُ حنيف الذي نتفوا رأسَه ولحيته على الرَّبَذَة أم على ذي قار؟؟ فيه قولان.

ذكر إرسال علي القعقاع إلى أهل البصرة

قال علماء السير: لما نزل عليّ الثَّعلَبيّة خرج إليه خلقٌ كثير من أهل الكوفة، ولما قَرُب من البصرة جاءه عبد القيس، وبنو سعد، وربيعة، وخلقٌ عظيم، فصار في تسعة عشر ألفاً، اثنا عشر من أهل الكوفة، وستة آلاف من أهل البصرة، وخرج من المدينة في تسع مئة، وقيل: في ألف، فلما عزم على البصرة بعث إليهم القعقاع بن عمرو يُنذرهم ويُخوِّفُهم.

فقال سيف بن عمر: حدثني محمد وطلحة قالا: لما نزل أمير المؤمنين بذي قار دعا القعقاع بنَ عمرو ـ وكانت له صُحبة ـ فقال له: اذهب إلى أهل البصرة، والْقَ هذين الرجلين، فادعُهما إلى الأُلفة والجماعة، وعَظِّم عليهما الفُرقة.

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة وقال: يا أُمّاه، ما الذي أقدَمَك إلى ها هنا؟ قالت: أُصلح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير لتَسمعي كلامي

---

(١) في الطبري ٤/ ٥٠٠ : معقل بن يسار الرياحي، وفي أنساب الأشراف ٢/ ١٦٧ : معقل بن سنان الرياحي.

وكلامَهما، فأرسلت إليهما فحضرا، فقال لهما: إني سألتُ أم المؤمنين ما الذي أقدمها إلى هذه البلاد، فقالت: الإصلاحُ بين الناس، فما تقولان أنتما؟ قالا: ونحن نقول كذلك، قال: فأخبراني ما وَجْهُ الإصلاح؟ قالا: قَتَلَةُ عثمان، فإن عَمِل به كان إحياءً للقرآن، وإن لم يَعمل به كان تارِكاً له، قال: قد قتلتُما قَتَلَةَ عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقربُ إلى الاستقامة منكم اليوم؛ حين قتلتُم ست مئة إلا رجلاً ـ يعني حُرقوص ـ فغضب له ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهُركم، وطلبتم ذاك الذي أفلت، يعني حُرقوص، فمنعه ستة آلاف، وهم على رجل واحد، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون... وذكر كلاماً في هذا المعنى.

فقالت عائشة: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول: إن هذا الأمر دواؤه التَّسكين، فإذا سَكن اختُلجوا ـ يعني قتلة عثمان ـ فإن أنتم بايعتمونا فعَلامةُ خير، وتباشير رحمة، ودَرْكُ ثأرِ هذا الرجل، وعافيةٌ وسلامة لهذه الأمة، وإن أبيتُم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامةُ شرّ، وذهابُ هذه الأمة، فاطلبوا العافيةَ تُرزَقوها، وكونوا مفاتيحَ خير، ولا تكونوا مفاتيح شرّ، ولا تتعرّضوا للبلاء وتعرّضونا له، فيَصرعنا وإياكم، وايْمُ الله، إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائفٌ أن لا يَتمّ حتى يَأخذ الله حاجتَه من هذه الأمة.

فقالوا: نِعم ما قلتَ، فلقد أحسنتَ وأصبْتَ المقالة، فارجع إلى علي، فإن قَدِم على مثل رأيك صلَح هذا الأمر.

فعاد إلى أمير المؤمنين، وأخبره بما قال وقالوا، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك مَن كرهه، ورضيَه مَن رضيه.

وأقبلت وُفود البصرة نحو علي لما نزل بذي قار؛ وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع، ليَنظروا ما رأيُ إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أيّ حالٍ نهضوا إليهم، ولا يَخطر لهم قتالُهم على بال.

وروى الهيثم بن عدي، عن أشياخه قالوا: لما قدم علي ذا قار كتب إلى طلحة والزبير وعائشة كتابين، أحدهما إلى طلحة والزبير، والآخر إلى عائشة، فأما كتاب طلحة والزبير فنُسخته:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير، أما بعد، فقد علمتما أني لم أُرد البيعةَ حتى أكرهتُ عليها، وأنتما ممن رَضي ببيعتي، وألزمني إياها، فإن كنتما بايعتما طائعَيْن فتوبا إلى الله، وارجعا عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مُكرَهَين فقد جعلتما لي السبيلَ عليكما بإظهاركما المعصية، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين، وأنت يا زبير فارس قريش، لو دفعتما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه، والسلام.

وأما كتاب عائشة فكان فيه: أما بعد، فإنك قد خرجتِ من بيتك عاصية لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تُريدين الإصلاح بين المسلمين، فخَبِّريني ما للنساء وهنَّ عورات وقَوْد الجيوش، والبروز للرجال؟! وطلبتِ بزعمك دمَ عثمان، وعثمان رجلٌ من بني أمية، وأنت من بني تميم، ثم بالأمس تُؤلّبين عليه، وتقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نَعْثلاً فقد كفر، قتله الله، واليوم تطلبين بثأره؟! فاتقي الله، وارجعي إلى بيتك، وأسبِلي عليك سترك قبل أن يَفضحك الله، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم. ولما قرؤوا الكتابين لم يكن لهم جواب، وعرفوا أنه الحق فسكتوا.

وقال أبو اليقظان: ولما قَرُبَ أمير المؤمنين من البصرة خرج إليه شيعته منها، وهم ثلاثة آلاف، وكان شقيق بن ثَوْر السَّدوسي على بكر بن وائل، وعمرو بن مَرْجوم على عبد قيس، واجتمع بعضُ القبائل إلى طلحة والزبير كضبَّة والرِّباب وعامر وباهلة، وكان على ضَبَّةَ والرِّباب هلال بن وكيع بن بشر بن عُدس، قُتل يوم الجمل، وكان رئيسُ الأزد صَبْرة بن شَيْمان الحُدَّاني، نهاه كعب بن سُور فلم يَنته، فقُتل يوم الجمل أيضاً.

ورتّب أمير المؤمنين الجيوش، فجعل على الميمنة عبد الله بن عباس والأشتر وهو مالك بن الحارث النخعي، وعلى الميسرة عمر بن أم سلمة وعمار بن ياسر، وعلى الرَّجَّالة أبا قتادة النعمان بن ربعي الأنصاري، وأعطى الراية العُظمى ولدَه محمد بن الحنفية، وقيل: إنما كان يوم الجمل على الترتيب الذي خرج به من المدينة، ورتب القبائل من أهل الكوفة والبصرة على مراتبها، وأقام كلَّ قبيلة في منزلتها.

ثم خطب الناس فقال: إني قد كتبتُ إلى هؤلاء القوم، وناشدتُهم الله في دماء هذه

الأمة كي يرجعوا فأبَوا، وأنذرتُهم فلم يُبالوا، وتأنّيتُ بهم فلم يَنظروا لنفوسهم وللمسلمين في مصلحة، وإنهم يَتهدّدوني بالحرب، والآن فقد أنصفَ القارة مَن راماها[١]، وإني على بَيِّنةٍ من ربي من النّصر عليهم، والظَّفَر بهم، ومَن لم يُقتَل يَمُت، والذي نفسي بيده لألفُ ضربةٍ بسيف أهونُ عليَّ من الموت على فراشي.

ثم رفع يديه وقال: اللهمَّ إن طلحة أعطاني صَفقةَ يمينه طائعاً، ثم نكث بيعتي، اللهمَّ فعاجله، اللهمَّ إن الزبير قطع قرابتي، ونَكث بَيعتي، وظاهر عدوّي، ونصب إلي الحرب بغياً وعدواناً، وهو ظالم لي، فاكفنيه بما شئت، ثم تمثّل، وقيل إنهما له: [من الخفيف]

إن يـومـي مـن الـزبـيـر ومـن طلـ ـحـة فـيـمـا يـسـوؤنـي لـطـويـلُ
ظَـلـمـانـي ولـم يـكـن عـلـم الـلـ ـه إلى الـظُّـلـمِ حـاجـةٌ وسـبـيـلُ[٢]

ذكر اجتماع أمير المؤمنين بالأحنف بن قيس

قال سيف: ولما نزل أمير المؤمنين قريباً من البصرة جاءه الأحنَفُ بنُ قيس وبنو سعد؛ وقد منعوا حُرقوصَ بن زهير من القتل، وهم لا يُريدون القتال مع أحد من الفريقين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً يَزعمون أنك إن ظهرتَ غداً عليهم أنك تقتل رجالهم وتَسبي نساءهم، فقال: ما مثلي من يُخاف منه مثلُ هذا، وهل يجوز ذلك إلا في مثل مَن تولّى وكفر؟! وهم قومٌ مسلمون.

وقال له الأحنف: اختر مني واحدة من اثنتين: إما أن آتيك فأكون معك بنفسي، وإما أن أكفَّ عنك عشرة آلاف سيف، فقال: لا بل هذه، فخرج الأحنف وهو يقول - أو قال: يا لَخِنْدِف، فأجابه قوم، ثم نادى: يالَ تميم فأجابه آخرون، ثم نادى يالَ سعد فلم يبق سعدي إلّا وأجابه، فاعتزل ناحية عن الناس.

وقد ذكر الطبري للأحنف أخباراً كثيرة في اجتماعه بأمير المؤمنين[٣].

---

(١) مثل، انظر جمهرة الأمثال ١/ ٥٥.

(٢) ديوان علي ٨٤.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٦-٥٠٠.

ذكر حديث الوقعة

رجع الحديث إلى سيف، عن محمد وطلحة، وأن أمير المؤمنين أرسل إليهم القعقاع بن عمرو، وجرى له مع عائشة وطلحة والزبير من الاتّفاق ما جرى على أن يتّفقوا ويَختلجوا قتلَةَ عثمان فيما بين ذلك.

وعاد القعقاع إلى أمير المؤمنين، وأخبره بما جرى، وسُرَّ أمير المؤمنين بقوله، وأشرف القوم على الصلح رَضيه مَن رَضيه وكرهه مَن كرهه.

قال سيف بن عمر عن محمد وطلحة، قال: لما رجع القعقاع من عند أمير المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم، جمع علي عليه السلام [الناس]، ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وعلى رسوله، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام وسعادتَه، وإنعام الله على هذه الأمة [بالجماعة]، وذكر الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، ثم قال: ثم حَدث هذا الحدث الذي جَرى على هذه الأمة من أقوام طلبوا الدنيا حَسَداً لمن أفاءها الله عليه، وأرادوا ردَّ الأشياء إلى أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد، ألا وإني راحلٌ غداً، فلا يَرحلنّ معنا أحدٌ ممن أعان على عثمان بشيء، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسَهم.

فلما قال هذه المقالة اجتمع نفرٌ منهم عِلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسي(١)، وشُريح بن أوفى بن ضُبَيعة، والأشتر النَّخَعي، في عدّةٍ ممن سار إلى عثمان، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء، وخالد بن ملجم، فتشاوروا وقالوا: ما الرأي؟ فهذا علي أبصر بكتاب الله ممن يَطلب قتلَة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفِر إليهم، فكيف إذا شام القوم وشاموه، ورأوا قلّتنا في كثرتهم، إياكم والله يُراد، وما يريد إلا أنتم.

فقال الأشتر: أما طلحة والزبير وعائشة فقد عرفتم أمرَهم، وأما علي فما عرفنا أمره إلّا اليوم، ورأيُه ورأيُ الناس فينا واحد، وإنهم قد اصطلحوا على دمائنا، فهلموا نتواثب على علي فنُلحقه بعثمان، فتعود فتنة يُرضى منا فيها بالسكون.

فقال ابن السوداء: بئس الرأي رأيتَ، نحن نحو من ست مئة، وهذا ابنُ الحَنظليّة

---

(١) في الطبري ٤/ ٤٩٣: العبسي.

وأصحابُه في خمسة آلاف، وهم بالأشواق إلى أن يَجدوا إلى قتالكم سبيلاً.

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم، ودعوهم وارجعوا، وتعلَّقوا ببعض البلدان حتى يأتيكم فيه مَن تثقون به.

قال ابن السَّوداء: بئسَ ما رأيت، لو فعلتُم هذا تخطَّفكم الناس.

وقال عدي بن حاتم: إن لنا خيولاً وسلاحاً، فإن أقدمتُم أقدَمْنا، وإن أمسكتُم أحجمنا، فقال له ابن السوداء: أحسنت.

وقال ابن السوداء: الرأيُ عندي أنكم تُنشبون القتال، ولا تُفرّغوا علياً وطلحة والزبير للنظر، فإنهم لا يجدون بُدّاً من الامتناع، ويَشغلهم الله عنا بما يَكرهون، وإذاً تقاتلوا، فأنشِبوا القتال في السَّحَر، وتفرَّقوا على هذا والناسُ لا يَشعرون.

وأصبح أمير المؤمنين على ظَهْر، وسار حتى نزل بعَبْد القيس وهم أمام ذلك، ثم سار بالناس فنزل بإزاء القوم، فقال أبو الجَرْباء للزبير: الرأيُ أن تبعث إلى علي ألفَ فارس فيُبيتوه أو يُصبّحوه قبل أن يَتوافى أصحابُه، فقال: يا أبا الجَرْباء، لسنا نجهل أمرَ الحرب ولكنهم أهلُ دَعوتِنا، وقد فارقَنا وافدُهم على أمر، ونرجو أن يَتمَّ الصُّلح.

وقال صَبْرة بن شَيْمان: يا طلحة، الرأي في الحرب خيرٌ من الشّدّة، وأشار بمثل ما أشار أبو الجَرْباء، فقال طلحة: إنا وإياهم مسلمون، وإنه علي ومَن معه.

وقال كعب بن سور: ما تنتظرون؟ اقطعوا هذا العُنُق من هؤلاء، فقالوا: يا كعب، هذا أمرٌ بيننا وبين إخواننا، وهذا أمر مُلتبس، ونحن نرجو الصُّلح، فإن أجابوا وإلا فآخر الداء الكي.

وقال سيف: وقام إلى علي أقوامٌ من أهل الكوفة يَسألونه عن إقدامهم على القوم، وفيهم الأعور بن بُنان المِنقري، فقال: يا أمير المؤمنين، علامَ عزمتَ؟ فقال: على الإصلاح وإطفاء النائرة، لعل الله يَجمع شملَ هذه الأمة، قال: فإن لم يُجيبوا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: نَدفعُهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم بمثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم.

قال: وقام إليه أبو سلامة الدّألاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من

هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك؟ قال: نعم، قال: أفترى لنا حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم إن الشيء إذا كان لا يُدرك فالأناة والحلم فيه أحوط، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتُلينا غداً؟ قال: إني لأرجو أن لا يُقتل أحدٌ منا ومنهم وفي قلبه تُقى لله إلا أدخله الله الجنة.

ثم قام علي عليه السلام فخطب الناس وقال: أيها الناس، املِكوا أنفسَكم، واصبروا على ما نالكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم مَن خصم اليوم.

قال: وارتحل على تعبيته التي خرج فيها، حتى إذا أطلّ على القوم بعث إليهم حَكيم ابن سلامة ومالك بن حبيب يقول لهم: إن كنتم على ما فارقتُم عليه القعقاع، فكفُّوا لننزل ونَنظر في هذا الأمر.

رجع الحديث إلى سيف عن محمد وطلحة قالا: فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وطلحة والزبير، وتواقفوا، وتكلّموا فيما بينهم، فلم يَجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضْعِ الحرب، وافترقوا على ذلك، ورجع علي عليه السلام إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما، ثم بعث إليهما وقتَ العشاء عبد الله بن عباس، وبعثا هما عبد الله بن الزبير إلى علي، وأن يُكلّم كلّ واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمسَوا ـ وذلك في جُمادى الآخرة، [أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه].

وفي رواية: لما نزل علي جاء إليه طلحة والزبير، واتفقوا على الصُّلح، وخرجا، فخرج علي مشيّعاً لهما، وأرسلا إلى أصحابهما بالصُّلح، وأرسل علي إلى أصحابه بمثل ذلك، وبات الفريقان بلَيلةٍ لم يبيتوا بمثلها للعافية التي قد أشرفوا عليها، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرٍّ ليلةٍ باتوها قط؛ قد أشرفوا على الهَلَكة، وجعلوا يتشاورون ليلتَهم كلّها، حتى إذا اجتمعوا على إنشاب الحرب أسرُّوا ذلك خيفةَ أن يُفطَن بهم، وحاولوا أمر الشر في الغَلَس، فأثاروا الحربَ ولم يَشعر بهم جيرانُهم، بل انسلُّوا انسِلالاً، فخرج مُضَرِيّهم إلى مُضريّهم، وربيعتهم إلى ربيعتهم، ويمانيتهم إلى يمانيتهم، فوضعوا السلاح فيهم، فثار أهل البصرة، وخرج طلحة والزبير في وجوه الناس من مُضر، وبعثا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى الميمنة، وعبد الرحمن

ابن عَتّاب بن أسيد إلى الميسرة، وثبتا في القلب، وقالوا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقنا أهلُ الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن علياً غير مُنتهٍ حتى يَسفك الدماء، ويَستحلّ الحُرمة، وأنه لن يُطاوعَنا، وزحفا بأهل البصرة حتى ردّوهم إلى عسكرهم.

وسمع علي الصوت، وقد وضع القوم رجلاً قريباً من علي يُخبره بما يريدون، فلما قال علي: ما هذا؟ قال الرجل: إن القوم قد بيَّتونا، فرددناهم من حيث جاؤوا، فقال علي لصاحب ميمنته: الحق بالميمنة، ولصاحب الميسرة: الحق بالميسرة، وقال: لقد علمتُ أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يَسفكا الدماء، ويَستحلّا الحُرمة، ونادى علي عليه السلام في الناس: كُفّوا، وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتلوا حتى يُبدؤوا، ولا يُجهزوا على جريح، ولا يستحلّوا سَلباً، ولا يأخذوا مالاً.

قال سيف: فأقبل كعب بن سُور إلى عائشة فقال: الحقي القوم فقد أبَوا إلا القتال، لعل الله يُصلح بك، فركبت، وألبسوا هَودَجَها الأدْراع، ووقَفت على الجمل، فسمعت غَوغاء كثيرة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضَجَّةُ العسكر، قالت: بخير أو بشَرّ؟ قالوا: بشَرّ، قالت: فأيّ الفريقين كانت فيهم هذه الضجّة فهم المنهزمون، فما فَجِئها إلا هزيمةُ أهل البصرة، وهذا قول سيف.

وأما هشام بن الكلبي فإنه قال: لما وصل علي عليه السلام إلى البصرة، نزل بالزاوية، ثم سار منها يريد القوم، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد.

وقال البلاذري: التقوا في مكان يُقال له: الخُرَيْبَة في جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين... وذكر الوقعة(١)

رجع الحديث إلى سيف وغيره من علماء السير، قالوا جميعاً: لما توافَوا خرج طلحة والزبير على فرسين، وخرج إليهما علي عليه السلام، ودنا كل واحد من الآخر، فقال لهما علي: لعَمري لقد أعددتُما خيلاً ورجالاً وسلاحاً، إن كنتُما أعددتُما عند الله عُذراً فاتقيا الله، ولا تكونا كالتي نَقضت غزلَها من بعد قوّةٍ أنكاثا، ألم تكونا إخوتي في الله، تُحرّمان دمي وأُحرِّم دمكما؟ [فهل من حَدَثٍ أحلّ لكما دمي؟] فقال له طلحة:

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٤ .

ألّبتَ الناس على عثمان، فقال: أنتما خذلتُماه حتى قُتل، فسلّط الله اليوم على أشدّنا على عثمان ما يَكره.

ثم قال: يا زبير، أتذكر يوم مررتَ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم، أو في بني بَياضة، فنظر إليّ وضحك فضحكتُ إليه، فقلت أنت يا زبير: لا يدع ابنُ أبي طالب زَهْوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ليس بمَزْهُو، ولتُقاتلَنّه يا زُبير، أو لتقاتلنّ ابنَ عمتك، وأنت ظالم له». فوجم الزبير، وقال: والله لو ذكرتُ ذلك ما قاتلتُك، ولا سرتُ مَسيري هذا، ولكن كيف أصنعُ وقد التقت حَلَقتا البِطان، ورجوعي عين العار؟ فقال له علي: تَرجع بالعار، ولا تَرجع بالنار، أو ترجع بالعار خيرٌ من أن ترجع بالنار، يا زُبير قد كنا نَعدُّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنُك [ابن] السّوء ففرَّق بيننا، فذكّرتك قول رسول الله ﷺ.

فرجع الزبير وهو يقول: والله لا قاتلتُك أبداً، وقال: [من البسيط]

اختـرتُ عـاراً عـلـى نـارٍ مُـؤجَّـجـةٍ ... أنـى يَـقـوم لـهـا خَـلْـقٌ مـن الـطّـيـنِ
نـادى عـلـيّ بـأمـرٍ لـسـتُ أجـهـلُـه ... عـارٌ لـعـمـرك في الـدنـيـا وفي الـدّيـنِ
فـقـلـتُ حـسـبُـك مـن لَـوْمٍ أبـا حـسـنٍ ... فبعضُ هذا الذي قد قلتَ يكفيني(١)

قال هشام: ولما رجع الزبير إلى أصحابه قالت له عائشة: مالك؟ فقال: ما كنتُ في موطن منذ عقلتُ عقلي إلا وأنا أعرف فيه أمري إلا هذا الموطن، فإنه مالي فيه بالحرب بَصيرة، قالت: فما تُريد أن تصنع؟ قال: أذهبُ وأدعُكم، فقال له ابنه عبد الله: جمعتَ هذين الغارَين، حتى إذا جدّ بعضهم لبعض أردتَ أن تتركَهم وتذهب، ولقد خرجتَ على بصيرة، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبي طالب، فنظرتَ تحتها الموتَ الأحمر فجَبُنت.

فأرعد الزبير غضباً وقال: ويحك، قد حلفتُ أن لا أُقاتلَه، فكيف أصنع؟ قال: تُكفِّر عن يمينك، فأخذ رُمحه، وحَمل فخرق الصُّفوف يميناً وشمالاً، فحمل عليه الأشتر ليَطعنه، فقال علي: دَعه فإنه مُحرَج، ثم أعتق غلاماً له يقال له مكحول، فقال الشاعر: [من الرجز]

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣١٧-٣١٨، وانظر التدوين في أخبار قزوين ١/ ١٩٣-١٩٤.

أعـتـق مـكـحـولاً لـصَـون دِيـنـه
كـفّـارةً لله عـن يـمـيـنـه
والـغَـدْرُ قـد لاح عـلـى جَـبـيـنـه

وقال الطبري: اسم الغلام سَرْجَس[١]، وقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي: [من الرجز]

لـم أر كـالـيـوم أخـا إخـوانِ
أعـجـبَ مـن مُـكَـفِّـر الأيـمـان
بـالـعـتـقِ فـي مـعـصـيـةِ الـرحـمـن

وقال أبو اليقظان: ثم صاح أمير المؤمنين، يا طلحة، أنشدك الله، ألم تسمع رسول الله يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»؟ قال: بلى، قال: فلمَ تُقاتلني وقد بايعتَني؟ فانصرف طلحة، ثم أنشب القوم القتال.

وحكى الطبري عن الزهري قال: قال علي: يا طلحة، أجئتَ بعِرس رسول الله ﷺ تُقاتل بها، وخَبَأتَ عِرسَك في البيت، أما بايعتَني؟ فقال: بايعتُك وعلى عُنقي اللُّجّ.

وقال أيضاً: قال أميرُ المؤمنين: أيُّكم يَعرض على القوم هذا المصحف، فإن قُطعت يدُه أخذه بيده الأخرى، فإن قُطعت يدُه أخذه بأسنانه؟ فقال فتى من القوم: أنا، فقال له: اعرِض عليهم هذا، وقل لهم: بيننا وبينكم كتابُ الله، ففعل،فحمل عليه فتى من القوم فقتله، فقال علي: الآن طاب الضِّراب، احملوا عليهم فحَملوا، وما كان يَبدؤهم بالقتال حتى يَبدؤوه.

وفي رواية: فقطعوا يدَه فأخذه بالأخرى، فقُطعت فأخذه بأسنانه، فقتلوه[٢].

وقال الهيثم: واسمُ الغلام المقتول مُسلم، فقالت أُمُّه وكانت عجوزاً كبيرة: [من الرجز]

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩، وفي ٤/ ٥٠٢ أن اسمه مكحول.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩، ٥٥١.

يـــا ربِّ إن مُـــســـلـــمـــاً أتـــاهُـــمُ
يَـتـلـو كـتـابَ الله لا يَـخـشـاهـمُ
فـخَـضَّـبـوا مـن دمـه لِـحـاهُـمُ
وأُمُّـــه قـــائـــمـــةٌ تَـــراهُـــمُ(١)

وقال أبو اليقظان: وقف عمار بين الصفَّين وصاح: ما أنصفتُم نبيَّكم حين أبرزتُم عَقيلَتَه للسيوف، وصُنْتُم حَلائلَكم عن الحُتوف، ثم دنا من هودج عائشة وقال: ما الذي تَطلبين؟ فقالت: دَمَ عثمان، فقال: خذل الله اليوم الباغي منا.

قال علماء السير: ثم اقتتلوا قتالاً لم يَجْرِ في جاهلية ولا إسلامٍ مثلُه.

فحكى سيف، عن فِطر بن خليفة، عن أبي بشير قال: شهدتُ الوَقعة، فوالله ما سمعتُ دقّ القصَّارين إلا ذكرتُها.

وقال الواقدي: كان زِمامُ الجمل بيد كعب بن سُور، فقالت عائشة: خلِّ عنه، وادعُهم إلى كتاب الله، وناولتْه مصحفاً، فنشره وصاح: هذا كتاب الله، فاستقبلتْه السَّبئية فقتلوه.

قال الزهري: ما شوهِدت وقعةٌ مثلها، فَني فيها الكُماة من فُرسان مُضَر، وما كان يَأخذ زِمام الجمل إلا مَن هو مَعروف بالشجاعة، وما أخذه أحدٌ إلا قُتل أو أُصيب، حمل عليه عديُّ بن حاتم، ولم يبق إلا عشرة، ففُقِئت عينُ عدي.

وحكى الطبري عن الزهري قال: أخذ عبد الله بن الزبير بخِطامه، فقالت عائشة: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ الزبير، فقالت: واثُكلَ أسماء(٢).

واجتمع بنو ضَبَّةَ حول الجمل، وقاتلوا دونه قِتالاً لم يُسمع بمثله، قُطِعت عنده ألفُ يد، وقُتل عليه ألفُ رجلٍ منهم، وكان بين يديه وسيم بن عمرو الضبِّي يَرتجز بهم، وهم يقولون مثلَ قوله:

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥١١-٥١٢، ومروج الذهب ٤/ ٥١٤، وأنساب الأشراف ٢/ ١٧٠-١٧١.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩.

نـحـن بـنـو ضَـبَّـةَ أصـحـابُ الـجَـمَـلْ
نَـنْـعـى ابـنَ عـفّـان بـأطـرافِ الأَسَـلْ
الـموتُ أحـلـى عـنـدنـا مـن الـعَـسَـلْ
رُدُّوا عـلـيـنـا شـيـخَـنـا أو نـقـتـتـل

يَعنون بشيخهم عُثمان، والأبيات في «الحماسة»[١].

وحكى الطبري عن ابن الزبير أنه قال: جُرحتُ على زمام الجمل سبعةً وثلاثين جِراحة، وما أخذ أحدٌ رأسَه إلا قُتل، أخذه عبد الرحمن بن عتّاب فقُتل، ثم أخذه الأسود بن [أبي] البَخترَي فقُتل، وعدّ جماعةً.

قال ابن الزبير: ومَرَّ بي الأشتر فعرفني، فقصدَني وقصدتُه، واعتنقنا فسقطنا جميعاً إلى الأرض، فناديتُ: اقتلوني ومالكاً، أو اقتلا مالكاً معي، فجاء قوم فحجزوا بيننا[٢].

وقال البلاذري: لو قال اقتلوني والأشتر لقُتلا جميعاً.

وقيل لعائشة: هذا الأشتر يُعارك عبد الله، فقالت: واثُكلَ أسماء، وأعطت مَن بَشَّرها بخلاصِه منه مالاً[٣].

وحكى هشام، عن علقمة، عن الأشتر قال: كنتُ أسأل الله أن ألقى عبد الله بن الزبير؛ فإنه هو الذي أخرج عائشة إلى البصرة، وأقام الفتنة، قال: فالتقيتُه كفةً لِكفّة، فقمتُ في الرِّكاب، وضربتُه على رأسه فصرعتُه، وعانقني وصاح: اقتلوني ومالكاً، ولو عرفوا أنني مالك لقتلوني ولو قُتلوا كلّهم.

ثم أخذ زِمامَ الجمل عمرو بن يَثرِبيّ، فقاتل قتالاً شديداً، فحَمل عليه عمار، وهو يومئذ ابن سبعين سنة وأكثر، وعليه فَروٌ قد شدَّ وَسَطه بحبلٍ من ليف، فقطع رجلَ عمرو ابن يَثربي.

---

(١) نسبها أبو تمام للأعرج المعني، شرح ديوان الحماسة (٨٨)، وهي في أنساب الأشراف ٢/ ١٧٢، وتاريخ الطبري ٤/ ٥١٨، ومروج الذهب ٤/ ٥٢٧، والعقد الفريد ٤/ ٣٢٧، وعند الجميع: ثم بَجَل، بدل: أو نقتتل.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥١٩.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٢-١٧٣.

وكان عمرو قد قتل في ذلك اليوم زيدَ بن صُوحان وكُنيته أبو عائشة، وهند بن عمرو، ويُقال له الجَمليّ، [وعلباء بن الهيثم السدوسي].

قال سيف وكان يَحمل ويقول: [من الرجز]

إنـي لـمـن أنـكَـرَنـي ابـنُ يـثـرِبـي
قـاتـلُ عِـلـبـاءَ وهـنـدَ الـجَـمـلـي
ثـم ابـن صُـوحـانَ عـلـى رأي عـلـيّ

وجاء عمار بعمرو بن يَثربي إلى بين يدي أمير المؤمنين، فقال: يا عمار، اقتُلْه، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، استَبْقِني، فقال: ويَحك بعدما قتلتَ خيار أصحابي: زيد بن صُوحان، وعلباء بن الهيثم، وهند بن عمرو، أستبقيك؟! لا والله، فقتله عمار.

وقال أبو اليقظان: لما رأى أمير المؤمنين يومئذ الرُّؤوسَ تُنْدَر، ضمَّ الحسنَ ابنَه إلى صدره وقبَّله وقال: يا حسن، أيُّ خيرٍ يُرجى بعد هذا اليوم؟ فقال: يا أبتِ قد كنتُ نَهيتُك عن مثل هذا، فقال: ما كنتُ أظنُّ أن الأمر يَبلغ إلى مثل هذا، ليت أنني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

ومضى الزبير هارباً على وجهه، فقُتل بوادي السّباع.

وجاء طلحةَ سهمٌ غَرْبٌ فخلَّ رُكبتَه بصَفحة الفرس، فحملوه إلى البصرة فمات، وسنذكر سيرتَهما في آخر السنة.

وقُتل محمد بن طلحة، وغُلب ابنُ الزبير من الجراحات، فألقى نفسه بين القتلى.

ذكر عَقْرِ الجمل

قال علماء السير: وحملت السَّبَئِيَّةُ على الجمل والأشتر يَقدمُها، وزِمامه بيد عبد الله ابن حكيم بن حِزام، فضربه الأشتر فجرحه جُرحاً موثقاً، ولم يبقَ أحدٌ من بني عامر وضَبّة إلا وأُصيبَ عنده.

قال سيف: وكان آخر مَن قاتل عليه زُفَر بن الحارث، وزِمامُه بيده وهو يقول: [من الرجز]

يـا أمَّـنـا يـا عَـيْـشَ لـن تُـراعـي

وزحف إليه القعقاع بن عمرو وصاح: اعقِروا الجملَ الملعون قبلَ أن تُصابَ أمُّ المؤمنين.

وحكى عروةُ عن عائشة قالت: جال الناسُ حولي جَولةً، فصرتُ مثل اللُّجَّة، ولو قَدرتُ على الخلاصِ لبادرتُ إليه، وحمل بُجَيْر بن دُلْجة الضّبي الكوفي، فقطع بِطانَه، وعَقره، وقطع ثلاث قوائم من قوائمه، فبرك.

وقال بُجَير: رأيتُ قومي قد فَنوا عليه، فأبقيتُ بعَقْره على مَن بقي منهم.

ووقع الهَوْدج على الأرض وجعلت تقول: يا بَنيّ، البقية البقية.

وقال سيف: وجاء محمد بن أبي بكر وعمار فاحتملاه ووضعاه، فأدخل محمد يَده فيه لِيَنظر هل أُصيبت عائشة أم لا، وكان علي عليه السلام قد قال لما وقع الهَوْدج: انظر أختَك هل أصابها شيء؟ أو وصل إليها شيء؟ فلما أدخل يده قالت له: مَن أنت؟ قال: ابن الخَثْعميّة، قالت: محمد؟ قال: نعم، قالت: بأبي أنت وأمّي، الحمد لله الذي عافاك، ورأى خُموشاً في يدَيها، وأصابها مِشقص في عَضُدها فأخرجه منها، وبقي الجمل والهودج مثل القنفد من كثرة النُّشّاب.

وفي رواية أن عائشة قالت له: مَن أنت؟ قال: أخوك محمد البارّ، فقالت: أنت مُذَمَّم عُقَق، أو عَقَقْتَ، وقال لها عمار: يا أُمّاه، كيف رأيتِ ضَربَ بنيك اليوم؟ فقالت: لستُ لك بأُم، فقال: بلى وإن كرهتِ.

قال الهيثم: وجاء أعين بن ضُبَيْعَةَ المجاشعي، فاطّلع في الهَوْدَجِ وقال: ما أرى فيه حُميراء، فدعت عليه بكشفِ العَورة، فقُتل بالبصرة، ورُمي بها في خَرِبةٍ بادية عورتُه.

وقال الهيثم وغيره: ضرب عليها محمد فُسطاطاً.

وقال البلاذري: وجاء أمير المؤمنين، فوقف على الهَودج، وضربه برُمحه وقال: إن حميراء أختُ إرَم، هذه أرادت أن تَقتُلني كما قتلت عثمان[1].

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٨ .

واختلفوا في الذي قال لها أمير المؤمنين على أقوال:

أحدها: ما ذكره البلاذري.

والثاني: أنها قالت: مَلَكْتَ فأَسْجِحْ، وهذا مَثَلٌ للعرب[1]، والإِسْجاحُ حسن العفو.

والثالث: أنه ضرب الهودج برُمحه وقال: يا حُميراء، الله أمرك بهذا، إنما أمرك بالقَرار في بيتك، واللهِ ما أنصفَكِ مَن أخرجَك، صانوا حَلائلَهم وأبرزوك، فلم تقل شيئاً.

وقال سيف: ووقف عليها علي وقال: السلام عليك يا أمّاه، فقالت: وعليك السلام يا بُنيّ، فقال: يَغفر الله لك، فقالت: ولك.

وقال ابن إسحاق والواقدي: ولما انهزم الناس يُريدون البصرة رأَوا الجمل قائماً، فأطافت به مُضَر، فقالت عائشة لكعب بن سُور: خلِّ رأسَ البعير وخُذِ المصحف، ففعل، فرَشَقوه رَشْقاً واحداً فقتلوه، ولما رأت عائشة اشتدادَ الأمر جعلت تصيح بأعلى صوتها: يا بَنيّ، البقيّةَ البقيّةَ، اذكروا الله واليوم الآخر، وهم يَأبَون إلا القتال، فصاحت: أيها الناس، العَنُوا قتَلَةَ عثمان وأشياعَهم.

وكان القتال من وقت السَّحَرِ إلى نصف النهار، وذلك في يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة في أظهر الروايات، وقيل في مُنتَصَف جمادى الآخرة، وكان القتال أوّلَ النهار مع طلحة والزبير، وفي وَسَطه مع عائشة.

وظهر الخللُ في الفريقين، وكثُرت القتلى، وعَظُمت الجراحات، ولم يكن في وقعةٍ قط أكثر من يد مَقطوعةٍ منها، لا يُدرى مَن صاحبُها، فلما فَنِي الكُماة قال أميرُ المؤمنين ومعظم فُرسان طلحة والزبير: مادام هذا الجمل الملعون قائماً لا يبقى أحد من الفريقين، فقصدوه.

وقال سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان لا يجيءُ أحدٌ فيأخذ بزِمام الجمل إلا يقول: أنا فلان بن فلان.

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ٢٤٨، وانظر الصحاح: (سجح).

قال سيف: فوالله ما بَقي يومئذ أحدٌ من بني عامر شيخ إلا وأُصيب قُدَّامَ الجمل.

وحكى الطبري عن أبي رجاء قال: بينما أنا أمشي يوم الجمل، إذا برجل يَفْحَصُ برجليه ويقول: [من الطويل]

لقد أورَدَتْنا حَوْمَةَ الموت أُمُّنا فلم نَنْصرف إلّا ونحن رِواءُ
أطعْنا قُريشاً ضَلَّةً من حُلومنا ونُصرتنا أهلَ الحجازِ عَناءُ

من أبيات، قال: فقلتُ له: قل لا إله إلا الله، فقال: من أين أنت؟ فقلتُ: من أهل الكوفة، فقال: في أُذني ثِقَل ما أسمع ما تقول، ادْنُ مني، فدنوتُ منه، فوثب على أُذني فاصطَلَمها وقال: إذا أتيتَ أُمّك فقل لها: عُمير بن الأهلَب فَعل بي هذا[1].

وقيل: إن أمَّ هذا المقتول قُتل لها ابنٌ آخر، فلما مَرَّت بهما، ورأتهما قتيلين قالت: [من المتقارب]

شهدتُ الحروبَ فشَيَّبْنني فلم أرَ يوماً كيوم الجَملْ
أمَرَّ على مُؤمنٍ فتنةً وأقْتلَه لشُجاعٍ بَطَلْ
فليت الظَّعينةَ في بيتها وليتك عَسْكَرُ لم تُرتحل

عسكر اسمُ جمل عائشة[2].

وقال أبو اليقظان: مَرّوا على صبيٍّ يَفْحَصُ برجليه وقال: أنا قَتيلُ المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين.

وقال سيف عن محمد وطلحة: لما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة فأدخلها البصرة، وأنزلها في دار عبد الله بن خَلَف الخُزاعي، على صفية بنت الحارث بن طلحة، وهي أمُّ طَلْحة الطَّلْحات، وبكت عائشة بكاء شديداً وقالت: وَدِدتُ أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

قال هشام: واتفق أن أمير المؤمنين قال ذلك في ذلك الوقت، فخرج كلامُهما في وقتٍ واحد.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٢٤.

(٢) مروج الذهب ٤/ ٣٣٢-٣٣٣.

قال أبو اليقظان: ويُقال: إنها قالت: وَدِدتُ أني ثَكلت عَشرةً من الولد من رسول الله ﷺ، كلُّهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ولم أسِر إلى البصرة.

وقال أحمد بإسناده عن عَمرو بن غالب قال: انتهيتُ إلى عائشة أنا وعمار والأشتر، فقال عمار: السلام عليك يا أُمَّتاه، فقالت: السّلام على مَن اتّبع الهدى، حتى أعادها ثلاثاً أو مرتين، ثم قال: أما والله إنك لأمي وإن كرهتِ، قالت: فمَن هذا معك؟ قال: الأشتر، قالت: أنت الذي أردتَ أن تَقتل ابنَ أختي؟ قال: نعم، قد أردتُ ذلك، فقالت: أما إنك لو فعلتَ ما أفلحتَ، وأما أنت يا عمار، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَحلُّ دمُ امرِىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث...» الحديث[1].

وقال الواقدي: وجيءَ بمروان بن الحكم أسيراً إلى بين يدي أمير المؤمنين، فشفع فيه الحسن والحسين فأطلقه، فقالا: ألا يُبايُعك؟ فقال: قد بايَعَني يوم قُتل عثمان، لا حاجةَ لي في بَيعتِه، إنها كفٌّ يهودية، أما والله إن له أمارة كلَعْقَةِ الكلبِ أنفَه، وسيرى الناسُ من نَسلِه يوماً أحمر.

وقيل: إن مروان استجار ببيتٍ من عَنَزة.

وقيل: إن عائشة ضَمَّتْه إليها مع مَن ضَمّت من المجروحين؛ كابن الزبير وغيره.

قال: وأما عبد الله بن عامر فأمَّنه رجلُ من بني حُرقوص، وأخرجه إلى الشام، وأما عبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم بن أبي العاص فلحجا في البرية، فلَقيهم عِصمةُ بن أُبير فأمَّنهما، وأخرجهما إلى الشام.

ذكر عَدد أصحاب الجمل

واختلفوا فيهم على أقوال:

حكى سيف عن محمد وطلحة قالا: كان قتلى الجمل عشرةُ آلاف، نصفُهم من أصحاب علي، ونصفُهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمس

(١) مسند أحمد (٢٤٣٠٤).

مئة، ومن مُضر ألفان وخمس مئة، وخمس مئة من قيس، وخمس مئة من تميم، وألف من بني ضَبّة، وخمس مئة من بكر بن وائل، والباقون من الأعراب.

وقال هشام: كان مع أمير المؤمنين، ثلاثون ألفاً.

وقال الواقدي: كان مع علي عشرون ألفاً، ومع عائشة خمسة عشر ألفاً.

وقال الهيثم: كان مع علي اثنا عشر ألفاً، ومع عائشة ثمانية آلاف.

وقال ابن الكلبي: قُتل من أصحاب عائشة ثمانية آلاف، وقيل ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب علي ألف.

وقيل: من أهل البصرة عشرة آلاف، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف.

وحكى الطبري عن سعيد القُطعي قال: كنا نُحدّث أن قتلى يوم الجمل [يزيدون على ستة آلاف.

وحكى الطبري عن ابن أبي يعقوب قال: قتل علي يوم الجمل] ألفين وخمس مئة؛ ألفاً وثلاث مئة وخمسين من الأزْد، وثمان مئة من بني ضَبَّة، وثلاث مئة وخمسين من سائر أفناء الناس[1].

قال هشام: وكانت الوَقعةُ يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة، وقيل: يوم السبت.

وقال سيف: علم أهلُ المدينة بالوَقْعة في يومها قبل أن تَغرب الشمس، أقبل نَسرٌ ومعه شيءٌ مُعلّق، فسقط منه كفٌّ وفيها خاتم، فتأمّلُوه وإذا به خاتم عبد الرحمن بن عَتَّاب بن أسيد، وعلم مَن بين مكة والمدينة ممن قَرب من البصرة من الأعراب بيوم الجمل؛ مما نَقلت إليهم النُّسور من الأقدام والأيدي.

وقال سيف: قُتل تسعون شيخاً يوم الجمل من بني عَديّ، كلّهم قد قرأ القرآن سوى الشباب.

---

(١) في (خ): وحكى الطبري عن سعيد القطيعي قال: كنا نحدث أن قتلى يوم الجمل ألف وخمس مئة، ثلاث مئة وخمسون من الأزد... والمثبت من تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٥ .

قال: وقالت عائشة: مازلتُ أرجو النّصر حتى خَفيتْ أصواتُ بني عدي.

ذكر دخولِ أمير المؤمنين البصرة

قال هشام: فأقام بظاهر البصرة ثلاثة أيام، وصلّى على القتلى من الفريقين، وجمع ما كان من الأسلاب في العَسكر، وبعث به إلى جامع البصرة وقال: مَن عَرف شيئاً أخذه، وأمر علي بدَفنِ مَوتاهم.

وقال سيف عن محمد وطلحة: دخل عليّ البصرة يوم الاثنين، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، وأتاه الناس، ثم راح على عائشة على بَغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خَلَف ـ وهي أعظم دارٍ بالبصرة ـ وجد النساء يَبكين على عبد الله وعثمان ابنَي خَلَف؛ قُتل أحدُهما مع علي، والآخر مع عائشة، وصفية بنت الحارث مُتَخمّرة تبكي، فلما رأته قالت: يا علي يا قاتلَ الأحبّة، يا مُفرّقَ الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمتَ ولدَ عبد الله، فلم يردَّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلّم عليها، وقعد عندها وقال: جَبَهَتْنا صفية، أما إني لم أَرَها منذ كانت جارية حتى اليوم.

فلما خرج من عند عائشة مرَّ عليها، فأعادت عليه ذلك الكلام، فكفَّ بغلتَه ثم قال: أما والله لقد هممتُ ـ وأشار إلى باب من أبواب الدار ـ أفتحُ هذا الباب، وأقتل مَن فيه، وكان أناسٌ جَرحى قد لَجؤوا إلى عائشة، وأُخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم، فسكتت صفيّة، فقال له رجل من الأزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة، فغضب وقال: لا تَهتكنَّ سِتراً، ولا تَدخلنّ داراً، ولا تَهيجنّ امرأةً؛ وإن شتمنَ أعراضكم، وسَفَّهنَ أمراءكم وصُلحاءكم؛ فإنهن ضِعاف، ولقد كنا نُؤمَر بالكفِّ عنهن وهن مُشركات، فلا يبلغنّي عن أحدٍ أنه تَعرَّض لامرأة، فأنكّل به شرار الناس.

فلحقه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إن رجلين قد نالا ـ أو تناولا ـ مَن هو أمسُّ بك من صفيّة، قال: لعلها عائشة، قال: نعم، قام أحدهما على باب الدار فقال: [من الرجز]

جُـزيـتِ عـنـا أمَّـنـا عُـقـوقـا

وقال الآخر: يا أمَّنا تُوبي من خروجك لقد أخطأتِ، فأرسل القعقاع بنَ عمرو إلى الباب، وأراد أن يَضرب عُنق الرجلين فضربهما مئةً مئة، وأزال مَن كان بالباب. وهذا قول سيف.

وأما هشام والواقدي والهيثم فإنهم قالوا: لما دخل علي مسجدَ البصرة صلَّى ركعتين، ثم خطب خُطبته المعروفة؛ حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله، وعَظَّم حق الإسلام، وخَوَّفَ من الفتن، ثم قال:

يا أهل البصرة، ويا جُندَ المرأة، دِينكم نِفاق، وماؤكم زُعاق، وعهدُكم شِقاق، دعاكم الشيطان فأجبتموه، المقيمُ بين أظهركم مُرتَهن بذَنْبه، والشَّاخصُ عنكم مُتَدارَكٌ برحمة الله، كأني والله أنظرُ إلى مسجدكم هذا قد بعث الله عليه العذابَ من فوقه ومن تحته، فهو كجُؤجُئ سفينة، أو كنَعامةٍ جاثمة، أو كجُؤجُئ طائرٍ في لُجَّةِ بحر، أرضكم بعيدةٌ من السماء، قريبةُ من الماء، خَفَّتْ عُقولُكم، وسَفِهتْ أحلامُكم، في ألفاظٍ أُخَر(١).

قال الجوهري: الماء الزُّعاق: المالح(٢).

وقال سيف عن محمد وطلحة قالا: بايع الأحنف بن قيس علياً من عَشيَّة ذلك اليوم؛ لأنه كان خارجاً مع بني سعد، ثم دخل البصرة، وبايع أهلُ البصرة علياً وهم على راياتهم.

قال: ولما فرغ علي من بيعةِ أهل البصرة نظر في بيت مال البصرة، فإذا فيه ست مئة ألف درهم، وقيل: ست مئة ألف ألف، فقسمها فيمن شهد معه الوَقْعة، فأصاب كلُّ واحدٍ خمس مئة درهم، وقال: إن أظفركم الله بالشام فلكم مثلُها إلى أُعطياتكم، وخاض في ذلك السبئيَّة، وطعنوا على عليّ من وراء وراء.

قال سيف: وكان من سيرة علي أنه لا يَقتل مُدبراً، ولا يُذَفِّفُ على جريح، ولا يَكشف ستراً، ولا يَأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما الذي أحلَّ لنا دماءهم وحَرَّم علينا أموالَهم، وبلغ أمير المؤمنين فقال: القومُ أمثالكم، مَن صَفح عنا فهو منا ونحن منه،

(١) انظر الخطبة في العقد ٤/ ٨١، ومروج الذهب ٤/ ٣٢٩، ومصادر نهج البلاغة ١/ ٣٤٢، ٣٤٨.

(٢) مختار الصحاح: (زعق)، ولم أجده في الصحاح.

وإن لكم في خمس مئة لغُنية، فيومئذ تكلَّمت الخوارج.

وحكى الطبري عن ابن كُليب، عن أبيه قال: لما فرغوا يومَ الجمل أمرني الأشتر فانطلقتُ، فاشتريتُ له جملاً بسبع مئةِ درهم من رجل من مَهْرة، وقال: انطلق به إلى عائشة، وقل لها: بعث به إليك مالك بن الحارث وقال: هذا عِوض من بعيرك، قال: فانطلقتُ به إليها، وقلت لها: مالك بن الحارث يُقرئك السلام ويقول كذا وكذا، فقالت: لا سَلَّم الله عليه، يَقتل يُعسوب العرب محمد بن طلحة السَّجَّاد، ويَفعل بابن أختي ما فعل، ويُسلّم عليَّ؟ رُدَّه إليه، قال: فردَدْتُه إليه، وأخبرتُه بما قالت، فقال: أراد قتلي فما كنتُ أصنع[١]؟!

ذكر جَهاز عائشة إلى المدينة

قال سيف: وجَهَّز أمير المؤمنين عائشة أحسنَ جَهاز؛ بكلِّ شيءٍ يَنبغي لها من مَركب وزادٍ ومَتاع، وأخرج معها كلَّ من نجا ممن خرج معها إلا من أحبَّ المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: يا محمد، تَجهَّز معها.

فلما كان اليوم الذي تَرتحل فيه جاءها فوقف لها، وحضر الناس، وخرجت فودَّعها ووَدَّعَتْهم وقالت: يا بَنيّ، والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على مَعتبتي عليه عندي لمن الأخيار، وذكرتْ كلاماً في هذا المعنى.

وقال علي: أيها الناس، صَدقتْ والله وبَرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لَزوجةُ نبيِّكم في الدنيا والآخرة.

فخرجت يوم السبت غُرَّة رجب سنة ستٍّ وثلاثين، وشيَّعها علي أميالاً، وسَرَّح بنيه معها يوماً. وهذه رواية سيف عن محمد وطلحة.

وقد اختلفوا في جهاز عائشة، فقال الواقدي: أعطاها علي اثني عشر ألفاً، فاستقلّها عبد الله بن جعفر، فدفع إليها ضِعفها.

وقال أبو اليَقظان: أرسل علي عبد الله بنَ عباس إلى عائشة يَأمرها بالمسير إلى المدينة، فدخل عليها عبد الله بغير إذنها، فوجد عندها وِسادة فقعد عليها، فقالت له:

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤١_٥٤٢.

يا ابن عباس، أخطأتَ السُّنة، دخلتَ علينا بغير إذنِنا، وجلستَ على وِسادتنا بغير أمرنا! فقال لها: لو كنتِ في البيتِ الذي خَلَّفكِ رسول الله ﷺ ما فعلنا ذلك إلا بإذنك وأمرك، إن أمير المؤمنين يَأمُرك بسرعةِ الأوبَةِ إلى دار قَرارك، فامتنعتْ، فقال: إنه أمير المؤمنين، وقد عرفتيه، فأجابت.

ثم جاءها أمير المؤمنين ومعه بنوه فقالت: أحبّ أن أكون معك أُجاهد عدوَّك، فقال: رُجوعُك إلى البيت الذي أمرك الله بالقَرار فيه أولى.

وسألته في مروان وابن الزبير وبني أمية فأمنهم، وجهَّز معها أخاها عبد الرحمن في جماعة من شيوخ الصحابة، وبعث معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة، وذوات الدّين من هَمْدان وعبد القيس، وأمرهنَّ بلُبس العَمائم وتَقَلّد السيوف، ثم قال لهن: لا تُعلمنها أنكن نِسوة، وتلثَّمن مثلَ الرجال، وكنَّ حولها من بعيد ولا تقرَبْنها.

وسارت على تلك الحال، فأقامت بمكة حتى حَجَّت، واجتمع إليها نساء أهل مكة يبكين وهي تبكي، وسُئلت عن مَسيرها فقالت: لقد أعطى علي فأكثر، ولكنه بعث معي رجالاً.

وبلغ النساء فأتينها، وكشفن عن وُجوههن، وعرَّفْنَها الحال، فسجدت وقالت: والله لا يَزداد ابنُ أبي طالب إلا كرماً(١).

وروى سيف عن محمد وطلحة قالا: قصدت عائشة مكة، وانصرف مروان والأسود ابن [أبي] البَخْتَريّ من الطريق إلى المدينة، وقيل: إنه لحق بمعاوية، وقيل: إنه لم يرجع إلى المدينة حتى لحق بصفّين، وأقامت بمكة حتى حجّت، وعادت إلى المدينة.

وقال هشام: ولما دخلت على أم سلمة بكت، وبكت أمُّ سلمة، وجعلت تتذكر قولَها وتبكي.

وروى الخطيب بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه قال: ما ذكرت عائشة مَسيرها قط إلا بكت؛ حتى تَبُلَّ خمارها وتقول: ليتني كنتُ نسياً مَنسِيّاً. قال سفيان: النَّسيُ المنسِيّ: الحَيضة الملقاة(٢).

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣٣٠-٣٣١، ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٥، والمنتظم ٥/ ٩٥.

وأنبأنا جدي بإسناده عن قيس بن أبي حازم، عن عائشة أنها كانت تقول: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ولم أكن خرجتُ على علي، كان أحبّ إليّ من أن يكون لي من رسول الله ﷺ عشرة من الولد؛ كلهم مثل أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١]. وقد ذكرناه.

وفي الباب حديثان يَتعلّقان بهذا المعنى؛

أحدهما: أخرجه البخاري عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله تعالى بكلمةٍ سمعتُها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعد ما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم، وهي أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس مَلّكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يُفلحَ قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة»[٢]، أشار إلى بُوران بنت كسرى؛ فإن الأمور اختلّت في زمانها، فكذا كلُّ امرأةٍ تولّت أمراً تحتاج فيه إلى الإشهار والرأي، ولهذا إن المرأة لا تَلي إمامةَ الرجال، والإمارةَ، والجمعة، والموسمَ، والقضاءَ ونحوه، لأن مَبنى حالهنّ على السّتر.

والحديث الثاني: قال أحمد بإسناده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ»، فقال علي: أنا؟ قال: «نعم»، قال علي: فإذاً أنا أشقاهم، قال: «لا، ولكن إذا كان ذاك فارْدُدْها إلى مأمنها»[٣]. إلّا أن هذا الحديث ضعيف، ذكره جدي في «الواهية»[٤].

وذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» عن جُميع بن عُمير قال: دخلتُ على عائشة فقلتُ لها: مَن كان أحبَّ ا لناس إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: فاطمة، فقال: إنما سألتُكِ عن الرجال، فقالت: زوجُها، وما يَمنعُه، ولقد كان والله صوّاماً قوّاماً، قال: فما حمَلَك على قتاله؟ فأرسلتْ خِمارها على وجهها وبكت، وقالت: أمرٌ قُضي[٥].

وذكر ابن عبد ربه في كتاب «العقد» وقال: قال المغيرة بن شُعبة: دخلتُ على عائشة

---

(١) المنتظم ٥/ ٩٥-٩٦.
(٢) صحيح البخاري (٤٤٢٥).
(٣) مسند أحمد (٢٧١٩٨).
(٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١٤١٩)، وذكره في المنتظم ٥/ ٩٥.
(٥) ربيع الأبرار ٢/ ٢٢٨-٢٢٩.

بعد رُجوعها من البصرة، فقالت له: يا أبا عبد الله، لو رأيتَني يومَ الجمل وقد أنفذ النبلُ هَودجي حتى وصل بعضُه إلى جِلدي، فقال لها المغيرة: وَدِدْتُ أنّ بعضَه قتَلك، قالت: ولِمَ؟ قال: لعلَّه أن يكون كفارة لك على سَعْيك على عثمان، فقالت: أما والله لئن قلتَ ذلك لقد علم الله أنني ما أردتُ قَتلَه، ولكنني أردتُ أ ن يُقاتَل فقوتلتُ، وأردتُ أن يُرمى فرُميتُ، وأردتُ أن يُعصى فعُصيتُ، ولو علم الله مني أنني أردتُ قتلَه لقُتلتُ(١).

قال سيف: وأعجلت السبئيَّةُ أمير المؤمنين، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليَقطع عليهم أمراً كانوا أرادوه.

انتهت وَقعةُ الجمل، وبينها وبين الهجرة خمس وثلاثون سنة وأشهر، وسار أمير المؤمنين إلى الكوفة عقيب مسير عائشة، فقدم الكوفة لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب، فأقام بظاهرها، وكان الأشعث بن قيس عاملاً على أرمينية وأذربيجان لعثمان، فعزله عنها لأمرٍ بلغه عنه، وحقدها عليه الأشعث، وما كانوا يُولّون مَن ارتدّ عن الإسلام ثم أسلم.

حديث زياد بن أبيه مع علي عليه السلام ولاية علي ابن عباس البصرة

حكى سيف عن أشياخه قالوا: كان زياد بن أبيه مُقيماً بالبصرة، ولم يشهد الوقعة، واعتزل الفريقين، وجلس في بيته، وجاء عبد الرحمن بن أبي بكرة إلى أمير المؤمنين مُستأمناً، فسلّم عليه فردّ السلام وقال: عمُّك من المتربِّصين علي، المتقاعدين بي، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه والله لك لَوَادٌّ، وعلى مَسرَّتِك لحريص، وهو في بيت نافع ابن الحارث مريض، وقيل: إن علي لما سأله عنه كتم مكانه، فقال له أمير المؤمنين: لابأس عليك، امشِ أمامي، ففعل، فلما دخل عليه قام زياد من فراشه، فسلّم عليه أمير المؤمنين وقال له: تقاعدتَ عني، ووضع يده على صدره وقال: هذا عُذرٌ بيِّن، فاعتذر إليه زياد فقبل عُذرَه وأكرمه، وأراده على ولاية البصرة، وكان له عند علي مكانة،

---

(١) العقد ٤/ ٢٩٦.

فامتنع من الولاية وقال: وَلِّ رجلاً من أهل بيتك تطمئنُّ إليه الناس، وسأشير عليه وأكفيك، فولّى عبد الله بن عباس إمارةَ البصرة، وولّى زياداً الخراجَ وبيتَ المال، وأمر ابنَ عباس أن يسمعَ له ويُطيعَ، ففعل.

وكان ابن عباس يقول: استشرتُ زياداً في هَنَةٍ كانت من الناس، فقال: إن كنتَ تعلم أنك على الحق، وأن غيرك على الباطل ممن خالفك؛ أشرتُ عليك بما ينبغي، قال: فقلتُ: إني على الحق، وهم على الباطل، قال: اضرِبْ بمن أطاعك مَن عصاك، ومَن ترك أمرك فاقتُله، فعلمت أنه قد اجتهد رأيَه، قال: فلما وُلِّي رأيتُ ما صنع، وعلمت أنه قد أجهد لي رأيَه.

قال الواقدي: لما قدم أمير المؤمنين الكوفة لم يَنزل قصر الإمارة الذي كان يَنزله الأُمراءُ قبلَه، وإنما نزل برَحْبَة الكوفة في أخصاص كانت بها، وكان معاوية قد أظهر الخلاف لما قال أمير المؤمنين: والله لا أُقرُّه على عمله، فقال معاوية: والله لا أَلي له وِلاية، ولا أُبايعه، ولا أقدم عليه.

وكان جرير بن عبد الله البَجَلي عاملاً لعثمان على همذان، فاستقدمه أمير المؤمنين بعد أن أخذ له البيعةَ على أهل همذان، فلما قدم عليه قال: يا جرير إني أريد أن أبعثك إلى معاوية؛ تأخُذَ لي عليه البيعة.

ذكر إرسال جرير إلى معاوية وكتاب علي عليه السلام إليه

قال أبو جعفر الطبري عن عَوانة قال: لما قال علي عليه السلام لجرير إني أريد أن أبعثَك إلى معاوية، قال له جرير: ابعثني إليه فإنه لي وَادٌّ، فأدعوه إلى طاعتك، فشاور علي أصحابَه، فقال له الأشتر: لا تبعثه، فوالله إني لأظنّ أن هواه معه، فقال علي عليه السلام: دعه حتى نَنظر ما الذي يَرجع به إلينا، فبعثه إليه، وكتب معه كتاباً يُعلمه فيه اجتماعَ المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحة والزبير، وما كان من حَربه إياهما، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار. هذا قول الطبري[(١)].

وقال هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه: كتب أمير المؤمنين إلى معاوية: أما بعد:

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦١.

فإني قد لزمَتْك بيعتي وطاعتي في المدينة وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فلم يكن للشاهد أن يَختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشّورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل ونَصبوه إماماً كان ذلك رضًى لله، فإن خرج عن أمرهم خارج رَدُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنّم وساءت مصيراً.

ثم إن طلحة والزبير بايعاني، ثم نَقضا بيعتي، وكان نقضُهما كردّهما، فجاهدتُهما بعد ما أعذرتُ إليهما، حتى جاء الحقُّ وظَهر أمرُ الله وهم كارهون، ومَن نكث فإنما يَنكثُ على نفسه، فادخُل فيما دخل فيه المسلمون، ولا تتعرَّض للبلاء، فإن عصيتَ قاتلتُك واستعنتُ بالله عليك، وقد بلغني إكثارُك في قَتَلَة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكمهم إليّ أحملْكم على كتاب الله.

وأما التي تُريدها فهي خُدعة الصبيِّ عن اللبن، ولَعمري لئن نظرتَ بعين عَقلك دون عين هواكَ لَتجدَنّي أبرأَ الناس من دم عثمان، وقد علمتَ أنك من الطُّلَقاء الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تجوزُ لهم الشورى، وقد بعثتُ إليك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة والصحبة، فبايع ولا قوَّةَ إلا بالله والسلام[1].

وقد ذكر القصة محمد بن إسحاق والواقدي وقال: قال له جرير: هذا كتاب أمير المؤمنين يدعوكم إلى الدخول في طاعته، فقد اجتمع له الحَرمان، والمِصران، والعراقان، والحجاز، واليمن، ونَجران، واليمامة، وعُمان، ومصر، وفارس، وخُراسان، ولم يبقَ إلا بلادكم هذه، فإن سال عليها وادٍ من أوديته غرّقها.

رجع الحديث إلى هشام قال: فلما قدم عليه جرير ماطَله، ودعا عمرو بن العاص، فاستشاره فيما كتب به إليه، فأشار عليه أن يُلزمَ أميرَ المؤمنين دمَ عثمان، ويُقاتله بأهل الشام، وكان قميص عثمان معلّقاً على منبر دمشق ومعه أصابع نائلة، والناس يَنتابونه من كلِّ ناحية، ومعاوية يُؤلِّبُ على أمير المؤمنين، ويستعدُّ لقتاله، ويَبذل الأموال، ويتقوّى بالسلاح.

---

(١) العقد ٤/ ٣٣٢-٣٣٣.

فلما يئس منه جرير طلب الانفصال عنه، فكتب إلى أمير المؤمنين جوابَ كتابه:

أما بعد: فإنه لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان، كنتَ كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريتَ المهاجرين والأنصار بعثمان، وخَذّلتهم عنه، حتى أطاعك الجاهلُ، وتقوَّى بك الضعيف، وقد عَزم أهلُ الشام على قتالك؛ اللهمَّ إلا أن تَدفع إليهم قتلةَ عثمان فيكفُّوا عنك، وتَجعل الأمر شورى بين المسلمين، ويكون ذلك بالشام لا بالحجاز، فأما سابِقتُك في قريش، ومكانتُك من رسول الله ﷺ فإني لا أدفعُه والسّلام.

وكتب بأسفله أبياتَ كعب بن جُعيل قال: [من المتقارب]

أرى الشام تكره أهلَ العراق ... وأهلُ العراق لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبِه مُبغِضٌ ... يَرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا
إذا ما رَمَوْنا رَمَيناهمُ ... ودِنَّاهُم مثلَ ما يُقرِضونا
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا ... فقلنا رَضِينا ابنَ هندٍ رضينا
وقالوا نرى أن تَدينوا له ... فقلنا لهم لا نَرى أن نَدينا
وكلٌّ يُسَرُّ بما عنده ... يَرى غثَّ ما في يديه سَمِينا

من أبيات[1].

فلما قدم جرير على أمير المؤمنين أخبره خبر معاوية، واجتماعَ أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان، ويقولون: إن علياً قتله، وأنهم لا ينتهون عنه حتى يَقتلهم أو يَقتلوه.

فقال له الأشتر: قد كنتُ نهيتُك أن تبعثَ جريراً، وأخبرتُك بعداوته وغِشّه، ولو بعثتَني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده؛ حتى لم يَدَع باباً يُرجى فتحُه إلا فتحه، ولا باباً يُخاف منه إلا أغلقه.

فقال له جرير: والله لو كنتَ هناك لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قَتَلة عثمان.

فقال الأشتر: أما والله لو أتيتُ معاوية لحملتُه على خُطَّةٍ أُعجلُه فيها عن الفكر، ولو

(١) الأبيات في الأخبار الطوال ١٦٠، ووقعة صفين ٥٦-٥٧.

طاوَعَني أميرُ المؤمنين لحبسَك وأمثالَك من أهل الظنَّة في مجلس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور.

فخرج جرير إلى قَرْقِيسياء، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه يَأمره بالقدوم عليه، وخرج علي عليه السلام فعسكر بالنُّخَيلة، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة.

وقال ابن إسحاق والواقدي: قال جرير للأشتر: ما يَمنعك من إتيانهم الآن؟ فقال الأشتر: بعد أن أفسَدْتَهم، والله ما أحسِبُك أتيتَهم إلا لِتَتَّخِذَ عندهم يداً، والدليل عليه أنك تُخَوِّفُنا بكثرة جُموعهم. فخاف جرير مما استقبلَه به الأشتر، فخرج من الكوفة ليلاً في أُناسٍ من أهل بيته، فلحق بقَرْقِيسياء، وهي كُورةٌ من كُوَر الجزيرة.

وبلغ علياً فغضب، وأمر بإحراق دارِه، فخرج أبو زُرعة بن عمرو بن جرير فقال: إن كان إنسانٌ واحدٌ قد أجرم، فإن في هذه الدار أَناسيَّ كثيراً لم يُجرِموا، فقال علي: أستغفر الله، ثم خرج.

وقال هشام، عن أبيه: وأمر أمير المؤمنين عبد الله بن الحر(١) أن يكتبَ جوابَ كتاب معاوية، فكتب إليه:

أما بعد: فقد أتاني كتابُ أمير(٢) ليس له بَصرٌ يَهديه، ولا قائدٌ يُرشِده، دعاه الهوى فأجابَه، وقادَه فاتَّبعه، زعمتَ أني خَذَّلت عن عثمان، ولَعمري إني ما كنتُ إلا كواحدٍ من المهاجرين والأنصار، أُوردتُ كما أورِدوا، وأصدِرتُ كما أُصدروا.

وأما قولُك عن الشورى وأهلِ الشام، فمَن بالشام ممن يَصلح للخلافة؟ فإن سمَّيتَ واحداً كذَّبك الله ورسولُه والمسلمون، وأما اعترافُك بسَوابقي؛ فلو استطعتَ دفعتَها، ولكنك عاجزٌ عن ذلك، ثم كتب في أسفل الكتاب: [من المتقارب]

مَعاويَ دعْ عنك ما لا يكونا ... وقَتْلةَ عثمان إذ تَدَّعونا
أتاكم عليٌّ بأهل العراقِ ... وأهلِ الحجاز فما تَصنعونا

(١) كذا، ولعله عبد الله بن الحارث أخو الأشتر.

(٢) في وقعة صفين ٥٧ ، والعقد ٤/ ٣٣٣ : كتاب امرىء.

من أبيات، وأرسله إلى معاوية(١).

فصل في حديث قيس بن سعد بن عبادة وتوليته مصر

قد ذكرنا أن أمير المؤمنين ولَّى قيس بن سعد مصر عَقيب قتلِ عثمان، وأنه دخلها، وأنهم افترقوا عليه، وتوقَّف أهلُ خَرِبْتا حتى يَتَّضح الأمر.

وحكى القصةَ هشام بن محمد، عن أبي مِخنَف، عن محمد بن يوسف بن ثابت، عن سهل بن سعد قال: لما قُتل عثمان وولي علي دعا قيس بنَ سعد بن عُبادة الأنصاري فقال له: سِرْ إلى مصر فقد وَلَّيتُكها، واجمع إليك ثقاتك، ومَن أحببتَ أن يَصحبَك، حتى تأتيها ومعك جُند، فإن ذلك أرْعَبُ لعدوِّك، وأعزُّ لسُلطانك، فإذا قَدمتَها فأحسنْ إلى المحسِن، واشْدُد على المريب، وارفُق بالعامَّة والخاصة، فإن الرِّفقَ يُمن، وقال(٢): أمّا الجُنْد فدَعْهم عندك عُدَّةً لك، وأمّا أنا فأسيرُ بنفسي وأهلِ بيتي، وبالله المستعان.

وخرج قيس في سبعة نَفَرٍ حتى دخل مصر، فصعِد المنبر، فقعد عليه، وقرأ كتاب عليّ عليه السلام على الناس، وفيه:

من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى مَن بلغه كتابي هذا من المسلمين والمؤمنين، سلامٌ عليكم، أما بعد؛ فإني أحمَدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأُصلِّي على رسوله محمد ﷺ، وذكر الأنبياء، وأن الله تَوفّى رسولَه، واستخلف بعده خليفتين صالحَيْن، عَمِلا بالكتاب والسنّة، وأحسنا السيرة، ثم توفّاهما الله على ما كانا عليه، ثم وَلي بعدهما وَالٍ أحدث أحداثاً، فوجَدَت عليه الأمة مقالاً، فنَقَموا عليه وغيَّروه، ثم جاؤوني فبايعوني، ولله عليّ العملُ بكتابه وسنَّةِ رسوله، والنُّصحُ للرعية بالغيب، والله المستعان.

وبعثتُ إليكم قيس بنَ سعد بن عُبادة أميراً، فوازِروه وعاضِدوه، وأعينوه على الحق، وقد أمَرتُه بالإحسان إلى مُحسنِكم، والشدَّةِ على مُريبكم، والرِّفقِ بعوامِّكم

---

(١) وقعة صفين ٥٧ـ٥٩ ، والأخبار الطوال ١٦٠ـ١٦١ ، والعقد ٤/ ٣٣٣ـ٣٣٤ .

(٢) يعني قيس، كما في الطبري ٤/ ٥٤٨ .

وخواصِّكم، وهو ممَّن أرضى هَديَه، وأرجو صلاحَه ونَصيحتَه، وأسألُ الله لنا ولكم عملاً زاكياً، وثواباً جزيلاً، ورحمةً واسعةً، والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب عُبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ستٍّ وثلاثين.

وقال قيس: أيها الناس، قد جاء الحق وزهق الباطل، وبايَعْنا خيرَ من نعلم بعد نبينا ﷺ، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت مصر، وبعث عليها عُمَّاله، إلا أن قريةً من قُرى مصر يقال لها: خَرِبْتا، فيها أناسٌ قد أعظموا قتلَ عثمان، وبها رجلٌ من كِنانة من بني مُدلِج يُقال له: يزيد بن الحارث بن مُدْلِج، فأرسلوه إلى قيس بن سعد: إنا لا نُقاتلك، فابعث عُمَّالَك، فالأرضُ أرضُك، ولكن أقِرَّنا على حالنا حتى نَنظرَ ما يصير إليه أمر الناس.

ووثب مَسلمة بن مخلّد الأنصاري، فنعى عثمان، ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: ويحك، عليَّ تَثب؟! فوالله ما أحبُّ أن لي مُلكَ مصر إلى الشام وأني قتلتُك، فبعث إليه مَسلمة يقول: إني كافٌّ عنك ما دمتَ والي مصر.

وكان قيس بن سعد له حَزمٌ ورأيٌ، فبعث إلى الذين بخَربتا: إني لا أُكرهكم على البيعة، وأكفُّ عنكم. فهادنَهم وهادن مسلمة بن مخلد، وأقام قيس يَجبي الخراج، لا يُنازعه أحدٌ من الناس.

وخرج أمير المؤمنين إلى الجمل، ورجع إلى الكوفة وقيس مكانَه، فكان أثقلَ خلقِ الله على معاوية بن أبي سفيان؛ لقُربه من الشام، مخافةَ أن يَصلَ إليه أمير المؤمنين من العراق، ويُقبلَ إليه قيس في أهل مصر، فيقع معاوية بينهما، فأخذ يَخدعُه، فكتب معاوية إلى قيس:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد، سلامٌ عليك، أما بعد؛ فإنكم إن كنتم نَقَمتم على عثمان في أثرةٍ رأيتموها، أو ضربةِ سَوطٍ ضربها، أو شَتمةٍ شَتَمها، أو في تسييرٍ سيَّره، أو في استعماله الفيءَ، فقد علمتم أن دمَه لم يكن حَلالاً لكم، فقد ركبتم

عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إِدًّا، فتُبْ إلى الله يا قيس بن سعد؛ فإنك ممّن أعان على عثمان، إن كانت التوبةُ من قتلِ المؤمن تُغني شيئاً.

وأما صاحبُك فقد تيقَّنّا أنه الذي أغرى به، وحَمَلهم على قتله حتى قتلوه، وأنه لم يَسلم من دمه عُظْمُ قومِك، فإن استطعتَ أن تكون ممَّن يَطلب بدم عثمان فافعل، فإن بايعتَنا على هذا الأمر فلك سُلطان العراقَين، ولمن شئتَ من أهلك سُلطانُ الحجاز ما دام لي سلطان، وسَلْني غير هذا مما تُحبّ، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أُوتيتَه، واكتب إلي برأيك فيما كتبتُ به إليك، والسلام.

فلما جاءه كتابُ معاوية أحب قيس أن يُدافعَه، ولا يُبدي له أمرَه، ولا يَتعجَّل حَرْبَه، فكتب إليه:

أما بعد؛ فقد بلغني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه، فأما ما ذكرتَ من أمر عثمان فذلك أمرٌ لم أُقارِفه، ولم أَتَنَطَّف به. وأما قولُك إن صاحبي أغرى الناس بعثمان، فهذا أمرٌ لم نَطَّلع عليه، وذكرتَ أن مُعظم عشيرتي لم يَسلموا من دم عثمان، فأوّلُ الناس فيه قياماً عشيرتي، ولهم أُسوةٌ غيرهم. وأما ما ذكرتَ من مُبايعتي إياك، وما عرضتَ عليّ؛ فلي فيه نظرٌ وفكرة، وليس هذا مما يُسارَع إليه، وأنا كافٌّ عنك، ولن يَبدوَ إليك من قِبلي شيءٌ تكرهه، والسلام.

فلما قرأ كتابَه معاوية لم يره إلا مُباعداً مُفارِقاً، ولم يأمن مَكيدتَه فكتب إليه:

أما بعد؛ فقد قرأتُ كتابَك فلم أرك تدنو فأَعُدَّك سِلماً، ولم أرك مُباعداً فأعُدَّك حَرْباً، وليس مثلي من يُخدَع وبيده أعِنَّةُ الخيل، ومعه أعداد الرجال، والسلام.

فلما قرأ قيس كتابَه، ورأى أنه لا يَقبل منه المدافَعة والمماطَلَة، أظهر له ما في نفسه، وكتب إليه:

أما بعد، فالعَجَبُ من اغترارك يا معاوية، وطمعِك فيَّ، تسومُنى الخروجَ من طاعة أَولَى الناس بالإمْرة، وأقومِهم بالخلافة، وأقولِهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربِهم إلى رسوله وَسيلةً، وأوفرِهم فضيلةً، وتأمُرني بالدخول في طاعتك؛ طاعةِ أبعدِ الناس من هذا الأمر، وأقولِهم بالزُّور، وأضلِّهم سبيلاً، وأبعدِهم من الله ورسوله، ولدِ ضالّين

مُضلّين، طاغوتٍ ابن طاغوت.

وأما قولك: إن معك أعنَّةَ الخيل، وأعدادَ الرجال؛ فوالله لتُشْغَلَنَّ بنفسك حتى تَتمنّى العَدَم.

قال هشام: ولما رأى معاويةُ قيس بنَ سعد لا يَلينُ له كاده من قِبَل أمير المؤمنين.

وكذا روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه بإسناده، عن الزهري، وحكى الطبريّ طرفاً منه قال:

كان قيس بن سعد من ذوي البَأس، صاحبَ راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، فكان على مصر من قِبَل علي عليه السلام، وكان معاوية وعمرو بن العاص جاهدَيْن على أن يُخرجاه منها ليَغلِبا عليها، وكان قد امتنع منهما بالدَّهاء والمكايدة، فلم يقدرا على أن يَفتتحا مصر؛ حتى كاد معاوية قيس بنَ سعد من قبل أمير المؤمنين.

فكان معاوية يُحدِّث رجالاً من ذوي الرأي من قريش يقول: ما ابتدعتُ قطّ مُكايدةً كانت عندي أعجبَ من مَكيدةٍ كِدتُ بها قيس بنَ سعد من قبل علي وهو بالعراق، حين امتنع مني قيس، قلتُ لأهل الشام: لا تسبُّوا قيساً فإنه لنا شِيعةٌ، وتأتينا كُتُبه ونصائحُه سرّاً، ألا ترون ما فعل بإخوانكم أهل خَرِبْتا؛ يُجري عليهم أُعطياتهم وأرزاقَهم، ويُحسن إليهم.

قال معاوية: وكتبتُ إلى جواسيسي بالعراق يَتحدَّثوا به، فرفعه إلى علي محمد بنُ أبي بكر وعبد الله ومحمد ابنا جعفر بن أبي طالب، فلما بلغ علياً اتّهم قيساً، وكتب إليه يأمُره بقتال أهل خَرِبْتا، وأهلُ خربتا يومئذ عشرةُ آلاف، فأبى قيس أن يُقاتلهم، وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر وأشرافُهم، وأهلُ الحِفاظ منهم، وقد رَضُوا مني أن أؤمِّن سِربَهم، وأُجري عليهم أرزاقَهم، وقد علمت هواهم مع معاوية، فلستُ مُكايدهم بأمرٍ أهون على علي وعليك من الذي أفعل بهم، فلو غَزوناهم كانوا أشدَّ العرب، وهم أُسود، منهم بُسْر بن أرطاة ومَسلمة بن مُخلَّد ومعاوية بن حُديج، فذَرْني فأنا أعلمُ بما أُداري به منهم.

فكتب إليه علي: لابدَّ من قتالهم، فكتب إليه قيس: إن كنتَ تَتَّهمني فاعزلني عن

عملك، وابعث إليه غيري، فبعث إليه علي الأشترَ أميراً على مصر، حتى إذا صار بالقُلْزُم شرب شَربةً من عسلٍ كان فيه حتفُه، فبلغ أمره معاوية فقال: إن لله جنوداً من عَسَل، وبلغ علياً موتُ الأشتر، فبعث محمد بنَ أبي بكر أميراً على مصر(١).

قلت: والأصحُّ أن أمير المؤمنين بعث الأشتر على مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، وأن الأشتر حَضر حروب صفّين لما نذكر في موضعه، وقد نص عليه هشام بن محمد.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مِخْنَف ـ وجه آخر في حديث قيس بن سعد ومعاوية ـ قال: لما أيس معاوية من قيس بن سعد مُتابَعته على أمره، شقَّ عليه لما يَعرف من حَزْمِه وبأسِه، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعه، واختَلَقَ معاوية كتاباً، فقرأه على أهل الشام، وفيه:

أما بعد، فإني لما نظرتُ رأيتُ أنه لا يَسَعُني مُظاهرةُ قوم قتلوا إمامَهم مُحرماً مسلماً بَرّاً تقيّاً مستغفِراً، وإني معكم على قَتَلَتِه بما أحبَبْتُم من الأموال والرجال، متى شئتم عَجِلتُ إليكم.

قال: فشاع في الشام أن قيساً قد بايع معاوية، وبلغ ذلك أمير المؤمنين، فأكبر ذلك وأعظمَه، فقال له عبد الله بن جعفر: دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَرِيبُك(٢)، اعزلْ قيساً عن مصر، فقال علي: والله ما أُصدّق هذا على قيس، قال: اعزله، فبينما هم على ذلك إذ جاء كتابُ قيسٍ إلى علي: أما بعد، فإني أُخبر أمير المؤمنين أن قِبَلي رجالاً معتزِلين، قد سألوني أن أَدعَهم على حالهم، حتى يستقيم أمرُ الناس ويَرون رأيَهم، وقد رأيتُ أن أكفَّ عنهم، ولا أتعجَّل حربَهم، وأن أتألَّفَهم فيما بين ذلك، لعل الله أن يُقبل بقلوبهم.

فقال عبد الله بن جعفر: ما أخوَفَني أن يكون هذا مُمالأةً لهم منه، فَأْمُره بقتالهم.

فكتب إليه علي: أما بعد، فسِرْ إلى القوم الذين ذكرتَ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجِزْهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥٢ـ٥٥٣.

(٢) قوله: دع ما يريبك... حديث أخرجه أحمد (١٧٢٣) عن الحسن رضي الله عنه.

فكتب إليه: قد عجبتُ لأمرك؛ أن تأمُرَني بقتال قومٍ كافِّين عنك، ومتى حاربتَهم ساعدوا عليك عدوَّك، فأطِعْني واكفُف عنهم، فإن الرأيَ تركُهم، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يَكفيك أمرَها، واعزل قيساً؛ فقد بلغني أن قيساً يقول: والله إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل مَسلمة بن مخلّد لسلطانُ سوء، والله ما أحبُّ أن مُلكَ الشام إلى مصر لي وأني قتلتُ ابنَ مخلّد، وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمّه، فولّى محمداً وعزل قيساً.

ذكر قُدومِ محمد بن أبي بكر إلى مصر

فلما قدم محمد بن أبي بكر مصر قال له قيس بن سعد: ما بالُ أمير المؤمنين، ما غَيّره؟ أدخل أحدٌ بيني وبينه؟ قال: لا والله، وهذا السلطانُ سلطانُك، فقال له: والله لا أُقيم معك ساعةً واحدة، وغضب حين عُزل، وخرج مُقبلاً إلى المدينة فقدمها، فجاءه حسان بن ثابت شامِتاً به ـ وكان عثمانياً ـ فقال له: نَزعك عليّ بن أبي طالب، وقد قتلتَ عثمان، وبقي عليك الإثمُ، ولم يَحسن لك الشّكر، فقال له قيس: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن أُلقي بين رهطي ورهطِك حرباً لضربتُ عُنُقك، اخرج عني.

ثم إن قيساً خرج هو وسَهل بنُ حُنَيف، حتى قدما الكوفةَ على علي، فأخبره الخبر، فصدّقه على ما قال، قال: وشهد قيس وسهل معه صفين.

وفي رواية: لما قدم قيس بن سعد على علي استحيى من قيس وقال: والله ما أنت عندي بالمتَّهم، ولكن بلغني عن معاوية كذا وكذا، فارجع إلى عملك، فقال: لا والله، روحي دون روحك، وأخرج له كُتُب معاوية وقال: أراد أن يَخدعَني، فلما يئس مني مَوَّه عليك، فقال: صدقتَ، وكان أحظى الناس عنده.

وهذه روايات هشام عن أبي مخنف، وقد ذكرها الطبري مُطوَّلة[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥٣_٥٥٥.

وقال هشام عن أبي مخنف: لما قدم محمد مصر قرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين يدعوهم فيه إلى الطاعة، وهو من جِنْس كتابه لقيس بن سعد، وفي آخره: وكتب عُبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغُرَّة شهر رمضان.

قال: ثم إن محمداً لم يَلبَث شهراً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين وادعهم قيس بن سعد، فقال لهم: إما أن تَدخلوا في طاعتنا، وإما أن تَخرجوا من بلادنا، فقالوا: لا تَعجَلْ علينا، دعنا ننظر في أمورنا إلى ما نصير إليه، فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حِذرَهم وهم لمحمد هائبون، حتى كانت وقعة صفّين، وصار أمرُهم إلى الحكومة، ورجع علي إلى العراق، ومعاوية إلى الشام، اجترؤوا حينئذ على محمد بن أبي بكر، وبارزوه بالعصيان، فبعث إليهم محمد الحارثَ بنَ جُمهان الجُعْفيّ إلى خَرِبْتا، وفيها يزيد بنُ الحارث من بني كِنانة، فقاتلهم فقتلوه، ثم بعث إليهم محمد رجلاً آخر من كلب، يُدعى ابن مصاهر[1] فقتلوه، وظهروا على محمد، وصاروا مع معاوية، وقَتل بعد ذلك معاوية بنُ حُدَيج محمد بنَ أبي بكر لما نذكره.

وقال أبو اليقظان: لما يئس معاوية من قيس بن سعد كتب إليه: أما بعد، فإنك يهوديّ ابن يهودي، مات أبوك طَريداً بحوران.

فكتب إليه قيس: أما بعد، فإنك وَثَنٌ ابنُ وثن ابن وثن، دخلتَ في الإسلام كُرهاً، وخرجتَ منه طَوعاً، لم يتقدَّم[2] إيمانُك، وظهر نِفاقُك، ونحن أنصارُ الدين الذي دخلتَ فيه كُرهاً، ومرقتَ منه طَوعاً. وأما أبوك فملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وأنت وأخوك ـ أو وأخواك ـ معه، والسلام.

وفيها قدم مَرزُبان مَرْو على علي عليه السلام ـ واسمه: ماهَوَيه ـ بعد الجمل مُقِرّاً بالصّلح، فصالحه علي، وكتب له كتاباً إلى الدّهاقين، ثم كفر بعد ذلك، فبعث إليه علي خُلَيْدَ بن قُرَّة اليَربوعي.

(١) في الطبري ٤/ ٥٥٧ : ابن مضاهم.

(٢) في العقد ٤/ ٣٣٨ : فأنت وثني ابن وثني... لم يَقْدُم.

ذكر اتفاق عمرو بن العاص ومعاوية على أمير المؤمنين في هذه السنة

واختلفوا فيه، روى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما أُحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينة إلى الشام، وقال: يا أهلَ المدينة، والله لا يُقيم بها أحدٌ فيُدرِكه قَتلُ هذا الرجل إلا ضربه الله بذُلّ، مَن لم يستطع نصرَه فليذهب، فسار ومعه ابناه عبد الله ومحمد، وتتابع الناس على ذلك إلا من شاء الله.

فنزل بقصر العَجْلان، وقيل: نزل بفِحْل، فبينما هم على ذلك إذ مرَّ بهم راكبٌ، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، قال له عمرو: ما اسمُك؟ قال: حصيرة، قال: حُصِر الرجل، فمر بهم راكب آخر فقال: ما اسمك؟ فقال: قَتّال، قال عمرو: قُتِل الرجل، فمر بهم راكب آخر فقال له: ما اسمك؟ قال: حَرْب، قال عمرو: يكون حرب، ثم سأله فقال: قُتل عثمان، فارتحل عمرو ومعه ابناه، وهو يبكي كما تبكي المرأة ويقول: واعثماناه، أنعى الحياءَ والدين، حتى قدم دمشق.

وفي رواية: فقال له ابنه عبد الله: توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وكذا أبو بكر وعمر، وأرى أن تكُفَّ يدَك، وتجلس في بيتك، حتى يَجتمعَ الناس على إمام فتبايعه، وقال له ابنه محمد: أنت نابٌ من أنياب العرب، فلا أرى أن يَجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صَوتٌ ولا ذِكر. فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتَني بالذي هو خيرٌ لي في آخرتي، وأسلم لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتَني بما فيه خيرٌ لي في دُنياي، وشرٌّ لي في آخرتي.

ثم خرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية، فوجد أهلَ الشام يَحضُّون معاويةَ على الطَّلبِ بدم عثمان، فقال عمرو: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يَلتفتُ إليه، ولا يَعبأُ بقوله لما بلغه عنه، فقال له ابناه: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفتُ إلى قولك! انصرف إلى غيره.

فدخل عمرو على معاوية، فقال له: عجباً لك! أنا أرفِدُك بما أرفدك وأنت مُعرِضٌ عني؟! أما والله لئن قاتَلْنا معك بطلب دم عثمان إن في النفس من ذلك ما فيها؛ حيث نقاتل من نَعلم سابقتَه وفضلَه وقرابتَه، ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية

وعَطف عليه. وهذا قول الواقدي.

وأما الهيثم بن عدي فإنه قال: أقام عمرو بفلسطين يَتربّص، ولم يَقدم على معاوية، فلما عزم معاوية على قتال أمير المؤمنين شاور أصحابه، فقالوا له: هذا أمرٌ عظيم لا يَتمّ إلا بعمرو؛ فإنه قَريعُ زمانه في الدَّهاء والمكر والخديعة، يَخدع ولا يُخدع، وكان معاوية يتَّهمه بأمير المؤمنين لما بدا منه في حقّ عثمان، فقال معاوية لأخيه عُتبة بن أبي سفيان: فما الرأي؟ قال: اكتب إليه، واخدَعْه بالمال والبلاد.

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبي سفيان خليفةِ أمير المؤمنين عثمان إلى عمرو ابن العاص صاحبِ رسول الله ﷺ وأميرِ عسكره بذات السَّلاسل، المعظَّمِ رأيُه، المفَخَّم تدبيرُه، سلام عليك، أما بعد: فقد علمتَ احتراقَ قلوب المؤمنين، وما أُصيبوا به من الفَجعة بقتل إمام المتَّقين، وما ارتكب جارُه من البغي، وامتناعه من نُصرته، وخِذلانه إياه، حتى قُتل في محرابه صائماً، فيا لها من مُصيبة أوجبت على جميع المسلمين الطَّلبَ بدمه، وأنا أدعوك إلى الحظّ الجزيل من الثواب، والنصيبِ الأوفَر من الأجر، قتل مَن آوى قَتَلَةَ عثمان.

فلما وقف عمرو على كتابه عرف مَقصودَه، فكتب إليه:

أما بعد، فإني قرأتُ كتابَك وفهمتُه، فأما ما دعوتَني إليه من خَلْعِ رِبْقَةِ الإسلام من عُنقي، والتَّهوّر في الضلالة، وإعانتي لك على الباطل، واختراطِ السيف في وجه أمير المؤمنين؛ أخي رسول الله، ووصيِّه، وقاضي دينه، وصهرِه على ابنته، وأبي السبطين الحسن والحسين سيِّدَي شباب أهلِ الجنة، فمعاذ الله أن أشارِك في الغيّ والضّلال.

وأما قولك إنك خليفة عثمان فقد عُزلتَ بموته، وأما قولُك إني صاحب جيش رسول الله فإني لا أعتز بالتزكية، ولا أميل بها عن الملَّة، وأما نِسبتُك أمير المؤمنين إلى قتلِ عثمان، وزعمِك أن أصحاب رسول الله فَسَقة، وأنه أشلاهم عليه، فهذا زُورٌ وبُهتان.

وَيْحك يا معاوية، ألم تعلم أن أبا الحسن بذل نفسه لله، وبات على فراش رسول الله ﷺ ليلةَ هجرته، يَفديه بنفسه، ويَقيه بروحه، أليس هو القائل في حقّه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» «من كنت مَولاه فعليّ مَولاه» وكتابُك الذي هذا جوابُه ليس يَخدع ذا عقلٍ ودين، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه يئس منه، فقال له أخوه عُتبة: لا تيأس منه، وعِدْهُ ومَنِّه، ورَغّبه في الولايات، وأشرِكه في سُلطانك، وإلا لم تأمَنْه، فكتب إليه معاوية: [من الطويل]

جهِلتَ ولم تعلم مَحلَّك عندنا فأرسلت سيباً من عتاب ولا تدري
فثِقْ بالذي عندي لك اليوم آنفاً من العزِّ والإكرام والجاه والقَدْرِ

فكتب إليه عمرو وقال [من الطويل]

أبى القلبُ مني أن يُخادع بالمكرِ بقتل ابن عَفّانٍ أُجَرُّ إلى الكُفرِ
وإني لَعمري ذو دَهاءٍ وفِطنةٍ ولستُ أبيع الدِّينَ بالمال والوَفْرِ
أليس صغيراً مُلكُ مصرَ تَبيعُه هي العارُ في الدنيا على الآل من عمرو

فقال له عُتبة: أقطِعْه مصر فإنها ليست في يدك، ألا ترى أنه قد تعرَّض لها؟! فكتب إليه بعهده على مصر، فكتب إليه عمرو: [من الطويل]

مُعاويَ لا أُعطيك ديني ولم أنَلْ به منك دُنيا فانظُرنْ كيف تَصنعُ
فإن تُعطِني مصراً فأرْبِحْ بصَفقةٍ أخذتَ به شيخاً يَضرُّ ويَنفعُ

وبات عَمرو طول ليلته مفكّراً، فدعا غلاماً له يُقال له: وَرْدان ـ وهو الذي يُنسب إليه سوق وَردان بمصر ـ فاستشاره فقال: إن مع علي آخرة ولا دنيا، وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة، والتي مع علي تَبقى، والتي مع معاوية تَفنى، فقال: صدقتَ.

ثم أصبح فركب فَرسه ومعه ولداه عبد الله ومحمد، فعبد الله يَمنعه عن قَصْدِ معاوية، ومحمد يُريده أن يَقصد معاوية، فلما وصل إلى طريق تأخذ إلى المدينة، وطريق تأخذ إلى دمشق، وقف ساعة يُفكّر، ثم ضرب رأس فرسه إلى دمشق وقال: معاوية أرفقُ بنا من علي، فقدم على معاوية.

وقال الواقدي وابن إسحاق: ولما قدم جرير على معاوية بكتاب أمير المؤمنين استشار معاوية عَمراً، فقال له: ما ترى؟ فقال عمرو: إنه قد أتاك في هذه البيعة رجلٌ من أعيان الصحابة، من عند خير الناس، ولستُ أرى لك أن تَدعو أهلَ الشام إلى الخلافة، فإن ذلك خطرٌ عظيم، حتى تتقَدّم قبل ذلك بتَوطين الأشراف منهم، وإشرابِ قلوبهم اليقينَ أن علياً قتل عثمان، ورأسُ أهل الشام شُرَحْبيل بن السِّمْط الكندي،

فأرسل إليه ليأتِك، ثم وَطِّن له الرجال على طريقه؛ يُخبرونه بأن علياً قتل عثمان، فإن عَلِقت هذه الكلمةُ بقلبه لم يُخرجها شيءٌ أبداً، فأقام له على طريقه يزيد بن أسد، وسفيان بن عمرو، ومُخارق بن الحارث وغيرهم، فوَطَّنهم على ذلك.

وقدم شُرحبيل، فأمر معاوية أشرافَ أهل الشام باستقباله، وأوصى كلَّ واحدٍ إذا خلا به ألقى في سمعه تلك الكلمة، فلما دخل على معاوية مغضباً قال له: ألا إن ابنَ أبي طالب قتل عثمان، ووالله لئن بايعتَه لنُخرجَنّك من الشام، فقال معاوية: إنما أنا واحدٌ منكم، والأمرُ أمرُكم، قال: فارددْ هذا الرجلَ إلى صاحبه - يعني جريراً - فقال له معاوية: إن هذا الأمر لا يَصحّ حتى تَمشي في مدائن الشام مدينة بعد مدينة وتقول: إن علياً قتل عثمان، فغضب له طلحة والزبير، فسار علي خلفَهم فقتلَهم، وغلب على أرضهم، ولم يبق إلا هذه البلاد، وهو واضعٌ سيفَه على عاتقِه، ولابد له منكم.

وكان شرحبيل مُطاعاً في الشام عظيماً، أعظم من معاوية ففعل ذلك، فأجابه الناس إلا نفراً من أهل حمص نُسَّاكاً؛ فإنهم لزموا بيوتَهم ومساجدهم وقالوا: أنتم أعلم.

فلما ذاق معاوية أهلَ الشام، وعرف أنه قد وَقَر في قلوبهم ما وَقَر قال لجرير: الحق بصاحبك، وأخبِرْه أني وأهل الشام لا نُبايعه أبداً. ولهذا ضبط جريراً ثلاثةَ أشهر.

ذكر مسير أمير المؤمنين إلى صِفّين

قد ذكرنا أنه كان نازلاً بالنُّخيلة، وأنه جهَّز جريراً بكتابه إلى معاوية، وعَوده بالجواب.

وقال أبو اليقظان: لما قدم جرير على معاوية قال: وافَقْتُه على المنبر قد عَلَّق عليه قميصَ عُثمان وهو يَندُبُه، وأهلُ الشام يَبكون حولَه، قال: وكان قد رافَقَني في طريقي رجلٌ لا أعرفه، يَسير لمسيري ويُقيم لمقامي ولا أشعرُ به، فلما قَدِمنا إلى دمشق تَقدَّم إلى معاوية وقال له: [من الرجز]

إن بني عمِّك عبدِ المطَّلِبْ
قد استحلُّوا شيخَنا غيرَ كَذِبْ
وأنت أَوْلى الناس بالوَثْبِ فثِبْ

ثم ناوله كتاباً من الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، وكان نازلاً بالجزيرة على البَليخ؛ بقريةٍ يُقال لها: عين رومية، وقيل: عين أبي سنان، من أعمال الرقّة، وبها مات، ولم يشهد صفّين مع معاوية على ما قيل.

قال جرير: وكان في كتابه إلى معاوية: [من الطويل]

مُعاويَ إن الملك قد جُبَّ غاربُه ... وأنت بما في كفِّك اليوم صاحبُهْ
أتاك كتابٌ من عليٍّ بخُطَّةٍ ... هي الفَصْلُ فاختر سِلْمَه أو تُحارِبُهْ
فإن كنتَ تَنوي أن تُجيبَ كتابَه ... فقُبِّحَ مُمْليه وقُبِّحَ كاتِبُهْ
وإن كنتَ تَنوي تَرْكَ رَجْعِ جوابه ... فأنت بأمرٍ لا محالةَ راكِبُهْ

من أبيات.

قال جرير: فلما قرأ معاوية كتاب أمير المؤمنين قال: ما ترى [ما] الناس فيه من النُّفْرَة؟! أقم حتى يَسكنوا، فأقمتُ عنده أربعةَ أشهر، فبينما أنا عنده إذ وَرَد كتابٌ آخر من الوليد بن عُقبة يقول: [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... بأنّي في الكُفاةِ له مُليمُ
قطعت الدهر كالشَّذَبِ المعَنّى ... تُهدِّر في دمشق وما تَريمُ[1]

من أبيات.

قال الجوهري: الشَّذَبةُ بالتحريك: ما يُقطع مما تَفرّق من أغصان الشجر ولم يكن في لُبِّه[2].

قال جرير: فلما وقف معاوية على أبيات الوليد، وصل معاوية بين طُومارَيْن أبيضين وختمه، وكتب على عُنوانه: من معاوية إلى علي، ودفعه إليّ، وبعث معي رجلاً من عَبْس، فلما قَدِمنا الكوفة، ودخلنا على أمير المؤمنين في المسجد، فناولتُه الطُّومار، ففتحه فلم يجدوا فيه شيئاً، وقام العبسيّ وقال: لقد تركتُ أكثر من خمسين ألف شيخ حول قميص عثمان، خاضبي لحاهم بدموعهم [يبكون] على عثمان، مُتعاقِدين

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦٤، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٠٢.
(٢) صحاح الجوهري: (شذب).

مُتعاهِدين ليَقتُلُنّ قَتَلةَ عثمان، وبالله أُقسم ليُصَبّحنّكم خمسون ألف عَنان، فصاح الأشتر والناس: اقتلوا الفاسق رسولَ الفاسق، فوالله ما نُبالي بخيلك ولا شيوخك، وسيعلمُ ابنُ هند، وثار الناس ليَقتلوه فهرب فلا يُدرى أين ذهب، فحينئذٍ خرج أمير المؤمنين إلى النخيلة.

وقال هشام: كتب أمير المؤمنين قبل رحيله من النُّخيلة إلى معاوية كتاباً يَتهدّده فيه، أبرَق فيه وأرعد، ووعد وأوعد، وخوَّف وهَدّد، ودعا بالأصبغ بن نُباتة التميمي فقال: اذهب به إليه.

قال الأصبغ: فدخلتُ على معاوية، وعن يمينه عمرو بن العاص، وعن يساره ذو الكلاع، وحوله عبد الله بن عامر بن كُريز، وأخوه عتبة بن أبي سفيان، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، وشُرَحبيل بن السّمط، وبين يديه أبو هريرة، والنعمان بن بشير، وأبو أمامة الباهلي.

قال: فناولته الكتاب، فقرأه وقال: إن علياً لا يَدفع إلينا قتلَةَ عثمان، قال: فقلت له: يا معاوية، لا تَتعلَّل بدم عثمان فإنك والله لا تَطلب إلا الملك، ولو أردتَ نُصرة عثمان حياً لفعلتَ، ولكنك تربَّصتَ به لما أرسل يَستصرخ بك، وأخفيتَ كتابَه، وتقاعدت عليه حتى قُتل؛ لتجدَ سبيلاً إلى ما في نفسك بقتله.

قال: فاستشاط غضباً، فأردتُ أن أزيدَه فقلت: يا أبا هريرة، أنت صاحب رسول الله ﷺ، أُقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»؟ قال: إي والله، سمعتُه يقول ذلك يوم غدير خُمّ، قال: فقلت: فأنت يا أبا هريرة واليتَ عدوَّه وعاديتَ وَليّه، فتنفَّس أبو هريرة واسترجع، وقال معاوية: يا هذا كفَّ عن كلامك؛ فإنك لا تستطيع أن تَخدع أهلَ الشام عن الطلب بدم عثمان؛ فإنه قُتل مظلوماً في حرم رسول الله ﷺ، في شهر حرام، عند صاحبك، وهو الذي أغراهم به حتى قَتلوه، وهم اليوم معه: أنصاره وأعوانه، ويده ورجله، وما مثلُ عثمان مَن يُهدر دمُه.

قال ذو الكَلاع وحَوشب: لننَصُرنّك حتى تحصّل مُرادك أو نقتل عن آخرنا، فقام الأصبغ وهو يقول: [من المتقارب]

مُعاويَ لله من خلقه عبادٌ قلوبُهم قاسِيَهْ
وقلبُك من شرِّ تلك القلوب وليس المطيعة كالعاصيه
دع ابنَ خُديج ودع حَوشباً وذا كَلعٍ واطلُب العافيه

فصاح معاوية: انصرف، أرسولاً جئتَ أو منفراً؟!

قال علماء السير: ولما نزل أمير المؤمنين النُّخَيلة استشار أصحابَه في المسير إلى صفّين، فأشار عليه قوم أن يُقيم ويَبعثَ الجيوش، وأشار عليه قوم بالمسير والمباشرة، وقدم عليه عبد الله بن عباس من البصرة بمَن نَفَر معه من أهلها.

وقال الواقدي: واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري، وكتب إلى عماله بالقدوم عليه، واستخلف ابنُ عباس على البصرة أبا الأسود الدّيلي.

ولما تحقّق عزم أمير المؤمنين على المسير بلغ معاوية، فاستشار عمرو بن العاص، وقال له: قد أشار علي القوم بأن أبعث الجيوش وأقيم، فقال له: سِرْ بنفسك لئلا يَنسبكم إلى الجُبن والخَوَر والضّعف، فقال له معاوية: فقم فحرِّض الناس، وضَعِّف علياً وأصحابَه، فقام عمرو فقال: إن أهل العراق والبصرة مخالفون لعلي، قد قتلهم ووَتَرهم، وأفنى صناديدَهم وصناديدَ أهل الكوفة، وإنما سار في شِرذمةٍ قليلة منهم، وقد قتل خليفتَكم، فالله الله في دم عثمان أن تُضيّعوه، وحقكم أن تُبطلوه.

وعقد لولَدَيْه لوائين، ولغلامه وَرْدان، [وعقد عليٌّ لغلامه] قَنْبَر، وقال عمرو: [من الرجز]

هل يُغنيَنْ وَرْدانُ عنّي قَنبَرا
وتُغنيَ السَّكونُ عنّي حمْيَرا
إذا الكُماةُ لَبِسوا السَّنَوَّرا

وبلغ أمير المؤمنين فقال: [من الرجز]

لأصبِحنَّ العاص وابنَ العاص
سبعين ألفاً عاقِدي النَّواصي
مجتَنبينَ الخيلَ بالقِلاص

مُسْتَحْقِبِينَ حَلَقَ الدِّلاصِ(١)

وسار معاوية نحو العراق، وخرج أمير المؤمنين من النُّخَيلة، فنزل المدائن، وولى عليها سعد بنَ مسعود الثقفي عمَّ المختار بن أبي عبيد، وجَهَّز الطلائع بين يديه، فبعث زياد بن النَّضْر الحارثي في ثمانية آلاف، وشُريح بن هانىء في أربعة آلاف، ومَعقِل بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ على الموصل، حتى يُوافيه بالرقّة، ورحل من المدائن في جيوشه، وسار بين دجلة والفرات.

وقال أبو اليقظان: لما أراد أمير المؤمنين المسير قَدَّم بين يديه زياد بن النَّضْر الحارثي، وشُرَيح بن هانىء، وعقد لكلّ واحدٍ منهما على ستة آلاف.

وقال هشام بن محمد: فوصل إلى الرقة، فلم يجد عندها سفينة، كانوا قد أحرزوا الكلّ، فقال: يا أهلَ الرقة، اجْسُروا لي جِسراً لأعبر إلى الشام، فلم يفعلوا.

وقال الهيثم: ناداهم أمير المؤمنين: يا أهل الرّقّة، أين سُفنكم؟ فقالوا: راحت تَرعى، فدعا عليهم بالذلّة والمسكنة.

قال هشام: وعزم أمير المؤمنين على النّهوض إلى مَنْبج ليَعبرَ على جسرها، فناداهم الأشتر: يا أهل الجزيرة ـ أو يا أهل الحصن ـ أقسم بالله، لئن لم تَمدُّوا لنا الجسر لأضَعنَّ فيكم السَّيف، ولأقتُلنّ رجالَكم، ولأسْبِينّ ذَراريكم، ولآخُذنَّ أموالَكم، فخافوا وقالوا: إنه الأشتر، والله ليَفينّ بما حلف عليه، فصاحوا: إنّا ناصِبون لكم الجسر، فنصبوه، وجاء أمير المؤمنين فعبر عليه بالأثقال والرّجال، ووقف الأشتر عند الجسر في ثلاثة آلاف، حتى لم يَبقَ أحدٌ غيره، وهو آخر الناس.

وقال أبو مخنف: لما عَبروا ازدحمت الخيل، فسقطت قَلَنْسُوة عبد الله بن أبي الحُصين الأزدي، فنزل فأخذها وركب، فسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجّاج الأزدي، فنزل فأخذها ثم ركب.

وقال أبو مخنف: وسار أمير المؤمنين وبين يديه زياد بن النَّضْر الحارثي وشُرَيح بن هانىء، فلما انتَهوا إلى سُور الروم لَقيهم أبو الأعور السُّلَمي ـ وهو عمرو بن سفيان ـ

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦٣ .

في جُندٍ من أهل الشام، فأرسلا إلى علي فأخبراه، فقال للأشتر: يا مالك، اذهب إليهما فأنت الأمير على الناس، وإياك أن تَبدأهم بقتالٍ حتى يَبدؤوك، واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى الميسرة شُريحاً، وأنا قادم عليكم، ولا تَدْنُ من القوم دُنُوَّ مَن يُريد أن يُنشب الحرب، ولا تتباعد عنهم، بل كن وَسطاً.

فسارالأشتر ففعل ما أُمربه. وقيل إنما بعث إليه الحارث بنَ جُهمان الجُعفي، فأمره بذلك.

وبعث علي إلى زياد وشُريح: إني قد أَمَّرتُ عليكما الأشتر أو مالكاً، فاسمعا له وأطيعا.

والتقى الأشتر وزياد وشُريح بأبي الأعور، فاتَّبع الأشتر ما أمره علي، وكفّ عن القتال، ولم يزالوا مُتواقِفين، حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له، ثم انصرف أبو الأعور، فلما كان من الغد عاد أبو الأعور، فأرسل إليه الأشتر سنانَ بنَ مالك النَّخعي يَطلب منه أن يُبارِزَه، فقال له سنان: فأنا أُبارزه، فقال: يا ابن أخي، إنك حَدَثُ السّنّ، وإن كنتَ من أهل الشَّرف والكفاءة، وإن الحَدَثَ لا يُبارز الكَهْل، ولكن اذهب إليه وادعُه إلى مُبارزتي.

فذهب سنان إلى أبي الأعور فقال: إن الأشتر يَدعوك إلى أن تُبارزَه، قال: فسكتَ عني طويلاً، فقال: إن خفّةَ الأشتر وسوءَ رأيه يُقبّح محاسِنَه، ومن خِفّته وسوءِ رأيه أنه سار إلى ابن عفان إلى دارِه وقراره، فكان في جُملة مَن قتله، فأصبح مَطلوباً بدمه، لا حاجة لي في مُبارزته، قال: فقلتُ: إنك قد تكلَّمتَ فاسمع جوابَك، فقال: لا حاجةَ لي في سَماع كلامِك اذهب، قال: فانصرفتُ إلى الأشتر، فأخبرتُه فقال: لنفسه نظر.

وخرج هاشم بنُ عُتبة الزُّهري فاقتتلوا، وحمل عليهم الأشتر، فقُتل عبد الله بن المنذر التَّنوخي، قَتله ظَبيان بن عُمارة التميمي من أصحاب الأشتر وهو حَدَث، وكان عبد الله بن المنذر التَّنوخي فارسَ أهل الشام، وجعل الأشتر يقول: وَيحكم، أروني أبا الأعور، ووقفوا إلى الليل.

ثم انصرف أبو الأعور وأصحابُه تحت الليل، وصبَحهم علي من الغد، وساروا إلى صفّين، فوجدوا معاوية قد اشتَرف مكاناً على شاطىء الفرات سهلاً أَفيَح، قد اختاره قبل وُصول أمير المؤمنين، ليس في ذلك الموضع كلّه شَريعةٌ غيرها، وجعلها في

حَيِّزه، وبعث عليها أبا الأعور يحميها.

قال هشام عن أبي مخنف: فحدثني تميم بن الحارث الأزدي، عن جُندب بن عبد الله قال: كنتُ مع أمير المؤمنين، فلما رآهم قد فعلوا ذلك أتيناه فأخبرناه ـ وكان قد نزل ناحيةً عن الفرات ـ وقلنا: قد عَطِش الناس، ولا نَجد شَريعةً غير شريعةِ القوم، فقال الأشعث بن قيس الكندي: أنا أسير إليهم، فقال علي: سِرْ، قال: فسار وسرنا معه، فلما دَنونا من الماء ثاروا في وُجوهنا، فحَصَبونا وَرَشقونا بالنَّبْل، ورَشَقناهم ساعة، ثم اطَّعَنّا بالرماح وتضارَبْنا بالسيوف.

ثم جاء يزيد بن أَسَد البَجَلي مَدداً للقوم، وجاء عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جُندٍ كثير يُمِدُّ أبا الأعور، وخرج شَبَثُ بنُ رِبْعيّ والأشتر من عسكر علي في جَمعٍ عظيم، واشتدّ القتال، فارتجز عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي يقول:

خَلُّوا لنا ماءَ الفراتِ الجاري أوِ اثبُتُوا لجَحْفَلٍ جَرَّارِ
لكلِّ قِرْنٍ مُستميتٍ شاري مُطاعِنٍ بُرمْحِه كَرَّار
ضَرَّابِ هاماتِ العِدا مِغْوارِ

قال أبو مِخنف: وجعل ظَبيان بن عُمارة يقاتل ويقول: [من الرجز]

هل لك يا ظَبيانُ من بَقاءِ
في ساكنِ الأرضِ بغير ماءِ
لا وإلهِ الأرضِ والسماءِ
فاضرب وُجوهَ القوم بالأعداءِ
حتى يُجيبوك إلى السَّواءِ[1]

ثم إن القوم خَلّوا عن الماء، فما أَمْسَوا إلّا وسُقاةُ العسكَرَين يَزدحمون على

---

(١) في وقعة صفين ١٧٢، والطبري ٤/ ٥٧٠:

فاضرب وجوه الغُدر الأعداء
بالسيف عند حَمَس الوغاءِ
حتى يجيبوك إلى السواء

الشّريعة، لا يُؤذي إنسانٌ إنساناً.

وروى الطبري عن أبي مخنف قال: لما مَنعوا أصحابَ أمير المؤمنين الماء، بعث أميرُ المؤمنين صَعصعة بنَ صُوحان إلى معاوية، وقال: قُلْ له: إنا سِرْنا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قَدَّمتَ إلينا خيلَك ورَجلك، فقاتلتَنا قبل أن نُقاتِلَك، وبدأتَنا بالقتال، وكففنا عنك قبل أن نَدعوَك ونَحتجّ عليك، وهذه أُخرى قد فعلتَها؛ حُلتَ بين الناس وبين الماء، والناس غيرُ منتَهِين حتى يَشربوا، فابعث إلى أصحابك فليُخَلّوا بينهم وبين الماء، ويكفُّوا حتى نَنظُرَ فيما قَدِمنا وقدمتُم له، وإن كان أعجبَ إليك أن تَترُكَ ما جئنا له، ونَترك الناس يَقتتلون على الماء حتى يكون الغالبُ هو الشارب فعلنا.

قال: فقال معاوية لأصحابه: ما تَرون؟ فقال الوليد بن عُقبة: امنعْهم الماء كما منعوه عثمان، حصروه أربعين صباحاً يَمنعونه بَرْدَ الماء، اقتلْهم عطشاً.

وقال له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: امنعهم الماء إلى الليل؛ فإنهم إن لم يَقدروا عليه رجعوا، فيكون رجوعهم ذُلاً لهم.

قلت: وقول الطبري إن الوليد بن عُقبة وعبد الله بن سعد شهدا صفّين وَهم، فإن الواقدي قال: لم يشهداها.

قال: فقال له عمرو بن العاص: يا معاوية، خَلِّ بين القوم وبين الماء، فإن القوم لن يَعطشوا وأنت رَيّان.

فقال صَعصَعة بن صُوحان للوليد وابن أبي سرح: إنما يمنع الله الماءَ يوم القيامة مِثلكما؛ الكفَرةَ الفَسقةَ، فشتماه وشتمهما، فقال معاوية: كُفَّا عن الرجل فإنه رسول.

وقال هشام: قال عمرو لمعاوية: خلِّ بينهم وبين الماء، أترى ابن أبي طالب ومعه المهاجرون والأنصار وأفاعي العراق يَموتون عطشاً، والله لتطيرنَّ قحاف دون ذلك، فارض بالموادعة أيها الرجل، ولا تعجل بالشرّ فإن مَرتَعه وَخيم.

فقال معاوية: لا سقى الله أبا سفيان من حوض محمد قَطرة إن شربوا منه، وإن هذا لأوّلُ الظَّفر.

فقام فياض بن الحارث الأزدي فقال: يا معاوية، والله ما أنصفتَ القوم، لو كانوا من الروم لما جاز مَنعُهم من الماء، فكيف وهم أصحابُ رسول الله ﷺ، وفيهم ابنُ عمه والمهاجرون والبدريُّون والأنصار؟! وكان هذا الرجل صديقاً لعمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو: اكفِني صديقَك، فقام فياض وهو يقول: [من الوافر]

أتَحمون الفراتَ على أُناسٍ ... وفي أيديهم الأَسَلُ الظِّماءُ
وفي الأعناق أسيافٌ حِدادٌ ... كأن القوم عندكم نِساءُ
ألا لله دَرُّك يا ابنَ هندٍ ... لقد ذهب الحياءُ فلا حَياءُ
ولستُ بتابعٍ دينَ ابنِ هندٍ ... طِوالَ الدَّهرِ ما أوفى حِراءُ

ثم عطف دابتَه ودخل في عسكر علي عليه السلام.

قال هشام: وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، أنموتُ عطشاً وسيوفنا على عواتقنا، ورماحُنا في أيدينا، ثم قال: [من المتقارب]

أيَمنعُنا القومُ ماءَ الفراتِ ... وفينا الرِّماحُ وفينا الحَجَفْ
وفينا عليٌّ له صَولَةٌ ... إذا خَوَّفوه الرَّدى لم يَخَفْ
ونحن الذين غداةَ الزبيرِ ... وطلحةَ خُضنا غِمارَ التَّلَفْ

قال: وسمع أمير المؤمنين ليلةَ منعوهم الماء امرأةً تقول: [من المتقارب]

أيَمنعُنا القومُ ماءَ الفراتِ ... وفينا عليٌّ إمامُ الهُدى
وفينا الصلاةُ وفينا الصيامُ ... وفينا المصَلُّون تحت الدُّجى[1]

فبكى علي وقال: لا ها الله إذن، ثم قال للأشتر وللأشعث بن قيس: عليكما بالقوم، فركبا في اثني عشر ألفاً في وقت السَّحَر، وحملوا على القوم، فأزالوهم عن الشرائع فانهزموا، ولحق الأشتر أبا الأعور فضربه على رأسه بالسيف، فجرحه جُرحاً موثقاً، وملك الأشتر الشّرائع ووَهن أهلُ الشام، وكان هذا القتال في آخر يوم من ذي القعدة، وهو أول يوم جرى فيه قتال، ويُسمّى يوم الحَميَّة؛ لأن الحميَّةَ أدركت أميرَ المؤمنين لما سمع كلامَ المرأة.

(١) وقعة صفين ١٦٣-١٦٥، ومروج الذهب ٤/ ٣٤٦، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٠٩.

وقال هشام بن محمد، عن أبيه: فلما كان أول يوم من ذي الحجّة دعا أمير المؤمنين بشير بن عمرو بن مِحْصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهَمداني، وشَبَث بن رِبعي التّميمي، وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الرجل، فخوِّفوه وحَذِّروه وأنذِروه، وأشيروا عليه بالطّاعة، والدخولِ مع الجماعة، وانظروا ماذا رأيُه.

فجاؤوه فدخلوا عليه، فافتتح الكلام بشير وقال بعد حمد الله: يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجعٌ إلى الآخرة، وإن الله مُحاسبُك ومُجازيك على عملك، ونحن نَنشدك الله؛ أن تُفرِّق جماعةَ هذه الأمة، وأن تَسفك دماءها.

فقال له معاوية: هلّا أوصيتَ صاحبَك بمثل هذا؟! فقال: إن صاحبي لا يحتاج إلى وصيّة لأنه ليس مثلَك، إن صاحبي أحقُّ البريَّةِ كلّها بهذا الأمر في فضله ودينه، وسابقته في الإسلام، وقرابته من رسول الله ﷺ، وإني آمُرك بتقوى الله، وإجابةِ ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق؛ فإنه أسلَمُ لك في دُنياك، وخيرٌ لك في عاقبة أمرك، فقال معاوية: ويَبطل دمُ عثمان[1]؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً.

فذهب سعيد بن قيس يتكلّم فبادره شبث بن رِبعي وقال: والله يا معاوية ما يَخفى علينا مَغزاك ومَطلَبُك، إنك لم تجد شيئاً تَستغوِي به الناس، وتَستميلُ به أهواءهم، وتستخلص لك به طاعتَهم إلا دمَ عثمان، فاستجاب لك السّفهاء، وقد علمنا أنك تَربَّصتَ به وأبطأتَ عنه، وأحببتَ له القتلَ لهذه المنزلة التي أصبحتَ تطلب، ورُبَّ مُتَمَنٍّ أمراً يحول الله بينه وبينه.

فقال له معاوية: إن أول ما عُرف من سَفَهك وخِفَّةِ حِلمك أنك قطعتَ على هذا الشريف الحَسِيب سَيِّدِ قومه مَنطقَه، ثم عَتِبتَ بعد فيما لا علمَ لك به، فقد كَذبتَ في كلّ ما ذكرتَ ووصَفْتَ، انصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف، فقال له شَبث: أعلينا تُهوّل بالسيف؟ أقسم بالله لنَعجلَنّ به إليك.

ثم عادوا فأخبروا أمير المؤمنين بالذي كان، ونَشِب بينهم القتال، فكان أمير المؤمنين يُخرج إليهم أعيانَ أصحابه، ومعاوية يُخرج إليهم أعيانَ أصحابه، فلما كان

(١) في الطبري ٤/ ٥٧٣ ، والمنتظم ٥/ ١٠٤ : ونُطلّ دمَ عثمان، وفي وقعة صفين ١٧٨ : ويُطَلّ دمُ عثمان.

في هذا اليوم وهو أول يوم من ذي الحجة بدأ معاوية بالقتال، فأخرج إليهم عبد الرحمن بنَ خالد بن الوليد، وذا الكَلاع، وعُبيد الله بن عمر بن الخطاب، وبرز إليهم الأشتر، وحُجر بنُ عديّ، وقيس بن سعد، فتجاولوا ثم انصرفوا.

وكان أمير المؤمنين يُخرج إليهم مَرَّةً الأشتر، ومرة حُجر بن عَديّ، ومرة شَبَث بن رِبعي، ومرة زياد بن النَّضرِ الحارثي، ومرة قيس بن سعد، ومرّة مَعقِلَ بن قيس الرّياحي، وكان أكثر القوم إليهم خروجاً الأشتر. وكان معاوية يخرج إليهم مرة أبا الأعور السُّلَمي ومرة حَبيبَ بن مَسلمة الفِهري، ومرة ذا الكَلاع الحِميريّ، ومرة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومرة شُرَحْبيل بن السِّمط الكنديّ، فاقتتلوا ذي الحجة كلّه، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين، وربما أقاموا أياماً لا يقتتلون.

ثالث يوم من ذي الحجّة(١)

قال الواقدي: برز حُرَيث(٢) مولى معاوية، وكان إذا لبس سلاحَه لا يشكُّ أحد أنه معاوية، وكان دائماً يَطلب مبارزةَ أمير المؤمنين، وكان معاوية يَنهاه، فخلا عمرو بن العاص بحَوْشَب وقال له: لو كنتَ قُرشياً ما نهاك معاوية عن مُبارزته، ولكنه يَكره أن يَقتُل مولاه ابنَ عمِّه فابرُز إليه، فبرز وطلب المبارزة، فخرج إليه أمير المؤمنين، فقيل له: يا أمير المؤمنين، خَفِ الله وعز على حسبك، أتبرزُ إلى هذا الكلب؟ فقال: هذا أعظم غناءً عندي من معاوية، ثم حمل عليه علي، وضربه على رأسه بالسيف فقتله، ولما رآه معاوية قتيلاً التفت إلى عمرو وقال: ما أنصفتَه حيثُ أمرتَه بمبارزته، قال: ولـمَ؟ قال: لأنك أمرتَه بأمرٍ كرهتَه لنفسك، ثم اقتتلوا يوماً بعد يوم.

اليوم الثامن عشر

قال علماء السير: جمع معاوية في هذا اليوم أصحابَه وقال: ما فينا إلا من قَتل عليّ أخاه أو أباه أو ابنَه أو قريبَه، فتعالوا حتى نَجتمعَ اليوم عليه، فقال بعضهم: [من

---

(١) كذا، ولعل المصنف ذكر أيام صفين، فاختصرت إلى ما ترى.

(٢) في (خ): حوشب، والمثبت من وقعة صفين ٢٧٢، والفتوح لابن أعثم ٣/ ٣٩، وتاريخ دمشق ٤/ ٣٣٠ (مخطوط).

الوافر]

أتـأمُـرنـا بـحـيَّـةِ بـطـنِ وادٍ إذا نَـهـشَـتْ فـلـيـس لـهـا طَـبـيـبُ
فـسَـلْ عَـمـراً وسَـلْ عـن خُـصـيَـتَـيْـه نـجـا ولـقـلـبـه مـنـهـا وَجِـيـبُ

ثم التفت القائل وقال لمعاوية: وإن لم تُصدِّقني فسَلْ عَمراً، وقيل: البيتان للوليد بن عُقبة، وقيل لحَبيب بن مَسلمة[1].

وقال ابن الكلبي: رأى أمير المؤمنين في بعض أيام صفّين عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يَعرفه، فحمل عليه، فطعنه فسقط، فبدتْ عورتُه فاستقبل بها أميرَ المؤمنين، فأعرض عنه، وعَرفه وقال له: ويلك يا ابنَ النّابغة، أنت طَليق دُبُرِك أيَّامَ عُمرك، وكان قد تكرَّر منه ذلك.

وقال السّدي عن أشياخه: لما كان في آخر ذي الحجّة، وكَثُر القتلُ في الفريقين، قال علي للكُمَيل بن زياد: نادِ معاوية: دَعوناك إلى الطاعة ولُزوم الجماعة فأبيتَ، وقد كثر القتلُ في هذه الأمة، فابرز إليّ حتى نُخَلِّص الناسَ مما هم فيه، فناداهم الكُميل بذلك، فقال معاوية لأصحابه: ماذا تَرون؟ قالوا: لا تفعل فلست له بكُفُؤٍ في القتال، فقال له عمرو: قد أنصفَك، إنما هو بشرٌ مثلك، فابرز إليه، فقال له معاوية: ما هذه العَداوة التي بيني وبينك؟ أتراني لو قُتلتُ أكنتَ تَنال الخلافة؟! فقال له عمرو: دعاك رجلٌ عظيمُ القدر، كبيرُ الشَّرف، فكنت في مبارزته في إحدى الحسنَيَيْن: إن قتلتَه قتلتَ سيداً، وإن قتلك جُزيتَ خيراً، فقال معاوية: إن هذه لَشديدةٌ عليّ، فقال له عمرو: فإن كنتَ في شك من جهاده فتُبْ وراجِع.

وقال الهيثم بن عدي: رأى أمير المؤمنين يوماً معاوية واقفاً على تلٍّ، فقصده، فقال لبُسر بن أرطاة: اشغَلْه عني، وهرب معاوية، فطعن أمير المؤمنين بُسراً فألقاه، فاتَّقاه بعَورته، فأعرض عنه، فقال الأشتر: [من الرجز]

فـي كـل يـومٍ رجـلٌ شـيـخٍ شـاغِـرَهْ
وعَـورةٌ تـحـت الـعَـجـاجِ ظـاهـره

---

(١) انظر وقعة صفين ٤١٧، وأنساب الأشراف ٤/ ١٣٥.

ولما عاد معاوية إلى فُسطاطه جلس وأصحابُه حولَه، فنظر إلى عمرو بن العاص وضحك، فقال له عمرو: ما أضحكك؟ قال: يومُك مع ابن أبي طالب، فقال له عمرو: فاضحك على نفسك، ألستُ الذي أشرتُ عليك بمُبارزته فاحوَلَّتْ عيناك، وأزبَدَ شِدقاك، وبدا منك ما أكرهه أنا وغيري، ووالله لو بدا له منك مثل ما بدا من صَفحتي لأَيْتَمَ عيالَك، وأوجع قَذالك، ولكنك احترزتَ منه بالرجال في أيديها السُّمر العَوالي.

وقال هشام: نظر معاوية يوماً من أيام صفين إلى إحدى مَجنَبَتَيْ العسكر وقد مالت، فلَحظها بطَرْفه فاستَوتْ، فقال له عمرو بن العاص أهذا شيءٌ دَبَّرتَه يوم قُتل عثمان؟ قال: بل يوم قُتلَ عمر بن الخطاب.

وحجّ في هذه السنة بالناس عُبيد الله بن العباس بأمر أمير المؤمنين.

وفيها توفي

أسلم مولى رسول الله ﷺ

وكُنيته أبو رافع، وقد ذكرناه في السنة الحادية عشرة من الهجرة في موالي رسول الله ﷺ، وأنه كان مملوكاً للعباس بن عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ﷺ فلما بَشَّر رسول الله ﷺ بإسلام العباس أعتقه رسول الله ﷺ، وهاجر بعد بدر إلى المدينة، وشهد أحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وزوَّجه رسول الله ﷺ مولاته سَلمى، وتُوفّي في هذه السنة بعد قتل عثمان، وولدت له سَلمى عبيدَ الله على ما قيل، وقد ذكرنا مَن اسمُه أسلم في السنة الحادية عشرة، وليس في موالي رسول الله ﷺ مَن اسمُه أبو رافع غيره.

وقد أسند عن رسول الله ﷺ أحاديث، واختلفوا فيها، فقال ابن البَرْقي: هي بضعة عشر حديثاً، وقال غيره: ثمانية وستون.

وأخرج له في «الصحيحين» أربعة أحاديث، انفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، وأخرج أحمد سبعة عشر حديثاً، منها حديث عائشة رضي الله عنها الذي قال له رسول الله ﷺ: «اردُدْها إلى مَأمَنها»[1].

---

(١) مسند أحمد (٢٧١٩٨) ولفظه: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر =

ومنها حديث الصدقة، قال أحمد: حدثنا يحيى بإسناده عن ابن أبي رافع، عن أبي رافع قال: بعث النبي ﷺ رجلاً من بني مَخزوم على الصدقة، فقال: ألا تَصحَبُني تُصِب قليلاً؟ [قال: قلت:] حتى أذكرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فذكرتُ له فقال: «إنا آل محمد لا تَحِلُّ لنا الصدقة، وإن مَولى القوم من أنفُسهم». قال الترمذي: هذا حديث صحيح(١).

وقد أخرجه ابن سعد بمعناه فقال: حدثنا الفضل بنُ دُكَين، حدثنا حمزة الزيّات، عن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ الأرقم بن أبي الأرقم ساعياً على الصدقة، فقال لأبي رافع: هل لك أن تُعينني وأعطيك - أو أجعل لك - سَهمَ العاملين؟ فقال: حتى أذكُرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فذكره له، فقال له: «يا أبا رافع، إنا أهلُ بيتٍ لا تحلُّ لنا الصدقة، وإن مولى القوم منهم - أو من أنفسهم»(٢) «وإن حليفَنا منّا، وابن أُختِنا منّا»(٣).

وفيها تُوفّي

حُذيفة بن اليَمان

أبو حذيفة حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جِروة بن الحارث بن قَطيعة بن عبس ابن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر، وجِروة هو اليَمان الذي في أجداد حُذيفة، وإنما قيل له اليَمان لأن جِروة أصاب دماً في قومه، فهرب إلى

= قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم قال: أنا؟ قال: نعم قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فاردُدْها إلى مأمنها، وإسناده ضعيف، وسلف ص١٨٠.

(١) مسند أحمد (٢٧١٨٢)، وسنن الترمذي (٦٥٧) وفيه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٦٨.

(٣) هذا حديث آخر، أخرجه ابن سعد ٤/ ٦٨ عن محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة قالا: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة الزّرقي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: حَليفنا منا، ومولانا منا، وابن أختنا منا. وأخرجه أحمد (١٨٩٩٢) عن وكيع، عن سفيان، به.

وانظر ترجمة أبي رافع في المعارف ١٤٥، والاستيعاب (٢٩٢٥)، والمنتظم ٥/ ١٠٤، والسير ٢/ ١٦، وتهذيب الكمال وفروعه، والإصابة ٤/ ٦٧.

المدينة، فحالف بني عبد الأشهل، فسمّاه قومُه اليَمان؛ لأنه حالف اليَمانية؛ ولهذا ذكر ابن سعد حُذَيفة في الطبقة الثانية من الأنصار الذين شهدوا أحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ(١).

وقال الحسن البصري: كان حُذيفة رجلاً من عَبْس، فخيَّره رسول الله ﷺ بين أن يكون من المهاجرين أو من الأنصار، فاختار أن يكون من الأنصار، فأُثبت فيهم لما ذكرنا.

وأبوه حُسَيْل قُتل يوم أحد غلطاً، وتصدَّق حُذيفة بدمه على المسلمين.

قال ابن سعد: وشهد حُسَيْل وابناه حُذَيفة وصفوان أحداً(٢).

وكان حذيفة يُكنى أبا عبد الله، وأمّه الرَّباب بنت كعب بن عدي بن [كعب بن] عبد الأشهل.

قالوا: وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمار بن ياسر.

وحُذيفة هو الذي بعثه رسول الله ﷺ في غزاة الأحزاب إلى عسكر الكفّار، ووجد أبا سفيان يَصطلي بالنار، وقد ذكرنا القصة هناك.

ذكر نبذة من أخباره وفضائله:

قال ابن إسحاق: كان حذيفة صاحبَ سرِّ رسول الله ﷺ [لقربه منه] وثقتِه، وأخبره بأسماء المنافقين الذين نَخسوا بعيرَه ليلةَ العَقَبة عند رجوعه من تبوك، وكانوا اثنَي عشر، كلّهم من الأنصار، وحُلفائهم، ولم يكن فيهم قرشي.

وكان عمر بن الخطاب إذا رأى حذيفة يقول له: هل أنا منهم؟ لثقته به، وعلوّ منزلته.

وقال ابن سعد بإسناده عن صِلَةَ بنِ زُفَر، عن حذيفة قال: قمتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً في شهر رمضان، فقام يَغتسل وستَرتُه، ففَضلَتْ منه فَضْلَةٌ في الإناء، فقال: «إن شئتَ فأرِقْه، وإن شئتَ فصُبَّ عليه»، قلتُ: يا رسول الله، هذه الفَضْلَةُ أحبُّ إليّ مما أصُبّ عليه، فاغتسلتُ ورسول الله ﷺ يَستُرني، فقلت: لا تَستُرني، فقال: «بلى، لأستُرنَّك كما ستَرتَني».

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٩.

وقال ابن سعد بإسناده عن إبراهيم، عن علقمة قال: قَدِمتُ الشام، فدخلتُ المسجد، فجلستُ إلى أبي الدَّرداء، فقال: مَن الرجل؟ قلتُ: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحبُ السِّرِّ الذي كان لا يَعلَمه غيرُه، يعني حُذيفة.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي البَختَري، عن حذيفة قال: إن أصحابي تَعلّموا الخير وإني تَعلّمتُ الشرّ، قال: وما حَملك على ذلك؟ قال: إنه مَن تعلم مكانَ الشرّ يَتَّقِه.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن حذيفة قال: كان الناس يَسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرّ، فقلتُ له: يا رسول الله، إنا كنا في شرٍّ فجاءنا الله بالخير، فهل بعد الخير شرّ؟ قال: «نعم»، قلتُ: هل وراء الشر خيرٌ؟ قال: «نعم»، قلت: فكيف يكون؟ قال: «سيكون بعدي أئمّةٌ لا يَهدون بَهدْيي، ولا يَستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ شياطين في جُثمان إنسان». قال فقلت: فكيف أصنع إن أدركَني ذلك؟ قال: «اسمع للأمير الأعظم وأطع، وإن ضرب ظهرَك وأخذ مالك»[(١)] وقد أخرجاه في «الصحيحين» بمعناه[(٢)].

وروى ابن سعد عن الواقدي قال: لم يُخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين نَخسوه ليلةَ العَقبة إلا حذيفة[(٣)]. وقد ذكرناه.

ذكر ولاية حذيفة المدائن:

وقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين، قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً كتب في عهده أن: اسمعوا وأطيعوا ما عَدل عليكم، فلما استعمل حُذيفة على المدائن كتب في عهده أن: اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم.

قال: فخرج حُذيفة من عند عمر على حمار مُوكفٍ، وعلى الحمار زادُه، فلما قدم المدائن استقبَلَه أهلُ الأرض والدَّهاقين، وبيده رغيفٌ وعَرْق لحم، على حمارٍ على إكاف، فقرأ عهدَه عليهم، فقالوا: اسألْنا ما شئتَ، قال: أسألكم طعاماً آكله، وعَلفَ حماري هذا مرّتين ما دمتُ فيكم.

---

(١) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥١-٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٤٧).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣.

قال: فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن اقْدُم، فلما بلغ عمر قدومُه كمَن له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه على الحال التي خرج عليها من عنده أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

وفي رواية ابن سعد عن عكرمة: أنه كان سادِلاً رجلَيه من جانب، قال: وهو ركوب الأنبياء(١).

وقد روى أبو بكر الخطيب القصة، وقال فيها: إن أهل المدائن لَقَوه على بَغلٍ عليه إكاف، وهو مُعترض عليه رجلاه من جانبٍ واحد، فلم يَعرفوه فأجازوه، فلَقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لَقيتُم، قالوا: فركضوا في أثره، وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل، وذكره(٢).

وقال ابن سعد بإسناده عن حماد، عن مجاهد: أن حذيفة بن اليمان مَرَّ بدِهقانٍ وهو مُتوجِّهٌ إلى المدائن، فأضافه، وجاءه بماء في إناء من فضّة، فأخذ حُذيفة الإناء فضرب به في وَجه الدِّهقان، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تشربوا في آنية الذَّهب والفضَّة، ولا تأكلوا فيها، ولا تَلبَسوا الحريرَ والدِّيباج، فإنه للمشركين في الدنيا، وهو لكم في الآخرة»(٣).

ذكر نبذة من كلامه:

قال أبو نعيم بإسناده عن عمارة بن عبد، عن حُذيفة قال: إياكم ومواقف الفِتن، قيل: وما مواقف الفِتن؟ قال: أبوابُ الأُمراء، يَدخل أحدكم إلى الأمير فيُصدّقه بالكذب، ويَقول ما ليس فيه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن أم سلمة قالت: قال حُذيفة: وَدِدتُ أني أُغلق عليَّ باباً، فلا يَدخل عليَّ أحدٌ حتى ألحق بالله عز وجل(٤).

وهذه أمُّ سلمة ليست زَوجةَ رسول الله ﷺ، وإنما هي أمُّ موسى بن عبد الله.

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٦٢ ، والمنتظم ٥/ ١٠٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٤ .

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين بإسناده إلى الأعمش قال: بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفتَ فإذا رجلٌ خلفه، فقال: لا تُعلِمَنَّ بهذا أحداً[١].

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي عاصم الغَطَفاني قال: كان حُذيفةُ لا يزال يُحدِّثُ الحديث يَستَفظِعونه، فقيل له: يوشك أن تُحدِّثَنا أنه يكون فينا مَسْخٌ، قال: نعم، ليكوننّ فيكم مَسْخٌ قِرَدة وخنازير[٢].

وقال ابن أبي الدنيا عن أبي الطُّفَيل قال: قال حُذيفة: [من الخفيف]:

ليس مَن مات فاستراح بميتٍ إنما الميْتُ مَيّتُ الأحياءِ

قيل له: يا أبا عبد الله، وما مَيِّتُ الأحياء؟ قال: الذي لا يَعرف المعروف بقلبه، ولا يُنكر المنكَر بقلبه.

وذكر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» أن هذا البيت لحُذيفة[٣].

قلت: و قد كان مَعروف الكَرْخي يَتمثَّل به دائماً.

ذكر خاتَمه:

قال ابن سعد بإسناده عن موسى بن عبد الله بن يزيد، عن أُمِّه قالت: كان في خاتم حذيفة كُركِيّان بينهما الحمد لله.

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن أمه، وكانت ابنةَ حذيفة، قالت: رأيتُ على حذيفة خاتماً من ذهب، نَقشُه كُركِيّان بينهما الحمد لله.

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن موسى بن عبد الله، عن أمه قالت: كان خاتم حُذيفة من ذهب، فيه فصٌّ ياقوت، وذكرتْه[٤].

ذكر وفاته: قال ابن سعد بإسناده عن يزيد بن إبراهيم التستري، عن الحسن قال: لما حَضر حذيفةَ الموتُ قال في مرضه: حَبيبٌ جاء على فاقةٍ، لا أفلح مَن نَدِم.

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ١/ ١٧١، والمنتظم ٥/ ١٠٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣.

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٦-٣٠٧ (مخطوط). والبيت لعدي بن الرَّعلاء الغساني، انظر الأصمعيات ١٥٢، والعقد ٥/ ٤٩١، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٥.

وفي رواية ابن سعد عن خالد بن ربيعة العَبْسي قال: لما بلَغنا ثقل حذيفة خرج إليه نفرٌ من بني عَبْس، ونفر من الأنصار، معنا أبو مسعود عُقبة بن عمرو، فأتيناه في الليل، فقال: أيَّةُ ساعة هذه؟ قلنا ساعة كذا وكذا، قال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، هل جئتُم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم، قال: فلا تُغالوا بكَفني، فإن يكن لصاحبكم عند الله خيراً يُبدل خيراً منها، وإلا سُلب سَلْباً سريعاً[١].

وفي رواية أبي نعيم عن حذيفة أنه قال في مرضه الذي مات فيه: لولا أني أرى هذا اليوم آخرَ يوم من أيام الدنيا، وأولَ يوم من الآخرة لم أتكلَّم به، اللهمَّ إنك تعلم أني كنتُ أحبُّ الفقرَ على الغنى، وأحب الذلَّ على العز، وأحبُّ الموتَ على الحياة، حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح مَن نَدم، ثم مات[٢].

وفي رواية ابن سعد: أنه أُتي بكَفَن بثلاث مئة درهم، فقال: ليس هذا لي بكَفَن، إنما يكفيني رَيْطتان بَيضاوان؛ فإني لا أُترك إلا قليلاً حتى أُبَدَّلَ خيراً أو شراً منها.

وقال ابن سعد: جاء حذيفةَ نعيُ عثمان بن عفان وهو بالمدائن، ومات بعد ذلك بأَشْهُر بالمدائن، سنة ستٍّ وثلاثين، وله بها عقب[٣].

وذكر الخطيب بإسناده إلى بلال بن يحيى قال: مات حذيفةُ بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، وكان يقول: اللهمَّ اشهد أني لم أشهد ولم أرضَ بقتل عثمان[٤].

وقيل: إنه مات بالكوفة والأولُ أصحّ، وقبرُه بالمدائن ظاهر يُزار.

وقال ابن سعد: وأخوه صفوان بن اليمان لأبيه وأمه، وشهد أحداً أيضاً[٥].

وقال الواقدي: وَرد أمير المؤمنين المدائنَ بعد وفاة حُذيفة، ووَلّى بها سعد بن مسعود، وقد مات حذيفة، ولم يشهد حُذيفة الجملَ ولا غيره.

وذكر المسعودي وقال: كان لحذيفة ابنان سعيد وصفوان، استشهدا مع أمير

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٦ـ٢٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٨٢ .

(٣) الخبران في الطبقات ٤/ ٢٥٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١/ ١٦٣ ، والمنتظم ٥/ ١٠٧ .

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٨ .

المؤمنين يوم صفين في اليوم الثاني الذي قُتل فيه عمار، وكان حُذيفة قد قال لهما: اخرجا مع أمير المؤمنين أينما كان وحيثما كان، فإنه على الحق وغيره، أو ومَن خالفه، على الباطل.

وكان لحذيفة أُختان لأبيه وأمه فاطمة وليلى، أخرج أحمد في «المسند» لفاطمة حديثاً واحداً، وسنذكره.

أسند حذيفة عن النبي ﷺ أحاديث، واختلفوا فيها؛ قال ابن البَرْقي: أسند سبعةً وثلاثين حديثاً، وأخرج له أحمد نيفاً وسبعين حديثاً. وأخرج البخاري ومسلم بعضَ أحاديثه، والمتَّفق عليه منها اثني عشر، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بسبعة عشر[1].

وروى عن حُذيفة: عمر وعثمان وعلي، وابنُه أبو عبيدة بن حذيفة، وطارق بن شهاب، ورِبْعيّ بن حِراش، وأبو إدريس الخولاني، وأبو وائل، وابنُ حُبَيْش وغيرُهم.

وفي الصحابة مَن اسمه حُذيفة أربعةُ نَفَر: أحدُهم صاحب هذه الترجمة، والثاني حُذيفة بن أَسيد بن الأَغْوز، بغين وزاي معجمتين، ويقال: الأغوس بالسّين والغين معجمة في الموضعين، وكُنيته أبو سَريحة الغِفاري، والثالث حُذيفة بن عُبيد المرادي، والرابع حُذيفة البارِقي، وفيه وفي البارقي نظر[2]، وليس فيهم من له رواية إلا حذيفة بن اليمان والغِفاري.

ومن مَسانيده ـ يعني مسانيد حذيفة ـ قال أحمد بإسناده، عن خالد اليشكري.

وقال البخاري بإسناده إلى بُسْر بن عُبيد الله الحَضْرمي، أنه سمع أبا إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مَخافة أن يُدرِكَني، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم، وفيه دَخَن»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهدون بغير هَدْيي»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنّم، مَن أجابهم قَذفوه فيها»، قلتُ: يا رسول الله، صِفهم لنا؟ قال: «هم

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٠.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٨٠.

من جِلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم» قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزِلْ تلك الفِرقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بجِذْلِ شجرة، حتى يُدركك الموتُ وأنت على ذلك».

أخرجاه في «الصحيحين»، وهو حديث طويل(١)، والدَّخَن: الدُّخان، ومعناه على غير صفاء، وجلدتنا؛ أي: منا، يُشير إلى العرب، والجِذْلُ: الأَصْلُ.

وأما الحديث الذي أخرجه أحمد لأخته فاطمة؛ فقال أحمد بإسناده عن أبي عبيدة ابن حُذيفة، عن عمته فاطمة قالت: أتينا رسول الله ﷺ نَعُودُه في مرضه مع نساء، وإذا سِقاءٌ مُعلَّقٌ نحوه، يَقطر ماؤه عليه من شِدَّة ما يجد من حَرِّ الحمَّى، فقلنا: يا رسول الله، لو دعوتَ الله فشفاك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن من أشدِّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم»(٢).

وفيها تُوفي

الزُّبَير بن العَوّام

ابن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب، ويلتقي مع رسول الله ﷺ في النسب عند قُصيّ.

وقال الشيخ الموفَّق رحمه الله في «الأنساب»: قال الزُّبير بن بَكّار: كان لأسد بن عبد العُزَّى خمسةَ عشر ذكراً، منهم: خُوَيلد بن أسد، وكان رئيسَ بني أسد في أحد حروب الفِجار، وقيل: في حرب الفجار.

وخُوَيلد هو أبو خديجة زوجة رسول الله ﷺ، وذكر المطَّلبَ ونوفلاً والحارث وحَبيباً، والكلّ بنو أسد(٣).

وأم العَوَّام من بني مازن بن منصور، ووَلد خُويلد نَوفلاً، ويقال له: أسد قريش،

---

(١) مسند أحمد (٢٣٢٨٢)، وصحيح البخاري (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٤٧).

(٢) مسند أحمد (٢٧٠٧٩). وانظر في ترجمة حذيفة: المعارف ٢٦٣، والاستيعاب (٣٩٠)، وصفة الصفوة ١/ ٦١٠، والاستبصار ٢٣٣، وتهذيب الكمال وفروعه، والسير ٢/ ٣٦١، والإصابة ١/ ٣١٧.

(٣) التبيين ٢٥٥.

قتله علي عليه السلام يوم بدر كافراً.

وقال الزبير بن بَكّار: ولا يُعرف عَشرةٌ من أهل بيت واحد قُتلوا على نَسَقٍ واحد أو قريباً منه سوى بيت الزبير: قُتل خُويلد وابنه العَوَّام في الجاهلية، وقُتل الزبير يوم الجمل، وقُتل ولده عبد الله بمكة، وقُتل ولد الزبير مُصعب بالعراق في حرب عبد الملك بن مروان ومعه ولدُه عيسى[(١)] بن مصعب، وقُتِل حمزة والمنذر ابنا الزبير مع أخيهما عبد الله بمكة، وقَتَل عبد الله بن الزبير أخاه عمراً بمكة؛ لأنه كان قد مالأ عليه، وقُتِل خالد بن الزبير مع [محمد بن] عبد الله بن حسن بن حسن.

قلت: وقد ذكر جدي رحمه الله في «التلقيح»[(٢)] وقال: مسألة، هل تعرفون مَن قُتل هو وأبوه وجدُّه كذلك إلى ستة آباء؟ والجواب: أنه عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العَوّام بن خويلد، قُتل عُمارة وأبوه حمزة يوم قُدَيد، وقُتل مصعب في حرب عبد الملك بن مروان، وقُتل الزبير بوادي السِّباع، والعوَّام يوم الفِجار، وخويلد في الجاهلية.

وأم الزبير بن العوام صَفيَّة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمةُ النبي ﷺ، وكُنية الزبير أبو عبد الله.

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قاتل الزبير رجلاً بمكة، فضربه الزبير ضَرباً شديداً وكسر يده، فمُرَّ بالرجل على صفية وهو يُحمَل فقالت: ما شَأْنُه؟ فقالوا: كسر الزبير يدَه، فقالت: [من الرجز]

كـيـف رأيـتَ زَبْـرا

أأقـطـاً أم تَـمْـرا[(٣)]

أم مُـشْـمَـعِـلاً صَـقْـرا

---

(١) في (خ) عمار، وليس في أولاد مصعب من اسمه عمار، والذي قتل معه في حرب عبد الملك ولَدُه عيسى، انظر طبقات ابن سعد ٧/ ١٨١، وأنساب الأشراف ٨/ ٧٢، ونسب قريش ٢٤٩، والمعارف ٢٤٤.

(٢) ص ٧٠١، وذكره ابن قتيبة في المعارف ٥٨٩، وابن حبيب في المحبر ١٨٩.

(٣) في (خ) وأصول ابن سعد: أأقطاً حسبته أم تمرا، والمثبت من المطبوع ٣/ ٩٤.

ذكر إسلامه: واختلفوا فيه، قال ابن سعد بإسناده عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: كان إسلامُ الزبير بعد أبي بكر، كان رابعاً أو خامساً.

قال: وأخبرت عن حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة(١).

وذكر الموفق رحمه الله أنه أسلم هو وعلي وهما ابنا ثمان سنين.

قال: وقال موسى بن طلحة: ولد الزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص في عام واحد.

وقال هشام: أسلم وله اثنتا عشرة سنة(٢).

وقال ابن إسحاق: لما أسلم عَذّبه عمه نوفل وجعله في حَصير، وكان يُعذّبه بالدُّخان ليَرجع عن دينه فقال: والله لا أرجع عن ديني أبداً، فتركه.

ذكر صفته:

حكى ابن سعد، عن الواقدي قال: كان الزبير بن العوام رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، إلى الخِفّة ما هو في اللحم، ولحيتُه خفيفة، أسمر اللون أشعَر.

وحكى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ربما أخذتُ بالشعر على مَنْكبي الزبير وأنا غُلام، فأتَعلَّق به على ظهره(٣).

وقال هشام: كان أبيض طويلاً، وقيل: أسمر خفيفَ العارِضَين.

وحكى أبو اليقظان، عن هشام بن عروة قال: كان جَدّي الزبير إذا ركب تَخُطّ الأرضَ رجلاه، وكان لا يُغَيِّر شيبَه، قال: وكنتُ وأنا غلام أجذب بشعر كَتفيَه حتى أقوم(٤).

ذكر جملة من مناقبه: قال ابن سعد: هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتَين، ولم يتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزاةٍ غزاها، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥.

(٢) التبيين ٢٥٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠.

(٤) المعارف ٢٢٠.

الأولين، وأحد العشرة المبَشَّرين، وابن عمة رسول الله ﷺ وحواريّه، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وجمع له رسول الله ﷺ أبوَيه، ولم يجمعهما إلا له ولسعد بن أبي وقاص[١].

وذكر الموفق رحمه الله، عن أبي إسحاق السبيعي قال: وقفتُ على مجلسٍ فيه أكثر من عشرين رجلاً من الصحابة، فقلت لهم: مَن كان أكرمَ على رسول الله ﷺ؟ قالوا: علي والزبير.

وقد ذكرنا أنه كان على الزبير يومَ بدرٍ مُلاءةٌ صفراء، فنزلت الملائكة على سيماه، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت.

وقال الموفق رحمه الله عن هشام بن عروة، قال: نَفخت نفخةٌ من الشيطان أُخذ فيها رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير يَشقُّ الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلا مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «مالك يا زبير؟» فقال: أُخبرت أنك أُخذت، قال: فصلّى عليه ودعا له ولسيفه[٢].

وقد رواه ابن المسيب فقال: أول مَن سلَّ سيفاً في ذات الله الزبير بن العوام، بينما هو بمكة إذ سمع نغمة: أن النبي ﷺ قد قُتل، فخرج عُرياناً ما عليه شيء، في يده السيف صَلْتاً، فتلقّاه رسول الله ﷺ كَفةً بكفة، فقال: «مالك يا زبير؟» قال: سمعتُ أنك قد قُتلت، قال: «فما كنتَ صانعاً» قال: أردت والله أن أستعرِضَ أهلَ مكة، فدعا له رسول الله ﷺ.

وقال مصعب بن الزبير: قاتل أبي مع رسول الله ﷺ وعمره اثنتا عشرة سنة[٣].

وقال أبو نعيم الأصفهاني بإسناده عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين، وهاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان عمُّهُ يُعذّبه[٤]، وقد ذكرناه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥، ٩٧، ٩٩.

(٢) التبيين ٢٥٦.

(٣) صفة الصفوة ١/ ٣٤٦، وانظر الاستيعاب (٨٥٤).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٩.

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «لكلِّ نبيٍّ حواري، وحواريّي الزبير»(١)، أخرجاه في «الصحيحين»(٢)، والحواريُّ: الناصر.

وحكى ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما هاجر الزبير من مكة إلى المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح.

واختلفوا في الذين آخى رسول الله ﷺ بين الزبير وبينهم على أقوال؛ أحدها: بينه وبين ابن مسعود، والثاني: بين الزبير وطلحة، والثالث: بينه وبين كعب بن مالك، حكى هذه الأقوال ابن سعد عن الواقدي وغيره(٣). وقيل: آخى بينه وبين [سلمة بن] سلامة بن وَقْش(٤).

وقد روينا أن رسول الله ﷺ رخص له في لُبْسِ الحرير بعُذْرِ القمل، وأقطعه نخلاً من أموال بني النَّضِير.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: أن أبا بكر ﷺ أقطعه الجُرُف، وأقطعه عمر العَقيقَ أجمع.

وقال الزبير بن بكار بإسناده عن الأوزاعي، قال: كان للزبير ألفُ مَملوك يُؤدُّون الضّريبة، لا يَدخل بيتَ ماله منها دِرهم، يَتصدَّق بها.

وقال الزبير بن بكار أيضاً بإسناده عن جُويرية، قالت: باع الزبير داراً بست مئة ألف، فقيل له: غُبِنتَ، فقال: كلا والله، لتَعلَمُنَّ أنني لم أُغبَن، هي في سبيل الله تعالى.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن علي بن زيد، قال: أخبرني مَن رأى الزبير، وإن في صدره لأمثال العيون من الطَّعنِ والرَّمْي.

وأخرج البخاري عن مروان بن الحكم، قال: أصاب عثمانَ رُعافٌ شديدٌ عام الرُّعاف، حتى حبسه عن الحجّ، وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش، فقال له: استخلِفْ، فقال:

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٨ .

(٢) من حديث جابر ﷺ، البخاري (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥ .

(٤) الاستيعاب (٨٥٤)، والتبيين ٢٥٥ .

نعم، ودخل عليه رجلٌ آخر فقال له كذلك، فقال: نعم، قال: ومن هو؟ فلما كان في الثالثة قال: الزبير؟ والذي نفسي بيده إنه لخيرُهم وأحبُّهم إلى رسول الله ﷺ[١].

وقال ابن عباس: وفي الزبير نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء: ٦٥][٢].

وروى الزبير بن بكار، عن هشام بن عروة قال: أوصى إلى الزبير جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، والمقداد، فكان يَحفظ عليهم أموالَهم، ويُنفق على أبنائهم من ماله.

قال: وأوصى إليه مُطيع بن الأسود، فامتنع من قَبول الوصيّة، فقال له مُطيع: فإني أَنشُدك اللهَ والرَّحم، فإني والله ما أتبع في ذلك إلا رأي عمر بن الخطاب، سمعتُه يقول: لو تركتُ تَرِكةً، أو عهدتُ إلى أحدٍ، لعهدتُ إلى الزبير، إنه ركنٌ من أركان الدّين.

قال: وأوصى إليه أبو العاص بنُ الربيع بابنته أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فزوَّجها الزُّبير من علي عليه السلام.

وقال عروة: شهد الزبير فتحَ مصر لما بعثه عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، وهو أول من صعد السُّلَّم في فتح حِصنها، ولما قَرب من مصر وكان بها الطّاعون، قيل له: احذرِ الطّاعون، فقال: إنما خرجتُ للطَّعنِ والطاعون[٣].

ذكر مقتل الزبير بن العوام:

قد ذكرنا أنه خرج من العسكر يوم الجمل يَقصد المدينة، فقتله عمرو بن جُرْموز بوادي السِّباع، باتّفاق من الأحنف بن قيس[٤].

وقال الهيثم بن عدي: سأل الزبير يوم الجمل فقال: أفيكم عمار بن ياسر؟ قالوا: نعم، فأغمد سيفَه وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تَقتلُك الفئةُ الباغية»، ورجع يطلب المدينة، فقتله ابن جرموز بوادي السباع.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧١٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٤١٩)، والبخاري (٢٣٦١)، ومسلم (٢٣٥٧) من حديث الزبير رضي الله عنه ضمن قصة.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٧٨ (مخطوط)، والسير ١/ ٥٥.

(٤) لم يجر ذكر مقتل الزبير رضي الله عنه في أحداث الجمل، وهذا من دلائل الاختصار.

وقال الموفق رحمه الله في «الأنساب»: شهد الزبير الجمل، فذكَّره علي أن رسول الله ﷺ قال له: «يا زبير، أما إنك ستقاتلُه وأنت ظالم له» فذكر ذلك، فانصرف عن القتال، فاتّبعه ابنُ جُرموز فاغتَرَّه، وقتله بوادي السِّباع، وجاء بسيفه إلى علي، فقال: بَشِّر قاتلَ ابنِ صَفيَّةَ بالنار[١].

وقيل: إن ابن عباس وَبَّخه يومَ الجمل.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي خالد ـ يعني الوالِبيّ ـ قال: دعا الأحنفُ بن قيس بني تميم فلم يُجيبوه، ثم دعا بني سعد فلم يُجيبوه، فاعتزل في رهطٍ، فمر به الزّبير على فَرس يُقال له: ذو النّعال، فقال الأحنف بن قيس: هذا الذي كان يُفسد بين الناس، قال: فأتْبَعَه رجلين ممن كان معه، فحمل عليه أحدهما فطعنه، وحمل عليه الآخر فقتله، وجاء برأسه إلى باب علي، فقال: ائذَنوا لقاتل الزبير، فسمعه علي فقال: بَشِّر قاتلَ الزبير بالنار، فألقاه وذهب.

وفي رواية: فحمل القوم عليه جميعاً فقتلوه، وأخذ ابنُ جُرموز رأسَه وسيفَه، وحملهما حتى أتى بهما إلى علي، فأخذ علي السيف وقال: سيفٌ طال والله ما جَلى به الكَرْبَ عن وَجه رسول الله ﷺ، ولكن الحَيْنُ ومَصارعُ السُّوء، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه وأولاده، ودُفن الزبير بوادي السِّباع[٢].

وقال أحمد: حدثنا معاوية بإسناده، عن زِرّ بن حُبَيش قال: استأذن ابنُ جُرموز على علي وأنا عنده، فقال عليّ: بَشِّر قاتلَ ابنِ صَفيَّةَ بالنار، ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لكلِّ نبيٍّ حَواريّ، وحواريَّ الزبير»[٣].

وقال أبو أحمد الحاكم: دُفن الزبير بسَفَوان.

وقال ابن سعد: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل تحت الزبير، وكان أهلُ المدينة يقولون: مَن أراد الشهادة فليتزوَّج عاتكة بنت زيد، وكانت عند عبد الله بن أبي بكر فقُتل عنها[٤].

---

(١) التبيين ٢٥٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٣ـ١٠٤ .

(٣) مسند أحمد (٦٨١).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٤ .

وقد ذكرناها[١] في ترجمة عبد الله بن أبي بكر، وما قال فيها من الشعر لما أمره أبوه بطلاقها، وكانت من المهاجرات، وسنذكرها بعد هذا.

وقال ابن سعد: وقال جرير بن الخَطَفَى: [من الكامل]

إن الــرَّزِيَّــةَ مَــن تَــضــمَّــنَ قَــبــرَه ... وادي الــسِّــبــاع لــكــلِّ جَــنْــبٍ مَــصــرَعُ
لــمــا أتــى خَــبَــرُ الــزبــيــرِ تــواضــعــتْ ... سُــوُرُ الــمــديــنــةِ والــجــبــالُ الــخُــشَّــعُ
وبــكــى الــزبــيــرَ بــنــاتُــه فــي مَــأتَــمٍ ... مــاذا يَــرُدُّ بــكــاءَ مَــن لا يَــســمــعُ[٢]

ذكر سن الزبير:

واختلفوا فيه، حكى ابن سعد، عن الواقدي، عن عبيد الله بن عروة بن الزبير، عن أخيه عبد الله بن عروة، عن عروة بن الزبير قال: قُتل أبي يوم الجمل وقد زاد على الستّين بأربع سنين.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي قال: سمعتُ مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقول: شهد الزبير بدراً وهو ابن تسعٍ وعشرين سنة، وقُتل وهو ابن أربعٍ وستّين[٣].

وحكى جدي في «الصفوة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قتل وهو ابن بضع وخمسين سنة.

والثاني: ابن ستين سنة.

والثالث: ابن خمسٍ وسبعين سنة[٤].

وقال في «التّلقيح»: ابنَ أربع وستين[٥].

وقال أبو اليقظان: ابن ثلاث وستين.

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان للزبير من الولد أحد عشر ذكراً وتسع نسوة، عبد الله وعروة

(١) سنة (١١) من الهجرة.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٥، والأبيات في النقائض ٩٦٩، وديوانه ٩١٣ نقلاً عنها.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٥.
(٤) صفة الصفوة ١/ ٣٤٧.
(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ١١٥ وذكر الأقوال الثلاثة السابقة.

والمنذر، وعاصم والمهاجر دَرَجا، وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وأمُّ الجميع أسماء بنت أبي بكر الصديق.

وخالد وعمرو وحبيبة وسَودة وهند، وأُمّهم أم خالد، وهي أمَة بنت خالد بن سعيد ابن العاص بن أمية.

ومصعب وحمزة ورَمْلة، وأمُّهم الرّباب بنت أُنَيف بن عُبيد، كلبيّة.

وقال ابن سعد: وحمزة أخو مصعب بن الزبير لأبيه وأمه، فولد حمزةُ عمارة، مات ولم يُعقِب، فورثه عروة وجعفر ابنا الزبير.

وعُبيدة وجعفر، وأمُّهما زينب، وتُكنى أم جعفر بنت مَرْثد بن عمرو، من بني ثعلبة، وزينب وأمُّها أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، وخديجة الصُّغرى وأمُّها الحلال[١] بنت قيس بن نَوفل، من بني أسد.

قال ابن سعد: وأُخبرت عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال الزبير بن العوّام: إن طلحة بن عُبيد الله يُسمّي بَنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيَّ بعد محمد ﷺ، وإني أُسمّي بَنيَّ بأسماء الشُّهداء لعلهم أن يُستشهدوا، فسمّى عبد الله بعبد الله بن جَحش، والمنذر بالمنذر بن عَمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمُصعب بن عُمير، وعُبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعَمراً بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك. هذا كلامُ ابن سعد[٢].

قلت: فأما عبد الله بن الزبير فسنذكره في سنة ثلاث وسبعين.

وأما عروة ففي سنة ثلاث أو أربع وتسعين.

وأما المنذر فقُتل مع أخيه عبد الله.

وأما عاصم فمات وهو غلام، ولا عقب له.

وأما المهاجر فلا ذكر له.

وأما مُصعب فقتله عبد الملك بن مروان لما نذكر.

---

(١) في (خ): أم كلثوم الحلال، ولم أجد من ذكر لها هذه الكنية.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣-٩٤ و٧/ ١٨٣ .

وأما عمرو بن الزبير فقتله أخوه عبد الله، وسنذكره في سنة ستين.

وأما جعفر بن الزبير فمات في خلافة سليمان بن عبد الملك.

وأما خديجة الكبرى، فقال الزبير بن بكار: تزوجها عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، ثم خلَف عليها جُبير بن مُطعم بن عَدي بن نوفل بن عبد مناف، ثم خلف عليها [عبد الله بن] السائب بن أبي حُبَيش بن المطلب الأسدي.

وأما أم حسن فتزوّجها [عبد الرحمن بن] الحارث بن هشام بن المغيرة، فوَلدت له: عبد الله وأبا سلمة والحارث وعيّاشاً، وعائشة وأم الزبير وأم سعيد وعاتكة وأم كلثوم وأسماء، وكلهم بنو عبد الرحمن من أم حسن.

قال: وعائشة بنت الزبير تزوّجها الوليد بن عثمان بن عفان، فولدت له عبد الله بن الوليد، وأم عائشة بنت الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق.

وأما رَمْلة بنت الزبير فأخت مصعب لأبيه وأمه، خطبها عبد الملك بعد قتل أخيها مصعب، فقالت: أنا أتزوّج أبا الذبّان بعد قتله مصعباً؟! وقيل: إن عبد الملك شاور أخاها عروة بن الزبير فقال: بالأمس قتلت أخاها واليوم تتزوجها لا آمنها عليك، فامتنع من تزويجها، فتزوجها خالد بن يزيد بن معاوية.

وأما حَبيبة بنت الزبير فتزوجها يعلى بن أمية التميمي، ثم خلف عليها عبد الله بن عباس بن علقمة العامري، فولدت له عباس بن عبد الله.

وأما سَوْدة بنت الزبير فتزوجها عمرو بن سعيد بن العاص.

وأما هند بنت الزبير فتزوجها عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُريز، وأمها أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. ذكر هذا الزبير بن بكار وأهل النسب(١).

ذكر إخوة الزبير:

قال علماء السير: وهم خمسة: السائب وعبد الرحمن وأسود وأَصْرم ويَعْلى بنو العوام، ولم يعقب منهم أحد سوى الزبير، ولم يشتهر منهم سوى السائب بن العوام

---

(١) انظر نسب قريش ٣٠٦ـ٣٠٧، والمحبر ٦٧، وطبقات ابن سعد ٧/ ٦ـ٧، وأنساب الأشراف ٨/ ٦٣، والرياض النضرة ٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩ (الكتب العلمية).

شهد أحداً والخندق وما بعدها، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً، وقد ذكرناه(١).

وقد قال الموفق رحمه الله: وعبد الرحمن بن العوام أخو الزبير، أسلم وحَسُنَ إسلامه، وقُتل يوم اليرموك شهيداً، وابنُه عبد الله بن عبد الرحمن قُتل يوم الدار مع عثمان، وابنه الآخر عبيد الله قتل بصفّين.

قال الموفق: وكان للزبير أختٌ يقال لها زينب بنت العوام، تزوجها حكيم بن حزام فولدت له، ولها شعر ترثي فيه عثمان بن عفان وأخاها الزبير.

قال: وكان للزبير أخت أخرى يقال لها أم حبيب بنت العوام ولدت لخالد بن حزام(٢).

وقال هشام: وكان للزبير أختُ يُقال لها: أم السائب بنت العَوّام(٣).

ذكر موالي الزبير: قد حكينا أنه كان له ألفُ مملوك، ومن أعيانهم: البَهيّ، واسمه عبد الله بن يَسار، وكُنيتُه أبو محمد، روى الحديث عن عائشة، ونزل الكوفة فروى عنه أهلها.

ومنهم حُميد القارىء، ويُعرف بالأعرج، قارىء أهل مكة، وكان مُحدِّثاً حاسباً فارضاً، قرأ القرآن على مجاهد(٤).

ذكر وصايا الزبير وتركته وقضاء ديونه: قال البخاري بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: دعاني أبي يوم الجمل وهو واقف في الصف، فقال لي: يا بُني، إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مَظلوم، ولا أُراني إلا سأُقتل اليوم مَظلوماً، وإن من أكبر همّي لَدَيني، أفترى دَيني يُبقي من مالي شيئاً، وأوصى بالثلُث، وثُلُثه لبنيه، يعني لبني عبد الله، قال: فإن عَجزت عن شيءٍ منه فاستعن عليه بمولاي.

قال عبد الله: فوالله ما دَريتُ ما أراد حتى قلتُ له: يا أبتِ، مَن مَولاك؟ قال: الله

(١) لم يجر ذكره قبلاً، ولعل المختصر أسقطه.
(٢) التبيين ٢٧٠ .
(٣) المعارف ٢٢٠ ، وانظر نسب قريش ٢٣٥ـ٢٣٦ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٥٧ .
(٤) المعارف ٢٢٦ـ٢٢٧ .

تعالى، قال: فوالله ما وَقعتُ في كُربَةٍ من دَيْنه إلا قلت: يا مَولى الزبير اقضِ عنه دَينه فيَقضيه.

قال: فقُتل يوم الجمل ولم يَدَعْ ديناراً ولا دِرهماً إلا أرَضِين؛ منها: الغابة، وأحد عشر داراً بالمدينة، ودارَين بالبصرة، وداراً بمصر، وداراً بالكوفة.

قال: وإنما كان دَينه الذي عليه؛ كان الرجل يَأتيه بمالٍ فيَستودِعُه إياه، فيقول الزبير: لا ولكن هو سَلَف، إني أخشى عليه الضَّيْعَة، وما وَلي إمارةً قط، ولا جبايةً ولا خراجاً ولا شيئاً؛ إلا أن يكون في غَزو مع رسول الله ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان.

قال عبد الله: فحسبتُ ما عليه من الدَّين فوجدتُه ألفي ألف درهم ومئتي ألف درهم، فلَقيني حكيم بن حزام فقال: يا ابنَ أخي، كم على أخي من الدَّين؟ فكتمتُه وقلت: مئة ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تَتّسع لهذه، فقال له عبد الله: أرأيتَ إن كانت ألفي ألف ومئتي ألف؟ فقال: ما أُراكم تُطيقون هذا، فإن عَجزتُم عن شيءٍ فاستعينوا بي.

قال: وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وست مئة ألف، ثم قام فقال: مَن كان له على الزبير شيءٌ فلْيُوافِنا بالغابة، فأتاه عبد الله ابن جعفر، وكان له على الزبير أربع مئة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتُها لكم، وإن شئتم جعلتُها فيما تُؤخّرون إن أخّرتُم، فقال عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قِطعةً، [فقال عبد الله: لك] من ها هنا إلى ها هنا، فباع عبد الله فقضى دَينه منها وأوفاه، وبقي منها أربعةُ أسهم ونصف.

فقدم عبد الله على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زَمعة، فقال له معاوية: بكم قُوِّمت الغابة؟ فقال: كلُّ سهم بمئة ألف، قال: فكم بقي منها؟ قال: أربعة أسهم ونصف[1]، فقال المنذر: قد أخذتُ منها سهماً بمئة ألف، وقال عمرو بن عثمان: وأنا كذلك، وقال ابن زَمْعة: وأنا كذلك، وقال معاوية: وأنا قد أخذتُ سهماً ونصفاً بمئة ألف وخمسين ألفاً.

(١) في (خ): وربع، في الموضعين، والمثبت من البخاري (٣١٢٩).

وباع عبد الله بن جعفر نَصيبه من معاوية بست مئة ألف، فلما فرغ ابنُ الزبير من قضاء ديونه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثَنا، فقال: لا والله، لا أقسِمُه بينكم حتى أُنادي بالموسم أربعَ سنين: ألا مَن كان له على الزبير دَينٌ فلْيأتِنا فلنقضِه، فجعل كلّ سنة ينادي بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم ورفع الثّلث.

وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأةٍ ألفَ ألف ومئتي ألف، فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومئتا ألف. انفرد بإخراجه البخاري. وكذا ذكر ابن سعد في «الطبقات»[١].

قال الزهري: وهذا مال عظيم، والغابة أرضٌ بالمدينة، فيها رياض وشجرات.

وقال هشام: لما قتل الزبير أرسل ابنُه عبد الله إلى عاتكة بنت زيد: إنك امرأة من بني عَديّ، ونحن من بني أسد، فإن دخلتِ علينا أفسدتِ أموالَنا وأضررتِ بنا، فصالحها على ثمانين ألفاً.

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن الزبير بن العوّام جعل داراً له حَبيساً على كلِّ مَردودةٍ من بناته.

وفي رواية ابن سعد عن عروة بن الزبير قال: كان قيمةُ ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف.

وفي رواية ابن سعد عن عروة قال: كان للزبير بمصر خطط، وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غَلاتٌ تَقدم عليه من أعراض المدينة[٢].

وروى هشام بن محمد، عن أبيه قال: ترك الزبير من العين خمسين ألف ألف درهم، ومن العروض مثلها، قال: وقيل لعبد الله بن الزبير: قد كان أبوك على ما كان عليه من الفضل، ويُخلّف ديناً عليه ألفي ألف؟ فقال: لم يكن دَيناً عليه، ولكنها مَواعيد كان يكتب بها للناس[٣].

---

(١) ٣/ ١٠١-١٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠، ١٠٢.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٣٩٣ (مخطوط).

ذكر مسانيد الزبير: ليس في الصحابة مَن اسمه الزبير بن العوام غيرُه، فأما غير ابنِ العَوَّام فاثنان؛ أحدهما: الزبير بن أبي هالة، وله صحبة ورواية، والثاني: الزبير بن عبيدة، ليس له رواية[(١)].

واختلفوا في مَسانيد الزبير بن العوام؛ فقال أبو نعيم الأصبهاني: أسند نيّفاً وثلاثين حديثاً بمراسيلها، وقال ابن البَرْقي: الذي حُفظ لنا عنه نحوٌ من عشرين بمراسيلها.

وأخرج له أحمد عشرين حديثاً، منها في «الصحيحين» تسعة أحاديث، المتَّفق عليه منها اثنان، وباقيها للبخاري[(٢)].

وروى عن الزبير أبناؤه: عبد الله وعُروة وجعفر، ومالك بن أوس بن الحَدَثان، والأحنف بنُ قيس، وعبد الله بن عامر بن كُرَيز، ومسلم بن جُندب الهُذَلي في آخرين، وكان الزبير قليلَ الحديث عن رسول الله ﷺ، لا يُحدّث إلا في الأحيان.

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبد الله قال: قلتُ لأبي: مالك لا تُحدّث عن رسول الله ﷺ كما يُحدّث ابن مسعود وفلان؟ فقال: أما إني لم أُفارقه منذ أسلمتُ، ولكنني سمعتُه يقول: «من كذب عليَّ، أو قال عليَّ ما لم أقل فليتبَوّأ مقعدَه من النار»[(٣)].

ولم يذكر في هذا الحديث: «من كذب مُتَعمّداً»، وكان الزبير يُنكر أن رسول الله ﷺ قال: متعمداً.

وقال وَهْب بن جرير في حديثه عن الزبير: والله ما قال رسول الله متعمّداً، وأنتم تقولون متعمداً[(٤)].

قلت: ولفظة: متعمداً؛ رواها عن رسول الله ﷺ مئة وعشرون من الصحابة، وقيل: نيّفٌ وستون[(٥)]، منهم العشرة المبَشَّرون، وأحاديثهم في «الصحيحين»، فيحتمل أن

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٣.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٦، ٣٩٢.
(٣) مسند أحمد (١٤٢٨).
(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٩.
(٥) انظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٤، ولقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٢٦١.

الزبير لم يَسمعها من رسول الله ﷺ، فخاف أن يُحدِّث ما لم يسمعه شِفاهاً، وإن كان قد سمعه من الصحابة، وهذا دليلٌ على كمال وَرَعه.

وقال أبو سليمان الخطّابي: في الحديث من الفقه أنه لا يجوز للرجل أن يُحدّث عن النبي ﷺ بالشك وغالب الظن.

ومن مسانيد الزبير: قال أحمد بإسناده عن غَيلان بن جَرير، عن مُطرِّف قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم، ضيَّعتُم الخليفةَ حتى قُتل، ثم جئتم تَطلبون بدمه؟! فقال الزبير: إنا قرأنا على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥] لم نكن نَحسِبُ أنّا أهلُها حتى وقعتْ منّا حيث وقعتْ[١].

انتهت ترجمة الزبير بن العوام.

وفيها توفي

زيد بن صُوحان

ابن صَبِرة بن حِدرجان العَبدي[٢]، من عبد القيس، وكُنيته أبو سَلمان، وقيل: أبو عائشة، وقيل: أبو مسلم وقيل: أبو عبد الله.

له وِفادةٌ على رسول الله ﷺ، وكان من جُملة الذين سيَّرهم عثمان من الكوفة إلى الشام، وردَّه معاوية إلى الكوفة من دمشق. وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، ممن روى عن عمر وعلي[٣]، وكان من خواص علي، وهو أخو صَعصَعة بن صُوحان لأبيه وأمه.

وكان زيد من الصُّوَّام القُوَّام، وقد ذكره رسول الله ﷺ، فقال ابن سعد بإسناده عن عُبيد بن لاحِق قال: كان رسول الله ﷺ في سَفر، فنزل رجلٌ من القوم فساق بهم ورَجَز، ثم نزل آخر، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسي أصحابَه، فنزل وجعل يقول:

---

(١) مسند أحمد (١٤١٤).

(٢) نسبه في مصادر ترجمته: زيد بن صوحان بن حُجر بن الحارث بن الهِجْرِس بن صبرة...

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٣.

جُنْدَب وما جندب والأقطعُ الخير زيد

فقيل له في ذلك فقال: «رجلان يكونان في هذه الأمة، يَضرب أحدُهما ضَربةً يُفرّق بها بين الحق والباطل، والآخر تُقطع يدُه في سبيل الله، ثم يُتْبعُ الله آخرَ جسده أوّلَه».

قال الأَجْلح: فأما جُندب فهو الذي قَتل الساحرَ عند الوليد بن عُقبة، وأما زيد فقُطعت يدُه يوم جَلولاء، وقيل: يوم نَهاوَند، وقُتِل يوم الجمل[١].

وكان عمر بن الخطاب يُعَظِّم زيد بنَ صُوحان، فقال ابن سعد بإسناده عن حماد بن سلمة، عن أبي التَّيَّاح، [عن عبد الله بن أبي الهُذيل]: أن وَفْدَ الكوفة قدموا على عمر ابن الخطاب، فأثنى عليهم، وقام فجعل يُرَحِّل لزيد بن صُوحان ويقول: يا أهلَ الكوفة، هكذا فاصنعوا بزيد وإلا عَذَّبتُكم.

وفي رواية عن حماد بن سلمة قال: لما ركب زيد أخذ عمر بن الخطاب برِكابه وقال: هكذا فاصنعوا بزيد وبإخوته.

وروى ابن سعد بإسناده عن سلمان الفارسي أنه كان يقول لزيد بن صُوحان يوم الجمعة: قم فذكِّر قومَك[٢].

وقال ابن عبد البر[٣]: كان زيد فاضلاً، سيّداً في قومه، وكان مؤاخياً لسلمان الفارسي، ومن حُبّه له كَنّى نفسه أبا سلمان.

وقال الواقدي: وقد رُوي في حديث علي عليه السلام، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن سَرَّه أن يَنظر إلى رجلٍ يَسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة بعشرين سنة فلينظر إلى زيد بن صُوحان»[٤].

قال: وقُطعت يدُ زيد بنهاوند في سبيل الله، وعاش بعد ذلك عشرين سنة، ثم قُتل يوم الجمل.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٣-٢٤٤ ، والأجلح هو الراوي عن عُبيد بن لاحق.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٤-٢٤٥ .

(٣) في الاستيعاب (٨١٧).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٤٤٠ .

قال: والأحاديث الواردة في هذا الباب من معجزات نبينا ﷺ؛ فإنه أخبر بما يكون قبل وجوده.

وقال ابن سعد بإسناده عن حميد بن هلال قال: قام زيد بن صُوحان إلى عثمان بن عفان وقال له: مِلتَ فمالت أُمَّتُك، فاعتدِلْ تعتدل الأمة ـ قالها ثلاثاً ـ فقال له عثمان: أسامعٌ مُطيعٌ أنت؟ قال: نعم، قال: فالحق بالشام، قال: فخرج من فَوره ذلك، فطلَّق امرأتَه، ثم لحق بحيث أمَره، وكانوا يَرون الطاعةَ عليهم حقاً[(١)].

وروى أبو بكر الخطيب بإسناده، عن حميد بن هلال قال: كان زيد يصوم النهار ويَقوم الليل، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، وبلغ سلمان فأتى منزلَه، فسأل عنه، فقالت امرأتُه: ليس ها هنا، فقال لها: اصنَعي طعاماً، فصنعت وأمرها فلَبستْ أفخرَ ثيابها، وبعث إلى زيد فجاء، فقال: قَدِّمي الطعام، فقال زيد: أنا صائم، فقال: كُلْ، فقال: إن لنَفْسك عليك حقاً... وذكر الحديث، وقال: فإن شرَّ السَّيرِ الحَقْحَقَة، فأكل زيد، ونال من امرأته، وترك ما كان يصنع[(٢)].

الحقحقة: أرفع السَّير وأتعبُه، وقد ذكره الجوهري، وقيل: هو السيرُ أول الليل، وقد نُهي عنه[(٣)].

ذكر مقتله:

قال أبو نعيم بإسناده عن يزيد بن هارون قال: قال زيد بن صُوحان لأصحابه ليلة الجمل: رأيتُ في منامي يداً أُخرجت من السماء؛ تُشير إليّ أن تَعال، وأنا غداً مَقتول لا مَحالة، فادفنوني في ثيابي، فقُتل صَبيحة ذلك اليوم.

وروى ابن سعد عن أبي معشر قال: قيل لزيد بن صُوحان يوم الجمل وهو جَريح: أبشر يا أبا عائشة، فقال: أتيناهم في ديارهم، وقتلْنا أميرَهم، وعثمان على الطريق، ثم قالوا: لا تَغسلوا عني دماً، ولا تنزِعوا عني ثوباً إلا الخُفّين فإني رجلٌ مُخاصَم أُحاجُّ غداً.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٥.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٧، والمنتظم ٥/ ١١٠-١١١.

(٣) الصحاح: (حقق).

وفي رواية ابن سعد: وادفِنوا معي مُصحفي، وابنَ أبي سَيحان بن صُوحان، يعني أخاه، وكان قُتل في ذلك اليوم، فدُفِنا في قبرٍ واحد(١).

وقال الواقدي: قُتل زيد يوم الجمل، قتله عمرو بنُ يَثْرِبي، وقُتل معه أخوه سَيحان ابن صُوحان، وبلغ عائشة فتأسّفت عليه وقالت: رحمه الله.

قال: وكانوا ثلاثة إخوة: زيد وصعصعة وسَيحان بنو صُوحان.

وقال ابن قتيبة: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «زيد الخير الأجذم، وجندب ما جندب»(٢)، وذكر بمعنى ما تقدّم.

واختلفوا في مسانيد زيد، فقال ابن عبد البر: لا أعلم له رواية عن رسول الله ﷺ، وإنما أدركه، وكان سيداً في قومه(٣).

وذكره جدي رحمه الله في «التلقيح»(٤) في الصحابة وقال: زيد بن صُوحان أبو عائشة، وقيل: أبو سلمان العبدي، ولم يذكره فيمن له رواية.

وقال ابن سعد: كان زيد ثقةً قليل الحديث(٥).

وقد روى زيد عن عمر وعلي وسلمان، وروى عنه أبو وائل وسالم بن أبي الجعد والعَيْزار بن حُريث في آخرين، وله مع عبد الله بن عامر بن كُريز والي البصرة حكاية.

قال أبو نُعيم بإسناده عن الحسن ـ وقد رواها ابنُ المبارك ـ قال: عَمد زيد بن صوحان إلى رجالٍ من أهل البصرة، قد تفرَّغوا للعبادة، وليست لهم تجارات ولا غَلّات، فبنى لهم داراً وأسكنهم فيها، وجعل عليهم ما يَقوم بمصالحهم من مَطعَم ومَشرَب ومَلبَس وغيره، فجاء في بعض الأيام يزورُهم فلم يَجدهم، فسأل عنهم، فقيل له: دعاهم عبد الله بن عامر ـ عاملُ البصرة في أيام عثمان.

فخرج مُسرعاً حتى دخل على ابن عامر وهم عنده، فقال: يا ابن عامر، ما تُريد من

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٥ـ٢٤٦ .
(٢) المعارف ٤٠٢ .
(٣) الاستيعاب (٨١٧).
(٤) ص ١٩٤ .
(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٦ .

هؤلاء القوم؟ فقال: أريد أن أُقرِّبهم، فيَشفعوا فأُشَفِّعَهم، ويَسألوا فأُعطيَهم، ويُشيروا عليَّ فأقبلَ منهم، فقال: لا ولا كَرامة، تأتي إلى قومٍ قد انقطعوا إلى الله تُدَنِّسهم بدُنياك، وتُشركهم في أمرك، حتى إذا ذهبت أديانُهم أعرضتَ عنهم؛ فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة، قوموا فارجعوا إلى مواضعكم، فقاموا وأُسكتَ ابنُ عامر فما نطق بلفظة.

وفي رواية ابن المبارك: فلما دخل زيد على ابن عامر، وقال له ما قال؛ قال زيد: كلا والله، لا أَدعك تُهيل عليهم من دُنياك وتُشركهم في أمرك، وتُذيقُهم حلاوةَ ما أنت فيه، حتى [إذا] انقطعت شِرَّتُك منهم تركتَهم، فطاحوا بينك وبين ربهم(١).

وفيها تُوفِّي

شُرَحبيل بن السِّمط

ابن شُرَحْبيل بن الأسود الكِندي، وكُنيته أبو السّمط، وقيل: أبو يزيد.

وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة فيمن وَفد إلى رسول الله ﷺ، ونَسبه فقال: شُرحبيل بن السِّمط بن شرحبيل بن الأسود(٢) بن جَبَلة بن عَديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، جاهلي إسلامي، وَفد إلى رسول الله ﷺ، وشهد القادسية، وافتتح حمص، وقسمها منازل في أيام عثمان بن عفان.

وقال البخاري: بعثه عمر بن الخطاب على جيش، وقدم مصر لغزو المغرب، وله صُحبة(٣).

وقال هشام: قاتلَ أهلَ الرِّدَّة، وكان على ميمنة سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، وقال غيره: على مَيسرته.

وقال أبو القاسم بن عساكر: قال عبد الله بن المبارك: استعمل عمر بن الخطاب

---

(١) أخرج ابن عساكر ٦/ ٦٣٦ (مخطوط) رواية ابن المبارك. وانظر في ترجمة زيد إضافة للمصادر السابقة: السير ٣/ ٥٢٥، والإصابة ١/ ٥٨٢.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨: شرحبيل بن السمط بن الأسود.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٨-٢٤٩ دون قوله: وقدم مصر لغزو المغرب.

شُرَحبيل على المدائن، وكان أبوه السِّمط بالشام، فكتب أبوه إلى عمر: إنك تأمُرنا أن لا نُفَرِّق بين السبايا وأولادِهن، وقد فرَّقتَ بيني وبين وَلدي، فكتب عمر إلى شرحبيل أن الحق بأبيك، فألحقه به.

قال: وقال خليفة: أقام شُرَحبيل والياً على حمص عشرين سنة.

قال: وقال وكيع: نزل شُرحبيل الشام، فغزا أرضَ الرّوم، فقال للجيش: قد نزلتم بأرضٍ فيها نساء وشَراب، فمَن أصاب منكم حدّاً فليأتِنا نُطَهِّرْه، فبلغ عمر، فكتب إليه: لا أُمَّ لك، تأمُرُ قوماً ستر الله عليهم أن يَهتكوا سِترَه عليهم، لا تتأمَّر بعدها على اثنين(١).

وقال البلاذري: أكرم سعد بن أبي وقاص شُرحبيل، وفَضَّله على الأشعث بن قيس الكِندي، فغضبت لذلك كندة(٢).

وقال هشام: كان شُرَحبيل سيداً شريفاً، استقدمه معاوية إلى دمشق ليستشيره في قتال أمير المؤمنين.

ذكر وفاته:

قال أبو نُعيم: مات في سنة ثلاث وثلاثين.

وقال البخاري: مات بسَلَمية في سنة ست وثلاثين، وصلى عليه حبيب بن مَسلَمة(٣).

وقال ابن عبد البر: مات بحمص(٤).

وقد أنكر قومٌ أن يكون له صحبة، وليس بصحيح، ذكره جدي في «التلقيح» في الصحابة وقال: قال البخاري: له صحبة(٥).

وقد ذكرنا مَن اسمُه شُرحبيل في ترجمة شُرَحبيل بن حَسَنة في سنة [ثمان عشرة](٦).

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٢٥ (مخطوط).

(٢) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٩-١١٠ .

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٨ وفيه: مات بحمص...

(٤) الاستيعاب (١١٥٥).

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٠٧ .

(٦) أسقط المختصر مَن اسمه شرحبيل في ترجمة شرحبيل بن حسنة سنة (١٨هـ).

روى شُرحبيل عن عمر، وعلي، وسلمان، وعُبادة بن الصامت، وعمرو بن عَبَسة وغيرهم.

وروى عنه خالد بن مَعدان، وجُبير بن نُفَير، وسالم بن أبي الجَعْد وغيرهم، وليس له رواية عن رسول الله ﷺ(١).

وفيها تُوفي

صَعصَعة بن صُوحان

وهو أخو زيد بن صُوحان، وكُنيتُه أبو عمرو، وقيل: أبو طلحة، وقيل: أبو عكرمة.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين، وكان خطيباً، شهد الجمل وصفّين مع أمير المؤمنين، وكان أميراً على عبد القيس، واختطَّ بالكوفة(٢)، ونفاه عثمان من الكوفة إلى الشام مع المسيَّرِين لما أنكروا عليه.

وذكره ابن عبد البر، وأثنى عليه وقال: كان مسلماً على عهد النبي ﷺ ولم يَره، وكان من سادات عبد القيس، فصيحاً عاقلاً لَسِناً خطيباً ديّناً فاضلاً بليغاً، لم يكن في زمانه أخطبُ منه.

قال له عمر بن الخطاب: أنت منّي وأنا منك، وسببه أن عمر أُتي بمال مَبلغُه ألف ألف درهم، فقسمه، فبقيت منه بقيّة، فقال عمر: ما تقولون فيها؟ فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين إنما تُشاور فيما لم يَنزل فيه قرآن، أما إذا نزل فضَعْه في مَواضعه التي وَضعه الله فيها، فأُعجب به عمر وقال: صدقتَ أنت منّي وأنا منك(٣).

وقال أبو القاسم بن عساكر: أنكر على عثمان وهو على المنبر، وذكر بمعنى ما ذكرناه عن أخيه زيد، وأنه خرج إلى الشام، فلما قدم دمشق أنزله معاوية داراً(٤).

---

(١) انظر تهذيب الكمال (٢٧١٦) والمصادر فيه، والإصابة ٢/ ١٤٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٠ـ٣٤١ .

(٣) الاستيعاب (١٢٢٣).

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٣٠٦ (مخطوط).

وقال هشام: مرض فعاده عمر، وقال له: والله إنك فيما علمتُ لخفيف المؤونة، حسن المعونة.

وحكى ابن عساكر عن زُرارة بن أبي أوْفى: أن معاوية خطب فقال: نحن أحقُّ بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله ﷺ وبيضته التي انفلقت عنه، فناداه صَعصعة: وأين بنو هاشم؟ فقال: نحن أَسوَسُ للمُلْك منهم، وهم خيرٌ منا.

ثم قال معاوية: أنا لكم جُنَّة، فقال صعصعة: فإن احترقت فكيف تَصنع؟ فقال معاوية: هذا ترابي، من التُّراب خُلقتُ وإلى التراب أصير.

ثم قال معاوية: لو وَلد أبو سفيان الناسَ كلّهم لكانوا أكياساً، فقال صَعصعة: فقد وَلد الناسَ كلَّهم من هو خير من أبي سفيان وهو آدم، ومنهم الكَيّس والأحمق[١].

وحكى ابن عساكر أيضاً عن زُرارة قال: قدم صَعصعة في وَفد العراق على معاوية، فقال لهم: قدمتُم أرضاً بها قبورُ الأنبياء، فقال صَعصعة: مَن مات بها من الفراعنة أكثر مَن مات من الأنبياء، فقال له معاوية: اسكُتْ لا أرضَ لك، فقال: ولا لك يا معاوية، إن الأرض لله يُورثها مَن يشاء من عباده، فقال معاوية: لقد كنتُ أُبغِضُ أن أراك خطيباً، فقال صعصعة: وأنا والله لقد كنت أبغض أن أراك خليفة.

وبهذه الروايات يَحتجُّ ابنُ سعد أن صعصعة مات أيام معاوية،فإنه قال: شهد صعصعة الجمل هو وأخوه زيد وسَيحان، فلما قُتل أخواه أخذ الراية بيده، قال: وتوفي بالكوفة في أيام معاوية، وروى عن علي وعبد الله بن عباس[٢].

وروى عنه أبو إسحاق السَّبيعي، والمِنهال بن عمرو، وعبد الله بن بُريدة وغيرهم.

وقال البخاري: مات صعصعة في أيام يزيد بن معاوية[٣].

وقال الواقدي: مات سنة ست وثلاثين.

ومن فَصاحته ما حكاه أبو القاسم بن عساكر، عن محمد بن سلام قال: مَرَّ صَعصعة

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٠_٣٤١.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٣١٩.

بقوم وهو يُريد مكة، فقالوا: من أين أقبلت؟ فقال: من الفَجِّ العَميق، قالوا: فأين تُريد؟ قال: البيتَ العَتيق، قالوا: فهل كان من مَطَر؟ قال: نعم، عَفّى الأَثَر، وأنضر الشَّجَر، ودَهْدَه الحَجَر، قالوا: فأي آية في كتاب الله أحكم؟ فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝﴾ الآية [الزلزلة: ٧][١].

وفيها توفي

صفوان بن أمية

ابن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح. قال ابن منده: واسم جمح تيم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤيّ بن غالب.

وأُمُّه صَفيّة بنت معمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافه بن جُمَح، كذا ذكر ابن سعد[٢]، وقد اختلفوا فيها:

فقال أبو اليقظان: أمُّه صَفيَّة بنت عُمير من بني جُمَح.

وقال ابن البَرْقي: هي أُنيسة بنت معمر بن حَبيب، جُمحيّة.

قال ابن سعد: أسلم صفوان بحُنين، وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلَّفة قلوبُهم.

وحكى ابن سعد، عن ابن المسيّب، عن صفوان قال: لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حُنين وإنه لمن أبغض الناس إليّ، فمازال يُعطيني حتى إنه لمن أحبِّ الناس إليّ[٣].

وقال هشام: قُتل أبوه أمية يوم بدر كافراً، وقتل رسول الله ﷺ عمَّه أبيَّ بن خَلَف يوم أحد كافراً، وقد ذكرنا أنه هرب يوم فتح مكة ولم يُسلم، وبعث إليه رسول الله ﷺ بردائه مع ابن عمِّه وَهب بن عُمير، فعاد إلى مكة وقال: أجِّلني يا محمد شهراً، فأجَّله شهرين وأكثر، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وهو كافر، ثم أسلم بعد ذلك.

وذكره ابن سعد فيمن نزل مكة من الصحابة[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٤ (مخطوط).

(٢) في طبقاته ٦/ ١٠٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١١٢ و٨/ ١١.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠.

وقال ابن منده: شهد صفوان حُنيناً والطائف وهو على دينه، واستعار منه رسول الله ﷺ دروعاً يوم الفتح عند خروجه إلى حنين، وقال: أغَصباً يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل عاريّة مُؤدّاة».

وأخرجه أحمد في «المسند»[١] وفيه: فضاع بعضها، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يَضمنها، فقال: يا رسول الله، أنا اليوم في الإسلام أرغب، وقد ذكرناه.

وكانت امرأتُه البَغُوم بنت الوليد بن المغيرة، وقيل: بنت المعَذّل كنانية، قد أسلمت قبله يوم الفتح، ثم أسلم بعدها بشهر[٢]، وهل ردّها رسول الله ﷺ بنكاح جديد أم بالنكاح الأول؟ فيه قولان.

وأقام بمكة، فقيل له: لا إسلامَ لمن لم يُهاجر، فقدم المدينة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «عَزمتُ عليك يا أبا وهب لما رجعتَ إلى أباطح مكة»، فرجع إلى مكة، فأقام بها حتى مات[٣].

وقد أخرج أحمد في «المسند» بمعناه فقال: حدثنا رَوْح بإسناده، عن الزهري، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، عن أبيه:

أن صفوان بن أُميّة قيل له: هَلك مَن لم يهاجر، فقال: لا أصِلُ إلى أهلي حتى أسألَ النبي ﷺ، قال: فركبتُ راحلتي، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، زعموا أنه هَلك مَن لم يُهاجر، قال: «كلا أبا وَهْب، فارجع إلى أباطِح مكة». قال: فبينما أنا راقدٌ إذ جاء سارق، فأخذ ثوبي من تحت رأسي، فأدركتُه، فأتيتُ به رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا سرق ثوبي، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقطَع، قال: فقلتُ: ما أردتُ هذا يا رسول الله، هو عليه صَدقة، فقال: «هلّا قبل أن تأتيَني به»[٤].

وفي رواية: فأُخرج ليُقطع، فتغيَّر وجهُ النبي ﷺ، فقال صفوان: كأنه قد شَقَّ عليك، قد وهَبتُه منه، فأمر بقَطعه.

---

(١) (١٥٣٠٢).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٨١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١١ .

(٤) مسند أحمد (١٥٣٠٣).

وفي رواية: أنه كان نائماً في المسجد.

وبهذا الحديث يَحتجُّ زفر والشافعي وأحمد؛ بأن السارق إذا مَلك المسروق بالهِبة ونحوِها بعد القضاء قبلَ الإمضاء أنه لا يَسقط الحدُّ، وعن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد يَسقط قياساً على ما إذا مَلكه قبل الخصومة والدعوى، فأورث ذلك شُبهةً في دَرْءِ الحدِّ(١).

وقال هشام بن محمد، عن أبيه: لما قدم صفوان المدينة قال له رسول الله ﷺ: «أين نزلتَ، أو على مَن نزلت؟» فقال: على العباس، قال: «أبَرُّ قُريش بقُريش»، قال: يا رسول الله، بلغني كذا وكذا، فقال له رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة، أقسمتُ عليك أبا وَهْب لما رجعتَ إلى أباطحِ مكة».

وقال الواقدي: لم يَغزُ صفوان.

وقال الترمذي: لعن رسول الله ﷺ صفوان بن أمية، وأبا سفيان بن حَرْب، والحارث بنَ هشام، وسُهيل بنَ عمرو في القنوت، فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية(٢) [آل عمران: ١٢٧].

وقال محمد بن إسحاق: كان [في] صفوان ثلاثٌ من السنَّة، استعار منه رسول الله ﷺ دُروعاً فقال: أغصباً يا محمد؟ فقال: «لا، بل عارِيَة مَضمونة»، قال: فضُمنت العارية حتى تُؤدى إلى أهلها.

وقدم المدينة بعد الفتح، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكة»، فعرف الناس أن الهجرة قد انقطعت.

قال: ولما قدم المدينة توسَّد رداءه في مسجد رسول الله ﷺ، فجاء سارق فسرقه، فأمر بقطعه، فقال: يا رسول الله، هي له هِبةٌ، فقال: «هلا قبل أن تأتيني به»، قال: فعرف الناس أنه لابأس بالعفو عن الحدِّ ما لم ينته إلى الإمام(٣).

وقال الواقدي: قَنطر صفوانُ وأبوه في الجاهلية، أي: صار لكلِّ واحدٍ منهما قِنطار

(١) انظر الاستذكار ٢٤/ ١٨٢ـ١٨٤، والمغني ١٢/ ٤٥١ـ٤٥٢.

(٢) سنن الترمذي (٣٠٠٤) و(٣٠٠٥) من حديث ابن عمر ﵄.

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ٣٢٣ (مخطوط).

من الذهب والفضة.

وذكره الموفق رحمه الله تعالى في «الأنساب» فقال: صفوان بن أمية، قُتل أبوه أمية وأخوه ببدر كافرين، وكان صفوان أحدَ أشراف قريش، وإليه كانت الأيْسار وهي الأزلام، وكان أحد المطعِمين، وكان يُقال له: سيّد البَطحاء، وكان من أفصح قريش لساناً، قال: وصفوان أحد العشرة من عشرة بطون؛ الذين انتهى إليهم الشَّرفُ في الجاهلية، ووَصَله لهم الإسلام[(١)].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها؛ أما ابن سعد فحكى عن الواقدي: أن صفوان لما رجع من المدينة إلى مكة وقد سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة، أقام بها فلم يزل بها حتى مات أيام خرج الناس إلى الجمل، وذلك في شوال سنة ستٍّ وثلاثين، وكان يُحرّض الناسَ على الخروج إلى الجمل[(٢)].

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: مات في سنة اثنتين وأربعين، هو وحبيب بن مَسلمة وعثمان بن طلحة[(٣)].

وقال الهيثم: سنة أربعين.

وقال جدي في «المنتظم»[(٤)] عن الواقدي: أنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان.

والأوّل أثبت، وقد حكاه الزبير بن بكّار فقال: جاء نَعْيُ عثمان بن عفان حين سُوِّي على صفوان بن أمية، وجاء نَعي أبي بكر رضي الله عنه حين سُوِّي على عَتَّاب بن أسيد بمكة.

وذكره ابن عساكر فقال: شهد اليرموك أميراً على كُردوس، ووَفد على معاوية، فأقطعه الزِّقاق المعروف بزِقاق صفوان.

قال: وقال خليفة: مات سنة اثنتين وأربعين[(٥)].

(١) التبيين ٤٥٢_٤٥٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ١١.

(٣) التبيين ٤٥٤ دون قوله: هو وحبيب...

(٤) ٥/ ١٨٩.

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٦، ٣٢٧ (مخطوط).

أسند صفوان الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخرج له أحمد خمسة أحاديث، منها حديث أخرجه مسلم، وهو قوله: فمازال يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليّ[(١)].

وروى عنه ابنه عبد الله بن صفوان، وابن أخيه حُميد، وابن المسيّب، وطاوس، وعطاء في آخرين[(٢)].

ذكر أولاد صفوان:

ذكرهم الموفق رحمه الله، وذكرهم الزبير بن بكار فقال: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعبد الرحمن الأكبر والأصغر، وحكيم، وخالد، وعمرو، وأبو عمرو.

قال الزبير: فأما عبد الله الأكبر فإن المهَلَّب بن أبي صُفْرة وَفد على عبد الله بن الزبير، فأطال الخَلوةَ معه، فجاء عبد الله بن صفوان فقال: مَن هذا الذي شَغلَك منذ اليوم؟ فقال ابن الزبير: هذا سيِّد العرب بالعراق، فقال: يَنبغي أن يكون المهلَّب، قال: نعم، وقال المهلب لابن الزبير: مَن هذا الذي يَسألُك عني؟ فقال: هذا سيد قريش بمكة، فقال: ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان، قال: نعم.

وكان عبد الله يُقوِّي أمرَ ابن الزبير بمكة، ولما تَفرَّق الناسُ عن ابن الزبير قال ابن الزبير لابن صفوان: اطلب منهم الأمان، فقد أقلتُك بَيعتي، فقال له ابن صفوان: والله ما قاتلتُ معك للدنيا، وإنما قاتلتُ عن دِيني، فقُتل ابنُ صفوان وهو مُتعلِّقٌ بأستار الكعبة.

وابنه عمرو بن عبد الله بن صفوان أحد المطعِمين بمكة، وكان من وُجوه قُريش، وفيه يقول الشاعر: [من البسيط]

لو كنتَ عمرو بن عبد الله لم تَزِدِ ... تمشي تَبختَرُ حول البيت مُنْتحياً

قال الزبير: وسأل معاوية يوماً فقال: مَن يُطعم الناسَ بمكة من قريش؟ فقيل له: عمرو بن عبد الله بن صفوان، فقال: بَخٍ بخ، تلك نارٌ لا تَطْفأ.

قال: ومن ولد عبد الله بن صفوان: صفوان بن عبد الله، روى عنه الزهري.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣١٣).

(٢) انظر في ترجمة صفوان إضافة لما ذكر من المصادر: نسب قريش ٣٨٨، والاستيعاب (١٢٠١)، وأنساب الأشراف ٩/ ٦، والسير ٢/ ٥٦٢، والإصابة ٢/ ١٨٧.

وأما عبد الله الأصغر بن صفوان فكان من المطعِمين أيضاً، وكان سيداً، قال الزبير: وَفد على معاوية، وكانت أمُّ حَبيب بنت أبي سفيان أختُ معاوية أمَّ عبد الرحمن ابن صفوان بن أمية، وكان معاوية يُقدّم عبد الله بن صفوان على أخيه عبد الرحمن بن صفوان، فلامتْه أمُّ حبيب في تقديم عبد الله على ابنها فقال: سوف تَرَيْن، واستدعى ابنَها عبد الرحمن وهي حاضرة، فقال له: ما حاجتُك؟ فذكر ديناً وحوائجَ لنفسه، فقضاها، ثم أذِن لأخيه عبد الله بن صفوان فدخل، فقال: ارفع إليَّ حوائجَك، فقال: تُخرِج العطاء، وتنظُر في أحوال المنقَطِعين فتفرض لهم، وتنظر في أبناء المهاجرين والأنصار، وتفعل وتفعل، فقال: فهلُمَّ حوائجَك، فغضب وقال: وأيّ حاجةٍ لي إليك غير هذا وأشباهِه، وقد علمتَ أني أغنى قريش، ثم قام وخرج، فقال معاوية لأُخته: كيف رأيتِ؟ فقالت: أنت أعرف بقومك.

وعبد الرحمن الأكبر هو الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه استعار من أبيه أدراعاً.

وأما حكيم بن صفوان بن أُمية فابنُه يحيى بن حكيم، ولي مكة ليزيد بن معاوية، وكان ابن الزبير بها، فلم يَعرض له يحيى، فعزله يزيد وولّى الحارث، فمنعه ابن الزبير الصلاة(١).

قلت: وقد روى ابن أبي الدنيا عن صفوان بن أمية حكاية فقال حُدّثتُ عن سعيد بن محمد الجَرمي بإسناده، عن الشعبي قال: كان صفوان بن أمية ببعض المقابر، فإذا شُعَل نيرانٍ قد أقبلت ومعها جنازة، فلما دَنَوا من المقبرة قال: انظروا قبرَ كذا وكذا، قال: وسمع رجلٌ صوتاً من القبر حزيناً مُوجَعاً يقول: [من الخفيف]:

أنعَمَ اللهُ بالظَّعينةِ عَينا ... وبمَسْراكِ يا أُمَينَ إلينا

جَزعاً ما جَزِعْتُ من ظُلمةِ القبْـ ... ـرِ ومن مَسِّك التُّراب أمينا

قال: فأخبر القومَ بما سمع، فبكوا حتى أخضَلوا لِحاهم، ثم قالوا: هل تَدري من أُمَينة؟ قلت: لا، قالوا: صاحبةُ هذا السَّرير، هذه أختها ماتت عامَ أوّل، فقال صفوان: قد علمتُ أن الميت لا يَتكلّم، فمن أين هذا الصَّوت(٢).

---

(١) نسب قريش ٣٨٩-٣٩١، والتبيين ٤٥٤-٤٥٦.

(٢) هواتف الجنّان (٥٨)، وتاريخ دمشق ٨/ ٣٢٦ (مخطوط).

وفيها توفي

طلحة بن عُبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي، ويلتقي مع رسول الله ﷺ في النّسب عند مرة بن كعب.

وأمُّه الصَّعبَةُ بنت عبد الله بن عِماد بن ربيعة الحَضرميّ، أخت العلاء [بن] الحَضْرَميّ، أسلمتْ وبايعت، والحضرميُّ جدُّ طلحة لأُمِّه، وأُمُّ الصَّعبَةِ عاتكة بنت وَهب بن [عبد] قُصيّ بن كِلاب، والعلاء بن الحَضْرمي عاملُ رسول الله ﷺ على البحرين، وقد ذكرناه وذكرنا أخاه مَيمون بن الحَضرميّ، وهو الذي حفر بئر مَيْمون بأعلا مكة، فنُسب إليه فقيل: بئر ميمون.

ذكر صفته: قال علماء السِّير: كان آدمَ، كثيرَ الشَّعر، ليس بالجَعْدِ القَطَط، ولا بالسّبط، حَسَنَ الوجه، دقيق العِرنين، إذا مشى أسرع، وكان لا يُغيِّر شيبَه.

وقال موسى بن طلحة: كان أبيض يضرب إلى الحمرة، مَربوعاً، عَريضَ الصَّدرِ والمنكِبَين، لا أخمصَ لقدميه، ويُسمَّى الأَرْوَح.

وقال الفضل بن دُكين: كان في يده خاتمُ ذهبٍ فيه ياقوتةٌ حمراء، وقُتل وهو في يده.

وروى ابن سعد عنه أنه كان يَلبَس المعَصفَرات.

قال: ورأى عليه يوماً عمر بن الخطاب ثوبَين مَصبوغَين بمِشْقٍ وهو مُحرِم، فقال: ما هذا يا طلحة؟ فقال: إنما صَبغناه بمَدَر، فقال عمر: إنكم أيها الرَّهْط أئمّةٌ يَقتدي بكم الناس، ولو أن جاهلاً رأى عليك هذين الثوبين لقال: هذا طلحة يَلبس الثيابَ المصبَّغةَ وهو مُحرم، وإن أحسن ما يَلبس المحرِمِ البياض، فلا تُلبسوا على الناس.

ذكر إسلامه:

قال ابن سعد بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرتُ سوقَ بُصرى، فإذا راهبٌ في صومعته يقول: اسألوا أهلَ هذا الموسم، أفيهم من أهل الحرم أحدٌ؟ قال طلحة: فقلتُ: نعم أنا، قال: هل ظهر أحمد بعدُ؟ قلت: ومَن أحمد؟ قال: ابنُ عبد الله بن عبد المطّلب، هذا شهرُه الذي يَخرج فيه، وهو آخر

الأنبياء، ومَخرجُه من الحرم، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ وسِباخ، فإياك أن تُسبَق إليه.

قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجتُ سريعاً حتى قدمتُ مكة، فقلتُ: هل كان من حَدَثٍ؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبَّأ، وقد تَبعه ابنُ أبي قُحافة.

قال: فخرجتُ حتى دخلتُ على أبي بكر، فقلت: أتبعتَ هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطَلِقْ إليه، فادخُل عليه فاتَّبِعْه، فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الرّاهب، فخرج أبو بكر وطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحةُ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسُرَّ النبي ﷺ بذلك.

فلما أسلم طلحة وأبو بكر أخذهما نَوفل بن خُوَيْلد بن العَدَويَّة، فشَدَّهما في حَبلٍ واحدٍ، ولم يَمنعهما بنو تَيم، وكان نوفل بن خُويلد يُدْعى أسدَ قريش، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة القَرينَين[١].

قلت: [وغير] ابن سعد يقول: الذي[٢] أوثقهما عثمان بن عُبيد الله أخو طلحة. قال: وكان لطلحة أخوان: عثمان ومالك، وكان لعثمان قَدْرٌ في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدَّم.

ذكر جملة من مناقبه وأخباره:

قال علماء السّير: طلحة من الطبقة الأولى من المهاجرين، والعشرة المبشَّرين، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام من المؤمنين، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الذين كانوا مع رسول الله ﷺ لما تحرَّك بهم الجبل، وأحد الذين عُذِّبوا في الإسلام. وشهد أحداً والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ، ووَقاه بنفسه يوم أحد، ولم يَمنعه من شهود بدر إلا أن رسول الله ﷺ بعثه هو وسعيد بن زيد إلى بدر يَتحسّسان الخبر خبرَ العير، فمرَّت بهما، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فرجعا إلى المدينة، ولم يَعلما بخروجه، ثم لَقِياه عند رجوعه من بدر، فضرب لهما بسهمَيهما وأجرَيهما، فكانا

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٦-١٩٧ ، ٢٠٠-٢٠١ .

(٢) في (خ): قلت وابن سعد هو الذي أوثقهما؟! وانظر المعارف ٢٢٩ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢١٤ ، ٢٢٧، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٤٤ .

كمن شَهدها، وقد ذكرناه في غزاة بدر.

وقال الواقدي: ولما هاجر طلحة إلى المدينة نزل على أسعد بن زُرارة.

واختلفوا فيمن آخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة على قولين؛ أحدهما: بينه وبين سعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفيل، والثاني: بينه وبين أُبيّ بن كعب. حكاهما ابن سعد، عن الواقدي.

قال: وشهد طلحة مع رسول الله ﷺ أحداً، وثَبت معه يومئذ حين ولّى الناس، وبايعه على الموت، ورمى مالك بن زهير يوم أحدٍ رسولَ الله ﷺ، فاتّقى طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ، فأصاب خِنصره فشَلَّت، فقال حين أصابته الرَّميةُ: حَسِّ، فقال رسول الله ﷺ: «لو قال بسم الله لدخل الجنةَ والناسُ يَنظرون».

وفي رواية ابن سعد، عن الشعبي قال: أُصيب أنفُ النبي ﷺ ورَباعيتُه يوم أحد، فوقاه طلحة بيده، فشَلّت إصْبَعُه، وقيل: إصبعاه.

وقال ابن سعد بإسناده عن معاوية بن إسحاق، عن عائشة وأم إسحاق ابنتَي طلحة، قالتا: جُرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شَجَّةٌ مُربَّعة، وقُطع نَساه، يعني عِرق النَّسَا، وشَلَّت إصبَعُه، وغلبه الغَشيُ ورسول الله ﷺ مَشجوج في وَجهه، قد علاه الغَشيُ، وطلحة مُحتَمِلُه يَرجع القَهقرى، كلما أدركه أحدٌ من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشِّعب.

وقال ابن سعد بإسناده عن عيسى بن طلحة، قال: رجع طلحةُ يومئذٍ بخمسٍ وسبعين، أو سبع وثلاثين جِراحة، رُبِّع فيها جَبينُه، وقُطع فيها نَساه، وشَلَّت إصبَعُه التي تلي الإبهام(١).

وقال أبو نعيم بإسناده، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحدٍ قال: ذلك يومٌ كلُّه لطلحة.

قال أبو بكر: كنتُ أولَ من جاء يوم أحد، فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: عليكما، يريد طلحة، وقد نزف، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ، ثم أتينا طلحة

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٨-١٩٩ .

في بعض تلك الحِفار، فإذا به بضعٌ وسبعون ما بين طعنةٍ بُرمح، وضربةٍ بسيف، ورميةٍ بسهم، فأصلحنا شأنَه، وقد قُطعت إصبَعُه.

وقال أبو نعيم بإسناده، عن سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، عن جده [عن موسى بن طلحة، عن أبيه] طلحة قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد، صَعِد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وسَلّم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ الآية [الأحزاب:٢٣]، فقام رجل فقال: يا رسول الله، مَن هؤلاء؟ قال: وأقبلتُ وعليَّ ثوبان أخضران، فقال رسول الله ﷺ: «أيُّها السائل، هذا منهم»[(١)].

وقال ابن سعد بإسناده عن عائشة أم المؤمنين قالت: إني لفي بيتي، ورسول الله ﷺ وأصحابُه بالفِناء، وبيني وبينهم السّترُ، إذ أقبل طلحة بن عُبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سَرّه أن يَنظر إلى رجلٍ يمشي على وجه الأرض وقد قضى نَحبَه فليَنْظُر إلى طلحة»[(٢)].

وروى الموفق رحمه في «الأنساب» بمعناه، فقال: قال النبي ﷺ: «مَن أراد أن يَنظر إلى شهيدٍ يمشي على وَجه الأرض فلينظر إلى طلحة»[(٣)].

وروى أبو نعيم عن سُعدى بنت عَوف امرأةِ طلحة، قالت: دخل عليَّ طلحة يوماً مَغموماً، فقلت: ما شَأنُك؟ قال: المال عندي قد كَثُر، أو قد كَرَبَني، فقلتُ: وما عليك، اقسِمْه، فقسمه حتى ما بقي منه درهم.

قال طلحة بن يحيى: فسألتُ خازنَ طلحة: كم كان المال؟ قال أربع مئة ألف.

وروى أبو نعيم عن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبع مئة ألف، فبات أرقاً من مخافةِ ذلك المال، حتى أصبح ففرّقه[(٤)].

وقال ابن سعد بإسناده عن الحسن: أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً من عثمان بن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٧.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٠.
(٣) التبيين ٣٢١.
(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٨، ٨٩.

عفان بسبع مئة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها قال: إن رجلاً تَبيتُ هذه عنده في بيته، لا يَدري ما يَطرُقه من الله لغَرير بالله، فبات ورُسُله تختلف بها في سِكَك المدينة، حتى أسحَر وما عنده منها درهم[١].

وروى أبو نُعيم، عن سُعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف، ثم حَبسه عن الرَّواحِ إلى المسجد أن جمعتُ له بين طَرَفَي ثوبِه[٢].

وقال الموفق رحمه الله: قال أمير المؤمنين [علي في خطبته: وإني مُنيتُ بأربعة: أدهى الناس عمرو بن العاص،] وأسخى الناس طلحة، [وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة][٣].

ذكر مقتله:

واختلفوا فيه على قولين؛ أحدهما: أنه جاءه سَهْمٌ غَرْبٌ، فوقع في نَحْره فقال: وكان أمرُ الله قَدَراً مَقدوراً.

والثاني: أن مروان بنَ الحكَم رماه بسهمٍ فقتله، فقال ابن سعد بإسناده عن عَوف قال: بلغني أن مروان بن الحكم رمى طلحةَ يوم الجمل؛ وهو واقف إلى جنب عائشة بسَهْم، فأصاب ساقَه، ثم قال مروان: والله لا أطلُبُ قاتلَ عثمان بعدك أبداً، فقال طلحة لمولى له: أبغِني مكاناً أموتُ فيه، قال: لا أقدِرُ عليه، قال: هذا والله سهمٌ أرسله الله، اللهمَّ خُذْ لعثمان مني حتى تَرضى، ثم وُسِّد حجراً فمات.

وفي رواية ابن سعد أيضاً: أن طلحة قال يوم الجمل: إنّا داهَنّا في أمر عثمان، فلا نَجدُ اليوم شيئاً أمْثلَ من أن نَبذُلَ دماءنا فيه، اللهمَّ خُذ لعثمان مني اليوم حتى تَرضى.

وقال ابن سعد بإسناده عن نافع قال: كان مروان مع طلحة في الخيل، فرأى فُرجةً في دِرعِ طلحة، فرماه بسهمٍ فقتله.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨٨ .

(٣) التبيين ٣٢٢ ، وتقدم في الصفحة ١٤٠ دون ذكر عمرو بن العاص.

وفي رواية ابن سعد أيضاً: فاعتَنَق فرسَه فركض، فمات في بني تَميم، فقال: تالله ما رأيتُ مَصرَعَ شيخٍ أضيع دماءً مني.

وقال ابن سعد: أخبرني مَن سمع أبا حُباب الكلبيّ يقول: حدثني شيخ من كلبٍ قال: سمعتُ عبد الملك بنَ مروان يقول: لولا أنَّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة، ما تركتُ من ولد طلحة أحداً إلا قتلتُه بعثمان.

وقال ابن سعد بإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: رمى مروان بن الحكم طلحة يوم الجمل في رُكبَته، فجعل الدم يَغْذو يَسيلُ، فإذا أمسَكُوه استمسك، وإذا تركوه سال، فقال طلحة: والله ما بلغَتْ إلينا سهامُهم بعد، ثم قال: دَعوه فإنما هو سَهمٌ أرسله الله، فمات[1].

قلت: والأصحُّ أن مروانَ قتله، وعليه اجتماع العلماء.

قال هشام: رماه مروان بسهم فشَكَّ رُكبَته مع الفَرَس.

وقال الهيثم: لما أصاب السهمُ رُكبَته خَلَّها مع السَّرج، فامتلأ مَوزَجُه دماً، أو خُفَّه، أو جَورَبُه، فقال لمولاه: وَيْحك اردفني خلفي، وابغِني مكاناً لا أُعرف فيه، فلم أرَ اليوم شيخاً أضيعَ دماً مني، فرَدَفه مولاه، وأمسكه من خلفه، حتى انتهى به إلى دارٍ خَرِبة بالبصرة، فأنزله فيها فمات.

وكذا قال البلاذري: لما وجد مروان غُرَّةً منه رماه بسَهم، وكان أبان بن عثمان واقفاً معه، فقال له مروان: قد كفيتُك أحدَ قَتَلةِ أبيك[2].

وكذا ذكر الشيخ الموفق في «الأنساب»، وجدي رحمة الله عليهما في «التلقيح» و«الصفوة»: أن مروان قَتَلَه[3].

وقد رُوي أن غير مروان قتله، فقال ابن سعد بإسناده عن محمد الأنصاري، عن أبيه قال: جاء رجلٌ يوم الجمل فقال: ائذنوا لقاتل طلحة، قال: فسمعتُ علياً عليه السلام

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٤ .
(٢) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٦ .
(٣) التبيين ٣٢٢ ، والتلقيح ١١٤ ، وصفة الصفوة ١/ ٣٤١ .

يقول: بَشِّره ـ أو بَشِّروه ـ بالنار.

وقال ابن سعد بإسناده عن إسماعيل بن أبي خالد قال: أخبرني قيس بن أبي حازم قال: لما مات طلحة دفنوه على شَطّ الكلأ فرآه بعضُ أهله في المنام فقال: ألا تُريحوني من هذا الماء، فإنني قد غَرِقتُ؟ ثلاث مرات، فنبشوه من قبره أخضرَ كأنه السِّلْق، فنَزَفوا عنه الماء، ثم استخرجوه، فإذا ما يَلي الأرض من لحيته ووجهِه قد أكلته الأرض، فاشترَوْا داراً من دور آل أبي بَكرة، فدفنوه فيها[١].

وقال هشام: دُفن في بني سعد، في مكان يُقال له قَنْطرةُ بني قُرَّة، ثم رأته ابنتُه عائشة بنت طلحة في منامها بعد ثلاثين سنة، وهو يشكو إليها كَثرة الماء، فأرسلت فأخرجتْه أخضرَ طرياً مثلَ السِّلق، بعد أن نَزَفوا عنه الماء، ولم يَذهب منه شيءٌ سوى إصبَع واحدة، فدُفِن في دارٍ بالبصرة هي قَبرُه اليوم، وهو ظاهر يُزار، وتولّى إخراجَه عبد الرحمن بنُ سَلامة التميمي.

وقال ابن سعد عن الواقدي، عن أشياخه قالوا: قُتل طلحة يوم الجمل، وكان يوم الخميس؛ لعشر خَلَون من جُمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين[٢].

ذكر سِنِّه:

واختلفوا فيه؛ حكى ابن سعد عن الواقدي قال: كان يومَ قُتل ابنَ أربعٍ وستين سنة. وحكى أيضاً عن الواقدي: ابن اثنتين وستين سنة[٣]، وقال هشام: ابنَ ستين سنة.

ذكر أمواله:

حكى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه: أن طلحة كان يُغَلُّ له كل يوم ألفَ درهم ودانِقَين.

وفي رواية الواقدي أيضاً: أنه كان يُغَلُّ له بالعراق ما بين أربع مئة ألف إلى خمس مئة ألف، ويُغَلُّ بالسَّراة عشرة آلاف دينار، وكان لا يَدع أحداً من بني تَيْم عائلاً إلا كَفاه مُؤنتَه ومُؤنةَ عياله، وزوَّج أياماهم، وأخدَم عائلَهم، وقضى دَينَ غارِمهم، وكان يُرسل

---

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٦ ، ٢٠٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ .

إلى عائشة ﷺ كلَّ سنةٍ إذا جاءت غلَّتُه بعَشرة آلاف، ولقد قَضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم.

وروى الواقدي أيضاً بإسناده، عن موسى بن طلحة وسأله معاوية: كم ترك أبو محمد من العَين؟ فقال: ألفي ألف درهم، ومئتي ألف درهم، ومئتي ألف دينار، وكان يغلُّ كلَّ سنة من العراق مئةَ ألف، سوى غَلّاته من السَّراة وغيرها، وكان يَزرع بقَناة على عشرين ناضحاً، وأوّلُ مَن زرع القمح بقناة هو، فقال معاوية: يَرحمه الله، لقد عاش حَميداً سَخيّاً شريفاً، وقُتل فَقيداً.

وروى الواقدي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طلحة بن عُبيد الله من العقار والأموال، وما ترك من النّاضّ: ثلاثين ألف ألف درهم، وترك من العَين ألفَيْ ألف ومئتي ألف درهم ومئتي ألف دينار، والنّاضّ: النَّقد.

وروى الواقدي أيضاً، عن علي بن رَبَاح، عن عمرو بن العاص قال: حُدِّثتُ أن طلحة ترك مئةَ بُهار، في كلّ بُهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعتُ أن البُهار جِلدُ ثَور(١).

وفي رواية هشام، عن عمرو بن العاص أنه قال: إن ابنَ الصَّعْبَةِ ترك مئةَ بُهار، ويعني بابن الصَّعْبة: طلحة.

واختلفوا في البُهار، فقال الجوهري: البُهار بالضم: شيءٌ يُوزَن به، وهو ثلاث مئة رطل، قال: وقال عمرو بن العاص: إن ابن الصَّعْبة ترك مئة بُهار، وقال أبو عُبيد: البُهار في كلامهم ثلاث مئة رِطل، وأحسبها غير عربية، أُراها قِبطيّة، بالقاف(٢).

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد محمد السَّجّاد، وبه كان يُكنى، قُتل يوم الجمل في المعركة، وعِمران، وأمُّهما حَمنة بنت جَحش بن رئاث بن يَعمر، وأمها أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

---

(١) الأخبار السالفة في الطبقات ٣/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) الصحاح: (بهر). وانظر في ترجمة طلحة إضافة إلى ما ذكر: الاستيعاب (١٢٥٥)، والمنتظم ٥/ ١١١، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٣٨ (مخطوط)، والسير ١/ ٢٣، والإصابة ٢/ ٢٢٩.

وموسى بن طلحة، وأُمُّه خولة بنت القعقاع بن مَعبد بن زُرارة بن عُدَس، تميميّة، وكان يُقال للقعقاع بن معبد: تيّار الفرات لسخائه.

ويعقوب بن طلحة، وكان جَواداً، قُتل يوم الحَرَّة، وإسماعيل وإسحاق، وأمهم أم أبان بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وزكريا ويوسف وعائشة، وأمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق.

وعيسى ويحيى، وأمهما سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرِّي.

وأم إسحاق بنت طلحة، تزوجها الحسن بن علي عليه السلام، فوَلدت له طلحة، ثم توفّي عنها، فخلف عليها الحسين بن علي، فوَلدت له فاطمة، وأمُّها الجَرْباء، وهي أم الحارث بنت قَسامة بن حَنظلة، من طيىء.

والصَّعبة بنت طلحة لأُمّ وَلد، ومريم بنت طلحة، لأم ولد أيضاً.

وصالح بن طلحة دَرَج، وأُمُّه الفَرْعَة بنت علي، تَغلبيّة[١].

قلت: هذا صورة ما ذكر ابن سعد، وذكرهم الزبير بن بكار وهشام وغيرهما، فالحاصل أن الجملة أربعة عشر، منها عشرة ذكور وأربع بنات، فأما محمد فنذكره في حرف الميم من هذه السنة إن شاء الله تعالى.

وأما عِمران بن طلحة فهو أخو محمد لأمه وأبيه، وأمهما حَمنَة بنت جَحش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: فولد عمران بن طلحة: عبدَ الله، وإسحاق، ومحمداً، وحُميداً، وأُمُّهم بنتُ أوفى بن الحارث، وكان لولده وَلدٌ فانقرضوا، ولم يبق لعمران أحد[٢].

هذا صورة ما ذكر ابن سعد في طبقات التابعين من أهل المدينة، وذكر أيضاً عمران ابنَ طلحة في ترجمة أبيه طلحة، وأنه قَدم على أمير المؤمنين بعد الجمل، فقال ابن سعد بإسناده، عن أبي حَبيبة مَولى طلحة قال: دخل عِمران بن طلحة على علي عليه

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٦ .
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥ .

السلام بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحَّب به وقال: إني لأرجو أن يَجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله أعدلُ من ذلك، تقتلُهم بالأمس، وتكونون إخواناً على سُررٍ متقابِلين في الجنة؟! فقال علي: أبعد الله أرضَك وأسحقَها، فمَن إذا لم أكن أنا وطلحة؟ ثم قال لعمران: كيف أهلُك، مَن بقي من أمهات أولاد أبيك؟ أما إنا لم نَقبض أرضَكم هذه السنين ونحن نُريد أن نأخذَها، إنما أخَذناها مخافةَ أن ينتهبها الناس، يا فلان، اذهب معه إلى ابن قَرَظة، فليَدفَعْ إليه أرضَه، وغَلَّة هذه السنين، يا ابن أخي، وأتِنا في الحاجة إذا كانت لك.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن عمران لما دخل [على] عليٍّ قال له: تعال ها هنا يا ابن أخي، فأجلسه على طِنْفِسة، وقال: والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبو هذا ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ قال: ابن الكَوَّاء: الله أعْدلُ من ذلك، فقام إليه أمير المؤمنين بدِرَّتِه فضربه بها، وقال: أنت وأصحابُك تُنكرون هذا.

وفي رواية ابن سعد: إن أمير المؤمنين لما رَحّب بابن طلحة، قال له: يا أمير المؤمنين، تُرَحِّب بي وقد قتلتَ والدي، وأخذتَ مالي؟! قال: أما مالُك فهو مَعزول في بيت المال، فاغْدُ إليه فخُذْه، وأما أبوك فوالله ما قتلتُه، ولا أمرتُ بقتله، وإني أرجو أن أكون أنا وإياه من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية، فقال رجل أعور من همدان: الله أعدل من ذلك، فصاح عليّ صيحةً تداعى لها القصر وقال: وَيلَك، فمَن ذاك إذا لم نكن نحن أولئك؟

وفي رواية ابن سعد: وكان علي بالكوفة لما قدم عليه عمران، وأن القائل: الله أعدل من ذاك؛ الحارث الأعور الهَمْداني، وذكره[1].

هذا آخر كلام ابن سعد.

وقد ذكر الهيثم: أن عِمران لما دخل على أمير المؤمنين تَرحَّم على طلحة، وردَّ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ـ٢٠٦.

عليهم أموالَهم، وفرض لأُمَّهات أولاد طلحة، وأكرم عِمران، وأن علياً عليه السلام خذف الحارث الأعور لما قال: الله أعدل من ذاك، خَذفه بالدَّواة وقال: وَيْحك يا أعور، إذا لم أكن وطلحة، فأنا وأبوك لا أُمَّ لك؟!

وقال الواقدي: كان عِمران من رجالات ولد طلحة، سمع أباه، وعلياً، وأمَّه حَمْنَة بنت جَحش، وهي التي كانت تُستحاض على عهد رسول الله ﷺ فلا تَطْهر، وأختُهما لأُمِّهما زينب بنت مُصعب بن عُمير[١].

وأما موسى بن طلحة بن عُبيد الله فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: وأُمُّه خَولة بنت القعقاع [بن مَعْبد] بن زُرارة، [وكان يُقال للقعقاع:] تيّار الفرات لسخائه[٢].

ويقال: إنه وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وهو الذي سمّاه موسى، وقيل: كُنيته أبو محمد.

وكان موسى من خيار ولد طلحة، وكُنيته أبو عيسى، وكان يَخضب بالسَّواد، ويَشُدُّ أسنانَه بالذَّهب[٣].

وذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله، وقال: كان من وُجوه بني طلحة، وكانوا يُرونه المهدي في زمانه، سكن الكوفة ثم خرج منها فارّاً من المختار[٤].

وقد أشار ابن سعد إلى هذا فقال: حدثنا رَوْحُ بن عُبادة وسُليمان بن حرب قالا: حدثنا الأسود بن شيبان، حدثنا خالد بن سُمَير قال: قدم الكذّاب المختار بنُ أبي عُبَيد الكوفة، فهرب منه وُجوه أهل الكوفة، فقدموا علينا ها هنا البصرة، وفيهم موسى بن طلحة بن عُبيد الله، وكان الناس يُرونه في زمانه المهدي، قال: فغَشِيه الناسُ وكنتُ فيهم، فإذا شيخٌ طويلُ السُّكوتِ، قليلُ الكلام، طويل الحُزنِ والكآبة، إلى أن قال

(١) في (خ): وأختها لأمها زينب...، وهو خطأ، فإن زينب هي أخت محمد السجاد وعمران بن طلحة، انظر نسب قريش ٢٨١، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٩.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦١.
(٤) التبيين ٣٢٨.

يوماً: والله لأن أكون أعلمُ أنها فتنةٌ لها انقضاء؛ أحبُّ إليَّ من أن يكونَ لي كذا وكذا، فأعظم الخَطَر.

فقال رجلٌ من القوم: يا أبا محمد، ما الذي تَرهب؟ قال: أرهَبُ الهَرْجَ، قال: وما الهَرْجُ؟ قال: الذي كان أصحابُ رسول الله ﷺ يُحدِّثون أنه القَتلُ بين يدي الساعة، لا يَستقرُّ الناسُ على إمام حتى تقوم الساعة عليهم وهم كذلك، وَايْم الله، لئن كان هذا لوَدِدتُ أني على رأس جبلٍ؛ لا أسمعُ لكم صوتاً، ولا أرى لكم داعياً، حتى يأتيني داعي الله تعالى.

ثم قال: يَرحم الله أبا عبد الرحمن، يعني عبد الله بن عمر، والله إني لأحسِبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهده إليه، لم يُفتَن بعده ولم يَتغيَّر.

قال: فقلت في نفسي: إن هذا ليُزري على أبيه في مقتله.

قال ابن سعد: مات موسى بن طلحة بالكوفة، سنة ثلاث أو أربع ومئة، وصلّى عليه الصَّقْر بن عبد الله المزني، وكان عاملاً لعمر بن هُبيرة على الكوفة، قال: وكان ثقةً من أهل الدين، كثيرَ الحديث(١).

أسند موسى بن طلحة عن أبيه، وعثمان، والزبير، وأبي أيوب، وزيد بن خارجة، وأبي ذر، وحكيم بن [حِزام، وروى عنه أبو إسحاق] السَّبيعي، وسِماك بن حَرْب وغيرُهم.

قال هشام: ووَفَد على الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقال له: ما دخلتَ عليَّ إلا هَممتُ بقتلك، لولا أن أبي أخبرني أن مَروان قتل طلحة(٢).

ذكر ولدِه: قال ابن سعد: كان لموسى بن طلحة من الولد: عيسى، ومحمد، وإبراهيم، وعائشة، وقَريبة، وأُمُّهم أم حكيم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعِمران بن موسى، وأمه أم وَلد، يقال لها: جَيْداء(٣).

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: كان عبد الملك بن مروان قد وَلّى محمد بن موسى

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦١، ١٦٢ و٨/ ٣٣١.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٧٣ (مخطوط).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠.

ابن طلحة على شيءٍ من فارس، فنَفَسه الحجاج بن يوسف، فقال له: إنك تَمرٌّ وشَبيب الخارجي قريبٌ منك، فلو عدلتَ فقاتلتَه، فعسى أن يكون الفتح لك، فُزتَ بذلك.

فلما سار إلى فارس عدل إلى شبيب، فدعاه إلى البِراز، فقال له شَبيب: قد كنتَ لي جاراً بالكوفة، وأنا أكره قتلَك، فلك نفسك، ولستُ في عملك، فقال: لا بدّ، فقال له شبيب: إن الحجَّاج حسدك، فخَدعك وأراد قتلَك، فامضِ إلى عَملك، فأبى ودعاه إلى المبارزة، فقال له شبيب: أما إذا أبيت، فإني سأَنظر لك، معك جمعٌ كثير، ومعي عددٌ يَسير، فألقى القليلَ بكثيرك، ولا تَلْقَ رجلاً واحداً وحدك، فإنك لا تدري لمن الدَّبَرة، فأبى إلا مُبارزةَ شَبيب، فبارزه فقتله شبيب، وغَنم عسكرَه، وهَزم جمعَه[١].

قلت: لله درُّ شَبيب، فما كان أحزمَه وأعقلَه، وأنصفَه وأشجعَه، وما كان أسفَه رأي محمد بن موسى، وأقلَّ نظرَه لنفسه، وصح فيه المثل: أَتَتْك بحائنٍ رِجْلاه[٢].

وقال ابن سعد: كان محمد بن موسى بن طلحة على [أهل] الكوفة أيام ساروا إلى قتال أبي فُديك الخارجي.

وقال ابن سعد: وأما عائشة بنت موسى بن طلحة فتزوّجها عبد الملك بن مروان، فوَلدت له بَكّاراً، ثم خلف عليها عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[٣].

وأما عيسى بن طلحة بن عُبيد الله فكُنيتُه أبو محمد، وكان من حُلَماء قُريش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه سُعْدى بنت عَوف ابن خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المرِّي، قال: وتُوفّي عيسى في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان ثقةً كثيرَ الحديث[٤].

وقال هشام بن محمد: كان عيسى بن طلحة من ظُرَفاء قريش، سمع جاريةَ ابنِ حُمران بالمدينة تُغَنِّي لعبد الله بن مسلم: [من الطويل]

تَعالوا أعينوني على الليلِ إنه ... على كلِّ عينٍ لا تنامُ طَويلُ

فطرق عيسى باب عبد الله بن مُسلم في الليل، فأشرف عليه عبد الله وقال: ما الذي

---

(١) التبيين ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) أمثال أبي عبيد (١٠٨٢)، وجمهرة الأمثال ١/ ١١٩، ومجمع الأمثال ١/ ٢١.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٢.

جاء بك في هذا الوقت؟ فقال: سمعت جاريةَ ابن حُمران تُنشدك: تعالوا أعينوني على الليل إنه... وذكره، فجئتُ لأُعينَك على الليل، فقال له: أدَّى الله عنك الحق، أبطأتَ عليّ حتى أتى الله بالفَرَج(١).

وقد ذكرنا أن أم عيسى سُعْدى بنت عوف، وكذا هي أم يحيى بن طلحة.

وقال ابن قتيبة: وَفَد عيسى على عبد الملك بن مروان، فسأله عَزْل الحَجَّاج عن الحِجاز(٢).

قلت: وقد وَهم ابن قتيبة، الذي وَفَد على عبد الملك في القصّة إبراهيم بن محمد ابن طلحة، وسنذكره.

وقال الموفَّق رحمه الله: وعيسى هو الذي دخل على عروة بن الزبير لما قُطعت رِجلُه، فذكر له ما أسلاه(٣).

ذكر أولاد عيسى:

قال ابن سعد: فولد عيسى بن طلحة يحيى، وأُمُّه عائشة بنت جرير بن عبد الله البَجَلي، ومحمد بن عيسى، وأمه أم حَبيب بنت أسماء بن خارجة بن حِصن بن حُذيفة ابن بدر الفَزاري، قال: وعيسى بن عيسى، وأُمُّه أم عيسى بنت عِياض بن نَوفل، من بني أسد(٤).

قلت: وقد ذكر الموَفَّق رحمه الله من أولاد عيسى بن طلحة: محمد بن عيسى، وأُمُّه أم حَبيب، وقد ذكرناها، فقال: ومحمد هو القائل: [من الوافر]

فلا تَعجَلْ على أحدٍ بظُلمٍ ... فإن الظُّلمَ مَرتَعُه وَخيمُ
ولا تَفحَش وإن مُلِّئتَ غَيظاً ... على أحدٍ فإن الفُحشَ لُومُ
ولا تَقطعْ أخاً لك عند ذَنبٍ ... فإن الذَّنبَ يَغفِرُه الكريمُ
ولكن دارِ عَورتَه برِفقٍ ... كما قد يُرقَعُ الخَلِقُ القديمُ

---

(١) تاريخ دمشق ٥٧/ ٣٨-٣٩.
(٢) المعارف ٢٣٢.
(٣) لم أقف عليه في التبيين، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧/ ٣٧.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٢.

ولا تَجزَعْ لرَيْبِ الدَّهرِ واصبِرْ فإن الصَّبرَ في العُقْبى سَليمُ
فما جَزَعٌ بمُغْنٍ عنك شيئاً ولا ما مات تُرجِعُه الهُمومُ

قال: ومن شعره: [من السريع]

لا تَلُمِ المرءَ على فِعلِه وأنت مَنسوبٌ إلى مِثلِه
مَن ذَمَّ شيئاً وأتى مِثلَه فإنما يَزْري على عَقلِه[1]

حَدَّث عيسى عن ابن عمر، وأبيه طلحة، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، ومعاوية، وروى عنه الزُّهري وغيره.

وأما يحيى بن طلحة فكان من رُؤساء قريش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأُمُّه سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المرِّي.

قال: فولد يحيى بن طلحة: طلحة بنَ يحيى، وأُمُّه أُمُّ أبان.

وأُمّ أناس بنت أبي موسى الأشعري، ويُقال لها: أم إسحاق[2].

قال: وإسحاق بن يحيى، وأُمُّه الحَسناء بنت زَبَّار بن الأبرد، كلبيّة.

وقال غيرُ ابنِ سعد: إن أمَّ إسحاق أمُّ أبان بنت أبي موسى الأشعري.

قال ابن سعد: وسَلَمة بن يحيى، وعيسى، وسالم، وبلال الذي مَدحه الحَزين الكِناني فقال: [من الطويل]

بلالُ بنُ يحيى غُرَّةٌ لا خَفا بها لكلِّ أُناسٍ غُرَّةٌ وهِلالُ

قال: ومِهجَع، ومسَلمة، وأمّ محمد بنو يحيى بن طلحة، وهم لأُمَّهات الأولاد.

قال: وأمّ حكيم، وسُعدى، تزوَّجها سليمان بن عبد الملك بن مروان، فهلكتْ ولم تَلِد شيئاً، وفاطمة، وأُمُّهن سَوْدة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي[3].

---

(١) التبيين ٣٢٩.

(٢) في طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣: وأمه أم أبان، وأم أُناس بنت أبي موسى الأشعري، وأخوه لأمه عبد الله بن إسحاق بن طلحة.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣.

وقال غير ابن سعد: وإسحاق بن يحيى يُذكر عنه الفقه[١].

وأما زكريا بن طلحة فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين تابعي أهل المدينة، وأمُّه أُمُّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأمها حَبيبة بنت خارجة بن زيد، من الخَزْرج، وقد ذكرناها[٢].

وزكريا شقيقُ يوسف وعائشة ابني طلحة، وكان زكريا جواداً مُمَدّحاً.

وقال ابن سعد: فولد زكريا بن طلحة: يحيى وعبيد الله، وأمهما العَيْطل بنت خالد ابن مالك، أسديَّة، وأمَّ إسماعيل وأمَّ يحيى، وأُمُّهما أم إسحاق بنت جَبَلة بن الحارث، كِنديَّة، وأمَّ هارون لأم وَلَد[٣].

وأما إسحاق بن طلحة فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، قال: وأُمُّه أمُّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس[٤].

وهي خالةُ معاوية بن أبي سفيان، أختُ هند بنت عُتبة، وهي أمُّ يعقوب بن طلحة، شهدت أمُّ أبان فُتوحَ الشام مع أخيها أبي هاشم بن عُتبة، وزوجها أبان بن سعيد بن العاص، قُتلَ يومَ أجنادِين عنها شهيداً.

وهي أختُ أبي هاشم بن عُتبة لأبيه وأمِّه، فلما قَدِمت الشامَ خطبها عمر، وعلي، وطلحة، والزبير، فتزوَّجتْ طلحة، فقيل لها في ذلك، فقالت: أما عُمر فإن دخل دخل ببُأس وإن خرج خرج بيأس، قد شغله أمرُ آخرتِه عن أمر دُنياه، كأنه يَنظر إلى ربِّه بعَينَيْه، وأما علي فليس لزوجته منه إلا قضاءُ حاجته منها، ويقول: كَيْتَ وكَيْت، وذَيت وذيت، وكان وكان، وأما الزبير فليس لامرأته منه إلا شارَةٌ في قَرامِلها، وأما طلحة فإنْ دخل دخل مِضحاكاً، وإن خرج خرج بَسَّاماً، إن سألتُ أعطى، وإن سكتُّ ابتدأ، وإن عَمِلتُ شكر، وإن أسأتُ غَفَر، فذلك زَوجي حقّاً[٥].

---

(١) انظر المعارف ٢٣٢ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٦ .

(٢) عند ذكر أولاد طلحة رضي الله عنه.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥ .

(٥) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٧١-٤٧٢ . والشارة: العلامة والهيئة، والقرامل: ضفائر الشعر، تعني: من كثرة ما كان يضرب زوجته أسماء رضي الله عنها.

وقال الواقدي: استعمل معاوية إسحاق بن طلحة مع سعيد بن عثمان بن عفان على خُراسان، ومات بالريّ سنة ست وخمسين، وولدت أمُّه لطلحة بن عبيد الله: إسحاق ويعقوب وإسماعيل وعيسى بني طلحة، وأخوه لأمه وأبيه يَعقوب بن طلحة قُتل يوم الحَرَّة[1].

ذكر أولاد إسحاق:

قال ابن سعد: فولد إسحاق بن طلحة: عبد الله، وأبا بكر، دَرَج، وعبيد الله، وأُمُّهم أم أُناس بنت أبي موسى الأشعري، ومصعباً لأُمّ وَلَد، ومعاوية، ويعقوب، وحفصة، وأمَّ إسحاق لأُمَّهات أولاد شَتّى[2].

وأما يعقوب بن طلحة فذكره أيضاً ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وقال: كان سخياً جَواداً، قُتل يوم الحَرَّة في ذي الحجة، سنة ثلاثٍ وستّين، [وجاء] بمَقْتَله ومُصابِ أهلِ الحَرَّة إلى الكوفة الكَرَوَّسُ بن زيد الطائي، فقال عبد الله ابن الزَّبِير الأسَدي: [من الطويل]

لَعَمري لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظِماً   على خَبَرٍ للمسلمين وَجيعِ

وسنذكر الأبيات في سنة ثلاث وستين في وقعة الحَرَّة.

ذكر أولاد يعقوب بن طلحة: قال ابن سعد: فولد يعقوب بن طلحة: يوسف بنَ يعقوب، وأمه أم حُميد بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وأمُّها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال: وطلحةَ، وأمه [أم] الحُلاس بنت عبد الله بن عَيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة.

وإسماعيل وإسحاق دَرَجا في حياة أبيهما، وأبا بكرٍ، وأمُّهم جَعدَةُ بنت الأشعث بن قيس الكندي[3].

وأما إسماعيل بن طلحة فكان جَواداً، وكانت عنده لُبابَة بنت عبد الله بن عبّاس، وأم إسماعيل أمُّ أبان بنت عتبة بن ربيعة.

وأما صالح بن طلحة فأُمُّه الفَرْعة، تَغلبيّة، درج في حياة أبيه.

(١) انظر المعارف ٢٣٢، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٦-٢٣٧، والتبيين ٣٣٠.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣-١٦٤.

ذكر بنات طلحة:

منهن عائشة شقيقة زكريا ويوسف، وأُمُّهم أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه، تزوَّجها مُصعب بن الزبير، فأصدقها ألفَ ألفِ درهم، ثم تزوَّجها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وسنذكرها في سنة ثلاث وعشرين ومئة.

وأما أُمُّ إسحاق بنت طلحة فتزوجها الحسن بن علي عليه السلام، فولدت له طلحة ابن الحسن، دَرَج صغيراً، ثم تزوَّجها الحسين، فوَلدت له فاطمة بنت الحُسين، ثم تزوَّجها عبد الله بن محمد بن أبي عَتيق، فوَلدت له أُميّة[١].

ذكر إخوة طلحة:

قال علماء السِّيَر: كان له إخوة منهم: عثمان وعبد الرحمن ابنا عبيد الله.

قال الموفق رحمة الله عليه: أسلما وصَحِبا رسولَ الله ﷺ، وقُتل عبد الرحمن يوم الجمل مع أخيه طلحة، وهاجرا، ومات عثمان سنة أربعٍ وسبعين، وولدُه عبد الرحمن ابن عثمان بن عُبيد الله أسلم يوم الحُدَيبية، وقيل: يومَ الفتح، وقُتل مع عبد الله بن الزبير، وأخرج عنه مسلم حديثاً واحداً، وقال: عبد الرحمن بن عثمان القُرَشي[٢].

قلت: وقد أخرج له أحمد في المسند ثلاثة أحاديث، منها الحديث الذي انفرد به مسلم، فقال أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي: أن رسول الله ﷺ نهى عن لُقَطَةِ الحاجِّ[٣]. انفرد بإخراجه مسلم، يعني لُقَطة الحرم.

قلت: وقد اختلف الفُقهاء في هذا، فعند أبي حنيفة: لقطة الحِلِّ والحَرم سواء، إن كانت عَشَرة دراهم فما فوقها عرَّفها حولاً، وإن كانت أقلَّ من عَشرة دراهم عَرَّفها أيّاماً، وعند الشافعي ـ وهي إحدى الروايتين عن أحمد: أن لُقطة الحَرَم يجب تَعريفُها أبداً، ولا تُملك لهذا الحديث، ولقوله عليه السلام: «لا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلا لمُنْشِد»[٤]، ولأبي حنيفة أن الأخبار المبيحة لأخذ اللُّقطة لا تَفصل بين الحرم وغيره لما عرف[٥].

---

(١) المعارف ٢٣٣، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٨ـ٢٢٨.

(٢) التبيين ٣٣٠ـ٣٣١، وحديثه عند مسلم برقم (١٧٢٤)، وفيه: عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهى عن لُقطة الحاج.

(٣) مسند أحمد (١٦٠٧٠)، وصحيح مسلم (١٧٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٣٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر الاستذكار ٢٢/ ٣٣٦، ومعرفة السنن والآثار ٩/ ٧٥ـ٧٩، والمغني ٨/ ٣٠٦.

وقال الموفَّق: ومن ولده: محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، كان عالماً بالمغازي والأنساب[١].

وقال مصعب: هو محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الرحمن بن عَتّاب بن عُبيد الله ابن عثمان بن عبيد الله، رُوي عنه الحديث، ولم يذكر الموفَّق في أجداده مَن اسمه عَتَّاب.

ذكر موالي طلحة:

قال هشام: كان له عدَّة موالي، منهم: مُسلم بن يَسار، كان أوحد زمانه في العلم والزُّهد والوَرَع، وسنذكره.

ومن موالي طلحة: أبو نُعيم الفَضْل بن دُكين، وسنذكره.

ذكر مسانيد طلحة:

واختلفوا فيها، قال أبو نعيم: أسند نَيِّفاً وثلاثين سوى الطُّرُق.

وقال ابن البَرْقي: تسعة عشرَ حديثاً، وقيل: ثمانيةً وثلاثين حديثاً.

أخرج له في «الصحيحين» سبعةً، اتَّفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة[٢]. وأخرج أحمد لطلحة أربعةَ عشر حديثاً، بعضُها في المتَّفق عليه، وبعضها في الأفراد.

وروى طلحةُ عن أبي بكر وعمر.

وروى عنه بنوه: يحيى، وموسى، وعيسى، ومالك بن أبي عامر الأصبَحيّ، وقيس ابن أبي حازم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والأحنف بن قيس، في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه طلحة بن عبيد الله غيره، فأما غيرُ ابنِ عُبيد الله فعشرة، وكذا في التابعين، ليس فيهم مَن اسمُه طَلحة بن عُبيد الله غير رجلٍ واحد؛ وهو: طلحة ابن عبيد الله بن كَريز ـ بكاف مفتوحة ـ وكُنيته: أبو المطَرِّف الخُزاعي، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة[٣]، وكان سيّداً شريفاً، واختلفوا فيه: فقال البخاري:

(١) التبيين ٣٣١.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٦ وفيها: قال البرقي: الذي حُفظ لنا عنه بضعة عشر حديثاً، وانظر ٣٩٤.
(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٢٧.

هو مَدني، وقال غيره: بَصري، وقيل: كوفي.

وقال أحمد بن حنبل: ثِقة.

وكان يُكثر غِشيان أم الدَّرداء، ويَسمع منها.

وقال البخاري: كان قليلَ الحديث.

وروى عن ابن عمر، وأبي الدرداء، وأمِّ الدرداء، وعائشة.

وروى عنه محمد بن إسحاق وغيره.

وهو وإن كان سيِّداً فاضلاً؛ غير أنه لا يُعدُّ في الطَّلحات المعدودين في الجود، ولم يُذكَر لنا تاريخُ وفاتِه[(١)]. فهذا في التابعين اسمُه طلحة بن عبيد الله ليس فيهم غيره، فأما طلحة غير ابن عبيد الله فخلقٌ كَثير.

ومن مسانيد طلحة بن عبيد الله التّيمي؛ قال أحمد بإسناده، عن محمد بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر، عن أبيه، عن جَدِّه: أن عثمان أشرفَ على الذين حَصروه، فسَلّم عليهم، فلم يَردُّوا عليه، فقال عثمان: أفي القوم طلحة؟ قال طلحة: نعم، فقال عثمان: إنّا لله وإنا إليه راجعون، أُسلِّم على قوم أنت فيهم ولا يَردّون، فقال طلحة: قد رددْتُ، فقال عثمان: يا طلحة ما هكذا الردُّ، أُسمِعُك ولا تُسمعني، أَنشدك الله، أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «لا يُحلُّ دمَ المسلم إلا واحدةٌ من ثلاث: أن يَكفُرَ بعد إيمانه، أو يَزني بعد إحصانه، أو يَقتل نَفساً فيُقتَلَ بها؟» قال طلحة: اللهمَّ نعم، فكبّر عثمان وقال: والله ما أنكرتُ الله منذ عَرفتُه، ولا زنيتُ في جاهلية ولا إسلام، قد تركتُه في الجاهلية تكرُّماً، وفي الإسلام تَعفُّفاً، وما قتلتُ نَفساً يَحلُّ بها قَتلي[(٢)].

فصل في تسمية الطَّلْحات المعدودين في الجود:

وهم سبعة؛ أحدُهم صاحب هذه الترجمة، وسمّاه النبي ﷺ يوم أحد طلحةَ الخير، ويوم ذات العُشَيرة طلحة الفيّاض، ويوم حُنين طلحةَ الجُود، وقد ذكرناه.

والثاني: طلحة بن عُمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، ويُسمّى طلحةَ الجُود.

والثالث: طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق، ويُسمَّى طلحةَ الدَّراهِم.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٥٧٧ ـ ٥٨٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال (٢٩٦٣).

(٢) مسند أحمد (١٤٠٢).

والرابع: طلحة بن الحسن بن علي عليه السلام، ويسمى طلحة الخير.

والخامس: طلحة بن عبد الله بن عَوف الزُّهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عَوف، ويُسمَّى طلحةَ النَّدى.

والسادس: طلحة بن عبد الله بن خَلَف، ويُقال له: طلحةَ النَّدى أيضاً.

والسابع: طلحة بن عبد الله الخُزاعي، ويقال له: طلحةَ الطَّلحات[١].

قال الأصمعي: وكان أجودَ القوم، ولذلك سُمّي طلحةَ الطَّلحات. فنذكر طَرَفاً من أخباره.

قال الأصمعي: كُنيته أبو المطَرِّف، وفيه يقول القائل: [من الخفيف]

رحِمَ اللهُ أعظُماً دَفَنوها بسِجِسْتانَ طلحةَ الطَّلْحاتِ[٢]

وقد ذكره العلماء في تواريخهم، وأثنوا عليه، فقال يحيى بن مَعين: أبوه عبد الله بن خَلَف بن أسعد، كُنيتُه أبو المطَرِّف، وكُنيةُ ابنه طلحة: أبو محمد، وقُتل أبوه عبد الله يومَ الجمل مع عائشة، وأمّ طلحة الطلحات: صَفيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العَبْدَريّ، وهي بنت أخي عثمان بن طلحة الحُجَبي.

وقال ابن دريد: إنما سُمّي طَلحةَ الطلحات من أجل أن أُمَّه بنت الحارث بن طلحة ابن أبي طلحة، وهي بنت أخي عُثمان بن طلحة، ولهم قصرٌ بالبصرة يُعرف بقصر خَلَف جَدِّهم، وفيه نزلت عائشة لما قدمت البصرة.

قال: وكان طلحة الطلحات شريفاً، عظيمَ القدر، ولم يكن بالبصرة في زمانه مثلُه، قدم على يزيد بن معاوية شافعاً في يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ.

وقال خليفة بن خيّاط: وفي سنة ثلاث وستين بعث سَلْم بن زياد بن أبيه طلحةَ الطلحات والياً على سِجِسْتان، وأمره أن يَفدي أخاه أبا عُبيدة بن زياد، فَفَداه بخمس مئة ألف، فلحق بأخيه سلم، وأقام طلحةُ والياً بها حتى مات.

(١) انظر المحبر ٣٥٥-٣٥٦، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٥، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٢٦ (مخطوط).
(٢) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، وهو في ديوانه ٢٠، والمعارف ٢٢٨، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٥.

وقال هشام: قال سلمة بن إبراهيم لطلحة الطلحات(١): ما رأينا ألأم من قومك، يأتونك إذا أيسرتَ، ويَقطعونك إذا أملَقْتَ. فقال: هم أكرم قوم، يأتوننا وبنا قُوَّةٌ على بِرِّهم، والقيام بحقوقهم، ويتأخَّرون عنا حين نَضعُف عن ذلك.

قال: وكان طلحة مُمَدَّحاً، مدحه فُحول الشُّعراء، دخل عليه كُثيِّر عَزّة وهو مريض، فأنشده [من الكامل]

يا ابن الذَّوائِب من خُزاعةَ والذي ... لَبِس المكارمَ وارتَدى بنِجادِ
حَلَّتْ بساحتك الوفودُ من الوَرى ... فكأنما كانوا على مِيعادِ
لتَعودَ سيِّدَها وسيِّدَ غيرِها ... ليت التَّشكِّي كان بالعُوَّادِ

فأعطاه حتى حَيَّرَه.

وقال الواقدي: وَرَد عليه كتابٌ من الحجاز؛ من عَجوزٍ تَستَميحُه، وفيه: [من الرجز]

يا أيها المايح دَلْوي دُونكا
إني رأيتُ النّاسَ يَحْمَدونكا
يُثنون خَيراً ويُمَجِّدونكا

فقال طلحة: قاتل الله العجوز، تَطلبُ جُبْنَ خُراسان وهي بالحجاز، ثم عَمَد إلى جُبْنَتَين مَملوءتين قطناً، فأخرج القُطْنَ منها، وجعل مَوضعَه دَنانير، وكتب إليها:

إنّا مَلأناها تَفيضُ فَيضا
فلن تخافي ما حييتُ غَيضا

ففتقت الجُبْنَة فتناثرت الدَّنانير.

وقولها: يا أيها المايحُ دَلْوي دُونكا، قد فرَّقت العرب بين المايح والماتِح، فجعلت النُّقطتَين اللتين من تحت لمن هو في أسفل البئر، والنقطتين اللتين من فوق لمن هو في

(١) كذا، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٢٧ (مخطوط): سلمة بن إبراهيم بن جحش قال: قال أبي: بلغني أن امرأة طلحة الطلحات قالت...

أعلا البئر.

ولم يذكر لنا تاريخ وفاته، وقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور» أن طلحة الطلحات سمع من عثمان بن عفان(١).

وأما طلحة النَّدى: فهو طلحة بن عبد الله بن عَوف، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف الزهري.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وكُنيته أبومحمد، وقيل: أبو عبد الله، وأمه فاطمة بنت مُطيع بن الأسود، ووَلي المدينة(٢) وسنذكره.

انتهت ترجمة طلحة بن عبيد الله التَّيمي.

وفيها توفي

عبد الله بن سعد

ابن أبي سَرْح بن الحارث بن حُبيِّب ـ بالتصغير مع التشديد ـ الفِهري.

قال ابن البَرْقي: واسم أبي سَرْح الحُسام، وكنيته أبو عبد الله العامري(٣).

وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة ممن أسلم يوم الفتح، قال: وأمه مهانة بنت جابر من الأشعريِّين(٤).

وذكره الموفق رحمه الله في «الأنساب»، وقال كما ذكرنا في نسبه، ثم قال: وحُبَيِّب ابن جَذيمة بن نصر بن مالك [بن حِسْل] بن عامر بن لؤي.

أسلم قبل الفتح قديماً، وهاجر، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، ثم ارتدّ عن الإسلام، وقدم مكة فقال لقريش: كنت أُصرِّف محمداً حيث أريد؛ فكان يُملي عليّ: حكيم عليم؛ فأقول: عزيز حكيم، فيقول: نعم، فلما كان يوم الفتح أباح النبي ﷺ دمَه فيمن أباح، وكان أخا عثمان من الرضاعة؛ فأخذ له أماناً. وقد ذكرناه يوم الفتح.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٥٢٥ـ٥٣٠ (مخطوط).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٩-١٦٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٠ (مخطوط).

(٤) طبقات ابن سعد ١٢٩/٦ ، وأعاد ترجمته في ٥٠٢/٩ فيمن نزل بمصر من الصحابة.

ثم قال الموفق: وأسلم وحسُن إسلامُه، وكان أحد النُّجباء النُّبلاء العقلاء الكرماء من قريش، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في فتوح مصر وحروبه كلِّها، ثم ولّاه عثمان مصر في سنة خمس وعشرين، فغزا إفريقية؛ ففتحها في سنة سبع وعشرين، ثم عاد، ثم غزا الأساود من النُّوبَة، وهادنهم الهُدنةَ الباقية إلى هلم جرّا، ثم غزا غزاة الصَّواري في سنة إحدى وثلاثين، ثم قدم على عثمان؛ فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر، فرجع عبد الله فمنعه دخولها، فجاء إلى عَسقلان _ وقيل: إلى الرَّمْلة _ فأقام بها حتى مات في الصلاة سنة ست أو سبع وثلاثين. وهذا قول الموفق(١).

وقال عبد الله بن محمد البغوي: استخلف على مصر السائب بنَ هشام بن عمرو العامري، فوثب محمد بن أبي حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس فخلع السائب، وتأمَّر على مصر، فرجع عبد الله [فمنعه ابن أبي حذيفة من دخولها، فمضى] إلى عسقلان [فأقام بها]، ولم يبايع أمير المؤمنين ولا معاوية(٢).

واختلفوا في وفاته؛ فقال ابن سعد: بنى داراً بمصر ونزلها، حتى إذا كانت الفتنة تحول إلى فلسطين فمات بها(٣).

وقال أبو سعيد بن يونس: لما منعه ابنُ أبي حذيفة من دخول مصر رجع إلى عسقلان، فمات بها في سنة ست وثلاثين.

وقال ابن مَنده: توفّي بالرَّملة.

وقال أبو القاسم بن عساكر: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفي عبد الله سنة ست وستين(٤)، قال: وهو وهم منه(٥)، والصحيح أنه مات في سنة ست أو سبع وثلاثين عند خروج معاوية إلى صِفّين بعَسقلان، ولم يشهد صفّين. ودُفن بمكان يقال له: مقابر قريش، وهو مكان معروف.

---

(١) في التبيين ٤٨٧ وما بين حاصرتين منه.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٠ ، والاستيعاب (١٤٨٦)، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٤١ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٩ ، وليس في طبقات ابن سعد.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٢ .

(٥) توهيم ابن عساكر إنما هو لرواية ابن منده ٩/ ٣٤١ أنه توفي بالرملة سنة تسع وخمسين.

وقال البخاري: مات في الصلاة بالرملة خوفاً من الفتنة[١].

وقال يزيد بن أبي حبيب: حضرتُ صلاة الصبح وعبد الله بالرّملة فقال: اللهمَّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فقرأ في الأولى بأمّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، ثم سلم عن يمينه، وذهب يسلّم عن يساره فقبض الله روحَه[٢].

وكذا قال البخاري والموفّق[٣] أنه مات في الصلاة.

وقيل: إنه مات بإفريقية، وهو وهم منه.

وكان شاعراً، ومن شعره: [من الطويل]

أرى الأمرَ[٤] لا يزداد إلا تفاقُماً وأنصارُنا في البلدتين قليلُ
وأسلمنا أهلُ المدينةِ والهوى هوى أهل مصرٍ والدليلُ دليلُ

وقال الموفق رحمه الله: وابنه وَهْب بن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، شهد أحداً والحديبية والخندق وخيبر مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سويد بن عمرو، فقُتلا بمؤته شهيدين.

قال: وأخوه عياض بن عبد الله بن سعد تابعي، وروي عنه الحديث.

قال: وعمرو بن أُويس بن سعد بن أبي سرح، ابن أخي عبد الله بن سعد؛ استشهد يوم اليمامة.

قال: وأروى بنت أويس بن سعد بن أبي سرح، وهي التي خاصمت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل في الأرض، فدعا عليها فعَميت[٥].

وليس في الصحابة مَن اسمه عبد الله بن سعد سوى ثلاثة؛ أحدهم صاحب هذه الترجمة، وله صحبة ورواية، والثاني عبد الله بن سعد الأنصاري له صحبة ورواية، والثالث عبد الله بن سعد بن خيثمة الأوسي، له صحبة وليس له رواية[٦].

---

(١) التاريخ الكبير ٥/ ٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥١.

(٣) في التبيين ٤٨٧.

(٤) في (خ): المرء ؟! والبيتان في تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٩ (مخطوط).

(٥) التبيين ٤٨٨، وانظر نسب قريش ٤٣٣، وأنساب الأشراف ٩/ ٢٧١-٢٧٢.

(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢١٨. وانظر في ترجمة عبد الله غير ما ذكر من مصادر المعارف: ٣٠٠، والسير =

وفيها توفي

عبد الرحمن بن عَتَّاب

ابن أَسيد بن أبي العِيص بن أميةبن عبد شمس. قد ذكرنا أباه عَتَّاباً، وأن رسول الله ﷺ ولّاه مكة وهو ابن عشرين سنة، وأنه مات بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق بالمدينة، وأن عبد الرحمن كان إمام أهل الجمل، وأنه أخذ بزمام الجمل، ولم يزل يقاتل عنده حتى قُتل.

قال الواقدي: مرَّ به أمير المؤمنين وهو مقتول، فترحّم عليه وقال: لَهفي عليك يَعْسوب قريش، قُتلت اليوم الغَطارفة من بني عبد مناف، ثم قال: أشكو إلى الله عُجَري وبُجَري ... الأبيات(١)، فقال له رجل: تجزعُ عليهم وقد أرادوا بك ما أرادوا؟ فقال: إنه قامت عني وعنهم رَحِم.

وقد ذكرنا أن عتَّاباً أُخذت كفُّه، وفي أصبعه خاتم عليه منقوش اسمه، فألقته بمكة يوم الوقعة، فعرفوا أنه قد قُتل، فصلّوا عليه.

وفيها توفي

عبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي

رئيسُ المصريين الذين ساروا لقتال عثمان.

قال علماء السير: وعبد الرحمن من الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، ولما تُوفّي رسول الله ﷺ نزل مصر فأقام بها، حتى سار إلى عثمان، وفعل به ما فعل، فلما قُتل عثمان خرج إلى الشام، فنزل فلسطين، وعلم به والي معاوية فقبض عليه وحبسه، وأرسل إلى معاوية يُخبره، فهرب من الحبس، فبثُّوا الخيل في طلب ابن عُديس، وكان معه في الحبس كِنانة بن بِشر ومحمد بن أبي حذيفة.

ولما بثّوا الخيل في طلب ابن عُديس أدركه فارس، فحمل عليه، فقال له ابن

= ٣/ ٣٣، والإصابة ٢/ ٣١٦.

(١) كذا، وصوابه كما في الطبري ٤/ ٥٢٧ : إليك أشكو عجري وبجري.

عُديس: أَنشُدك اللهَ في دمي؛ فإني من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة، فطعنه فقتله.

وليس في الصحابة مَن اسمه عبد الرحمن بن عُدَيس غيره، وله صُحبة ورواية(١).

وفيها توفي

قُدامة بن مَظْعون

ابن حبيب بن وهب الجُمحي، أخو عثمان بن مَظْعون، وكنيته أبو عمرو، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمه غَزِيَّة بنت الحُوَيْرث، جمحيّة، وغزية بغين معجمة.

وقال البلاذري: هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة بالاتفاق. وفي الثانية(٢) خلاف، والأول أصحّ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وكان لا يغيِّر شيبَه.

وقال ابن سعد: توفي في سنة ستٍّ وثلاثين وهو ابن ثمان وستين، وقيل: ابن ثمانين سنة.

وكان له من الولد عمر وفاطمة؛ وأمهما هند بنت الوليد بن عُتبة بن ربيعة، وعائشة وأمُّها فاطمة بنت [أبي] سفيان بن الحارث الخزاعي، ورَمْلة وأمُّها صفية بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب(٣).

وذكره الموفق رحمه الله فقال: ولّاه عمر بن الخطاب البحرين، ثم عزله بسبب شرب الخمر، وتأوَّل قولَه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ الآية[المائدة: ٩٣] لم يحدَّ من أهل بدر أحداً في شرب الخمر إلا قُدامة، وغاضب قدامة عمر وهجاه(٤)، وحجّا معاً، فلما قَفَلا من حجِّهما نزل عمر

---

(١) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٩/ ٥١٤ ، والاستيعاب (١٥٥٨)، وتاريخ دمشق ٤١/ ١٠٣، والإصابة ٢/ ٤١١ .

(٢) كذا، وهو خطأ، صوابه: الأولى، فقد اتفق مترجموه على هجرته الثانية كما ذكر السبط، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧١ ، وأنساب الأشراف ٩/ ٢٥ ، والاستيعاب (٢١٥٣)، والمنتظم ٥/ ١١٥ ، والتبيين ٤٤٦ ، والسير ١/ ١٦١ ،والإصابة ٣/ ٢٢٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧١-٣٧٢ وما بين معكوفين منه.

(٤) في التبيين ٤٤٦ : وهجره، وهو الأشبه.

بالسقيا فنام، وانتبه فقال: عجِّلوا عليّ بقدامة؛ فو الله لقد أتاني آتٍ في منامي فقال: سالِمْ قُدامة فإنه أخوك، فأتوه به، فكلَّمه عمر واستغفر له واصطلحا.

قال: وقدامة زوج صفية أخت عمر، وأخو زينب بنت مظعون زوجة عمر.

قال: وكانت عائشة بنت قدامة من المبايعات.

وليس في الصحابة من اسمه قدامة بن مظعون غيره، وله صحبة ورواية.

وفيها توفي

كعب بن سُور

ابن بكر بن عبد الله الأزدي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

ولاه عمر القضاء على البصرة، وأقرَّه عثمان، وسببه ما ذكره الزبير بن بكّار قال: حدثني إبراهيم الحِزاميّ، عن محمد بن مَعْن الغفاري قال: أتت امرأةٌ عمر بنَ الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوجُ زوجك، فجعلت تكرِّر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، وعنده كعْب بن سُور الأَسْدي[1]، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذه المرأة تشكو زوجَها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمتَ كلامها فاقضِ بينهما. وقد ذكرنا القصة في ترجمة عمر[2]، وفيها شعر أوَّله أن المرأة قالت:

يـا أيـهـا الـقـاضـي الـحـكـيـم رَشَـدُهْ

وقول زوجها:

زَهَّـدنـي فـي فَـرْشِـهـا وفـي الـحَـجَـل

الأبيات.

وحكى ابن سعد عن بعض أهل العلم أنه: لما قدمت عائشة البصرة دخل كعب بن سُور بيتاً، وطيَّن بابه، وجعل فيه كُوَّةً يتناول منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة، فأرسلوا

(١) لغة في الأزد، وهي الأفصح، انظر القاموس وشرحه ٧/ ٣٨٢.
(٢) سلفت في سيرته وترجمته.

إليه فلم يُجب، فقيل لعائشة: إن خرج معك كعب لم يتخلَّف عنك أحد من المسلمين الأزد، فجاءت بنفسها إلى باب بيته ونادته: يا كعب، فلم يُجبها، فألحَّت عليه وهو ساكت، فقالت: ألستُ أمّك ولي عليك حق؟! فبحقّي عليك إلا خرجتَ؛ فإنما جئت لأُصلح بين الناس، فخرج مُكرهاً، فقُتل بين يدي عائشة، وهو أوَّلُ قتيلٍ قتل يوم الجمل، وقد ذكرناه.

وقال الواقدي: أمرته عائشة أن يخرج إلى القوم بالمصحف، فعلّقه في عنقه وخرج، فجاءه سَهْمٌ غَرب فذبحه.

وقال ابن سعد: كان كعب معروفاً بالخير والصلاح، وليس له حديث. ومر به أمير المؤمنين فتأسَّف عليه(١).

وفيها توفي

محمد بن طلحة بن عُبيد الله التَّيمي

كان يُسمَّى السَّجَّاد لعبادته، كان يسجد كلَّ يوم ألفَ سَجدة، وله إدراك لرسول الله ﷺ.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة قال: وحدثنا محمد ابن عمر بإسناده إلى حَمْنَة بنت جَحْش بن رِئاب: أنها لما ولدت محمداً جاءت به إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله سَمِّه، فقال: «قد سمَّيته محمداً وكنَّيته أبا سليمان، لا أجمع له اسمي وكُنيتي»(٢).

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: ما سمَّيتموه؟ قلنا: محمداً، فقال: هذا اسمي وكَنَّيته أبا القاسم(٣).

وفي رواية: فلما أراد عمر بن الخطاب تغيير الأسامي قال له محمد: يا أمير

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٢، وانظر ترجمته في الاستيعاب (٢١٨٧)، والمنتظم ٥/ ١١٥، والإصابة ٣/ ٣١٤، والسير ٣/ ٥٢٤ وتتمة المصادر فيه.

(٢) في (ع): وفي رواية ابن سعد: هذا اسمي وكنيته أبا القاسم، وليست هذه العبارة في (خ)، ولا طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧، وإنما فيه الخبر التالي.

(٣) في طبقات ابن سعد: هذا سَمِيّي وكنيته أبو القاسم.

المؤمنين أنشدك[١] الله أن تغيِّر اسمي، فو الله ما سمّاني محمداً إلّا محمد رسول الله ﷺ، فقال عمر: لا سبيل إلى تغيير شيء سماه محمد ﷺ.

وليس لمحمد بن طلحة في «المسند» غير هذا الحديث. وأخرج له الموفق رحمه الله في «الأنساب» حديثاً مرسلاً في صفة السَّحاب[٢].

وذكره الموفق وأثنى عليه فقال: كان محمد السجّاد عابداً صالحاً بارّاً بأبيه، ولد على حياة رسول الله ﷺ، فأتى به أبوه رسول الله ﷺ، فحنّكه وسمّاه باسمه وكنّاه بكنيته، وحضر يوم الجمل مع أبيه وكانت معه رايته، قال: وكان فيما ذُكر مُكرهاً؛ أكرهه أبوه على الخروج معه، وكان أمير المؤمنين قد نهى عن قتله وقال: إيّاكم وصاحب البُرْنُس، فإنه خرج مُكرهاً.

واختلفوا في كيفية قتله فقال الموفّق: أمره أبوه بالقتال فتقدّم، فنَثَل دِرعَه بين رجليه، وقام عليها، وجعل كلّما حمل عليه رجلٌ يقول: نشدتك بحَم، فينصرف عنه، حتى جاء المُكَعْبِر الأسَديّ فطعنه، ولم يكن عليه درع، فقتله وقال: [من الطويل]

وأشعثَ قَوّامٍ بآياتِ ربِّه ... قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسلمِ
هتكتُ له بالرُّمح جَيْبَ قميصه ... فخرَّ صريعاً لليدين وللفمِ
على غير شيء أنه ليس بائعاً[٣] ... علياً ومن لم يتبعِ الحقَّ يَظلمِ
يُذكِّرني حَم والرُّمحُ شاجِرٌ ... فهلّا تلا حاميم قبل التَّقدُّمِ

وذكر ابن سعد الأبيات لعِصام بن المُقْشَعِرّ[٤]، وهو الذي قتل محمداً، وحكاه ابن سعد.

وحكى سيف عن أشياخه قالوا: أخذ محمد بن طلحة بزِمام الجمل، فقالت عائشة:

---

(١) في (خ): نشدتك، والخبر في طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨، ومسند أحمد (١٧٨٩٦).

(٢) التبيين ٣٢٢_٣٢٣.

(٣) رواية الشطر في المصادر: على غير شيء غير أن ليس تابعاً، انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٩، ونسب قريش ٢٨١، والمعارف ٢٣١، والطبري ٤/ ٥٢٦، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٠، والاستيعاب (٢٢٦٢)، والتبيين ٣٢٤.

(٤) ذكر ابن سعد الخلاف في قاتل محمد بن طلحة وقائل الأبيات، ولم يصرح أنه عصام.

مَن أنت؟ قال: محمد بن طلحة، فقالت: يا بُنيّ، كن خير بني آدم.

وكان هوى محمد مع علي عليه السلام، واجتمع عليه جماعة فحمل عليهم وهو يقول: «حَم لا ينصرون»، فقتلوه.

وادَّعى قتلَه جماعة: المُكَعْبِر الأَسَديّ، والأشتر النَّخَعي، وشُريح بن أوفى، والمشهور، أن المُكَعْبِر قتله(١).

وقد ذكره ابن سعد فقال: قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل قتالاً شديداً، وعُقِر الجمل، فتقدّم محمد فأخذ بخِطامه وعائشة عليه، فقال لها: ما ترين يا أُمَّه؟ قالت: أرى أن تكون خير بني آدم، فلم يزل كافّاً، فأقبل عبد الله بن مُكَعْبِر ـ رجلٌ من بني عبد الله بن غطفان حليف بني أسَد ـ فقال له محمد: أُذكِّرك «حَمَ»، فطعنه فقتله.

قال الواقدي: مرَّ عليّ عليه السلام على القتلى، ومعه الحسن بن علي وعمار وصَعصعة بن صُوحان والأشتر ومحمد بن أبي بكر، وبأيديهم النيران يطوفون على القتلى، فمرّ عليّ بمحمد بن طلحة وهو قتيل فقال: السَّجّاد وربِّ الكعبة، فردَّ رأسه إلى جسده، وبكى واسترجع وقال: والله هذا قريعُ قريش، والله ما علمتُه إلا صالحاً عابداً زاهداً، والله ما صرعه هذا المصرع إلّا برُّه بأبيه فإنه كان مطيعاً له، ثم جعل يبكي ويحزن عليه، فقال له الحسن: يا أبتِ، قد كنتُ أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان، فقال: قد كان ذلك يا بُنيّ، ولَوَدِدتُ أنّي متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقد روى ابن سعد بمعناه، فقال الحسن لعلي: ما كان أغناك عن هذا؟ فقال علي: ما لي ولك يا بني أو يا حسن، ثم قال: ودَّ أبوك أنه مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقال ابن سعد: قال طلحة يوم الجمل: إنّا داهَنّا في أمر عثمان، فلنَبذُلَنّ دماءنا وأولادنا فيه(٢).

قال هشام: الذي قتل محمداً عبد الله بن مُكَعْبِر حليف بني أسد، ولما حمل عليه قال له محمد: أنشدك الله والرَّحم، فطعنه فقتله.

---

(١) انظر الطبري ٤/ ٥٢٦، وطبقات ابن سعد ٧/ ٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٤.

وقال ابن سعد: ويقال: إن الذي قتله ابن مكيس الأزدي، قال: وقال بعضهم معاوية بن شدَّاد العَبْسي.

قال: وروى محمد الحديث عن عمر، وأمره عمر أن ينزل في قبر خالته زينب بنت جَحش زوجِ النبي ﷺ، وكان ثقة[١].

ذكر ولد محمد بن طلحة:

قال علماء السير: كان له إبراهيم وسليمان وداود وأمّ القاسم.

فأما إبراهيم بن محمد فكان يُسمّى أسدَ الحجاز، وله قصة مع عبد الملك بن مروان والحجاج، وسنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما سليمان بن محمد فبه كان يُكنى.

وأم سليمان وداود وأم القاسم خَوْلَة بنت منظور بن زبّان، فزاريّة، وأخوهم لأمِّهم حسن بن حسن بن عليّ عليه السلام، وأمّه خولة هذه.

وفيها توفي

محمد بن أبي حُذيفة

ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

استشهد أبوه أبو حذيفة يوم اليمامة، قال علماء السير: ترك ابنَه محمداً صغيراً؛ فكفِله عثمان بن عفان، فأحسن كَفالته، وربّاه فأجمل تربيتَه، فلما ترعرع سأل عثمانَ أن يولّيه ولاية فأبى، فتنسَّك وتعبّد، ويُقال: إن عثمان حدّه في الشراب، وهو الذي منعه أن يولّيه شيئاً.

وذكره الموفق رحمه الله فقال: وكنية محمد بن أبي حذيفة أبو القاسم، لم يزل في كفالة عثمان سنين، ثم خرج إلى مصر وبها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح عامل لعثمان، فوفد عبد الله بن سعد على عثمان، فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر وأخذها، فلما عاد ابن سعد إليها منعه من دخولها، فرجع ابن سعد إلى عَسْقلان، فأقام بها، وأقام ابن أبي حذيفة على مصر؛ حتى ولّى علي عليه السلام على مصر قيس بن سعد،

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨.

وعزل عنها ابن أبي حذيفة، فخرج إلى الشام، فقتله مولى لعثمان[(١)].

وقال هشام بن الكلبي: استأذن محمد عثمانَ في غزو البحر فأذن له، فخرج إلى مصر، فلما رأى الناس عبادتَه وزهدَه أعظموه و أطاعوه، وكان محمد بن أبي حذيفة جَهوريّ الصوت، فكبّر يوماً خلف عبد الله بن سعد تكبيرةً أفزعتْه، فشتمه ابنُ سعد وقال: أنت حدث أحمق، ولولا ذلك قاربتُ بين خُطاك.

وكان محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر يعيبان على عثمان توليتَه لابن سعد، ويؤلِّبان عليه، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان فأخبره، فكتب إليه عثمان: أما ابنُ أبي بكر فيوهَب لأبيه ولعائشة، وأما ابنُ أبي حذيفة فابني وتربيتي، وهو فَرْخُ قريش، فكتب إليه ابن سعد: إن هذا الفَرْخَ قد نَبت ريشُه، وما بقي إلا أن يطير، فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألفاً وكسوة، فجمع محمد المصريين، ووضع المال في المسجد وقال: إن عثمان يريد أن يخدَعني ويَرشوني على ديني، وفرَّقه فيهم، فازداد في عيون القوم، وازدادوا طغياناً على عثمان، فاجتمعوا وبايعوا محمداً على رئاستهم، فلم يزل يؤلِّبُهم على عثمان حتى ساروا إليه فقتلوه[(٢)].

وقال أبو سعيد بن يونس ويزيد بن [أبي] حبيب: فقدم معاوية مصر في سنة ستٍّ وثلاثين، فنزل عينَ شمس، وامتنع عليه دخول مصر، فكتب إلى محمد بن أبي حُذيفة يَخدعه ويقول: إنا لا نريد قتالَ أحدٍ من المسلمين، وإنَّا جئنا نطلب القَوَدَ بعثمان، فادفعوا إلينا قاتليه: ابنَ عُدَيْس وكنانة بن بِشر فهما رأسا القوم.

فكتب إليه ابنُ أبي حذيفة: إني لم أكن لأُقيد بعثمان جَدْياً [أرطَبَ السُرَّة]، فقال معاوية: فاجعلوا بيننا وبينكم أجلاً حتى يجتمع الناس على إمام، وارهنوا عندنا رَهْناً، فأجابه محمد إلى ذلك وقال: أنا أستخلف على مصر، وأخرج مع الرُّهُن في هذا العهد، وإنما قال ذلك جُبناً وخَوَراً منه، فاغتنم معاوية قولَه.

---

(١) كذا وهو خطأ، صوابه: مولى لمعاوية، واسمه رشدين. انظر المعارف ٢٧٢، والاستيعاب (٢٢٤٦)، والتبيين ٢١٧.

(٢) انظر الطبري ٤/ ٢٩١، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٧-١٦٩ و ٧/ ٦٩٩-٧٠٠.

وخرج ابنُ أبي حذيفة مع معاوية إلى الشام، فلما نزلوا الساحل بقرية يقال لها: لُدّ، سجنهم بها، وقيل: إنه سجن ابنَ أبي حُذيفة بدمشق، وابنَ عُدَيْس ببَعْلَبَكّ.

قال أبو سعيد بن يونس: فبينما معاوية في مسيره ذلك جاءه بريد؛ فأخبره أن محمد ابن أبي حذيفة قد هرب من السجن، وقيس بنَ عديّ اللّخمي النائب بمصر قد أغار على الشام، وجاء بريدٌ آخر بأن ابنَ عُدَيس وكنانة قد هربا من سجن بعلبك، ثم جاءه بريد آخر بأن هِرَقْل قد نزل الدَّرْبَ، وجاءه بريد آخر أن أمير المؤمنين قد شارف الشام، فقال: خمسة[1] بُرُد في ليلة واحدة، فاهتمَّ معاوية، ثم قال لعمرو بن العاص: ماذا ترى؟ فقال: أما قيس بن عديّ فسارق بعير ثم يعود، وأما ابنُ عُدَيْس وكِنانة فخذ عليهما الرَّصَد، وكذا ابن [أبي] حذيفة، وأما هِرقل فلم يَعْدُ الدَّرْبَ، وأما علي فإن صحّ مجيئُه لم يمكنْه الإقامة على غير قاعدة، فهوِّن عليك.

فبعث معاوية عمرو بن عبد الله الخَثْعمي في طلب محمد بن أبي حذيفة وابن عُدَيْس وكنانة، وكانوا يسيرون ليلاً ويَكمنون نهاراً، فخرج نَبَطٌ من أنباط الشام يطلبون حماراً ضاع منهم، فدخلوا غاراً فوجدوهم، فدلُّوا عليهم، فدخل عمرو فقتلهم وأصحابهم.

وقال أبو مخنف: إن كنانة بن بِشر قتله جيشُ معاوية الذي نَفّذه لافتتاح مصر[2].

وقال خليفة: كنانة قتل يوم الدار، قتله عبدٌ حبشيّ لعثمان، وقد ذكرناه[3]، وحكاه الطبري.

وأما محمد بن أبي حذيفة فقد اختلفوا في مقتله؛ فقال هشام بن محمد: ضبط مصر قبل قدوم قيس بن سعد، فسار إليه معاوية وعمرو بن العاص، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا عليها، فلم يزالا يعالجان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عَريش مصر في ألف رجل، فأحدقا به، فالتجأ إلى حصن العَريش، فحاصره عمرو ونصب عليه المناجيق، فأخذه وقتله.

---

(١) في (خ): خمس؟!.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ٤٩٣_٤٩٥ .

(٣) سلف في ترجمة عثمان ﷺ.

وفي رواية عن ابن الكلبي[١]، وقد ذكره البلاذري، قال: إنما قتل ابن أبي حذيفة بعد مقتل محمد بن أبي بكر، أخذه عمرو بن العاص فبعث به إلى معاوية بدمشق فحبسه بها، وما كان معاوية يختار قتله لأنه ابن خال معاوية، فكان معاوية يود أنه لو هرب من السجن، فأقام مدة ثم هرب، فأرسل خلفه عبد الله بن عمرو الخثعمي، وكان عثمانياً، فدخل خلفه الغار فقتله، مخافة أن يُطلقه معاوية.

قال البلاذري: وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[٢].

انتهت ترجمته والله سبحانه وتعالى أعلم[٣].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) المنتظم ٥/ ٩٧، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ١٠٥-١٠٦ ففيهما الخبران.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٧٠٠-٧٠١، ولم يصرح بالسنة، وإنما ذكر أنه قتل بعد صفين.

(٣) انظر في ترجمته المعارف ٢٧٢، والاستيعاب (٢٢٤٦)، وتاريخ دمشق ٦١/ ٢٧٦، والسير ٣/ ٤٧٩، والإصابة ٣/ ٣٧٣.

السنة السابعة والثلاثون

فيها كانت وقائع صِفِّين، وصِفّين قريةٌ من قرى الروم على شاطئ الفرات، مما يليها غياض ملتفَّه بمقدار فرسخ أو فرسخين، وليس لها طريق إلى الماء إلّا من مكان واحد.

قلت: وعَبرتُ بالمشهد الذي عند صِفّين، وسمعتُ أهلَه تقول: هذا مشهد الصَّفَّين؛ يعنون صفّ أمير المؤمنين، وصف معاوية، وكان معاوية قد نزل عندها، وأخذ المشرعة على أصحاب أمير المؤمنين، واقتتلوا على الماء، وقد ذكرناه.

قال علماء السير: ولما دخلت هذه السنة جرت بين أمير المؤمنين ومعاوية مُوادعة على ترك الحرب؛ طمعاً في الصُّلح، فلم يتمّ.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مِخْنَف، عن أشياخه قالوا: بعث عليّ عديَّ بنَ حاتم ويزيد بن قيس الأَرْحَبي وشَبَث بن رِبْعي وزياد بن خَصَفَة(١) إلى معاوية، فلما دخلوا عليه قال له عدي بن حاتم: أما بعد؛ فإنا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به الكلمة، ويحقن به الدماء وتأمن به السُّبُل، ويُصلح الله به ذاتَ البَين، إن ابنَ عمك أمير المؤمنين سيّد المسلمين، وأفضلهم سابقة في الإسلام، وأحسنه أثراً، قد أجمع عليه الناس، ولم يبق سواك، فبايعه، لا يصيبُك وأصحابَك ما أصاب أهلَ الجمل.

فقال له معاوية: يا عديّ، أمُهدِّداً جئتَ أم مُصلحاً؟ كلا والله إني ابنُ حَرْب، ما يُقعقع لي بالشِّنان، وإنك والله لمن قَتَلة عثمان، وإني أرجو من الله أن يقتلك به.

وقال له شَبَث بن رِبعي وزياد وتنازعا جواباً واحداً: يا معاوية، أتيناك فيما يصلح الله به بين المسلمين؛ فأخذتَ تضرب لنا الأمثال، دع مالا يَنفعك من القول، وأجب فيما يَعُمُّ نفعُه.

وقال له يزيد بن قيس: اتّقِ الله يا معاوية ولا تخالف أمير المؤمنين، فإنا والله ما رأينا رجلاً أعمل منه بتقوى الله، ولا أزهد منه في الدنيا.

(١) في (خ): عدي بن أبي حاتم، ويزيد بن أبي قيس الأرحبي، وشيب بن ربعي، وزياد بن حفصة، وهو خطأ، صوابه من الطبري ٥/ ٥، ووقعة صفين ١٩٧.

فقال معاوية: إن صاحبكم قتل خليفتَنا وابنَ عمِّنا، وألَّب عليه، وفرَّق جماعتنا، ثم يزعم أنه لم يقتله؟! ونحن لا نردُّ ذلك، ألستم تعلمون أن قتلَةَ عثمان أصحابُه وبِطانتُه، فلْيدفعْهم إلينا حتى نقتلَهم به، ثم نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شَبَث بن رِبْعي: أيسرُّك يا معاوية أنك لو مُكِّنْتَ من عمار أتقتلُه؟ فقال له معاوية: وما يمنعُني من ذلك؟ لو مَكِّنتُ من ابن سُمَيَّة ما قتلتُه بعثمان، ولكن كنتُ أقتلُه بناتِل مولى عثمان.

فقال له شبث: وإله السماء، إنك لن تصلَ إليه حتى تندُرَ الهامُ عن كواهل الأقوام، ثم تفرَّقوا عن غير شيء.

وقول معاوية: لا يُقعْقَع لي بالشِّنان مثلٌ للعرب(١)، والشِّنان جمع شَنَّة؛ وهي القِربة الصغيرة، والقَعْقَعَةُ الصَّوتُ.

قال أبو مخنف: ثم أرسل معاوية إلى أمير المؤمنين حَبيبَ بن مَسلَمة الفِهريّ ومعن ابن يزيد بن الأخنسَ، قال الطبري: وشُرَحْبيل بن السِّمط، وهو وهم؛ فإن شُرحبيل مات في السنة الماضية، وقد ذكرناه.

قال: ولما دخلوا على أمير المؤمنين حمد الله حَبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن عثمان كان خليفةً مهديًّا يعمل بكتاب الله، فاستثقلتُم حياته، واستبطأتُم وفاتَه، فعدوتُم عليه فقتلتُموه، فإن زعمت أنك لم تقتله فادفع إلينا قتلتَه، ثم اعتزل الناس، فيكون أمرهم شورى بينهم، يُولُّون مَن أجمع عليه رأيُهم.

فصاح عليه أمير المؤمنين وقال: اسكت لا أمَّ لك، ما لك ولهذا؟ فقام حبيب وهو يقول: والله لتراني بحيث تكره، فقال له علي: لا أبقى الله عليك إن أبقيت(٢).

ثم حمد أمير المؤمنين الله، وصلى على رسوله ﷺ وأثنى على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قال: فوَلي عثمان، فأتى بأشياء عابَها الناس عليه، فنهيتُه عنها فما انتهى، وأقام على لَجاجة، وتخلّى عنه المهاجرون والأنصار، فسار إليه الناس فقتلوه، ثم أتاني

(١) جمهرة أمثال العرب ٢/ ٤١٢.

(٢) في الطبري ٥/ ٧، ووقعة صفين ٢٠٠ كلام لشرحبيل بن السمط.

الناس وأنا مُعتزِلٌ أمورَهم فقالوا: إن الأمة لا ترضى إلا بك، فإن أبيت فعلنا بك كما فعلنا بعثمان، فبايعوني، فلم يَرُعْني إلا خلافُ طلحة والزبير وعائشة، فجرى ما جرى، وخالفني معاوية الذي لم يجعل الله له سابقةً في الإسلام، ولا سلفَ صِدْق في الدّين، طَليقُ بنُ طليق، لم يزل هو وأبوه معاندَيْن لله ورسوله، دخلا في الإسلام مُكرَهَين، وخرجا منه طائعَيْن، وقد تركتُم أهلَ بيت نبيّكم ﷺ وتبعتموه، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله.

فقال معن: اشْهَد أن عثمان قُتل مظلوماً، فقرأ أمير المؤمنين: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠-٨١] فقام معن وخرج.

وحدّثنا مشايخنا عن محمد بن ناصر بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: قلتُ لعليّ وهو واقف في سبع مئة من ربيعة: يا أمير المؤمنين، ألا تروح إلى القوم فإمّا لنا وإما علينا، فقال: يا عدي، إن معاوية معه قومٌ يُطيعونه، وأنا معي قوم يعصوني، قال: فرحمتُه والله، وسنذكر هذا المعنى فيما بعد.

ذكر بداية القتال

وقفت على تاريخ بالشام منسوب إلى أبي جعفر الطبري، والظاهر أنه ليس من تصانيفه، يذكر فيه أنهم لم يزالوا يتراسلون شهرا ربيع وجمادى الأولى، وأنهم اقتتلوا في أول جمادى الآخرة، وليس هذا بشيء، والأصح أنهم اقتتلوا أوّل صفر.

قال علماء السير: ولما انفصل حَبيب ومعن عن أمير المؤمنين أمر مَرْثَد بن الحارث الجُشَمي فنادى: يا أهلَ الشام، إنا دعوناكم إلى الحقّ وقد أبيتُم، وإني قد نَبذتُ إليكم على سواء، إن الله لا يُحبُّ الخائنين(١).

وقال أبومخنف: وأوصى علي عليه السلام أصحابه فقال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، وإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مُدبِراً، ولا تُجهزوا على جَريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تُمثّلوا، ولا تهتكوا ستراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في

(١) المنتظم ٥/ ١١٧.

عسكرهم، ولا تُهيِّجوا امرأة وإن شَتَمْنَ أعراضكم؛ فإنهن ضِعاف القُوى والنُّفوس.

قال أبو مخنف: وأصبح أمير المؤمنين أول يوم من صفر قد كتَّب الكتائب، فجعل الأشتر على خيل الكوفة، وسَهْلَ بن حُنَيف على خيل البصرة، وقيس بن سعد وهاشم ابن عُتْبَة على الرَّجَّالة، وعلى القُرَّاء عمار بن ياسر وعبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء.

وجعل معاوية على ميمنته [ابن] ذي كَلاع الحِميريّ(١)، وعلى ميسرته حبيب بن مَسلمة الفِهري، وعلى مقدّمته أبا الأعور السُّلَمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى الرجَّالة مُسلم بن عُقبة المُرِّيّ والضحاك بن قيس الفهري، وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعَقَّلوا نفوسهم بالعمائم، وكان المعقّلون خمسة صفوف.

ورتَّب أمير المؤمنين عساكره كترتيبه يومَ الجمل، وقيل: صفَّ أصحابَه أحد عشر صفاً، وفعل معاوية كذلك.

ولما كان أول يوم من صفر برز الأشتر النَّخَعي في خيل أهل الكوفة، وبرز إليه حَبيب بن مَسلمة وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى آخر النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض.

وخرج في اليوم الثاني هاشم بن عُتبة بن أبي وقَّاص في خيل أهل العراق، وبرز إليه أبو الأعور السُّلَمي، وصبر الفريقان.

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ عمار يقول يا أيها الناس ـ أو يا أهل العراق ـ أتريدون أن تنظروا إلى مَن عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين وظاهر المشركين، فلما رأى الله قد أعزّ دينه، وأظهر الله نبيَّه ﷺ؛ أتى إلى رسول الله ﷺ فأسلم فيما نُرى راهباً غير راغب، ثم قبض الله رسوله، وهو والله معروف بعداوة المسلمين فقاتِلوه، وشدَّ عمار فأزال ابن العاص عن موقفه، فانصرف وعمار يصيح وراءه: من أراد أن ينظر إلى عدو الله الباغي على المسلمين، المجتهد في إطفاء نور الله؛ فهو هذا فجاهدوه.

---

(١) ما بين معكوفين من الطبري ٥/ ١١، والمنتظم ٥/ ١١٨، وما سيرد قريباً من قوله: اليوم السادس خرج قيس بن سعد، وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحميري.

اليوم الرابع: وخرج فيه محمد بن الحنفيّة، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين كبيرين عظيمين، فاقتتلوا أشدّ قتال، فأرسل عبيد الله إلى محمد بن الحنفيّة: أن اخرُج إليّ، فقال: نعم، وخرج يمشي، فبَصُر به أمير المؤمنين فقال: من هذان المتبارزان؟ فقيل ابن الحنفية وابن عمر، فركض دابتَه وصاح: يا محمد قف، ثم حمل على عبيد الله وقال: يا فاسق، أنا لك، فولّى مُنهزماً يقول: ليس لي حاجةٌ في مبارزتك، فقال له محمد: يا أمير المؤمنين، تبرُزُ إلى هذا الفاسق، والله لو دعاك أبوه لرغبتُ بك عنه[1]، فقال له: يا بنيّ، لا تقل في أبيه إلّا خيراً.

اليوم الخامس: خرج عبد الله بن عباس، وخرج إليه الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ الوليد يَسُبُّ بني هاشم ويقول: قطعتم أرحامَكم، وقتلتم إمامَكم، ولم تُعطَوا ما طَلبتُم، ولم تُدركوا ما أمَّلتُم، فحمل عليه ابن عباس فانهزم.

كذا ذكر الطبري[2] أن الوليد بن عُقبة برز إلى ابن عباس! قالوا: لم يشهد الوليد صِفّين، والذي برز إلى ابن عباس أبو الأعور.

اليوم السادس: خرج قيس بن سعد الأنصاري، وخرج إليه ابنُ ذي الكَلاع الحميريّ، فاقتتلا على السواء.

اليوم السابع: خرج الأشتر، وخرج إليه حَبيب بن مَسلمة.

فلما كان اليوم الثامن أرزموا[3] القتال إلى آخر يوم، وهو الذي فيه ليلة الهَرير، خطب أمير المؤمنين الناس وقال: إلى متى ما نُناهضهم بأجمعنا[4]؟! وكان وقت السَّحَر، فأصبحوا يوم الخميس وهم على مَصافّهم، وقيل: إن هذا اليوم كان أعظم الأيام، فقال كعب بن جُعَيل التَّغلِبيّ في ليلته: [من الرجز]

أصبحت الأمةُ في أمرٍ عَجَبْ

---

(١) في (خ): به عنك، والمثبت موافق لما في الطبري ٥/ ١٣، ووقعة صفين ٢٢١.

(٢) في تاريخه ٥/ ١٣، وكذا ذكر نصر بن مزاحم في وقعة صفين ٢٢٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٢١٢، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٣٥٣.

(٣) في (خ): أرموا، ومعنى أرزموا: تابعوا وأداموا.

(٤) في الطبري ٥/ ١٣، ووقعة صفين ٢٢٥: حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا؟

والـمـلـكُ مَـجـمـوعٌ غـداً لـمـن غَـلَـبْ
أقـول قـولاً صـادقـاً غـيـرَ كَـذِبْ
إنّ غـداً تَـهـلِـك أعـلامُ الـعَـرَبْ

وقد جرى بينهم أراجيز ومُناشدات عَدَّينا عليها خوفاً من الإطالة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى الليل.

وقال هشام: وكان هذا اليوم من أعظم أيام صِفّين وأشدِّها، كان ابن عباس في الميمنة، والأشتر في الميسرة، وعلى القرّاء عمار وعبد الله بن بُدَيل، وعلى الرجّالة قيس بن سعد، وأمير المؤمنين في القلب ومعه بنوه والمهاجرون والأنصار.

وأقبل معاوية في جيوشه وترتيبه المتقدّم، وقد رفع قُبَّةً عظيمة قد جعل عليها الكرابيس[١]، فحملت مَيمنة أمير المؤمنين على ميسرة معاوية وألجأتها إلى القُبَّة، وحمل معاوية وبيده سيفان، فحمل عليه عبد الله بن بُدَيل في ثلاث مئة من القرَّاء، وقصد قتلَ معاوية، فقتل حُمران مولى عثمان عبد الله بنَ بُدَيْل، واستظهر أهل الشام على ميمنه أهل العراق، فلما رأى ذلك الأشتر صاح على ميمنة أهل العراق: إليَّ، فتراجعوا وعادوا إلى ما كانوا عليه.

قال أبو مخنف: وبايع أهل الشام معاوية على الموت، وداروا حول قُبَّته.

وقال عبد الله بن بديل قبل أن يُقتل لأصحابه: ألا إن معاوية ادَّعى ما ليس له، ونازع الأمرَ أهلَه، وحاول الباطل ليُدْحِضَ به الحق، ومال عليكم بالأعراب والأحزاب، وقد زَيّن لهم الضَّلالة، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة، ولبَّس عليهم الأمر، وزادهم رِجساً إلى رِجسهم، وأنتم على نور من ربكم، وهُدىً وبُرهان مُبين، فقاتلوا الطُّغاة الجُفاة. وذكر كلاماً في هذا المعنى، ثم حمل على قُبَّة معاوية فقتلوه.

وقال أبو مخنف: كان النَّبْلُ في ذلك اليوم يمرُّ بين عيني[٢] أمير المؤمنين ومَنكبيه، وهو يأخذه بيده فيلقيه كذا وكذا، وربيعة تقيه بنفسها، فلا يصل إليه منه شيء، والأشتر

(١) نوع من الثياب.
(٢) كذا، والذي في الطبري ٥/ ١٩ ، والمنتظم ٥/ ١١٨ : بين عاتقه ومنكبه، وهو الأشبه.

يحمل ويقول: [من الرجز]

الـغَـمـراتِ ثـم يـنـجـلـيـنـا

وفي هذا اليوم قُتل عمار لما نذكره في موضعه.

وقال هشام: قاتلت ربيعة في ذلك اليوم دون أمير المؤمنين قتالاً عظيماً، والراية بيد حُضَين بن المنذر، ولما مَرّ أمير المؤمنين بعمار فرآه قتيلاً بكى بكاء عظيماً، وبكى الناس، وقال لربيعة وهَمْدَان، أنتم دِرعي ورُمحي، وكانوا قد أبلَوا بلاء حسناً، فانتدب له اثنا عشر ألفاً، وحمل على بغلته، وحملوا معه حملةَ رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صفٌّ إلا انتقض، وانتهَوا إلى صفِّ معاوية، وأمير المؤمنين يقول: [من الرجز]

أضـرِبُـهـمْ ولا أرى مـعـاويـه

الـجـاحِـظَ الـعـيـنِ الـعـظـيـمَ الـحـاوِيـه

ثم صاح: ويحك يا ابنَ هند، علامَ تفنى الناس، هلمَّ أحاكمك إلى السيف؛ فأيّنا قُتل استقام الناس للآخر، فخاف معاوية وانتفض، فقال له عمرو: قد أنصفك وما يَحسن بك إلا مبارزتُه، فقال له: طمعتَ فيها بعدي، أما علمتَ أنه ما بارزه رجلٌ إلا قتله.

وقال هشام: وكان أمير المؤمنين قد أبرز في ذلك اليوم لواء رسول الله ﷺ الذي كان يقاتل تحته، ولم يكن أبرزه قبل ذلك اليوم، وأعطاه لقيس بن سعد بن عبادة، فضجّ المسلمون بالبكاء، واجتمع حوله المهاجرون والأنصار، فقال قيس بن سعد: [من البسيط]

هـذا الـلـواء الـذي كـنـا نَـحُـفُّ بـه　　دون الـنـبـيِّ وجـبـريـلٌ لـنـا مَـدَدُ

مـا ضَـرَّ مَـن كـانـت الأنـصـار عَـيـبـتَـه　　أن لا يـكـون لـه مـن غـيـرهـم مَـدَدُ[١]

وقدّم معاوية بين يديه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف ينادون: يا دم عثمان، وعبيد الله يقول: [من الرجز]

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٣٤٦ (مخطوط).

أنـا عـبـيـد الله يَـنْـمـيـنـي عـمـرْ
خـيـرُ قـريـشٍ مـن مَـضـى ومـن غَـبَـر
قـد أبـطـأت فـي نـصـر عـثـمـانَ مُـضَـرْ

فصاح به أمير المؤمنين: يا فاسق كم تتعلَّل بدم عثمان والله، وأنا أطلبكم بدم الهُرْمُزان، والله لأقطعنّك إرْباً إرباً، وقال للأشتر: احمِلْ عليه، فحمل عليه فانهزم، والأشتر يقول: [من الرجز]

إنـي أنـا الأشـتـر مـعـروفُ الـسِّـيَـر
إنـي أنـا الأفـعـى الـعـراقـيُّ الـذَّكَـرْ

وقال أبو مخنف: خطب أمير المؤمنين بصفِّين فقال: يا أيها الناس، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠] وقرأ آيات الجهاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾الآية[الصف: ٤]، فسوُّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدّارع، وأخِّروا الحاسر.

وأوصاهم(١) وقال: وإن هؤلاء القوم لم يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيَّعناه، وإحياء حقٍّ رأونا أمتناه، وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا؛ ليكونوا فيها جبابرة ملوكاً، ولو ظهروا عليكم لرموكم بمثل سعيد، والوليد، وابن عامر الضال السَّفيه، فقاتلوا عباد الله المارقين الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادهم لومةُ لائم، فمتى ظهروا عليكم أفسدوا دنياكم ودينكم.

قال هشام: واتَّصل القتال من ليلة الجمعة إلى الصباح، وهي ليلة الهَرير، وكانت ليلةً عظيمة مثلَ ليلة الهَدْأة بالقادسية، تطاعنوا بالرماح حتى تقصَّفت، وترامَوا بالنَّبْل حتى نَفِد، وتضاربوا بالسيوف حتى كَلَّت، وخفيت الأصوات، وغابت الأخبار عن أمير المؤمنين وعن معاوية.

ويقال: إن أمير المؤمنين ثلم في تلك الليلة ثمانيةَ أسياف، وجُرح خمس جراحات؛

---

(١) في الطبري ٥/ ١٧ ، ووقعة صفين ٢٤٧ أن هذه الوصية ليزيد بن قيس الأرحبي حرّض الناس فيها على القتال.

ثلاثة في رأسه واثنان في وجهه.

فلما طلع الصباح نادى منادٍ: يا أمَّة محمد، البقية البقية، تركتم الإسلام بعد ما دخلتم فيه، وأضعتم الصلاة، الله الله.

وأصبح القتال بحاله، وحمل الأشتر بأهل العراق وربيعة على أهل الشام، فقتل صاحب رايتهم، فانتقضت صفوف أهل الشام، وأيقن معاوية بالهلاك.

وقال ابن عبد البر، نادى حَوْشب الحميريّ: يا ابن أبي طالب، انصرف عنا، نَنشُدك اللهَ في دمائنا ودمك، ونُخلّي بينك وبين عراقك، وتُخلّي بيننا وبين شامنا، فقال أمير المؤمنين: هيهات يا ابن [أم] ظُلَيم، لو علمتُ أن المداهنة تَسَعُني في دين الله لفعلت، ولكن الله لم يَرضَ من أهل القرآن بالمداهنة وهم يطيقون الدفاع، حتى يَظهر أمرُ الله تعالى(١).

وقال ابن إسحاق: أقاموا يتراسلون شهراً، ويَفْزَعون فيما بين ذلك [الفَزعةَ بعدَ الفَزعة]، ويحجز بينهم القراء والصالحون، فيفترقون عن غير حرب، وكانوا يكرهون اللقاء مخافةَ الاستئصال، غير أنه كان يخرج الجماعة من هؤلاء وهؤلاء فيقتتلون بين العسكرين.

قال: ودخل أبو أُمامة الباهليّ على معاوية فقال له: علام تقاتل علياً وهو أحق بهذا الأمر منك؟ فقال: أقاتله على دم عثمان، قال: أهو قتله؟ قال: آوى قتلتَه، فاسأله أن يُسلمهم إلينا فأنا أول مَن بايعه. فدخل على علي ومعه جماعة من الصحابة فقال: سلم إليهم قَتَلَة عثمان، فاعتزل من عسكر علي زهاء عشرين ألف رجل، فصاحوا: نحن قتلْنا عثمان، فخرج [أبو] أُمامة فلحق بالساحل، ولم يشهد شيئاً من تلك الحروب(٢).

ولما نَشِبت الحرب جعل علي عليه السلام عمار بن ياسر على الخيل، وعلى الرجّالة عبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ، ودفع الراية العظمى إلى هاشم بن عُتبة المِرقال، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى رجّالة الميمنة سُليمان بن صُرَد، وعلى رجّالة الميسرة الحارث بن مُرَّة العَبديّ، وفي القلب [مضر، وفي الميمنة] ربيعة، وضمَّ قريشاً وأسداً إلى ابن عباس، وضم كِندَة

---

(١) الاستيعاب (٥٩٨) وما بين معكوفين منه.

(٢) الخبر في وقعة صفين ١٩٠ والبداية والنهاية ٢/ ٥٠٧ وما بين معكوفين منهما.

إلى الأشعث بن قيس، وضم بكراً إلى الحُضَين بن المنذر، وجعل عَمرو بنَ الحَمِق على خُزاعة، وكتَّب الكتائب، وفرَّق الأُمراء على القبائل[١].

وأما معاوية فاستعمل على الخيل عمرو بن العاص، وعلى الرجَّالة مُسلم بن عُقبة المُرِّي، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة حَبيب بن مَسلمة، ودفع اللواء الأعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، واستعمل على أهل دمشق الضَّحَّاك بن قيس، وعلى أهل حمص ذا كَلاع، وعلى أهل قِنّسرين زُفَر بن الحارث، وعلى أهل الأردن أبا الأعور السُّلَمي، وكتّب الكتائب، وفرّق القبائل.

ولما كان في اليوم الأول تقابلت الصفوف، فكان كلُّ فريق سبعةَ صفوف، فوقفوا تحت رايتهم لا يَنطق أحدٌ منهم بكلمة، فخرج رجل من أهل العراق يُسمَّى حَجْل[٢] بن أثال، وكان من فُرسان العرب، وطلب البراز وهو مُقَنّع بالحديد، فبرز إليه أبوه أثال وكان في أهل الشام، ولم يعرف أحدهما صاحبَه، فتطاعنا وتضاربا وتطاردا، فلم يترجّح أحدهما على الآخر، فحمل الأب على الابن فاحتضنه فقلعه من سرجه، فسقط وسقط الأب عليه، فانكشفت وجوههما فتعارفا، فرجع كلٌّ واحدٍ إلى عسكره، ثم فصل بينهم الليل.

ثم خرج في بعض الأيام عُتبة بن أبي سفيان، فوقف بين الصفين، فبرز إليه جَعْدَةُ بن هُبَيرة بن أبي وَهْب القرشي، فتجاولا وتقاولا، فأغضب جَعدةُ عُتبة، فشتمه عتبة، فحمل عليه جَعدة فانهزم، ثم خرج كلٌّ واحد من الفريقين إلى الآخر على ما ذكرنا.

قال: وحمل عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقاء على صفوف أهل الشام في القُرَّاء فخرقها، وقتل جماعةً، حتى انتهى إلى الرابية التي عليها معاوية فحالوا بينهما، ولم يعمل في ابن بُدَيْل حديد لما كان عليه من اللّبس، فصاح معاوية: ويحكم إن الحديد لم يُؤذن له في هذا، فعليكم بالحجارة، فضربوه بالحجارة حتى مات، وجاء معاوية فوقف عليه وقال: هذا كَبْش القوم، وهو واللهِ كما قال الشاعر[٣]: [من الطويل]

---

(١) انظر الأخبار الطوال ١٧١، ووقعة صفين ٢٠٥.

(٢) في (خ): جحد، والمثبت من الأخبار الطوال ١٧٣.

(٣) البيتان لحاتم الطائي، والأول في ديوانه ٢٥٦، وهما في الأخبار الطوال ١٧٦، والطبري ٥/ ٢٤، ووقعه صفين ٢٤٦، ومروج الذهب ٤/ ٣٧٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٢١٦ دون نسبة.

أخو الحربِ إن عَضَّت به الحربُ عَضَّها ... وإن شَمَّرت عن ساقها الحربُ شَمَّرا
كلَيثِ عَرِين بات يحمي عَرينَه ... رَمَتْه المنايا قَصْدَها فتَقَطَّرا

قال: ونادى علي معاوية: ابرُز إليّ يا ابنَ هند حتى نُريحَ الناس، فقال معاوية لعمرو: ما ترى؟ قال: قد أنصفك الرجل، فابرز إليه، فقال معاوية: أتخدعُني عن نفسي، ثم قال: [من الكامل]

ما للملوك وللبِراز وإنما ... حَظُّ المبارِزِ خَطْفَةٌ من بازِ

ثم هجر معاويةُ عمراً أياماً.

وقال أبو مَعْشَر: قال عمرو: أنا خارجٌ إلى علي غداً، فبرز من الغد ونادى: يا أبا الحسن، اخرج إليّ فأنا عمرو بن العاص، فانتضى أمير المؤمنين سيفه، وحمل عليه، فلما أراد أن يَغشاه رمى بنفسه عن فرسه، ورفع إحدى رجلَيه فبدت عورته، فصرف أمير المؤمنين وجهه عنه وتركه، فانصرف عمرو إلى معاوية فقال له: يا عمرو، احمد الله وسواد استِك.

قال: وخرج عبيد الله بن عمر في بعض أيام صفّين فقال: أنا الطيّب بن الطيّب، فناداه عمار: يا ملعون، بل أنت الخبيث بن الطيّب.

قال ابن إسحاق: وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صفين إذا انصرفوا من الحرب يدخل كلُّ فريق منهم في الفريق الآخر، فلا يتعرَّض أحد لصاحبه، يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ناحية عن المعركة.

وروى أبو مخنف، عن الأعمش، عن أشياخه قالوا: شاع خبر أمير المؤمنين في تلك الأيام أنه يقصد أهل الشام فيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم، ففزع أهل الشام خوفاً على الفريقين من البوار، وبلغ معاوية فصفّ الصفوف، فصفّ أهلَ الشام على ترتيبهم، وارتجز عمرو بن العاص بين يدي الصفوف فقال:

يا أيها الجيشُ الصَّليبُ الإيمانْ
قوموا قياماً فاستغيثوا الرحمانْ

إنـي أتـانـي خـبـرٌ فـأبـكـان[١]

أن عـلـيـاً قـتـلَ ابـنَ عَـفَّـانْ

رُدُّوا عـلـيـنـا شـيـخَـنـا كـمـا كـانْ

وصعد معاوية على رابية، ونصب سريراً عالياً، وقعد عليه ينظر إلى الفريقين، فحمل أمير المؤمنين، وكبَّر وكبر الناس، فانتقضت صفوف أهل الشام، وانتهت الهزيمة إلى معاوية، فتطاعنوا بالرِّماح حتى تقصَّفت، وتثلَّمت السُّيوف، وتكادموا بالأفواه، ثم تنادوا من كل جانب يا معشر العرب، اللهَ الله، البقيَّة البقية، وأمير المؤمنين يَنغمس في القوم، فما يَنصرف حتى يَنثني سيفُه، وقربوا من سُرادق معاوية، فهرب معاوية وعمرو بن العاص عن السُّرادِق، فغَشَوه بأسيافهم فقطّعوه.

وكان عامة المهاجرين والأنصار ومَن شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد ممن حضر الجمل وصفين لم يشهروا سيفاً، ويقولون: الأمر مُلتَبِس، إلى أن قُتل عمار، فتنادَوا: استبان الأمر بقتل العبد، وكبَّروا تكبيرةً ارتجَّ لها العسكر، وصاحوا: طاب الضِّراب اليوم، وحملوا فقتلوا في أهل الشام مَقتلةً لم يُرَ مثلُها، وجعل المهاجرون والأنصار يقولون: صدق رسول الله ﷺ، وقُتل المِرْقال.

حديث رفع المصحف

واختلفوا فيه: روى أبو مخنف عن أشياخه قالوا: لما رأى عمرو بن العاص صفوف أهلِ الشام قد انتَقضت خاف الهلاك، فقال لمعاوية: هل لك في أمر أعرِضه عليك لا يَزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فُرقة؟! قال: نعم.

وفي رواية هشام أن السائل لعمرو معاوية؛ لما رأى الغَلَبة وخاف الهلاك قال لعمرو: هل من حيلة، فهذا وقت مُخَبّآتك وهناتك.

رجع الحديث إلى أبي مِخنف قال: فقال له عمرو: نرفع المصاحف على رؤوس الرماح، ثم تقول: ما فيهم حَكَمٌ بيننا وبينكم، فإن أبى بعضُهم أن يقبلها وجدتَ فيهم

(١) في (خ): السليب الإيمان، خبراً فأبكاني، والمثبت من الأخبار الطوال ١٨٠، ووقعة صفين ٢٢٨.

من يقول: بل ينبغي أن نَقبل، فتقع الفرقة بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها؛ رفعنا هذا القتال والحربَ إلى أجل.

فرفعوا المصاحف على الرِّماح وقالوا: هذا كتابُ الله بيننا وبينكم، مَن لثُغور المسلمين من أهل العراق، مَن لثغور أهل الشام؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه.

وقال هشام: قال الأشعث بن قيس لقومه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المُبيرة[(١)]، وإنا والله لئن التقينا غداً إنه لبَوار العرب، فانطلقت العيون بكلام الأشعث إلى معاوية فقال: صدق الأشعث، لئن التقينا غداً لتميلَنّ الرومُ على ذَراري أهل [الشام، وليميلنّ دَهاقين فارس على ذَراري أهل] العراق[(٢)]، وما يُبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام، اربطوا المصاحف على أطراف القنا، فرُبِطت.

فأولُ مُصحفٍ رُبط مصحف دمشق الأعظم، ورُفع على خمسة أرماح، يحملها خمسة رجال، ثم رفعوا جميع ما كان معهم على القنا، وأقبلوا في الغَلَس ولم يعلم أهل العراق ما معهم حتى أضاء الصبح، فتقدّم بين يدي المصاحف جماعة منهم: شُرَيْح[(٣)] الجُذاميّ، ووَرْقاء بن المُعَمّر[(٤)]، فنادَوا: الله الله [في نسائكم وأولادكم]، بيننا وبينكم كتاب الله، فقد فَنينا، فقال أمير المؤمنين: والله ما الكتابَ تريدون، وإنما المكر تُحاولون.

وتكلّم أصحاب عليّ عليه السلام؛ فقال الحُضَين بن المُنذر: أيَّها الناس، إن لنا داعياً قد حَمِدنا وِرْدَه وصَدَرَه، وهو المأمون على [ما فعل، فإن قال لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نَعم. فتكلّم علي وقال:] عباد[(٥)] الله، نحن أولى مَن أجاب إلى كتاب الله، غير أن القوم قد عضَّتهم الحربُ فقصدوا المكرَ والخَديعة.

(١) في (خ): هل رأيتم ... المثيرة، والمثبت من (ع) ووقعة صفين ٤٨٠-٤٨١، والأخبار الطوال ١٨٨.

(٢) ما بين معكوفين من الأخبار الطوال ١٨٩، ووقعة صفين ٤٨١.

(٣) في وقعة صفين ٤٧٨: أبو شُريح.

(٤) في (خ): المعتمر، والمثبت من الأخبار الطوال ووقعة صفين.

(٥) ما بين حاصرتين من الأخبار الطوال ١٨٩-١٩٠، ووقعة صفين ٤٨٥-٤٨٦.

وقال الأشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين، نحن لك اليوم على ما نحن عليه ـ أو على ما كنّا عليه لك أمس ـ غير أن الرَّأي إن رأيتَ إجابةُ القوم إلى كتاب الله حكماً. وأما عديّ بن حاتم وعمرو بن الحَمِق فلم يريا ذلك، ولم يُشيرا على عليٍّ به.

رجع الحديث إلى أبي مِخْنف قال: قال عليّ لما رُفعت المصاحف وقال أصحابُه: نُجيبُ إلى كتاب الله: يا عباد الله، امضوا على حقِّكم وصِدقكم وقتال عدوِّكم، فإن معاوية وعمرو بنَ العاص وابنَ أبي مُعَيط وحَبيب بنَ مَسْلَمة وابنَ أبي سَرْح والضَّحّاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دِينٍ ولا قرآن، أنا أعرفُ بهم منكم، قد صحبتُهم أطفالاً ورجالاً؛ فكانوا شرّ أطفال وشرَّ رجال، ويحكم والله ما رفعوها أنهم يعلمون ما فيها، وإنما هو مَكرٌ وخديعة، ووهن[١] ومَكيدة، فقالوا: ما يَسَعُنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنتأبّى عليه، وإنما نقاتلهم ليَدينوا بحكم الكتاب[٢].

وكان أشدَّهم عليه الأشعث بن قيس لعزله إياه عن أرمينية، فنهاهم أمير المؤمنين فما انتهوا، وناداه مِسْعَر بن فَدَكيّ التّميمي وزيد بن حُصَين الطّائي ثم السِّنْبِسيّ في عصابة من القُرَّاء الذين صاروا خوارج بعد؛ منهم ابن الكَوّاء: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله إذْ دُعيتَ، وإلا ندفعك برُمَّتك إلى القوم، أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان، أو بابن عفّان. قال: احفظوا مقالتكم هذه، فإن أطعتموني فقاتلوا، وإن عصيتموني فاصنَعوا ما بدا لكم، فقالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك.

قال: فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هانئ السَّبيعي: أن أئتِني، فأتاه فقال: ائت أميرَ المؤمنين، فقال: قل له: قد لاح الفتحُ فلا تعجلْني، وليست هذه الساعة التي ينبغي أن آتيك فيها، ولا تُزِلْني عن موقفي، فرجع يزيد إلى علي فأخبره، فارتفعت الأصوات من قِبل الأشتر، فقال القوم: والله ما نراك أمرتَه إلا بالقتال، فقال: رأيتموني سارَرْتُه؟ أما كلَّمتُه على رؤوس الملأ، فقالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك، فعاد إليه يزيد وقال: ويحك أقبلْ فقد وقعت الفتنة، فقال: أرُفعت المصاحف؟ قال: نعم، قال: والله إنها لمَشورة ابنِ العاهرة؛ يعني عمرو بن العاص،

(١) في (خ): ووهناً، وفي الطبري ٥/ ٤٩: ما رفعوها لكم إلا خديعةً ودهناً ومكيدة.
(٢) في الطبري: فقال لهم [علي]: فإني إنما قاتلتهم ليدِينوا بحكم هذا الكتاب.

ويحك أما ترى الفتح؟ فقال: أقبل إليه فقد قالوا: إنا نفعل به كما فعلنا بابن عفّان.

فأقبل الأشتر إليهم وقال: يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، يا أهل الذُّلّ والوَهَن، حين عَلَوتم القوم ظَهْراً، وظَنُّوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد تركوا والله ما أنزل الله فيها، وسنَّةَ مَن أُنزلت عليه.

ويحكم، أمهلوني فُوَاقاً[1]؛ فإني قد أحسستُ بالفتح، قالوا: لا، قال: أَمهلوني عَدْوَ الفرس، قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك، وجرت بينهم مُنازعات، قال: ويحكم، كيف بكم وقد قُتل خيارُكم وبقي أراذلُكم؟! فمتى كنتم مُحقّين؟ أخَير كنتم تقاتلون أم الآن خير، فما حال قتلاكم الذين لا تُنكرون فضلَهم؟ أفي الجنة أم في النار؟ قالوا: قاتلناهم في الله، ونَدَعُ قتالهم في الله، فقال الأشتر: يا أصحاب الجِباه السُّود، كنا نظنُّ صلاتكم زهادةً في الدنيا، وشوقاً إلى الله، فلا أرى فِرارَكم إلا من الموت، فسَبُّوه وسَبَّهم، وضربوا وجه دابّته، وضرب وجوه دوابّهم بسَوْطه، فصاح بهم علي: كفُّوا فكفُّوا.

وكان الأشتر في ناحية المَيْمنة وقد أشرف على النَّصْر والظَّفَر، فامتنع من المجيء إلى عليّ، فقال له يزيد: ويحك، أينفعُك الظَّفَرُ هاهنا وأمير المؤمنين بين أعدائه يتهدَّدونه بالقتل.

وقال ابن إسحاق: رفعوا خمس مئة مصحف، فقال النجاشي بن الحارث: [من الطويل]

فأصبح أهلُ الشام قد رفعوا القَنا ... عليها كتابُ الله خيرُ قُرانِ
ونادَوا عليًّا يا ابنَ عمِّ محمدٍ ... أما تتَّقي أن يَهلك الثَّقَلانِ[2]

ثم قال أمير المؤمنين: واعجباً، يُطاع معاوية وأُعصى أنا، لله دَرُّ ابنِ عبّاس فإنه ينظر إلى الغيب من سِترٍ رقيق.

قال ابن الكلبي: كان ابن عباس قد قال لأمير المؤمنين في أول الأمر: ابعثني إلى

(١) الفُواق: ما بين الحَلْبَتَيْنِ من الوقت، ويعني به هنا وقتاً قصيراً.
(٢) مروج الذهب ٤/٣٧٨، ووقعة صفين ٥٢٥.

معاوية أكن بينك وبينه، فو الله لأَفتلَنّ لك حبلاً لا ينقطع وسَطُه، ولا ينتقض طرفاه، فقال علي: والله لأُعطينّه السيف حتى يغلبنّ الحقُّ الباطل، قال ابن عباس: أوَغير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: تُطاع فلا تُعصى، وعن قليل تُعصى فلا تُطاع، فكان كما قال(١).

وجاء الأشعث بن قيس إلى علي عليه السلام، فاستأذنه في الذّهاب إلى معاوية يسأله عن رفع المصاحف، فأذن له، فأتاه فقال: يا معاوية، لأيّ شيءٍ رفعتم هذه المصاحف؟ فقال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به من كتابه، تبعثون رجلاً منكم ممن تَرضَون به، ونبعث رجلاً منا ممن نرضى به، ثم نأخذ عليهما العهود أن يَعملا بما في كتاب الله تعالى، ثم نتَّبع ما اتفقا عليه، فقال الأشعث: هذا هو الحق، ثم عاد إلى علي فأخبره، فقال الناس: قد رَضِينا وقبلنا، وقال أمير المؤمنين: خديعة ومَكيدة. هذه رواية أبي مِخنف.

وأما الواقدي وابن إسحاق وهشام بن محمد فإنهم رووا عن مشايخهم أنهم قالوا: لما أجاب أمير المؤمنين إلى حكم القرآن قام معاوية في أهل الشام فقال: أيها الناس، إن الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم، وإن كلَّ واحد منا يظنُّ أنه على الحق وصاحبه على الباطل، وإنا قد دعوناهم إلى كتاب الله والحكم به، فإن قَبلوه وإلا كنا قد أعذرْنا إليهم.

ثم كتب معاوية إلى أمير المؤمنين: إن أول ما يُحاسب على هذا القتال أنا وأنت، وأنا أدعوك إلى حَقْن الدماء، واجتماع الناس والكلمة، واطِّراح الضغائن، وأن يحكم بيني وبينك القرآن.

فكتب إليه أمير المؤمنين: دعوتَ إلى حكم القرآن، وإني أعلمُ أنك لا تُحاول حكمَ القرآن، وقد أجبتُ القرآن إلى حكمه لا إيّاك، ومن لم يَرْضَ بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

قالوا: وكتب عمرو إلى أمير المؤمنين: أما بعد، فقد أنصف مَن جعل القرآن حكماً، فصبْراً أبا حسن؛ فإنا غيرُ مُنيليك إلا ما أنالك القرآن.

---

(١) انظر العقد الفريد ٤/٣٤٦.

فكتب إليه أمير المؤمنين: أما بعد فإن الدنيا زائلة، فلا تُحبط عملَك بموافقة معاوية على باطله، ولو اعتبرتَ بمَن مضى انتفعتَ بما بقي والسلام.

ذكر اجتماع الفريقين على التحكيم

قال علماء السير ممن سمَّينا، دخل حديث بعضهم في بعض: لما تراضى الفريقان على تحكيم الحكمين اجتمع قُرّاء العراق [وقرّاء] أهل الشام، فقعدوا بين الصفَّين، ومعهم المصاحف يتدارسونها، فقال أهل الشام: فإنا قد اخترْنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث بن قيس ومن معه من قُرّاء أهل العراق: وقد رضينا نحن بأبي موسى الأشعري، فقال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني في آخره الآن، إني لا أثق بأبي موسى ولا بحَزْمه، وإنه غير ثقة ولا مأمون، قد خَذّل الناس عني، ثم هرب مني حتى آمنتُه، ولكن أجعل لذلك عبد الله بن عباس، فقالوا: والله ما نُبالي أكنت أنت أم ابن عباس، وأيّ فرقٍ بينك وبينه، فأنت منه وهو منك، وأبو موسى لم يزل مُعتزلاً ما نحن فيه، وإنما نُريد رجلاً ليس منك ولا من معاوية.

قال علي عليه السلام: فلِمَ ترضون لأهل الشام بعمرو بن العاص؟ قالوا: أولئك أعلم، إنما علينا أنفُسَنا. قال: فإني أجعل الأشتر، فقال الأشعث بن قيس ويزيد بن خطّاب(١) ومسعود بن فَدَكي ورؤس الخوارج: وهل سَعَّر البلادَ والدنيا غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟ فقال علي: فما حُكمُه؟ قالوا: أن يَضرب بعضُنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد، قال علي: فقد أبيتُم إلا أبا موسى؟! فاصنعوا ما بدا لكم.

قال: فبعثوا إلى أبي موسى، وكان قد اعتزل الناس، وهو بعُرْض، مكان بالشام(٢)، فدخل عليه مولى له، فقال له: قد اصطلح الناس، فقال: الحمد لله رب العالمين، قال: وقد جعلوك حَكماً، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال هشام بن محمد: وكان أبو موسى يقول قبل ذلك: إن الفتن لم تزل في بني

(١) كذا، وهو خطأ صوابه: زيد بن حُصين.
(٢) بين تدمر والرصافة. معجم البلدان.

إسرائيل ترفعهم وتضعهم حتى يبعثوا حكَمين يحكمان حُكماً لا يرضى به أحد الفريقين، وهذه الأمة كذلك، فقال له سُويد بن غَفَلة: فإن أدركتَ ذلك الزمان فاحذرْ أن تكون أحد الحَكَمين، فقال: لا جعل الله لي في الأرض مَقعداً إن فعلتُه، فلما حكم أبو[1] موسى لقيه سُويد فقال: أتذكر كذا وكذا، فقال: اسأل الله العافية.

قلت: وقد أخرج هذا المعنى أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» مرفوعاً إلى سُويد ابن غَفَلة قال: سمعت أبا موسى يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكون في هذه الأمة حَكَمان ضالّان؛ ضلَّ من اتَّبعهما». قال سُويد: فقلت له: احذَرْ أن تكون أحدهما، قال: فو الله ما مات حتى رأيتُه أحدهما[2].

قالوا: وهذا الحديث لا يصحُّ مرفوعاً، وإنما هو موقوف على أبي موسى.

قالوا: وجاء أبو موسى، فدخل عسكر أمير المؤمنين، فولَّوه الأمر فقبله، ورضوا به، وجاء الأحنف بن قيس إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد رُميتَ بحجَر أهل الأرض، وداهية العرب، وبمن حارب الله ورسولَه، وإني قد عَجَمْتُ هذا الرجلَ، وحلبتُ أشطُرَه - يعني أبا موسى - فوجدتُه كَليلَ الشَّفرة، قريبَ القَعْر، وإنه لا يَصلحُ لهذا الأمر إلا رجل يَدنو من صاحبه حتى يكون في كفّه، ويَبعد عنه حتى يكون بمكان النجم منه، فإن شئتَ أن تجعلني حكَماً فافعل، وإلا فاجعلني ثانياً أو ثالثاً؛ فإنه لن يَعقِد عُقدةً إلا حَلَلْتُها، ولن يَحلَّ عُقدةً إلا عقدتُ له أخرى، فإن قلتَ: إني لستُ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاجعلني وزيراً ومُشيراً.

فقال علي: إن القوم قد أبَوا إلا أبا موسى، والله بالغُ أمرِه.

فقال الأحنف للناس: قد أبيتُم إلا عبدَ[3] الله بنَ قيس ؟! فأدفِئوا ظهرَه بالرِّجال، فقال أيمن بن خريم الأسدي من أهل الشام وكان معتزلا للفريقين: [من البسيط]

لو كان للقوم رأيٌ يهتدون به ... بعد القضاءِ رَمَوكم بابن عبَّاسِ

---

(١) في (خ) و (ع): أبي، والخبر في مروج الذهب ٤/ ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٨٢ وأخرجه من طريق الطبراني، ثم نقل عنه قوله: هذا عندي باطل. وانظر مجمع الزوائد ٧/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٣) في (خ) و(ع): أبا عبد الله، وهو خطأ.

لكن رَمَوكم بشيخ من ذوي يَمَنٍ   لم يَدْرِ ما ضَرْبُ أخماسٍ وأسداسِ(١)

وقال أمير المؤمنين: وإنهم فعلوا ذلك بغير رِضىً منّي.

وقال الجاحظ: قيل لابن عباس ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك في نوبة التحكيم؟ فقال: قد أشرتُ عليه فامتنع؛ لأن الأشعثَ بن قيس ومَن خرج عليه أبَوا ذاك، والله ما منعه إلا حائلُ القَدَر، وقِصَرُ المدّة، ومِحْنَةُ الابتلاء(٢).

رجع الحديث: ثم اجتمعوا بين يدي أمير المؤمنين، وكتبوا كتابَ الصُّلح.

قال أبو مخنف وهشام وغيرهما: وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: اكتبوا اسمَه واسمَ أبيه فإنه أميركم، فأما أميرُنا فلا، فتوقّف الحال، فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، لا تَمْحُ اسم إمارة المؤمنين؛ فإني أخاف إن محوتَها ألا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل بعض الناس بعضاً، والله لقد بايعناك ونحن نعلم أنك أحقُّ بهذا الأمر من جميع الناس، ولو علمنا أن غيرك أحقُّ منك لبايعناه، والله لئن استَثْنَيتَ بسُنَّة الكفار لا يرجع إليك هذا الاسم أبداً.

فكان الحسن البصري يقول: لله درُّ الأحنف، قلّما وزن برأيه رأي إلا رجح.

وأقام القوم مليًّا من النهار، ثم قال علي امحه، ثم قال: الله أكبر، سُنَّة بسنة، ومثل بمثل، والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا: لست برسول الله، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسمَ أبيك. فقال عمرو بن العاص: سبحان الله أنُشَبّه بالكفّار ونحن مؤمنون أو مسلمون، فقال له أمير المؤمنين: يا ابن النَّابغة، ومتى لم تكن عدوًّا للمسلمين، أو ومتى لم تكن للفاسقين وليًّا، وللمسلمين عدوًّا، وهل تُشبه إلا أمّك التي دفعت بك؟ فقال الأشتر: دعني أضربْ عُنقَ عدوِّ الله، فقال علي: دَعْه، فقام عمرو قائماً وقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم، فقال أمير المؤمنين: إني لأرجو أن يُطَهِّر الله مجلسي منك ومن أشباهك، وكتبوا الكتاب.

---

(١) الأخبار الطوال ١٩٣، ووقعة صفين ٥٠٢.

(٢) ذكره المسعودي في مروج الذهب ٥/ ٢٣٢_٢٣٣ دون نسبة.

وذكر الطبري[1] عن الحسن قال: أخبرني الأحنف أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين أن: امْحُ هذا الاسم إن أردتَ أن يكون بيننا صُلْح، فاستشار عليّ بني هاشم، فقال له الأحنف ما قال.

وفي رواية هشام: فأُخبر معاوية فقال: بئس الرجل أنا إن أقررتُ أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف قال: فكتبوا الكتاب وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومَن معه من شيعته من المسلمين والمؤمنين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومَن معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين؛ أنهما نزلا على حكم الله وكتابه، يُحييا ما أحيا، ويُميتا ما أمات، فما وَجد الحكمان في كتاب الله ـ وهما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وعمرو بن العاص القرشي ـ عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله ففي السنة العادلة الجامعة غير المفرِّقة[2]، والحكمان أمينان على أنفسهما والأمة، وقد وَضعا السلاح بينهما إلى مدة وأجل وهو رمضان، ثم يحكمان بين هذه الأمة، ولا يَرُدَّاها في حرب ولا فُرقة، وإن أحبا أن يُؤخِّرا الأجل عن تراضٍ منهما فعلا، وإن مكان قَضيّهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين الكوفة والشام، ولا يحضرهما إلا من أرادا.

ثم شهد الشهود على ذلك: الأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمْداني، وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين، ومن أصحاب معاوية: أبو الأعور السُّلَمي، وحبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وعتبة بن أبي سفيان.

وذكر أبو مخنف كلاماً طويلاً اختصرتُه.

وقال ابن إسحاق: كان في الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي ومعاوية وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يقفا عند حكم القرآن، فإن لم

(١) في تاريخه ٥/ ٥٣.
(٢) في (خ): المتفرقة، والمثبت من الطبري ٥/ ٥٣.

يجدا ففي السنة... وذكر بمعنى ما تقدم، وقال: فإن تُوفّي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة؛ فلشيعته أن يختاروا مكانَه رجلاً ممن يَرْضَون به من أهل الصلاح والعدل ... وذكر كلاماً طويلاً.

وذكر أنه كان من شهود الكتاب من أصحاب أمير المؤمنين: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفيّة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسهل بن حُنَيف، وعقبة بن عامر الجُهَنيّ، ورافع بن خَديج الأنصاري، وعمرو بن الحَمِق، وحُجْر بن عديّ الكنديّ، وذكر جماعة آخرين منهم الأشتر، وهو وَهْم لأن الأشتر ما حضره.

قال: ومن أهل الشام: حَبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وأبو الأعور السُّلَميّ، وبُسْر بن أرطاة القُرشيّ، ومعاوية بن خَديج الكِنديّ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعُتبة ومحمد ابنا أبي سفيان أخوا معاوية، وذكر جماعة آخرين، وكُتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة [ليلة] بقين من صفر سنة سبع وثلاثين، وإنْ رأيا لم يجتمعا في رمضان في هذا العام أن يُؤخّرا ذلك العام القابل فعلا(١).

قلت: وهذه الرواية أحسن من رواية أبي مخنف؛ لأن هؤلاء أعيان الفريقين.

رجع الحديث إلى أبي مخنف قال: لما كتب الكتاب دعا علي الأشتر فقال: اشْهَد، فقال: لا صَحبتني يميني، ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صُلح ولا موادَعة، أو لست على بيّنة من ربي، [ويقين] من إضلال عدوّي، أو لستم قد رأيتم الظَّفَر، أو لم تُجمعوا على الحق؟ فقال الأشعث بن قيس: والله إنك ما رأيت ظَفراً ولا خَوَراً، هلُمَّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنّا، فقال الأشتر: بلى والله إن الرغبة عنك في الدنيا والآخرة، ولقد سَفَكَ الله بسيفي هذا دمَ رجالٍ ما أنت خيرٌ منهم عندي، ولا أحرَمُ دماً، فسكت الأشعث.

وقال أبو مِخنف: وخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم، حتى مرَّ بطائفةٍ من بني تميم؛ فيهم عُروة بن أُدَيَّة، وهو أخو أبي بلال، فقال

(١) الأخبار الطوال ١٩٤ـ١٩٦ ، ووقعه صفين ٥٠٤ـ٥٠٨ ، وما بين حاصرتين منهما.

عُروة: أتُحكِّمون في أمر الله الرجال؟! ثم شدَّ بسيفه فضرب عَجُز دابّة الأشعث ضربةً خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح به أصحابه أن املك يدَك، ثم اعتذر أصحاب عروة وسادات بني تميم إلى الأشعث فقبل وصفح.

وقال الواقدي: خرج الأشعث بالكتاب فجعل يمرُّ به على القبائل، فقال أخوان من عَنَزَة - اسم أحدهما جعدة والآخر مَعْدان: لا حُكْمَ إلا لله، ثم شَدّا على أهل الشام، فقاتلا حتى قُتلا، فهما أول من حكَّم.

ثم مرّ على رايات مُراد، فقرأه عليهم، فقال صالح بن سفيان(١) وكان من أفاضلهم: لا حُكم إلا لله وإن كره المشركون، ثم مرّ الأشعث على رايات بني راسِب فتنادَوا: لا حكم إلا لله.

وقال ابن إسحاق: قال عروة بن أدَيَّة: أتُحكِّمون في دين الله [الرجال]؟! فأين قتلانا يا أشعث، ثم حمل عليه بسيفه فأخطأه.

وجاء مُحرِز بن حُبَيْش(٢) إلى علي، فقال له: أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل، أما والله إني لخائف أن يُورثَك ذُلاً، قد انتقضت القبائل عليك، فقال علي: أبعد أن كتبناه نَنقُضُه كيف يجوز ذلك؟!

وقد ذكرنا أن تاريخ الكتاب في صفر، وأن يكون اجتماع أمير المؤمنين ومعاوية في رمضان، ومع كلّ واحد منهما نَفَرٌ يسير من أصحابه، إما بدَوْمَة الجَنْدل، أو بأَذْرُح، ومع كلِّ واحد خمس مئة أو أقل، ورحل معاوية إلى الشام بالألفة من أهل الشام، ورحل أمير المؤمنين إلى العراق بالاختلاف والافتراق.

وقد حكى ابن سعد طرفاً من هذا فقال: ثم خرج علي يريد معاوية ومن معه من أهل الشام، فالتقوا بصفّين في صفر سنة سبع وثلاثين، فلم يزالوا يقتتلون بها أياماً. وقُتل بصفين عمار بن ياسر، وخُزَيمة بن ثابت، وأبو عَمْرة المازني، وكانوا مع علي.

قال ابن سعد: ورفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن

---

(١) في الأخبار الطوال ١٩٧ : شقيق.

(٢) في الأخبار الطوال ١٩٧ : خُنيس، وفي وقعة صفين ٥١٩ : جريش.

العاص، أشار بذلك على معاوية وكان معه، فكره الناس الحربَ، وتداعو إلى الصُّلح، وحكَّموا الحكمين، فحكّم علي أبا موسى، وحكّم معاوية عمراً، وكُتب بينهم كتاب على أن يوافوا رأسَ الحَوْل بأذْرُح، فينظرون في أمر هذه الأمة، فافترق الناس؛ فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والدَّغَل، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومَن كان معه[١]. وسنذكر تمامه في موضعه.

ذكر عدد الفريقين ومَن قُتل منهم

حكى جدّي رحمه الله في «المنتظم»[٢] عن أبي الحسن بن البراء قال: قُتل بصفّين سبعون ألفاً؛ خمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، وخمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، فمن أصحاب أمير المؤمنين خمسة وعشرون بدريّاً، وكان المقام بصفّين مئة يوم وعشرة أيام، وكان فيه تسعون وقعة.

وحكى عن سيف أنه قال: أقاموا بصفين تسعة ـ أو سبعة ـ أشهر، وكان القتال بينهم سبعين زَحْفاً، وقُتل في ثلاثة أيام سبعون ألفاً من الفريقين.

قال: وقال الزهري[٣]: بلغني أنه كان يُدفن في القبر الواحد خمسون رجلاً.

قال: وقال ربيعة بن لَقيط: مطرت السماء عليهم دماً كانوا يأخذونه بالآنية.

وقال أبو اليقظان: سار أمير المؤمنين إلى صفين في تسعين ألفاً، ومعاوية في عشرين ومئة ألف.

وقال هشام: قُتل عمار في صباح ليلة الهَرير ومَن معه.

وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع علي من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وتسعون صحابياً ممن شهد بيعة الرضوان.

قال: وكان بينهم سبعون وقعة، وربما اقتتلوا في اليوم مرتين، وقُتل من أصحاب

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠.
(٢) ٥/ ١٢٠.
(٣) في (خ): الجوهري، وهو خطأ، والمثبت موافق للمنتظم ٥/ ١٢٣.

معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وذو كلاع وغيرهما. وسنذكرهم في آخر السنة.

وقال أبو مخنف: حدثني فُضَيل بن خَديج قال: قيل لعلي عليه السلام بعدما كُتبت الصحيفة: إن الأشتر لا يُقرُّ بما فيها، ولا يرضى إلا بالقتال، ولا يرى غيره، فقال علي عليه السلام: وأنا والله ما رضيتُ، ولا أحببتُ أن ترضَوا، فأما إذا أبيتم إلا الرِّضا فقد رضيتُ، ويا ليت لي فيكم مثل الأشتر اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرى، وقد نهيتُكم عما أتيتم فعصيتموني، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن: [من الطويل]

فهل أنا إلّا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَويتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

ثم أمر أمير المؤمنين الحارث الأعور فنادى في الناس بالرَّحيل(١).

ذكر رجوع أمير المؤمنين إلى الكوفة

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جُندب، عن أبيه قال: لما انصرفنا مع أمير المؤمنين من صِفّين أخذ غير الطريق الذي أقبل منه، فسلك على شاطئ الفرات، فانتهى إلى هِيْت، ثم أخذ على صَنْدُوداء، فخرج إليه الأنصاريُّون بنو سعد بن حرام فاستقبلوه، وعرضوا عليه النُّزول، فبات بهم.

ثم سار نحو النُّخَيلَة، ولاحت له بيوت الكوفة؛ وإذا بشيخ جالسٍ في ظلّ بيت، على وجهه آثار مرض، فسلّم عليه علي فردَّ ردًّا حسناً ظننا أنه قد عرفه، فقال له: أرى على وجهك آثار المرض فلعلك كرهتَه؟ قال: ما أحبُّ أنه بغيري، قال: فمن أنت؟ قال: صالح بن سُلَيم، والأصل من سَلامان، فقال: ما أحسن اسمَك واسم أبيك ومَن اعتزيتَ إليه، ثم قال: هل شهدتَ غَزاتنا هذه؟ قال: والله قد أردتُ ذلك، ولكن منعني المرض، فقرأ أمير المؤمنين ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾[التوبة: ٩١] ثم قال له علي: أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المَسْرور بما كان بينك وبينهم، وأولئك أغِشاء الناس، وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك، وأولئك نُصحاء الناس، فدعا له علي وجزاه خيراً وقال: جعل الله ما كان من مرضك حَطًّاً لسيئاتك. وذكر ألفاظاً أُخَر.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٩، والبيت لدريد بن الصّمة، وهو في ديوانه ٤٧ .

قال: ثم سار غير بعيد، فلقيه عبد الله بن وَديعةَ الأنصاري، فسلّم عليه، ودنا منه وسايره، فقال له: ما تقول الناس في أمرنا؟ فقال: منهم المُعجَب به، ومنهم الكاره، كما قال الله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨]، قال: فما قول ذوي الرأي منهم؟ قال: يقولون: إن علياً كان له جمعٌ عظيم ففرَّقه، وكان له حِصنٌ حصينٌ فهَدَمه، حتى متى يبني ما هَدم، وحتى متى يجمع ما قد فرّق، فلو أنه كان يمضي بمَن أطاعه فيقاتل مَن عصاه حتى يَظهر أو يَهلك لكان ذلك الحزم.

فقال علي: والله لقد هممتُ بالإقدام، ووطّأتُ نفسي على الموت، فنظرتُ [إلى هذين] قد ابتَدراني ـ يعني الحسن والحسين ـ ونظرتُ إلى هذين قد استَقْدماني ـ محمد ابن الحنفيّة وعبد الله بن جعفر ـ فعلمتُ أن هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ إن يهلكا انقطع نَسْلُ محمد ﷺ من هذه الأمة، فكرهت ذلك، وايم الله لئن لقيتُهم بعد اليوم لا يكون معي أحدٌ منهم(١).

وفي رواية أن علياً قال: والله ما هدمتُ ولا فرّقتُ، هم هدموا وفرّقوا، ولقد هممتُ أن أقاتل بمن أطاعني مَن عصاني، حتى رأيتُ هذين الغلامين يتقدّماني ـ يعني: الحسن والحسين ـ وذكر بمعناه وقال: والله لا بكياني(٢) في عسكر أبداً.

رجع الحديث إلى أبي مخنف، قال جندب: ثم مضى حتى إذا جاوزنا دورَ بني عَوْف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال علي: ما هذه القبور؟ فقال قدامة ابن عجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين، إن خَبَّاب بن الأرَتّ توفّي بعد مَخرجك، فأوصى أن يُدفن في الظَّهْر، ودفن الناس إلى جنبه، فقال: رحم الله خباباً، لقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسده أحوالاً، ولن يُضيع الله أجرَ مَن أحسن عملاً، ثم جاء حتى وقف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المُقْفِرة، أنتم لنا فَرَطٌ، ونحن لكم تَبَع، ونحن عما قليل بكم لاحقون، ثم دعا لهم.

قال أبو مخنف: ثم أقبل حتى حاذى سِكّة الثوريّين، فسمع البكاء فقال: ما هذه

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٠ـ٦١.

(٢) لم ينقط من الكلمة في (خ) غير النون والياء.

الأصوات؟ قيل له: البكاء على قتلى صِفّين، فقال: أما إني أشهد لمن قُتل منهم صابراً مُحتسباً بالشهادة.

قال: وسمع رجلاً من العُثمانية يقال له عبد الرحمن بن يزيد يقول: والله ما صنع علي شيئاً، ذهب ثم عاد في غير شيء، فقال علي لأصحابه: إن قوماً فارقناهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء، ثم أنشد علي وقال: [من الطويل]

أخوك الذي إنْ أجْرَضَتْك مُلِمَّةٌ   من الدهر لم يَبرحْ لها الدهرَ واجِما
وليس أخوك بالذي إن تَشَعَّبتْ   عليك أمورٌ ظلَّ يَلْحاك لائما

ثم لم يزل يذكر الله تعالى حتى دخل القصر[١].

ذكر اعتزال الخوارج أمير المؤمنين

روى أبو مخنف، عن أبي جَناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة قال: خرجوا مع علي عليه السلام إلى صفين وهم مُتوادُّون أحبَّاء، فرجعوا وهم مُتباغضون أعداء، ما بَرِحوا من عسكرهم حتى فشا فيهم التّحكيم وهم بصفّين، ثم أقبلوا إلى الكوفة وهم يتشاتمون، ويضرب بالسِّياط بعضهم بعضاً، تقول الخوارج: يا أعداء الله، داهنتم في أمر الله، وحكّمتم الرجال في دين الله، ويقول الآخرون: خالفتم إمامَنا، وفارقتم جماعتنا.

فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حَرُوْراء، فنزلوا بها، وهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إن أمير القتال شَبَث بن رِبعيّ التَّميميّ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكَوَّاء اليَشكُريّ، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الجوهري: وحَرُوراء: قريةٌ على النَّهْروان، تُمدُّ وتُقْصر، وتُنسب إليها الخوارج، نزلوها وقالوا: لا حكم إلا لله[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢-٦٣، ووقعة صفين ٥٣٠-٥٣٢.

(٢) في الصحاح (حرر): حروراء: اسم قرية، يُمد ويُقصر، نسبت إليها الحرورية من الخوارج، لأنه كان أول مجتمعهم بها، وتحكيمهم منها. اهـ.

وبلغ أمير المؤمنين فقال: كلمةُ حقّ أُريد بها باطل.

وذكر هشام أن الخوارج لما اعتزلت علياً عليه السلام وحكَّموا كلَّمهم علي، فرجعوا إلى الكوفة، وهو الأصحُّ لما نذكر.

رجع الحديث إلى أبي مخنف، عن أبي جَناب، عن عُمارة قال: لما قدم أمير المؤمنين الكوفة وفارقه الخوارج؛ وثَبتْ إليه الشّيعة وقالوا: في أعناقنا لك بيعة ثانية، نحن أولياءُ من واليت، وأعداءُ من عاديت، فقالت الخوارج: استَبَقْتُم أنتم وأهل الشام كفَرَسَيْ رِهان إلى النار، بايع أهلُ الشام معاوية على ما أحبُّوا وكَرِهوا، وبايعتم أنتم عليًّا أنكم أولياءُ مَن والى ، وأعداءُ من عادى، فقال لهم زياد بن النَّضْر: والله ما بسط علي يده فبايعنا قطّ إلا على كتاب الله وسنّة نبيِّه محمد ﷺ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعتُه فقالوا: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء مَن عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ، ومن خالفه ضالٌّ مُضِلّ.

والصّحيح من الروايات أن الخوارج لما اعتزلوا علياً عليه السلام دخلوا الكوفة، ورجعوا إليها، وبعد ذلك مَضَوا حتى نزلوا النَّهْرَوان، ولما بلغهم أن شيعة أمير المؤمنين قالوا: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء مَن عاديت، راسلوهم بالكلام الذي ذكرناه.

وقيل: إنه بقي منهم بقية معه في الكوفة؛ طائفة يسيرة، والأول أصح.

واختلفت الرّواية هل أرسل إليهم علي رسولاً، أم خاطبهم بنفسه على قولين؛ أحدهما ذكره هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما اعتزلوا عسكر علي عليه السلام، وهمُّوا بالرحيل؛ وقف عليهم علي فقال: لِمَ خرجتم علينا؟ فقالوا: لأنك حكَّمت في دين الله بصفِّين، فقال لهم: نَشَدتكم الله، أما قلتُ لكم يومَ رفعوا المصاحف: لا تخالفوني فإنهم إنما رفعوها مَكيدةً وخَديعة، فرَدَدْتُم عليّ رأيي، وقلتم نفعل بك كما فعلنا بعثمان؟! فقالوا: نحن إنما رضينا بحكم كتاب الله، لا بحكم الرجال، فقال: والله ما حَكَّمتُ مَخلوقاً، وإنما حكَّمتُ القرآن، لأن القرآن لا ينطق، وإنما هو خطٌّ مَسطور بين الدَّفَّتَيْن، وإنما ينطق به الرجال، وشرطت على الحكمين أن يَحكما بحُكم

الله، فيُحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بغير ذلك فنحن من حُكمهما براء. قالوا: فلِم جعلتَ بينك وبينهم أجلاً؟ قال: لعل الله أن يَحقِن به دماءَ هذه الأمة، فيتثبَّت العالم، ويتعلّم الجاهل، قالوا: فنحن قد أخطأنا، ونحن نتوب إلى الله، وكان ذلك كفراً منا، فاعترف كما اعترفنا نبايعْك، وإلا فنحن مخالفوك. فرجع عنهم، ورحلوا إلى النهر.

والقول الثاني: أنه بعث إليهم عبد الله بن عباس، ثم خرج إليهم بعد ذلك، وهو الأصح.

وقال أبو اليقظان: لما انقضى الأجل بعث معاوية إلى أمير المؤمنين بمَعْن بن يزيد ابن قيس الأسلمي[1]؛ يستبطئه في إرسال الحكم، فجهَّز شُريح بن هانئ، وابنَ عباس وأبا موسى على ما ذكرنا.

قال: ولما فصلوا عن الكوفة دخل على علي عليه السلام جماعة من الخوارج؛ منهم حُرْقوص بن زهير السَّعديّ، وزُرْعَة بن بُرْج الطائي فقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: نعم لا حكم إلا لله، قالوا: فتب إلى الله من خطيئتك، أو اخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربَّنا، فقال لهم: قد أردْتُكم على هذا فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عُهوداً، وقد قال الله تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل: ٩١]، فقال حُرقوص: فذلك ذَنبٌ ينبغي أن تتوبَ منه، فقال: ليس هو بذنب، وإنما هو من عَجز الرأي، وضعفٍ في العقل، وقد نهيتُكم عنه، فقال له زُرْعة: أما والله لئن لم تَدعْ تحكيمَ الرجال لنُقاتلنَّك؛ ونطلب بذلك وجهَ الله ورضوانه، فقال له علي: بُؤساً لك، ما أشقاك، كأني بك والله قتيلاً تَسْفي عليك الرِّياح، فقال له زُرعة: وَددتُ أن ذلك كان في ذات الله، فقال له علي: لو كنتَ محقاً لكان في الموت تَعزِيةٌ عن الدنيا، وإنما الشيطان قد استهواكم. فخرجوا من عنده وهم يقولون: لا حُكم إلا لله.

---

(١) كذا، وفي الطبري ٥/ ٦٦: معن بن يزيد بن الأخنس السُّلَمي. وقد ذكر في وقعة صفين ٢٠٠، والأخبار الطوال ١٧٠ في أصحاب معاوية: معن بن يزيد بن الأخنس السلمي.

حديث الخوارج

واختلفوا فيه، وقد ذكرنا عن أبي مخنف أن الخوارج دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا: لا حُكم إلا لله، وأنه قال: كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل، وقولهم: تُب من خطيئتك، واخرج بنا إلى القوم فقاتلْهم، وقوله: إنا عاهدْنا القوم عُهوداً، وقد قال الله ﴿وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، فقال له حُرْقُوص بن زهير السَّعدي: ذلك ذَنْبٌ ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عَجْزٌ من الرّأي، وضَعْفٌ في العقل، وقد نهيتُكم عنه، وأنهم خرجوا من عنده وهم يقولون: والله لنُقاتلَنّك نطلب بذلك وجهَ الله، وكان القائل لهذا زُرْعَة بن البُرْج الطائي، فقال علي: كأني بك والله قتيلاً تسفي عليك الرّياح(١).

وقال أبو مخنف عن أشياخه قالوا: لما بعث علي أبا موسى لإنفاذ الحكم اجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ، فخطبهم وقال: ما ينبغي لقومٍ يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن؛ أن يرضوا بهذه الأحكام، فاخرجوا بنا من هذه القرية الظّالِمِ أهلُها إلى جانب هذا السَّواد، أو إلى بعض كُوَر الجبال، أو إلى بعض الأماكن، منكرين لهذه البِدَع المُضِلّة، والأحكام الجائرة، ثم زهَّدهم في الدنيا، ورَغَّبهم في الآخرة، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأمرهم بقول الحق.

فقال حُرقوص بن زهير السَّعدي بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وَشيك، فلا تَدْعُونّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، فإن الله مع الذين اتقَوْا والذين هم مُحسنون.

فقال حمزة بن سنان: يا قوم، إن الرأيَ ما رأيتم، وإن الحقّ ما ذكرتُم، فولُّوا أمرَكم هذا رجلاً منكم، فإنه لا بُدَّ لكم من عِماد وسند، وراية تَحفُّون بها وترجعون إليها، فعرضوا ذلك على رؤسائهم: زيد بن حُصَين الطائي، وحُرقوص، وحمزة بن سِنان، وشُرَيح بن أَوفى(٢)، فأبى كلُّ واحد، فقال عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ: أما والله لا آخُذها

(١) من قوله: تسفي عليك الرياح، في الصفحة السابقة، إلى هنا ليس في (خ).

(٢) في (خ): بن أبي أوفى، وهو خطأ.

رَغبةً في الدنيا، ولا [أَدَعُهما] فَرَقاً من الموت، فقبلها. وهذه رواية أبي مخنف[١].

وأما ابن إسحاق والواقدي وأبو مَعْشر فذكروا بمعناه، وأن يَجتمعوا عند عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ، فاجتمع عنده عظماؤهم وعُبَّادُهم، فقال عبد الله بن وهب بمعنى ما تقدّم، وفيه: فاخرجوا بنا مُنكرين لهذه الحكومة، فإنه لا حُكمَ إلا لله.

وقال حَمزة بن سِنان: لا بدَّ لكم من قائد وسائس وراية تحفُّون بها، فعرضوها على مَن سَمَّينا، فأبَوا قبولها لعبادتهم وزُهدهم، فقال عبد الله بن وهب: هاتوها لا رغبةً في الدنيا، ولكن لما أرجوه من عِظم الأجر، فمدّ يده فأخذها، فقاموا إليه فبايعوه.

وكان عبد الله بن السَّخبر[٢] حاضراً، وكان من أصحاب البَرانِس، فبكى وقال: لحا الله امرءاً لا يكون تشريحُ ما بين عظمه ولحمه وعَصَبه أيسرَ عنده من سَخَطِ الله عليه، وأنتم إنما تريدون وجه الله، فاضربوا مَن عصاه بالسيوف، حتى يُطاع الله تعالى. ثم ذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى.

ذكر كتابهم إلى البصرة

قال علماء السير ممّن سَمَّينا: كتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن وَهب، وزيد بن الحُصَين، وحُرْقوص بن زهير، وشُرَيح بن أوفى، إلى مَن بلغه كتابُنا من المؤمنين؛ سلامٌ عليكم، فإنه يُحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي [جعل] أحبَّ عباده إليه أعلمَهم بكتابه، وأقْوَمَهم بالحقّ في طاعته، وأشَدَّهم اجتهاداً في مرضاته، إن أهل دعوتنا حَكَّموا الرجال في أمر الله، ورَضوا بحكم الفاسقين على عباد الله، وكفروا بذلك وضلُّوا عن السبيل، وقد نابَذْناهم على سواء، إن الله لا يحبُّ الخائنين، وقد خرجنا إلى الجِسْر؛ نُريد بذلك الوسيلة إلى الله والقُربة ليرضى عنا، فسيروا إلينا لتأخذوا نصيبكم من الأجر والثواب، وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، وقد بعثنا بكتابنا هذا إليكم مع رجل من إخوانكم، ذي دين وأمانة، فَسَلوه عما

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٧٤ـ٧٥، وما بين معكوفين منه.

(٢) في تاريخ الطبري ٥/ ٨٣ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٥٢ : عبد الله بن شجرة السلمي، والمثبت موافق لما في الأخبار الطوال ٢٠٣ ، والنقل عنه.

أحببتم، واكتبوا إلينا بما أردتُم، وما أفضى إليه رأيُكم والسلام.

ثم دعَوا عبد الله بن مَعْبَد العبسي ـ وقيل: عبد الله بن سعد ـ فبعثوه بالكتاب وقالوا: سِرْ حتى تَقدم به على إخواننا بالبصرة، فسار إلى البصرة.

قال ابن إسحاق: وخرجوا من الكوفة بعد الكتاب متفرِّقين، وخرج زيد بن الحُصَين على بَغلةٍ يقود فرساً له بعد العتمة.

وقال أبو مخنف: كان بدءُ خروجهم من منزل حُرقوص بن زهير، وهي ليلة الخميس، وقيل: ليلة السبت، لأنهم قالوا: ما تفوتُنا الجمعة، فإن قيل: فإنهم ما كانوا يرون إمامةَ أمير المؤمنين قلنا: ما قاموا الجمعة مع أمير المؤمنين؛ وإنما كانوا يرون يوم الجمعة أفضل الأيام، فيزدادون فيه عبادة وصلاة فُرادى أو في جماعتهم، قيل: وخرجوا ليلة السبت، وجاء بنو عمِّ شُرَيح بن أوفى ليمنعوه، فانتَضى سيفَه وقال: والله لئن عَرض لي أحدٌ منكم لأضربنّه بسيفي، فقالوا: أبعدك الله، إنما أشفَقْنا عليك، فأما إذ أَبيتَ إلا هَلاك نفسِك فأنت أبصر، فخرج فلحق بالقوم.

قال: وخرج زيد بن حُصَين الطائي راكباً على بغلة، يقود فرساً له بعد العَتَمة وهو يتلو: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[القصص: ٢١-٢٢]، وخرج القعقاع بن نَفْر بن قيس بن جَحْدَر الطائي، فجاء أخوه تميم[(١)]، فاستغاث بقومه فحبسوه، وخرج عبد الله بن حكيم البَكّائي فاتّبعه عبد الله بن الطُّفَيل ويزيد بن معاوية[(٢)]، فهدَّداه فرجع.

قال: وخرج زيد بن عديّ بن حاتم الطائي معهم، فخرج أبوه في طلبه وعاد، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين، إن ابني خرج مع القوم، وكان الذي أفسده عليّ وفرّق بيني وبينه زيد بن حُصَين الطائي، وإني اتَّبعتُه حتى انتهيتُ إلى المدائن، فلم أقدر عليه فانصرفت، فلما انتهيتُ إلى ساباط لقيتُ عبد الله بن وهب في نحوٍ من عشرين، مقنّعين بالحديد، فاعتزلتُهم ووقفت جانباً، فنزلوا على شطّ النهر، ولستُ آمَنهم أن يَدخلوا المدائن، فابعث إلى عاملك عليها سعد بن مسعود فحذِّره لا يَبغتوه. فبعث علي زيادَ بنَ

---

(١) كذا، والذي في أنساب الأشراف ٢/ ٢٥٦: حكم بن نفر، وهو جد الطرماح بن حكيم.

(٢) كذا.

لَأْم إلى سعد بن مسعود فحذَّره، وقيل: إنما حذّر سعد بنَ مسعود عديُّ بنُ حاتم.

قال هشام: ولما خرج عبد الله بن وهب من الكوفة بالليل انضاف إليه جمعٌ كبير، فأخذوا على الأنبار، وتبطَّنوا شطَّ الفرات، حتى عبروا من دَيْر العاقول، فاستقبلهم عديّ بنُ حاتم وقد عاد من المدائن، فأراد عبد الله أخذَه؛ فمنعه منه عمرو بن مالك النَّبهاني وبشير بن يزيد البَوْلاني[1]؛ وكانا من رؤوس الخوارج، واستخلف سعد بن مسعود على المدائن ابنَ أخيه المختار بن أبي عبيد، وخرج في طلب عبد الله بن وهب في خمس مئة فارس، والخوارج ثلاثون رجلاً، فتناوَشوا ساعة، فقال أصحاب سعد لسعد: أيها الأمير، ما تُريد من هؤلاء وقتالِهم، ولم يأتك فيهم أمر، خلِّهم واكتب إلى أمير المؤمنين، وأخبره بحالهم، فمضى وتركهم. وسار عبد الله بن وهب إلى موضع بغداد، فعبر في معبرها إلى أرض جُوخى، وذلك قبل أن تُبنى بغداد.

جواب كتاب الخوارج

من أهل البصرة إلى أصحابهم من أهل الكوفة، أما بعد: فقد بلغنا كتابُكم، وفهمنا ما فيه، فهنيئاً لكم الرأي الذي جمعكم الله عليه؛ من إنكار المنكر والجَور، ونحن سائرون إليكم والسلام.

ثم خرجوا من البصرة في خمس مئة رجل، وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن عباس، فبعث أبا الأسود الدِّيْليّ في طلبهم في ألف فارس، فلحقهم بجسر تُسْتَر، وحال بينهم الليل ففاتوه، وكانوا في مسيرهم لا يَلْقَون أحداً إلا سألوه عن الحكَمَيْن، قالوا: ما تقول فيهما؟ فإن تبرَّأ منهما تركوه، وإن أبى قتلوه، ثم أقبلوا إلى النهر، فنزلوا به عند إخوانهم.

وقال أبو مخنف: لما خرجت الخوارج على علي أتاه أصحابه وشيعته، فبايعوه على التَّسليم، وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وكتب عليهم كتاباً، وشرط فيه سنة الله وسنة رسوله، وجاءه رجل من خَثْعَم، يقال له: ربيعة بن أبي شَدَّاد ـ وكان قد شهد الجمل وصفّين مع علي، ومعه راية خَثْعَم ـ فقال له علي: بايع على

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ٧٥: بشر بن زيد البولاني، والمثبت موافق للأخبار الطوال ٢٠٥.

كتاب الله[١] وسنّةِ رسوله، فقال: بل أبايعك على سنَّة أبي بكر وعمر، فقال له: وَيْحك، لو أن أبا بكر وعمر عَمِلا بغير سنُّة الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء من الحقّ، فبايعَ بعد شدّ[٢]، فنظر إليه علي عليه السلام نظرة وقال: أما والله كأني بك قد نَفرتَ في بعض هذه الفتن نَفْرة، فقتلت فَوُطئت بحوافرها[٣]. فقُتل يوم النَّهر مع الخوارج، وكانت خوارج أهل البصرة قد أمّرت عليها مِسْعَر بن فَدَكي.

ذكر كتاب أمير المؤمنين إلى الخوارج

قال علماء السير ممّن سمينا كأبي مخنف وغيره: كتب إليهم علي عليه السلام: من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن وهب وزيد بن حُصَين ومَن قبلهما من الناس؛ سلام عليكم، أما بعد: فإن الرجلين اللذين ارتضيناهما للحكومة قد خالفا كتاب الله، واتَّبعا أهواءهما بغير هُدى من الله، فلم يَعملا بالسنّة، ولم يُنَفِّذا للقرآن حكماً، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوّكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه، فنحاربهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فكتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربّك، وإنما غضبتَ لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة بيننا وبينك، وإلا فقد نابَذْناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين[٤].

وفي رواية: فإن شهدتَ على نفسك أنك كفرتَ فيما كان من تحكيمك الحكَمَين، واستأنفْتَ التوبةَ والإيمان؛ نظرْنا فيما سألتَنا من الرجوع إليك، وإن تكن الأخرى فإنا نُنابِذُك على سواء، إن الله لا يهدي كَيدَ الخائنين[٥].

---

(١) في (خ): على سنة كتاب الله، والمثبت من تاريخ الطبري ٥/ ٧٦

(٢) في (خ): شر.

(٣) في الطبري: وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٧٧-٧٨.

(٥) الأخبار الطوال ٢٠٦.

فلما قرأ كتابهم يَئِس منهم، ورأى أن يَدَعهم ويمضي بالناس إلى الشام، فيناجز معاوية وأهل الشام، فعسكر بالنُّخَيْلَة، ثم خطب فقال: أما بعد، فإن مَن ترك الجهاد في الله، وداهن في أمره؛ كان على شفا هَلَكَة، إلا أن يَتداركَه الله عز وجل بنعمته، فقاتلوا من حادَّ اللهَ ورسولَه، وحاول أن يُطفئ نورَ الله، فقاتلوا الخاطئين الضالّين، الفاسقين الناكثين الغادرين، الذين ليسوا بقُرَّاء القرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة ولا إسلام، والله لو وَلُوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، فهيِّئوا للتَّشْمير[1] إلى عدوكم.

ثم بعث إلى جميع الأمصار ليَقدموا عليه، فلما قدم كتابُه على ابن عباس قام فخطب بالبصرة، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس، فشَخص منهم ألف وخمس مئة، فقال ابن عباس: ويلكم يا أهل البصرة، جاءني أمرُ أمير المؤمنين بإشخاصكم، فنفر منكم ألف وخمس مئة، وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم؟! ألا انفروا[2] مع جارية بن قُدامةَ السَّعدي، ولا يَجعلنّ رجلٌ على نفسه سبيلاً، فإني مُوقِعٌ بكل مَن وجدتُه متخلِّفاً عن دعوته، عاصياً لإمامته، ولأفعلنّ ولأصنعن.

وخرج جارية فعسكر بظاهر البصرة، وحشد أبو الأسود الناس، فاجتمع إلى جارية ألف وسبع مئة، ثم صاروا ثلاثة آلاف ومئتي رجل.

وقال هشام: بعث علي عليه السلام إلى ابن عباس بكتابه مع عُتبة بن الأَخْنَس بن قَيْس، فأمره بتجهيز الجيوش ... وذكره.

ثم أقبل جارية حتى وافى أمير المؤمنين بالنُّخَيْلَة، فقام علي خطيباً فقال: يا أهل الكوفة، أنتم أنصاري وإخواني، وأعواني على الحق، وبكم أضربُ المُدْبِر، وأرجو تمامَ طاعة المُقْبِل، وقد استنفرتُ أهلَ البصرة، فلم يأتني سوى ثلاثة آلاف رجل ومئتي رجل، فأعينوني بمُناصَحَةٍ خَلِيَّةٍ من الغشّ، إنكم عند مخرجنا إلى صفين ستجمعوا بأجمعكم[3]، وأن تكتبوا إلي بعشائركم وأموالكم، يفعل ذلك كلّ رئيس منكم.

---

(١) كذا، وفي الطبري ٥/ ٧٨ : تهيئوا للمسير إلى عدوكم.

(٢) في (خ): الا تنفروا، والمثبت من الطبري ٥/ ٧٩ .

(٣) كذا، وفي الطبري ٥/ ٧٩ : إنكم ... مخرجنا إلى صفين، بل استجمعوا بأجمعكم. اهـ. ومكان النقاط بياض =

فقام سعيد بن قيس الهمْدَاني فقال: يا أمير المؤمنين، سمعاً وطاعة، أنا أول الناس جاءك بما طلبتَ، وقام رؤساءهم مثل: مَعْقِل بن قيس الرِّياحي، وعَدي بن حاتم الطائي، وزياد بن خَصَفة، وحُجْر بن عدي، وأشراف القوم فقالوا مثل ذلك.

ثم كتبوا المقاتلة، فكانوا أربعين ألفاً، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء، وثمانية آلاف من الموالي، فكان جمع الكوفة خمسة وستين ألفاً، غير جمع البصرة الذين سميناهم، فصاروا ثمانيةً وستين ألفاً ومئتين وهو بالنُّخَيلة.

وقال الواقدي: اجتمع إليه رؤوس الأسباع والقبائل، وذكر مَن سَمَّينا، وتركوا الضعفاء من الموالي في أعمالهم.

وقال أبو مخنف: بلغ علياً عليه السلام أن الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحروريّة فبدأ بهم، فقال: أما بعد، فقد بلغني قولكم، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذِكرهم، وسيروا إلى عدوّكم.

فتنادى[1] الناس من كل جانب: يا أمير المؤمنين، سِرْ بنا حيث أحببتَ.

وقال له صيفي بن فَسيل الشيباني: يا أمير المؤمنين نحن حِزبُك وأنصارك، نُعادي مَن عاداك، ونُشايع مَن أطاعك، فسِرْ بنا إلى عدوِّك حيث كانوا ومَن كانوا؛ فإنك لن تُؤتى إن شاء الله من ضَعفٍ ولا قِلَّة، وقال له مُحرِز بن شهاب التميمي: إن قلبَ شيعتك كقلبِ رجلٍ واحد في الاجتماع على نُصرتك، والجدِّ في جهاد عدوِّك، فأبشِرْ بالنصر، وسِرْ بنا حيث شئت... وذكر بمعناه.

وكان أمير المؤمنين يقول: لا تَتَعَرَّضوا لهم مالم يَنالوا محرماً، ولم يَسفكوا دماً حراماً.

وقال ابن إسحاق: اجتمع إلى علي عليه السلام ثمانون ألف مقاتل، فلما تهيّأ للمسير أتاه عن الخوارج أمرٌ فَظيع من قتلهم عبد الله بن خبَّاب بن الأرتّ وامرأته، وذلك أنهم لَقَوهما فقالوا: رضيتُما بالحكمين، فقتلوهما وقتلوا أمَّ سِنان الصَّيداوِيّة،

= في الأصول كما ذكر المحقق.

(١) في (خ): فتنادوا.

واعترضوا الناس يقتلونهم.

حديث عبد الله بن خبَّاب

قد ذكر قصَّته أحمد في «المسند» وابن إسحاق والواقدي وهشام وغيرهم، قال: حدثنا أحمد بإسناده، عن حُميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم، قال: دخلوا قريةً، فخرج عبد الله بن خَبّاب بن الأرتّ ذَعِراً يجرُّ رِداءه، فقالوا: لا تُرَعْ، فقال: والله لقد رُعْتُموني، قالوا: إنك عبد الله بن خَبَّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعتَ من أبيك حديثاً يُحدِّث به عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم سمعتُه يُحدّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فإن أدركتَ ذلك فكن عبدَ الله المقتول». قال أيوب[1]: ولا أعلمه إلا قال: «ولا تكن عبدَ الله القاتل»، قالوا: أنتَ سمعت هذا [من أبيك يحدّثه عن] رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقدَّموه إلى ضفَّة النهر، فضربوا عُنُقَه، فسال دمه كأنه شِراك نَعْل، وبقروا بطنَ أمِّ ولده عما في بطنها.

وقتلوا ثلاث نسوة من طيِّئ، وقتلوا أمَّ سِنان الصَّيداوية، واعترضوا الناس يقتلونهم.

ذكر الرسول الذي بعثه إليهم علي عليه السلام

قال أبو مخنف: وبلغ علياً عليه السلام ما فعلوا، فبعث إليهم الحارث بن مُرَّة النَّهْدي[2]، وقيل الفَقْعَسي، ليأتيهم وينظرَ فيما بلغه عنهم، ويكتبَ إليه به على وجهه، فخرج حتى أتى إلى النهر، فلما دنا منهم ليسألهم خرجوا إليه فقتلوه، وبلغ الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام الناس إليه وقالوا: علام تَدع هؤلاء يَخلُفوننا في عيالنا وأموالنا، سِرْ بنا إليهم، فإذا فرغنا منهم سِرْ بنا إلى عدوِّنا من أهل الشام.

قال: وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي، فكلَّمه بمثل ذلك، وكان الناس يَرون أن

(١) وهو شيخ حميد بن هلال. والخبر في المسند (٢١٠٦٤) وما سيرد بين معكوفين منه.

(٢) كذا، والذي في المصادر: العبدي، انظر تاريخ الطبري ٥/ ٨٢، ووقعة صفين ٢٠٥، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٢، ومروج الذهب ٤/ ٤١١، والمنتظم ٥/ ١٣٣.

الأشعث يرى رأي الخوارج؛ لأنه كان يقول يوم صفين: لقد أنصفَنا قومٌ يدعون إلى كتاب الله، فلما قال ذلك عُلم أنه لم يكن على رأيهم.

ذكر مسير أمير المؤمنين إليهم

قال أبو مخنف: ونادى علي عليه السلام بالرَّحيل، فعَبَر الجسر، وصلى ركعتين بالقَنْطرة، ثم نزل دير أبي عبد الرحمن(١)، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي، ثم على دَباها، ثم على شاطئ الفرات.

قال: فلقيه في مَسيرِهِ ذلك مُنَجِّم، أشار عليه أن يسير في وقتٍ من النهار وقال: إن سرتَ في غير ذلك الوقت لقيتَ أنت وأصحابك شِدَّة، فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن المسير فيه. فلما فرغ أمير المؤمنين من أمر الخوارج حمد الله وأثنى عليه وقال: لو سِرْنا في الساعة التي أمرَنا بها المنجِّم لقال الجُهّال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره المنجِّم فظفر.

قلت: كذا ذكر أبو مخنف، وحكاه عنه الطبري(٢)، ولم يذكر اسم المنجِّم. ووقعتُ بقصَّة هذا المنجِّم واسمه في فضائل أمير المؤمنين، وذكرها عند خبر، قال(٣): سرْنا مع أمير المؤمنين إلى النَّهروان، فاعترضه مُنَجِّم يقال له: مُسافر بن عوف الأحمر، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسِرْ في هذا اليوم، وتربّصْ ليستوي الطَّالع، فقال علي: الله لا إله إلا هو، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون، وقال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ الآية[الأعراف:١٨٨]، وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن صَدّق مُنَجِّماً بما يقول فقد كَذَّب بما أنزل الله على محمد»، وما كان لرسول الله ﷺ مُنَجِّم، ولا للخلفاء بعده، ثم قال لمسافر: هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حَسبتُ علمتُ، قال: مَن صدَّقك بهذا القول فقد كَذَّب بالقرآن؛ قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]، ما كان محمد ﷺ يَدَّعي ما ادَّعيتَ علمَه، فمن صَدّقك كان كمن اتَّخذ

(١) في الطبري ٥/ ٨٣ : دير عبد الرحمن.
(٢) في تاريخه ٥/ ٨٣ .
(٣) كذا؟!

من دون الله أنداداً، اللهمَّ لا طائر إلّا طائرك، ولا خير إلا من عندك.

ثم قال: نحن نُكذِّبك ونسير في الساعة التي نهيتَ عنها، ثم قال: أيها الناس، إيّاكم وتعلُّم النُّجوم، إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، المنجم كافر، والكافر في النار، والمنجمون أعداء الله والرسل، يخالفون الله ويخالفونهم، والله يا أحمر، لئن بلغني بعد اليوم أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها؛ لأجْلِدَنَّك جَلْدَ المفتري، ولأُخَلِّدَنَّك في الحبس ما بقيت، ولَأَحرِمَنَّك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم قال: فتحنا بلاد كسرى وقيصر وتُبّع بغير قول منجِّم، المنجِّمون أضداد الأنبياء، لا يرجعون إلى كتاب، ولا إلى شريعة، وإنما يتستَّرون بالإسلام ظاهراً، ويستهزؤن بالأنبياء باطناً، فهم الذين قال الله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾[1].

وفي رواية أن الأحمر قال له: لا تَسِرْ في هذا اليوم؛ فإن القمر في العقرب، فقال أمير المؤمنين: قَمرُنا أو قَمرُهم.

ثم سار إلى المدائن، فخرج إليه سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عبيد، فسار معه إلى النهر.

وقال هشام بن محمد وأبو مخنف وغيرهما: لما نزل أمير المؤمنين قريباً من النهروان بعث إلى الخوارج: ادفعوا إلينا قَتَلَة إخواننا منكم أقتلْهم بهم، ثم إني تارِكُكُم وعافٍ عنكم حتى ألقى العدوّ، ولعل الله أن يُقبل بقلوبكم، ويرُدّكم إلى أحسن ما كنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه: كلّنا قتلهم، وكلّنا مُستَحِلٌّ لدمائكم وأموالكم، أو لدمائهم.

وفي رواية أبي مخنف: أن رسول علي عليه السلام كان قيس بن سعد بن عُبادة، فقال لهم: عباد الله، أخرِجوا طَلِبَتَنا منكم، فادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدوِّنا وعدوِّكم؛ فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر، تشقُّون عصى المسلمين، وتسفكون دماءهم، وتعدُّونهم مشركين. فقال له عبد الله بن شجرة السُّلَمي: إن الحقَّ قد أضاء لنا، فلسنا متابعيكم، أو تأتونا بمثل عمر، فقال: ما نعلمه غير صاحبنا، قالوا: لا نعرفه، قال: نَشَدْتُكم في أنفسكم أن تهلكوا، فإني لا أرى الفتنة إلا

(١) أخرجه بنحو ما ذكر المصنف: الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٤) (زوائد).

قد غلبت عليكم. وخطبهم أبو أيوب الأنصاري بمثل ذلك، فأبوا إلا الإقامة على ما هم عليه.

وقال أبو مخنف وهشام: لما ورد أمير المؤمنين النهروان نزل قريباً منهم على فرسخ، وبعث إليهم أبا أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد، فقالا لهم: إنكم قد ارتكبتم أمراً عظيماً باستعراضكم الناس تقتلونهم، وتشهدون علينا بالشرك، وهو ظلم عظيم، فقال لهما: عبد الله بن السَّخبر: إليكما عنا، فإن الحق قد أضاء لنا كالصبح، ولسنا براجعين إليكم، أو تأتوا بمثل عمر بن الخطاب، فقال قيس بن سعد: ما نعرفه الآن إلا علي بن أبي طالب، قالوا: فنحن ما نعرفه.

وتكلّم أبو أيوب الأنصاري بنحوٍ من هذا فقالوا: يا أبا أيوب، إنَّا إنْ بايعناكم اليوم حَكَّمتم غداً آخر، فقال: فإنا نَنْشُدكم الله أن تتعجَّلوا فتنة [العام] مخافة ما نأتي به في قابل، فقالوا: إليكما عنا، فقد نابَذْنَاكم على سواء. فانصرفا إلى أمير المؤمنين فأخبراه بذلك، فأقبل حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامَه.

ذكر الخطبة

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب ـ وذكرها هشام ـ أن علياً عليه السلام أتى أهل النهر، فوقف عليهم وقال:

أيّتها العِصابة التي أخرجها المِراء واللّجاجة، وصدَّها الهوى عن الحق، وطمح بها تزيين الشيطان، فأصبحت في لُبْس وخطأ؛ إني نذير لكم أن تتمادوا في ضلالكم، فتُلْفَوا غداً صَرعى بأفناء هذا النهر بغير بَيِّنةٍ من ربّكم ولا بُرهان، ألم تعلموا أني نَهيتُكم عن الحكومة، وأخبرْتُكم أن القوم ليسوا بأصحاب دِينٍ ولا قرآن، وأنكم إن خالفتموني جانبتم الحَزْمَ، فعصيتموني، ثم أخذتُ على الحكَمين أن يُحيِيا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات، فاختلفا وخالفا كتابَ الله وسنةَ رسوله، فنَبَذْنا أمرَهما، ونحن على الأمر الأول، فأخبروني من أين أُتيتُم؟!

فقالوا: إنا حكَّمنا، فلما حكَّمنا أثِمْنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تُبنا، فإن تبتَ كما تُبنا فنحن معك ومنك، وإن أبيتَ نابَذْناك على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين.

فقال علي: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر[١] ، أبعد إيماني بالله ورسوله، وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهدُ على نفسي بالكفر؟! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين.

وفي رواية هشام: ثم قال: ليَخرجْ إليَّ رجلٌ منكم تَرضَون به أُحدِّثه ويُحدِّثني، فإن وجبتْ عليَّ الحُجَّة أقررتُ لكم، وتُبتُ إلى الله، وإن وجبتْ عليكم فارجعوا.

فقالوا لعبد الله بن الكَوَّاء ـ وكان من كُبرائهم ـ اخرج إليه حتى تُحاجّه، فخرج إليه، فقال له علي: ما الذي نَقمتم عليّ بعد رضاكم بولايتي، وجهادكم معي وطاعتكم؟! وهلّا تبرَّأتُم مني يوم الجمل؟ فقال ابن الكَوّاء: لم يكن هناك تحكيم، فقال علي: ويحك، فأنا أهدى أم رسول الله ﷺ؟ فقال: بل رسول الله. قال: فما سمعت قول الله تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] أكان الله يشكُّ أنهم الكاذبون؟ فقال: إن ذلك احتجاجٌ عليهم، وأنتَ شككتَ في نفسك، حتى رضيت بالحكَمَيْن، فنحن أحْرى أن نشكَّ فيك.

ولم يزل أمير المؤمنين يُحاجّ ابنَ الكواء بهذا وشبهه حتى قال ابن الكَوّاء: أنت الصادق في جميع ما قلت، غير أنك كفرتَ حيث حكَّمتَ الحكَمين. فقال: إنما حكَّمتُ أبا موسى وحدَه! قال: إن أبا موسى كفر، قال: فما ذنبي أنا؟ قال: رضاك. فصاح القوم: يا ابن الكَوَّاء، انصرف ودَعْ خطابَ الرجل، فلا حُكم إلا لله.

وتأهّب الخوارج للقتال، فعبّأ عليّ عسكرَه، فجعل على الميمنة حُجْر بنَ عَديّ، وعلى الميسرة شَبَث بن رِبْعي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرَّجَّالة أبا قتادة.

وجعل الخوارج على ميمنتهم زيد بن حُصَيْن، وعلى ميسرتهم شُرَيْح بن أوفى[٢] العَبْسيّ ـ وكان من نُسَّاكهم ـ وعلى الرجَّالة حُرقوص بن زُهير، وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب.

ورفع علي عليه السلام رايةً وقال: مَن لجأ إليها فهو آمن، فقال فَرْوَةُ بن نَوْفَل

(١) أي: أحد. وفي (خ): واثر، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ٨٤ ، والمنتظم ٥/ ١٣٣ .
(٢) في (خ): شريح بن أبي أوفى. وهو خطأ.

الأشجعي لقومه ـ وكان من رؤوس الخوارج: يا قوم، والله ما ندري علام نُقاتل علياً! وليس لنا في قتاله حُجّةٌ ولا بيان، فانصرِفوا حتى يتَّضح لنا بصيرةٌ في قتاله أو في اتباعه، ثم اعتزل الخوارج، ومضى في خمس مئة رجل إلى البَنْدَنِيْجين، وخرجت طائفة أخرى فلحقوا بالكوفة، واستأمن إلى الراية منهم ألفُ رجل، فلم يبق مع عبد الله ابن وهب منهم إلا أقل من أربعة آلاف، وقيل بقي معه ألف وثمان مئة، وكانوا اثنَيْ عشر ألفاً.

وقال علي لأصحابه: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فتنادت الخوارج: لا حُكم إلا لله، الرَّواح إلى الجنة، ثم شَدُّوا على أصحاب علي شدَّةً واحدة، فلم تثبت لهم خيل علي، وافترقت الخوارج فرقتين: فرقة منهم نحو الميمنة، وأخرى نحو الميسرة، وحمل قيس بن معاوية البُرْجُمي من أصحاب أمير المؤمنين على شُريح بن أَوْفى، فضربه بالسيف على ساقه فأبانها، فجعل يقاتل برِجْلٍ واحدة ويقول: [من الرجز]

الفَحْلُ يَحمي شَوْلَه مَعْقُولا[1]

فحمل عليه قيس بن سعد فقتله.

وحكى أبو مِخْنَف، عن عبد الملك بن مُسلم، عن حكيم بن سعد قال: ما هو إلا أن لقِيْنا أهل النهر فما ألْبثناهم، كأنهم قيل لهم موتوا فماتوا.

وفي رواية: فما لبثوا أن أناموهم.

وقال له أبو أيوب الأنصاري[2]: يا أمير المؤمنين، قتلتُ زيد بن حُصَين، قال فما قلت وما قال؟ قال: طعنتُه بالرُّمح في صدره فنَجَم من ظهره، وقلت: أبشِر يا عدوَّ الله بالنار، فقال: ستعلم أيُّنا أولى بها صِلِيًّا، فسكت علي عليها. وفي رواية أبي مخنف أيضاً فقال علي: هو أولى بها صِلِيًّا.

واختلف هانئ بن خطّاب الأَرْحَبِيّ وزياد بن خَصَفَة في قتل عبد الله بن وهب الرَّاسِبيّ، فقال علي: كيف صنَعتُما؟ قالا: طعنّاه، فقال: كلاكما قتله. وقتل أبو

(١) الطبري ٥/ ٨٧، والأخبار الطوال ٢١٠، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) كذا، وفي الطبري ٥/ ٨٧: قال أبو مخنف، فحدثني أبو جناب: أن أبا أيوب أتى علياً فقال...

النعمان الكِنانيّ[(١)] حُرقوص بنَ زُهير.

قال أبو مخنف: وكان شُريح بن أوفى الذي قُطعت رِجلُه يحمل ويقول: [من الرجز]

أضـرِبُـهـمْ ولـو أرى أبـا الـحَـسَـنْ ضَـربـتُـه بـالـسَّـيـف حـتـى يَـطـمَـئـنّ
أضـرِبُـهـمْ ولـو أرى عَـلـيَّـا أَلْـبَـسْـتُـه أبـيـضَ مَـشْـرَفِـيَّـا[(٢)]

حديث ذي الثُّدَيَّة

قال مسلم[(٣)]: حدثنا عَبْد بن حُميد، بإسناده إلى سَلَمة بن كُهَيْل قال: حدثني زيد بن وَهْب الجُهَنيّ؛ أنه كان في الجيش الذي كان مع علي عليه السلام، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي: أيها الناس، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قومٌ من أُمَّتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يَحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا يُجاوِز تَراقِيَهم، يَمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة»، لو يَعلم الجيشُ الذين يُصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيّهم لنَكَلوا[(٤)] عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عَضُد، وليس له ذِراع، على رأس عَضُدِه مثلُ حَلَمَةِ الثَّدْي، عليه شَعَراتٌ بيض، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإنهم قد سَفَكوا الدَّمَ الحرام، وأغاروا في سَرْحِ النّاس، فسِيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنَزَّلَني زيدُ بن وَهْب منزِلاً حتى قال: مرَرْنا على قَنطرة، فالتقَينا، وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبيّ، فقال لهم ألْقُوا الرِّماح، وسُلُّوا سُيوفكم من جُفونها، فإني أخاف أن يُناشِدوكم كما ناشَدوكم يومَ حَروراء، فرجعوا فوَحَّشوا برِماحهم، وسَلُّوا السُّيوف، وشَجَرهم الناسُ برِماحهم، وقُتِل بعضُهم على بعض[(٥)]، وما أُصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان، فقال علي عليه السلام:

(١) كذا، وفي الطبري: أبو المعتمر الكناني.

(٢) الطبري ٥/ ٨٨، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٧، ومروج الذهب ٤/ ٤١٤.

(٣) في (خ): قال أبو مسلم، وهو خطأ، والحديث في صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦)، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند (٧٠٦).

(٤) في صحيح مسلم ومسند أحمد: لا تكلوا.

(٥) في (خ): وقتل بعضهم بعضا.

التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي بنفسه فطاف في القتلى، فأخرجوه من بينهم، فكبّر علي ثم قال: صدق الله، وبلّغ رسولُه، فقام إليه عَبِيدَةُ السَّلْمانيّ فقال: يا أمير المؤمنين، ألله الذي لا إله إلا هو لسمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟! فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استَحْلَفه ثلاثاً وهو يَحلِفُ له. انفرد بإخراجه مسلم.

معنى وَحَّشُوا برماحهم، أي: ألقَوْها، وشَجَرهم الناس؛ أي: شَبَكُوهم بالرِّماح.

قال أبو عُبيد: اسم ذي الثُّدَيَّة بلبول.

وقال هشام بن محمد: وهذا ذو الثُّدَيَّة هو أبو الخوارج وأصلُهم، ويقال له: ذو الخُوَيْصرة، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم حُنين: يا محمد، اعدِلْ فما عدَلْتَ، وقد ذكرناه هناك[1]. ويُقال له: المُخْدَج، أي: النَّاقِص.

وقال أبو مِخْنَف: لما مر علي عليه السلام على القتلى تطوف على ذي الثدية، وكان معه سُلَيم بن ثُمامة الحنفيّ، والرَّيَّان بن صَبرة بن هَوْذة، فوجده الرَّيّان في حُفرة على شاطئ النهر، في أربعين أو خمسين قتيلاً، فلما استُخرج نظر إلى عَضُده، فإذا لحمٌ مجتَمِعٌ على مَنكِبِه كثَدْي المرأة، [له] حَلَمة عليها شَعرات سود، فإذا مُدَّت امتدّت حتى تُحاذي يدَه الأخرى، فإذا تُركت عادت إلى منكبه، فكبَّر علي وقال: والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبْتُ، وذكره... قال: ووقف عليهم عليّ عليه السلام وهم صَرْعى فقال: بُؤساً لكم، لقد ضرَّكم مَن غرَّكم، قالوا: يا أمير المؤمنين ومَن غرَّهم؟ قال الشيطان وأنْفُسٌ أمارةٌ بالسُّوء، غرَّتهم بالأماني، وزينت لهم عمل السوء.

قال: وطُلب مَن به رَمَق منهم فكانوا أربع مئة رجل، فقال علي لعَشائرهم: احمِلوهم معكم وداووهم، فإذا بَرِؤوا فوافوني بهم الكوفة، وما وجد من السِّلاح والدَّوابّ وآلةِ القتال قَسمه بين الناس، وأما العبيد والإماء فردَّهم على أهلهم.

وطلب عَدِيّ بن حاتم[2] ولدَه طَرَفة بن عدي، فوجده قتيلاً، فدفنه وقال: الحمد لله

---

(١) سلف في قسم السيرة.

(٢) في (خ) و(ع): وطلب علي بن حاتم، والمثبت من الطبري ٥/ ٨٨.

الذي ابتلاني بيومك عن[1] حاجتي إليك، ودَفَن بعض الناس قتلاهم، وبلغ عليًّا عليه السلام فقال: أتقتلونهم ثم تدفنونهم؟! ارتَحِلُوا فارتحلوا.

قال أبو مخنف أيضاً: لم يُقتل من أصحاب عليٍّ[2] إلا سبعة.

قال الخطيب بإسناده: أوّلهم يزيد بن نُويرة من الأنصار، قال أبو حازم المدني[3]: شهد له رسول الله ﷺ بالجنَّة مرَّتَيْن؛ يوم أُحد قال رسول الله ﷺ «مَن جاوز التَّلَّ فله الجنة»، فقاتل يزيد حتى جاوزه، واختلف ابنُ عمٍّ ليزيد مع يزيد في قتيل قتلاه يوم أُحد، فقال رسول الله ﷺ: «كلاكما[4] قد وَجبت له الجنة»، ثم كان يزيد أوّلَ قتيل قُتل بالنَّهْرَوان.

وقال هشام: قُتل رؤوس الخوارج: عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيّ، ويزيد بن حُصَين الطائي ـ ويقال: زيد ـ وشُرَيح بن أوفى، وأبو حسَّان الزِّياديّ، وهؤلاء كانوا رؤوس القُرَّاء مع علي قبل التَّحكيم.

وأما عبد الله بن الكَوَّاء فإنه بان له الحق، فرجع في خمس مئة رجل، ولم يقاتل علياً فسلم.

وهذا عبد الله بن الكَوَّاء هو عبد الله بن أوْفَى، ويقال: عبد الله بن عمرو بن النُّعمان ابن ظالم اليَشْكُرِيّ، قال هشام: كُنيته أبو عمرو، وقال أحمد بن حنبل: كنيته أبو الكَوَّاء.

قدم دمشق مع الذين نفاهم عثمان من الكوفة: الأشتر وصَعْصَعة بن صُوحان وغيرهما، فأنزلهم معاوية داراً وأضافَهم، فأقاموا يقرؤون، فمرَّ بهم يوماً معاوية زائراً لهم، فسمعهم يقرؤون القرآن، فقال: هذا خير لكم من الفتنة، ثم نَشَدهم الله وقال: أيُّ رجلٍ أنا؟ فقال له ابنُ الكَوَّاء: أنت رجلٌ واسع الدنيا ضيِّق الآخرة، قريب المَرْعى

---

(١) كذا في (خ) و(ع)، ولعلها محرفة عن كلمة: عند، وفي الطبري ٥/ ٨٨: على.

(٢) في (خ) و(ع): أصحاب رسول الله ﷺ، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) كذا؟! وفي تاريخ بغداد ١/ ٢٠٤، وعنه المنتظم ٥/ ١٣٥: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حاتم ابن إسماعيل المدني.

(٤) في (خ): كلاهما.

بعيد المَرْمَى[١]، تجعل الظّلمات نوراً والنور ظلمات، فسكت.

ثم عاد ابن الكَوّاء إلى العراق، وخرج مع الخوارج، ثم رجع عنهم، ولم أقف على تاريخ وفاته.

واختلفوا في أيّ سنة كانت هذه الوَقْعة، فعامَّة المؤرِّخين على أنها في هذه السنة، وحكينا عن الواقدي أنها كانت في سنة ثمان وثلاثين، وقال أبو عبيدة: في سنة تسع وثلاثين، والأول أشهر.

وقد أخرج أحمد في «المسند» في مسند علي عليه السلام؛ حديثاً مطولاً في قصة الخوارج ـ اختصرتُه ـ فقال: حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع بإسناده، عن عُبيد الله بن عِياض بن عَمرو القاري قال:

جاء عبد الله بن شَدّاد فدخل على عائشة، ونحن عندها جلوس، مَرجِعَه من العراق ليالي قُتل علي عليه السلام، فقالت له عائشة: يا ابن شَدّاد، هل أنت صادِقي عما أسألُكَ عنه؟ قال: نعم، قالت: حدِّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: لما حَكَّم علي الحكَمَين خرج عليه ثمانية آلاف من القُرَّاء، فنزلوا حَرُوْراء، وعَتِبوا عليه وقالوا: انسَلَخْتَ من قميصٍ ألبسك الله إياه، واسمٍ سَمَّاك الله به، ثم حكَّمتَ في دين الله، ولا حُكم إلا لله. وفارقوه.

فأمر بإدخال القُرّاء عليه، وقال: لا يَدخُل عليَّ إلا قارئ، فاجتمع عنده أناس، فدعا بمصحف عظيم، فوضعه بين يديه، وجعل يَصُكُّه ويقول: أيُّها المصحف، حَدِّث الناس. وناداه الناس: يا أمير المؤمنين، ماذا تسأل؟! إنما هو مِداد في وَرَق، فماذا تريد؟ فقال: أصحابُكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في امرأة ورجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ الآية [النساء: ٣٥] فأمَّةُ محمد ﷺ أعظمُ دماً وحُرْمَةً من امرأة ورجل.

ونقَمُوا عليّ أني مَحوتُ اسمي، وقد فعله رسول الله ﷺ في غزاة الحُدَيْبِيَة، وكتب: محمد بن عبد الله، ولي في رسول الله أُسوةٌ حَسَنة.

(١) في تاريخ دمشق ٣٩٠ (عبادة ـ عبد الله): بعيد الثرى.

وبعث إليهم عبد الله بن عباس وكنتُ معه، فلما تَوَسَّط عسكرَهم قام ابنُ الكَوّاء فقال: يا حَملَة القرآن، هذا ابن عباس الذي نزل [فيه و] في قومه: ﴿قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:٥٨] رُدُّوه إلى صاحبه، ولا تُواضعوه كتابَ الله، فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنُواضِعَنّه كتابَ الله، فإن جاء بحقٍّ نعرفه لنَتَّبِعَنّه، وإن جاء بباطلٍ لنُبَكِّتَنَّه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتابَ ثلاثةَ أيّام، فرجع منهم أربعة آلافٍ كلُّهم تائب، منهم ابن الكَوَّاء، حتى أدخلهم علي الكوفة، وبعث إلى بقيَّتهم يقول: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقِفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمّةُ محمد ﷺ، وبيننا وبينكم أن لا تسفِكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا ذِمَّةً، فإن لم تفعلوا فقد نَبَذْنا إليكم الحربَ على سواء، إن الله لا يُحبُّ الخائِنين.

فقالت عائشة: يا ابنَ شَدّاد، فقد قتلَهم ؟! فقال: والله ما فعل حتى قَطعوا السّبيل، وسفكوا الدّمَ الحرام، واستحلُّوا أهلَ الذِّمَّة، فقالت: آلله؟ قال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان ذلك، فقالت: فما شيءٌ بلغني عن أهل العراق؟ يقولون: ذو الثَّدي، وذو الثّدي، قال: قد رأيتُه، قمتُ مع علي عليه السلام [عليه] في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرِفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيتُه في مسجد بني فلان يصلي، قالت: فما قال علي حين وقف عليه؟ قال: سمعتُه يقول: صدق الله ورسولُه، فقالت: يرحم الله علياً، إنه كان إذا رأى شيئاً يُعجبه قال: صدق الله ورسوله(١)، فيذهبُ أهلُ العراق يكذِبون عليه، ويَزيدون في الحديث.

ذكر رجوع أمير المؤمنين من النهروان إلى النُّخَيْلَة

قال أبو مخنف عن أشياخه: إن عليًّا عليه السلام لما فرغ من أهل النهر حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن إليكم، وأعزَّ نُصرَتكم، فتوجَّهوا من فوركم هذا إلى قتال عدوِّكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نَفِدَت نِبالُنا، وكَلَّت سيوفُنا، ونَصَلَتْ أسِنَّة رِماحنا، فارجع بنا إلى المِصر، فلنَسْتَعِدّ بأحسن عُدَّة، فإنه أقوى لنا على عدوّنا. وكان

(١) من قوله: صدق الله ورسوله، قبل سطر، إلى هنا ليس في (خ). والحديث في مسند أحمد (٦٥٦)، وتاريخ دمشق ٣٩٦-٣٩٧ (عبادة ـ عبد الله)، وما بين حاصرتين منهما.

الذي كلَّمه بهذا الأشعث بن قيس.

فأقبل حتى نزل النُّخَيْلَة، وأمر الناس أن يَلزَموا عسكرَهُم، وأن يُقِلُّوا زيارةَ بيوتهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوِّهم، فأقاموا أياماً، ثم تسلَّلوا من مُعسكرهم فدخلوا الكوفة، إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وبقي العسكر خالياً، فلما رأى علي ذلك انكسر رأيُه في المسير إلى الشام، ودخل الكوفة.

وقال هشام: وكان الأشعث بن قيس مُنافقاً، وهو الذي ارتدّ عن الإسلام، ونافق على أمير المؤمنين لما عزله عن أرمينية، وإنما عزله عنها لأن أبا بكر وعمر ما كانا يُولِّيان من ارتَدَّ وِلايةً، والأشعث هو الذي قال أبو بكر في حقّه عند وفاته: لو قتلتُه لأرحتُ الناس منه، وهو الذي أفسد الأمور على علي بصفّين، وقد ذكرناه، ثم إنه كان يكاتب معاوية ويطالعه بالأخبار، وكان معاوية يبعث إليه بالأموال الكثيرة إلى أشراف الكوفة ورؤسائهم، فمال إلى معاوية بعد صفّين، [فكان معاوية] يقول: لقد حاربتُ ابنَ أبي طالب بغير جيش ولا قتال[1].

ذكر خطبة أمير المؤمنين حين قعدوا عنه

وقد خطب خُطباً كثيرة اخترتُ منها خُطبتين:

الخطبة الأولى؛ ذكرها أبو مخنف وهشام وغيرهما، عن أشياخهم قالوا: خطب أمير المؤمنين الناسَ لما تقاعدوا عن المسير إلى قتال معاوية فقال: أيُّها الناس، استعدُّوا للمسير إلى جهاد عدوِّكم... وذكر كلاماً، وقال: ما بالكم إذا دعوتُكم إلى قتالِ أهل الضَّلال تثاقلتُم إلى الأرض، أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! أوَكلَّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينُكم في رؤوسِكم، كأن فيها كَمَهاً فأنتم لا تُبصرون، وقلوبكم قاسية كأنكم لا تعقلون، والله ما أنتم إلا أُسود شَرَى في الدَّعَة، وثعالبُ رَوَّاغة حين تُدعون إلى البَأس، ما أنتم لي بثِقات... في كلام آخر.

وفيها: إن عدوّكم لا يَنام عنكم، وأنتم في غَفْلةٍ ساهون، إن لي عليكم حقًّا، ولكم عليَّ حقاً؛ أما حقكم فقِسمةُ الفَيْءِ فيكم، وأما حقِّي فالوفاء بالبيعة، والسمعُ والطَّاعة،

(١) ما بين معكوفين من أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥ .

والمناصحة في المَشْهد والمَغيب، والإجابة حين أدعوكم، وامتثال الأمر حين آمُركم... وذكر كلاماً آخر(١).

تفسير غريبها: الكَمَه: العَمَى، وقال الجوهريّ: الأكمه الذي يُولَد أعمى. قال: والشَّرى: طريقٌ في سَلْمى كثيرُ الأُسْد، والرَّوَغان: المَيْل، ومنه رَوَغان الثَّعلب(٢).

الخطبة الثانية: منها: أيُّها [الناس] المجتمعةُ أبدانُهم، المُتفرِّقةُ قلوبُهم وأهواؤهم، ما عَزَّت دعوةُ مَن دَعاكم، ولا استراح مَن اعتَضَد بكم، كلامُكم يُوْهِن الصُّمَّ [الصِّلاب]، وفِعلُكم يُطمِعُ فيكم عدوَّكم، إذا دعوتُكم إلى الجهاد قلتم: كَيتَ وكَيت، وذَيْتَ وذَيْت، أعالِيلٌ وأباطيل، وسألتموني التَّأخير فِعلَ ذي الدَّينِ المَطْول(٣) ... مع كلام طويل، وفيه: فَرَّق الله بيني وبينكم، وأبدَلَني مَن هو خيرٌ منكم، إنكم لو نَصَرْتموني فستذكرون ما أقول لكم.

وحكى البَلاذُريّ طَرفاً منه وقال: فقام أبو أيُّوب الأنصاري فقال(٤): إن أمير المؤمنين قد أسمع مَن كانت له أُذُنان وقلبٌ حَفيظ، إن الله قد أكرَمَكم به، فاقبلوا كَرامتَه حقّ قَبولها، إنه أنزل ابنَ عمِّ نبيّكم ﷺ بين ظَهْرانَيكم يُفقِّهكم ويُرشِدُكم، ويَدعوكم إلى ما فيه الحظُّ لكم.

وقال البَلاذُريّ أيضاً، عن أبي صالح قال: شهدتُ أميرَ المؤمنين وقد حَمل المصحفَ على رأسه وقال: اللهمَّ إني سألتُهم ما فيه فمَنَعوني إيّاه، اللهمَّ إني قد مَلَلْتُهم ومَلُّوني، وأبغَضْتُهم وأبغضوني، وحَملوني على أخلاق لم تكن تُعرف فيّ، اللهمَّ فأبْدِلْني خيراً منهم، وأبدِلْهم شرّاً منّي، ومِثْ قلوبَهم مَيْثَ المِلح في الماء(٥).

وقال الأصمعي: بلغني أن أمير المؤمنين قال في خُطبة: وَيْحكم، ألا انفِروا إلى غَزْو عَدوِّكم، فو الله ما غُزِي قومٌ في عُقْرِ دارِهم إلا ذَلُّوا(٦).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٩٠-٩١، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) الصحاح (روغ، كمه، شرى) ٤/ ١٣٢٠ و٦/ ٢٢٤٧ ، ٢٣٩١.

(٣) المَطول: المماطل والمُسَوِّف وانظر الخطبة في البيان والتبيين ٢/ ٥٦ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٧٣ .

(٤) في أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٤ أن قوله هذا كان قبل تولية علي إياه على المدينة بيسير.

(٥) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥ .

(٦) ذكرها مطولة الدينوري في الأخبار الطوال ٢١١-٢١٢ دون نسبتها إلى الأصمعي.

وقال البَلاذُريّ: كتب عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط من الكوفة إلى معاوية يُخبره: أن قد خرج على أمير المؤمنين قُرَّاءُ أصحابه ونُسَّاكُهم، وأنه سار إليهم فقتلهم، وقد فَسَد عليه جُندُه وأهلُ مِصره، ووقعت العَداوةُ بينهم، وتفرَّقوا أشدَّ فُرقة.

وقال البلاذري أيضاً: ولما بلغ معاوية أن أمير المؤمنين مُجِدٌّ في غَزوِه، وأنه يَدعو الناس إلى جهاده، وإعادةِ الحرب بينه وبينه؛ هالَه ذلك، وخرج عن دمشق، فعسكر بظاهِرها، وبعث المُسْتَصرِخين إلى كُوَر الشّام يُنادون: ألا إن علياً قد أقبل إليكم، وإنا كنَّا حَكَّمنا حكَمَيْن؛ فخلعه حكَمُه، وأثبتني حَكَمي، وكان بيننا شُروطٌ فنكَثَها، وقد أقبل إليكم بخَيله ورَجِله، ناكثاً ظالماً باغِياً، فاستعِدُّوا لقتاله، انفروا خِفافاً وثِقالاً، فنَفَر إليه من كلِّ أَوْبٍ، ثم أراد معاوية المسيرَ إلى صفِّين فتوقّف[1].

وقال الشعبي: وفي هذه السنة بعث أمير المؤمنين لما عاد من صفّين جَعْدَة بن هُبَيْرَة المَخْزومي ـ وكان ابنَ أختِ علي أمِّ هانئ بنت أبي طالب ـ إلى خُراسان، وكانوا قد كفروا، فحاصر أهلَ مَرْو ونَيْسابور، فصالحوه على ما أراد، وعاد.

وحجّ بالناس في هذه السنة عُبيد الله بنُ العبَّاس، وكان عامل علي عليه السلام على اليمن ومَخاليفِها، وكان على مكةوالطّائف قُثَم بنُ العبّاس، وعلى المدينة سَهْل بن حُنَيْف الأنصاري ـ وقيل: كان عليها تَمَّام بنُ العبّاس ـ وكان على البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدِّيْلي، وكان على الكوفة أبو مَسعود الأنْصاريّ؛ استَخْلَفه علي لما خرج إلى صفّين، وعلى خُراسان خُلَيْد بن قُرَّة اليَرْبوعيّ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه[2].

وفيها توفي

حابِس بن سعد بن ربيعة الطّائي اليماني

واختلفوا في صُحبته؛ فقال البخاري وأبو حاتم: أدرك رسول الله ﷺ[3].

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥ـ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٩٢ـ٩٣.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ١٠٨، والجرح والتعديل ٣/ ٢٩٢.

وذكره أبو زرعة وابن سعد ممن نزل الشام من الصحابة، وذكره جدي في «التلقيح»[(١)] فيمن له صحبة، ولم يذكره فيمن له رواية.

وقال أبو زرعة: بعثه أبو بكر الصديق إلى الشام، فنزل حمص، وولّاه عمر بعد ذلك قضاء حمص.

وقال ابن عبد البر: ولّاه عمر ناحية من نواحي الشام، فرأى في منامه كأن الشمس والقمر يقتتلان، ومع كلٍّ واحدٍ منهما كواكب، فقصّ رؤياه على عمر ﵁، فقال له: مع مَن كنتَ؟ فقال: مع القمر، فقال: كنتَ مع الآية الممحوّة، واللهِ لاتلي لي[(٢)] ولايةً أبداً، يُشير إلى قوله ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾[الإسراء: ١٢] قال: فقُتل مع معاوية بصفّين، وكان على الرجّالة، وبيده راية طيّئ، وهو خَتَنُ عديّ بن حاتم، وخالُ ابنه زيد بن عديّ.

وذكر أبو البَخْتَريّ قصة حابس مع عمر أتمّ مما ذكرها ابن عبد البر فقال: ولّاه عمر قضاء حمص، وقال له: كيف تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي واستشير جُلسائي، فقال له عمر: أصبتَ وأحسنت.

ثم لقيه عمر بعد ذلك فقال: ما منعك أن تسير إلى عملك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ رؤيا هالتني، قال: وما رأيت؟ قال: رأيتُ كأن الشمس والقمر يقتتلان، أقبلت الشمس من المشرق في جمع كثير من الكواكب، وأقبل القمر من المغرب في جمع كثير من الكواكب، فاقتتلا، فقال عمر له: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، فقرأ عمر ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ الآية، ثم قال: اردُدْ علينا عهدَنا، فرَدّه[(٣)].

وقتل بصفين مع معاوية.

قلت: وفي هذا الأثر فوائد منها: أن عمر كان يَعرف التأويل، فكأنه فهم أنه سيقتتل

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٣٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٦، وتاريخ دمشق ٤/ ٥٦ـ٥٧ (مخطوط).
(٢) في (خ) و(ع): له، والمثبت من الاستيعاب (٥٤٦).
(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٩٨ـ٢٩٩ (مخطوط).

ملكان، أحدهما يكون معه الحق، والآخر على الباطل، ودليلُه طلوع الشمس من المشرق، وإتيانها من مطلعها، وليس من عادة القمر أن يطلُع من المغرب، فكان شيعياً.

والثاني: فِراسة عمر في حابس، وجاء كما قال وهو قتلُه بصفّين.

والثالث: أنه لا بأس بالفأل وتكره[١] الطِّيَرة.

والرابع: أن الإنسان إذا قُلّد عملاً ينبغي له أن يُبادر ويسيرَ إليه؛ لأنه التزم الأمانة، فيجب عليه المبادرة إلى أدائها، ولهذا أنكر عمر عليه.

وقال ابن لهيعة: اجتمع بصفّين حابس بن سعد وأبو مُسلِم الخَولاني ورَبيعة الحَرَشِيّ ـ وكانوا مع معاوية ـ فقالوا: ليَدْعُ كلٌّ واحد منا بدعوة، فقال أبو مسلم: اللهمَّ اكِفنا وعافنا، وقال حابس: اللهمَّ اجمع بيننا وبينهم واحكم بيننا، وقال ربيعة: اللهمَّ أبْلِنا بهم وأبْلِهم بنا، قال: فلما التقَوا قُتل حابس، وفُقئت عين ربيعة، وعُوفي أبو مسلم[٢].

وقد حكينا أن الأشتر مرَّ مع أمير المؤمنين على حابس بن سعد؛ فرآه مقتولاً فقال: هذا اليَماني عهدتُه مؤمناً، ثم قُتل على ضلاله، فقال له علي: وهو الآن مؤمن.

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» فقال: حدّث عن أبي بكر وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وروى عنه جُبير بن نُفَير وسعد بن إبراهيم.

وتكلّم فيه الدارقُطني أنه مجهول فقال: حابس متروك، وقال مَرَّة أخرى: مجهول[٣]، [وهذا] وَهْم منه، فإن شُهرته ظاهرة لما ذكرنا، وقوله متروك يحتمل أنه ضَعَّف روايتَه، حيث لم يَقبَلْه عمر وعَزَله.

ولم يختلفوا أنه قُتل بصفّين يوم قُتل عمار.

وليس في الصحابة مَن اسمه حابس بن سعد غيرُه، فأما غير ابن سعد فآخر يُقال له:

---

(١) في (خ) و(ع): وتكثرة؟!

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٥٩ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٥٧ .

حابس أبو حيّة التَّميمي، له صُحبة ورواية[١]، وليس لصاحب هذه الترجمة رواية.

وأخرج أحمد في «المسند»[٢] لحابس أبي حَيَّة التميمي حديثاً، كذا وقع في «المسند»: أبي حيَّة، وفي رواية: أبو حبَّة، وحيَّة بنقطتين من تحت؛ قال أحمد: حدثنا عبد الصَّمد بإسناده إلى حيّة بن حابس التميمي؛ أن أباه أخبره، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيءَ في الهام، والعين حقٌّ، وأصدقُ الطير الفَأْلُ».

وفيها توفِّي

حَوْشَب

ويقال له: ذو ظُلَيم الألْهاني؛ رئيس بني أَلْهان في الجاهلية والإسلام، وهو من الأذْواء ملوك اليمن، وكان بصفِّين على إحدى مُجَنِّبَتَيْ معاوية، وذو كَلاع على الأخرى، وقيل: كان على رَجَّالة حِمص.

وقال أبو القاسم بن عساكر: وقد اختلفوا في اسم أبيه، وأدرك أبوه رسول الله ﷺ ولم يره[٣]، وكان رسول الله ﷺ قد كاتب حَوْشباً وذا كلاع على يَدَيْ جرير بن عبد الله، ولفيروز ليقتلوا الأسود العَنْسِيّ[٤].

قال: وقُتل حَوْشَب بصفِّين مع معاوية، في اليوم الذي قُتل فيه عمار، قتله سُلَيمان ابن صُرَد.

وفيها توفي

خَبَّاب بن الأَرَتّ

ابن جَنْدَلَة بن سعد، من بني زيد مَنَاة بن تميم، وكُنيته أبو عبد الله، مولى بني زُهْرَة.

---

(١) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٦ .

(٢) برقم (٢٠٦٨٠).

(٣) كذا، وهو خطأ، فإن الذي أدرك النبي ﷺ ولم يره وراسله؛ هو حوشب ذو ظليم، لا أبوه. انظر الاستيعاب (٥٩٨)، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٧٧ (مخطوط).

(٤) في الاستيعاب: أن رسول الله ﷺ كتب إلى حوشب كتاباً، وبعث به إليه مع جرير البجلي، ليتعاون هو وذو الكلاع وفيروز الديلمي ومن أطاعهم على قتل الأسود العنسي.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: سُبي فبيع بمكة، فاشترتْه أمُّ أَنْمار، وهي أمُّ سِباع بن عُرْفُطَة الخُزَاعيّ[١]، وكانوا حُلَفاء عوف بن عَبد عوف بن زُهْرة، وكانت أمُّ أنمار خَتَّانةً بمكّة، وهي التي قال حمزة بن عبد المُطَّلب يوم أُحد لابنها سِباع: يا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظور، وقد ذكرناه[٢]، فانضمَّ خباب إلى [آل] سِباع بهذا السبب. ويُقال: سِباع بن عبد العُزَّى[٣].

وقال البَلاذُريّ: كان الأَرَتّ أبو خَبّاب سَوَادِيًّا، فأغار قومٌ من ربيعة على النَّاحية التي هو فيها فسَبَوْه، وأتَوا به الحِجازَ فباعوه، فوقع إلى سِباع، فوَهَبه لأُمِّ أَنْمار فأعتَقَتْه.

وزعم أبو اليَقظان البَصْري أن خَبَّاباً كان أخا سِباع لأُمّه.

ويُقال: إن الأرتَّ من أهل كَسْكَر.

وقال الواقدي: كان قَيْناً، وكان يُكنى أبا عبد رَبّه[٤].

وحكى ابن سعد عن الواقدي: أن خَبَّاباً أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأَرْقَم، فكان خامساً أو سادساً في الإسلام، أسلم بعد خمسةٍ أو ستّةٍ، وكان يفتخر بذلك، وهو من المستَضْعَفين الذين كانوا يُعَذَّبون بمكة في الله، ولم يرجع عن دينه.

قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين خَبَّاب وبين جَبْر[٥] بن عَتيك، وخبَّاب هو الذي دخل عمر على أُخته فاطمة وهو يُقرئها القرآن، وقد ذكرناه عند إسلام عمر[٦].

وقال ابن سعد بإسناده عن الشَّعبيّ قال: دخل خَبَّاب بن الأَرَتّ على عمر بن

---

(١) كذا، وهو خطأ، صوابه أم سباع بن عبد العزى الخزاعي، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٥١ و٨/ ١٣٦، والمعارف ٣١٦، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٩، والاستيعاب (٦٥٦)، والمنتظم ٥/ ١٣٨.
وأما سباع بن عرفطة؛ فهو صحابي، انظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٨.

(٢) في قسم السيرة.

(٣) انظر التعليق ما قبل السابق.

(٤) أنساب الأشراف ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٥) في (خ) و(ع): جبير، وهو خطأ.

(٦) سلف في قسم السيرة.

الخطاب، فأجلسه على مُتَّكئه وقال: ما على وجه الأرض أحدٌ أحقّ بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، فقال له خَبَّاب: مَن هو يا أمير المؤمنين؟! قال: بلال، فقال خَبَّاب: ما هو بأحقّ مني، إن بلالاً كان له من المشركين مَن يَمنعُه الله به، ولم يكن لي أحدٌ يَمنعني، ولقد أخذوني يوماً، فأوقدوا لي ناراً، ثم سَلَقوني فيها، ثم وَضَع رجلٌ رِجلَه على صدري، فما اتَّقيتُ الأرض إلا بظَهْري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد بَرِص[١].

وأخرج أبو نعيم بمعناه وفيه: أوقَدوا لي ناراً، ما أطفأها إلا وَدَك ظهري، وكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيتُ كاليوم[٢].

وقال هشام بن محمد: كانت أمُّ أنمار مَولاة خَبَّاب تَحمي الحديدة وتَضَعُها على رأس خَبَّاب، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا عليها فاشتكتْ رأسَها، وكانت تَعوي مع الكلاب، فقيل لها: اكتوي، وكان خَبَّاب يَحمي الحديدةَ ويكوي بها رأسَها.

وقال الواقدي: الذي كان يُعذِّب خَبّاباً عُتبة بن أبي وَقَّاص، أخو سعد، وقيل: الأسود بن عبد يَغوث[٣].

وقال أحمد[٤] بإسناده، عن مَسروق، عن خَبَّاب قال: كان لي على العاص بن وائل السَّهْميّ دَينٌ، وكنتُ رجلاً قَيْناً، فأتيتُه أتقاضاه فقال: لا والله، لا أَقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت له: والله لا أكفر به حتى تموت ثم تبعث، فقال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ قلت: نعم، قال: سوف أقضيك إذا رجعتُ إلى مالٍ وولد، فأنزل الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ الآية [مريم ٧٧-٨٠]. أخرجاه في الصحيحين[٥]، والعاص هو أبو عمرو بن العاص.

وقال أحمد بن حنبل ـ كان خباب قد اكتوى لأمراض كانت به قال: حدثنا يزيد بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٢.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٤٢-١٤٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) في مسنده (٢١٠٧٥).

(٥) صحيح البخاري (٢٠٩١)، وصحيح مسلم (٢٧٩٥).

هارون بإسناده، عن قيس بن أبي حازم قال: أتينا خَبّاباً نعودُه، وقد اكتوى في بطنه سَبع كَيّات، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعوَ بالموت لدعوت به، فقد طال مرضي.

ثم قال: إن أصحابَنا الذين مَضَوا لم تَنْقُصْهم الدنيا شيئاً، وإنّا أُعطينا بعدهم من الدنيا ما لم نجد له موضعاً إلا التراب، وكان يبني حائطاً له، فقال: إن المسلم ليُؤْجَر في نفقته كلِّها إلا في شيءٍ يجعله في التُّراب. متفق عليه(١).

وبه عن خَبَّاب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بردائه في ظلِّ الكعبة، فقلنا يا رسول الله، ألا تَستَنصِر لنا؟ فجلس مُحْمرّاً وجهُه وقال: «لقد كان مَن كان قبلكم يُؤخذ فيُجعل المِنشار على رأسه، فيُفْرَقُ فرقتَيْن، ما يَصرِفه ذلك عن دِينه، وليُتِمّنَّ الله هذا الدين ـ أو هذا الأمر ـ حتى يسيرَ الرَّاكب ما بين صَنْعاء وحَضْرَمَوت؛ لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه». انفرد بإخراجه البخاري(٢).

وروى أبو نعيم بإسناده عن شقيق بن سلمة قال: دخلْنا على خَبّاب نَعوده في مرضه فقال: إن في هذا التّابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شَددتُ عليها خيطاً، ولا منعتُ منها سائلاً، ثم بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي أن أصحابي مَضَوْا ولم تَنْقُصهم الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى ما نجِد مَوضعاً للمال إلا التُّراب(٣).

ذكر وفاته:

قال ابن سعد بإسناده عن طارق بن شهاب قال: دعا خَبّاباً نَفَرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشرْ أبا عبد الله، إخوانك تَقْدَم عليهم غداً، فبكى وقال: أما إنه ليس بي جَزَع، ولكن ذكّرتموني أقواماً، وسمَّيتُم لي إخواناً، وإن أولئك مَضَوا وأُجورُهم على الله، أو كما هي، وإني أخاف أن يكون ثوابَ ما تَذكُرون من تلك الأعمال مما أُوتينا بعدَهم(٤).

وقال الواقدي: نزل خَبّاب الكوفة حين اختطَّها المسلمون، فأقام بها إلى سنة سبع

---

(١) مسند أحمد (٢١٠٦٩)، وصحيح البخاري (٥٦٧٢)، وصحيح مسلم (٢٦٨١).

(٢) مسند أحمد (٢١٠٥٧)، وصحيح البخاري (٣٨٥٢).

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٤٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٣ .

وثلاثين، فلما احتُضر قال لولده عبد الله ـ وهو الذي ذَبحتْه الخوارج في هذه السنة: يا بُنيّ، إذا متُّ فادفِنِّي بهذا الظّهر ـ يعني ظهرَ الكوفة، وهو أوَّل مَن دُفِن بظَهْرها ـ قال: يا بُنيّ، فإنك إذا دَفَنْتَني بظَهْرها قال الناس: هذا رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان الناس يَدفنون في جَبابينهم بالكوفة، فدفنوه بظاهر الكوفة، ثم دفن الناس بعد ذلك مَوتاهم بالظَّهر[١].

وقد ذكرنا أن أمير المؤمنين لما عاد من صِفّين رأى على الظَّهر قُبوراً سبعة أو ثمانية، فقال: ما هذه؟ فقال له قُدامة [بن] العَجْلان[٢]: يا أمير المؤمنين، إن خَبّاباً بعد مَخرجِك توفّي، وأوصى أن يُدفَن في الظَّهر، فنزل عليّ وصلّى عليه، وقال: رحمه الله، لقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في بدنه أحوالاً، فلن يُضيع الله أجرَ مَن أحسن عملاً.

وقال الواقدي: عاش خَبّاب ثلاثاً وسبعين سنة، وقيل: ثلاثاً وستّين سنة.

أسند خباب عن رسول الله ﷺ اثنين وثلاثين حديثاً، أخرج له في الصحيحين ستة أحاديث، اتّفقا على ثلاثة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديث[٣].

وليس في الصحابة مَن اسمُه خبّاب بن الأرتّ سواه، فأما خَبّاب غير ابن الأرتّ فثلاثة: خَبَّاب أبو[٤] إبراهيم الخُزاعيّ، له صُحبة وليس له رواية، وقد ذكرناه. [وخَبّاب أبو يحيى، مولى عُتبة بن غَزوان، وخَبّاب والد عطاء، له إدراك].

وأخرج أحمد لخَبَّاب تسعة أحاديث، قد ذكرنا بعضها.

ومن مسانيد خباب: قال أحمد[٥] بإسناده عن عبد الله بن خباب، عن أبيه قال: إنا لَقُعودٌ على باب رسول الله ﷺ ننتظر أن يخرج إلى الصلاة للظُّهر، إذ خرج علينا فقال:

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٣، وأنساب الأشراف ١/ ٢٠٢ـ٢٠٣.

(٢) في (خ) و(ع): قدامة العجلاني، والمثبت من الطبري ٥/ ٦١.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩١، والسير ٢/ ٣٢٤ـ٣٢٥.

(٤) في (خ): ابن، وهو خطأ، والمثبت من تلقيح فهوم أهل الأثر ١٨٥ وما سيرد بين حاصرتين منه. والإصابة ١/ ٤١٧.

(٥) في المسند (٢٧٢١٨).

«اسمعوا»، قلنا: سمعنا، فقال: «اسمعوا»، قلنا: سمعنا، قال: «سيكون عليكم أُمراء، فلا تُعينوهم على ظُلمهم، ولا تُصدّقوهم بكذبهم؛ فإنه مَن أعانهم على ظُلمهم، وصدَّقهم بكَذِبهم، فلن يَرِدِ عليَّ الحوض».

وفي أفراد مسلم، عن خَبّاب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ شِدَّةَ الرَّمْضَاء فلم يُشْكِنا. قال شُعبة: يعني في الظُّهر[(١)].

قلت: وبهذا الحديث يحتجُّ الشافعي على أن المصلّي لو سجد على فاضل ثوبه لم يُجزه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، قال أبو حنيفة ومالك: يجوز، وعلى هذا الخلاف لو سجد على كُور عمامته أجزأه عند أبي حنيفة ومالك، وعند الشافعي لا يجوز، واحتجّ بحديث خبّاب، ولأنه سجد على حائل بينه وبين الأرض، وهو حامل له فصار كما لو سجد على يديه، ولأبي حنيفة ما رَوى البخاري عن أنس قال: كنّا نصلي مع النبي ﷺ، فيضع أحدنا طرفَ ثوبه من شدَّةِ الحرِّ في مكان سجوده[(٢)].

وأما حديث خَبَّاب فقال أبو عبيد: معنى فلم يُشْكِنا، أي: لم يَدَعْنا في الشِّكاية؛ بل أزال عنا ذلك، وهذه لغة العرب[(٣)]، بخلاف ما إذا سجد على يديه؛ لأن يديه ليسا بمحلّ السّجود.

فصل وفيها توفّي

خُزَيمة بنُ ثابت

ابن الفاكِه بن ثعلبة بن خَطْمَة[(٤)] عبدِ الله بن جُشَم[(٥)]، وخُزيمة بن ثابت من الطبقة الثالثة من الأنصار.

قال ابن سعد: كان يكسر أصنامَ بني خَطْمَة، وكنيته أبو عُمارة، شهد أُحداً

(١) صحيح مسلم (٦١٩)، وهو في المسند (٢١٠٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٥)، وصحيح مسلم (٦٢٠)، وانظر في هذه المسألة فتح الباري لابن رجب ٣/ ٣٢ـ٤٠، والمغني لابن قدامة ٢/ ١٩٧ـ١٩٩.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث (شكو) ففيه عكس هذا المعنى. ولم أقف على كلام أبي عبيد.

(٤) بين ثابت وخطمة أربعة آباء.

(٥) في (خ): خيثم، وهو خطأ، انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٧، وتاريخ دمشق ٥/ ٦٠٧، والإصابة ١/ ٤٢٥.

والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ، ويقال له: ذو الشَّهادَتَيْن، وأُمُّه: كُبَيْشَة بنت أوس ابن عديّ [بن أميّة بن عامر بن] خَطْمَة أيضاً(١).

قال أحمد بإسناده عن عمارة بن خُزيمة الأنصاري، أن عمَّه حدَّثه وهو من أصحاب رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ ابتاع فرَساً من أعرابيٍّ، فاستَتْبَعه رسولُ الله ﷺ ليَقْبِضَ ثَمنَه، فأسرع رسول الله ﷺ المَشْيَ، وأبْطأ الأعرابيّ، وطَفِق رجالٌ يَعترضون الأعرابيّ ويُساومونه الفرس، ولا يَشعرون أن رسول الله ﷺ ابتاعَه، حتى زاد بعضُهم في الثَّمن، فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ: إن كُنتَ مُبْتاعاً لهذا الفَرَس وإلا بعتُه، فقال: «أليس قد ابتَعْتُه منك؟» قال: لا والله، فقال رسول الله ﷺ: «بلى»، فقال: هَلُمَّ شهيداً، وطَفِق المسلمون يَلوذون برسول الله ﷺ ويقولون: وَيْحك، وإن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقاً، فجاء خُزيمة بن ثابت فقال: أنا أشهد أنك بايَعْتَه، فقال له رسول الله ﷺ: «بم تَشْهد يا خُزيمة ولم تكن معنا؟» فقال: أشهد بتصديقك، وإنَّا قد آمنَّاك على أكثر من هذا، وفي رواية: أنا أُصدِّقُك في خبر السماء، ألا أُصَدِّقُك في هذا؟ فجعل رسول الله ﷺ شهادتَه بشهادةِ رجُلَين(٢).

الكلام على الحديث: قال الواقديّ: لم يُسمّ لنا أخو خُزَيمة راوي هذا الحديث، وكان له أخوان: عبد الله، وهو أخو خُزَيمة لأبيه وأمّه، وأمهما كُبَيْشَة، وله عَقِب، والآخر يُقال له: وَحْوَح، ولا عَقِب له(٣).

وقال ابنُ لَهِيْعة: اسم الأعرابي الذي باع الفَرَس: سَوَّار بن قيس المُحارِبيّ.

فإن قيل: فالحكم لا يَثبت إلا بشهادة شاهدَين! فالجواب من وجهين: أحدهما: أن رسول الله ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه، وشهادة خُزيمة أكَّدت ذلك، فصار بمنزلة شاهدَيْن، أو شاهد ويمين في جميع الأحكام. وهذا جواب أبي سليمان الخَطّابي(٤)، لكن إنما يُخرَّج على قولِ مَن يَرى أن الحُكم يَثبت بشاهد ويَمين، ويَرى أن الحاكم يحكم بعلمه.

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٧.
(٢) مسند أحمد (٢١٨٨٣).
(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٨.
(٤) في معالم الحديث ٤/ ١٧٣.

والثاني: أن رسول الله ﷺ كان مخصوصاً بذلك، فحينئذٍ لا خلاف.

وقال الواقدي: شهد خُزَيمة يوم مُؤْتَه فقال: بارزتُ رجلاً فأصبتُه، وكان على رأسه بَيضة فيها ياقوتةٌ حمراء، فأخذتُها وأتيتُ بها النبي ﷺ، فَنَفَلَنيها، فبعتُها في زمن عمر ابن الخطاب بمئة دينار، فاشتريتُ بها حديقةَ نخلٍ في بني خَطْمَة[١].

ذكر وفاته:

عامة العلماء على أنه قُتل بصفين.

قال سيف: مات في أيام عثمان، وهو وهم منه.

قال أحمد بن حنبل بإسناده، عن محمد بن عُمارة بن خُزَيمة بن ثابت قال: ما زال جدّي مع علي عليه السلام بصفّين كافًّا سلاحَه ـ وكذا كان يوم الجمل ـ حتى قُتل عمار يومَ صفين ـ أو بصفّين ـ فقال خزيمة: الله أكبر، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلُك الفِئةُ الباغية»، فسَلّ سيفَه، فقاتل حتى قُتل[٢].

ورواه ابن عبد البر قال: فدخل فُسطاطه فاغتسل، ثم لبس سلاحَه وقال: قد بان لي الأمر، ثم حمل فقاتل حتى قُتل، وهو ابن سبع وسبعين سنة[٣].

وكذا حكى جدي رحمه الله في «المنتظم»[٤] عن الواقدي أنه قال: شهد خُزيمة صفّين مع علي عليه السلام وقُتل يومئذ، وكانت يوم الفتح رايةُ بني خَطْمَة مع خزيمة.

وكان له من الولد عبد الله وعبد الرحمن وعُمارة، وأُمُّهم جَميلة بنت زيد، وقيل: أمُّ عُمارة: صَفيّة بنت عامر[٥].

أسند خُزيمة عن رسول الله ﷺ أحاديث، وأخرج له أحمد منها سبعة، وليس في الصحيح سِوى حديث واحد، انفرد بإخراجه مسلم، وهو في مُسند أسامة بن زيد لاشتراكهما في روايته[٦].

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٧٦٩ ووقع فيه تصحيف وخطأ من المحقق.

(٢) مسند أحمد (٢١٨٧٣).

(٣) الاستيعاب (٦٣٩).

(٤) ٥/ ١٤٠ .

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٧ .

(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩١ ، والحديث في صحيح مسلم (٢٢١٨) (٩٧) في الطاعون.

وروى خزيمة عن علي عليه السلام وجماعة من الصحابة، وروى عنه جابر بن عبد الله وابناه عبد الله وعُمارة في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه خُزيمة بن ثابت غيره.

وقال أحمد بإسناده عن خُزَيمة بن ثابت: أنه رأى في المنام أنه يُقَبِّل النبي ﷺ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره بذلك، فناوله النبي ﷺ فقبَّل وَجْهه.

وفي رواية أحمد أيضاً: أن خزيمة رأى في منامه كأنه سَجد على جَبهةِ رسول الله ﷺ، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «صدقتْ رُؤياك»، واضطجع، فسجد خُزَيمة على جبهة رسول الله ﷺ(١).

وفيها توفي

ذو الكَلاَع

وكُنيته أبو شُرَحْبيل، وقيل: أبو شَراحيل الحِميريّ، وهو ابن عمّ كعب الأحبار، وقد ذكره الجوهريُّ فقال: ذو الكَلاع بالفتح: اسم مَلِكٍ من ملوك اليمن من الأَذْواء، قال: والكَلَع شُقاقٌ يكون في القَدَم(٢).

وقال ابن مَنْده: أدرك ذو الكَلاع رسول الله ﷺ، وكان في زمانه، ولم يره، وراسله بجرير بن عبد الله البَجَلِيّ.

قلت: وقد قرأتُ على شيخنا الموفَّق رحمه الله من كتاب «التَّوَّابين» عن الأصمعيّ قال: كان رسول الله ﷺ قد كاتب ذا الكَلاع من ملوك الطَّوائف على يد جرير بن عبد الله، يدعوه إلى الإسلام، وكان قد استَعْلى أمرُه حتى ادَّعى الرُّبوبيَّة، وأُطيع، حتى توفِّي رسول الله ﷺ قبل عَودة جرير، وأقام ذو الكَلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر، ثم رَغِب في الإسلام، فقدم على عمر ومعه ثمانيةُ آلاف عبد، فأسلم على يده، وأعتق منهم أربعة آلاف، فقال له عمر: بِعْني ما بقي وأعطيك ثُلُثَ أثمانهم باليمن، وثُلثاً

---

(١) مسند أحمد (٢١٨٦٣) و(٢١٨٦٤). وانظر في ترجمة خزيمة إضافة إلى ما ذكر من مصادر: طبقات ابن سعد ٨/ ١٧٤، والاستبصار ٢٦٧، والسير ٢/ ٤٨٥، وتهذيب الكمال وفروعه.

(٢) الصحاح (كلع) ٣/ ١٢٧٧.

بالشام، وثُلثاً هاهنا، فقال: أَجِّلْني يومي حتى أُفَكِّر، ومضى إلى منزله فأعتق الجميع، فلما غدا على عمر قال له: ما رأيك فيما ذكرته لك؟

فقال: قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيتَ. قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لِوَجْهِ الله تعالى. فقال له عمر: أَصَبْتَ.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، لي ذنبٌ ما أظنُّ اللهَ يَغفِرْه لي. قال: وما هو؟ قال: تَواريتُ عمّن يَتعبَّدُ لي، ثم أشرفتُ عليهم من مكانٍ عالٍ، فسجد لي زُهاء عن مئة ألف إنسان، فقال له عمر: التوبةُ بالإخلاص، والإنابةُ بالإقْلاع، يُرجَى بهما مع رَأفةِ الله الغُفران، قال الله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الآية [الزمر: ٥٣](١).

وذكر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» زيادةً على هذا، عن يزيد بن هارون قال: كان عند ذي الكلاع اثنا عشر ألف بيت من المسلمين، فبعث إليه عمر لِيَشتريَهم لِيَستعينَ بهم على عدوِّ المسلمين، فأعتقهم ذو الكَلاع في ساعةٍ واحدة(٢).

وقرأت أيضاً على الموفَّق من كتاب «التوابين» قال: ذكر محمد بن أحمد بإسناده عن علوان بن داود، عن رجل من قومه قال: بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكَلاع، فأقمت على بابه سَنَةً لا أَصِلُ إليه، ثم اطَّلع من قصره، فلم يبق مِن حول القصر إلا مَن خَرَّ له ساجداً، ثم أمر بهديَّتي فقُبِلَتْ.

ثم رأيتُه في الإسلام قد اشترى لحماً بدرهم، وسَمَّطه على فرسه وهو يقول: [من الرمل]

أُفِّ لِلدُّنيا إذا كانت كذا ... كلَّ يوم أنا منها في أذَى

ولقد كنتُ إذا ما قيل مَن ... أنعمُ النَّاس معاشاً قيلَ ذا

ثم بُدِّلْتُ بعيشي شِقْوَةً ... حَبَّذا هذا شَقاءً حَبَّذا(٣)

(١) التوابين ١٥٨، والمنتظم ٤/ ٨.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ١٤٧.

(٣) التوابين ١٥٧، والمنتظم ٤/ ٧ـ٨، وتاريخ دمشق ٦/ ١٤٢ (مخطوط).

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» وقال: عن جرير بن عبد الله قال: بَعثني رسول الله ﷺ إلى ذي كَلاع وذي عَمرو، فأسلما، وقال لي ذو كلاع: ادخُل على أُمّ شُرَحْبيل، ووالله ما دخل عليها أحدٌ بعد أبي شُرَحبيل قبلك.

وقال أيضاً عن جرير: فلقيت ذا كَلاع وذا عمرو، فجعلتُ أُحدِّثُهما عن رسول الله ﷺ، فأقبلا معي، حتى إذا كنا ببعض الطريق رُفِع لنا رَكْبٌ من نحو المدينة، فسألناهم فقالوا: قُبِضَ رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر، فرَجَعا إلى اليمن وقالا: أخبرْ صاحبَك أنّنا سنعود(١).

وقال هشام بن محمد: خرج ذو كلاع إلى الشام مجاهداً بأهله وماله في أيام عمر، واتَّفق قتلُ عثمان بن عفان، فانضاف إلى معاوية، فقدَّمه على جيوشه، وكان شُجاعاً جَواداً.

وحكى ابن عساكر قال: قال معاوية لذي الكلاع: قُمْ فاخطُب الناس، وحرِّضْهم على قتال علي وأهل العراق، فقعد على فرسه، وكان من أعظم أصحاب معاوية خَطَراً؛ فحمد الله وأثنى عليه وذكر كلاماً طويلاً اختصرتُه، فمنه أنه قال:

وقد كان من قضاء الله تعالى وقَدَرِه أنه جمع بيننا وبين أهلِ ديننا بصفّين، وإنا لنَعلم أن منهم قوماً قد كانت لهم سَوابقُ مع رسول الله ﷺ ذات شأنٍ وخَطَرٍ عظيم، ولكنّا قَلَّبنا هذا الأمر ظهراً وبَطْناً؛ فلم يَسَعْنا أن نَهْدِرَ دمَ عثمان، فإن كان أذنَبَ ذنباً فقد أذنبَ مَن هو خيرٌ منه؛ قال الله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه: ١٢١]، واستغفر فغُفِر له، وقتل موسى نَفْساً، واستغفر فغُفِر له، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢]، فلم يَعْرَ أحدٌ من ذنب، وإنا لنعلم أنه قد كانت لابن أبي طالب [سابقة] حَسَنَةٌ مع رسول الله ﷺ، فإن لم يكن قد مالأ على عثمان فقد خَذَلَه، وإنه لأخوه في دينه وابن عمّه وابن عَمته، وها هو قد أقبل في أهل العراق حتى نزل بساحتكم، ووَطِئ بيضَتَكم، وإنما عامة الذين معه بين قاتلٍ وخاذل، فاستعينوا بالله واصبروا، فقد ابتُليتُم أيتها الأمة، والله لقد رأيتُ في هذه الليلة في منامي كأنا نحن

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٣٩-١٤٠ (مخطوط).

وأهل العراق قد اعتَوَرْنا مُصحَفاً، ونحن نضربه بأسيافنا وهو يصيح: الله الله . اللهمَّ أنزِلْ علينا النصر، وأفرغ علينا الصبر[١].. وذكر ألفاظاً أُخَر.

وحكى ابن عساكر أيضاً، عن أبي نوحٍ الحِميريّ قال: إني لواقفٌ يوم صفّين في عسكر أمير المؤمنين؛ إذ نادى رجلٌ من أهل الشام: مَن يَدُلُّني على أبي نوحٍ الحِميريّ؟ فقلتُ: أنا أبو نوح، فمن أنت؟ فقال: ذو كَلَع، فسِرْ إليّ، فقلت: مَعاذ الله أن أَسير إليك إلا في كتيبة، فقال: لا بأس عليك، أنت في ذِمّة الله وذِمّتي، إنما أُريد أن أسألك عن أمر، قال: فسرتُ إليه فقال: حدثني عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «يلتقي أهلُ العراق وأهلُ الشام، في إحدى الكتيبتين الحقُّ، ومعهما عمار بن ياسر»، أفيكم عمار بن ياسر؟ قال فقلت: إي والله هو معنا، قال: أجادٌّ هو في قتالنا؟ قلت: إي وربِّ الكعبة، وإنه يَوَدُّ لو أنكم خَلْقٌ واحد فذَبَحه.

قال ابن عساكر: وكان ذو كَلاع قد سمع من عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفِئة الباغية»، فكان يوم صفّين يقول لعمرو: وَيحك يا عمرو ما هذا؟ فيقول عمرو: سيرجع إلينا عمار، فقُتل ذو الكَلاع وعمار في يوم واحد، قتل ذو الكَلاع أولاً.

قال: وكان معاوية خائفاً منه أن ينتقل إلى عسكر علي عليه السلام، فقيل لمعاوية: قُتل ذو كلاع وعمار، فقال معاوية: لا أدري بم أُسَرّ؛ بقتل عمار أو بذي كلاع؟! وإني لأشدُّ فرَحاً بقتله من فتح مصر، لأنه كان يعترض عليّ في أشياء، وكان ميلُه إلى علي.

وقال ابن عساكر أيضاً: ولما قُتل ذو كلاع دخل ابنُه عسكر أمير المؤمنين، فوجده مَربوطاً برِجْله بطُنُبٍ إلى جانب فُسطاط، وكان مع ابنه عبدٌ أسود وبَغْل، فقال: يا أهل الفُسطاط، أتأذنون لنا في حمله ـ وكان سميناً قد انتَفَخ ـ فأَذِنوا له، ولم يساعدوهم عليه فقال ابنُه: ألا فتى مِعْوانٌ على الخير؟ فخرج إليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين يقال له: الخندق، فقال: تَنَحّوا، فقال ابنه: ومَن يَحمله؟ فقال الخندق: الذي قتله، ثم احتمله حتى رمى به على ظهر البغل، فانطلقا به إلى عسكر الشام.

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٤٤ـ١٤٥ .

وقيل: إنما قتله هاشم المِرقال، وسنذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عساكر: أسند ذو الكلاع الحديث عن عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وعوف بن مالك.

وروى عنه: زامِل بن عَمرو الجُذَامِيّ، وأبو نوح الحِميريّ، وغيره.

وسكن حمص، وكانت له بدمشق حَوانيت عند باب الجابية من الجانب القِبلي، قال: وشهد وَقْعةَ اليرموك، وفَتْحَ دمشق(١).

وفيها توفي

سُحَيْم عَبدُ بني الحَسْحاس

كان عَبْداً حبشيّاً أدرك الجاهلية.

قال الزبير بن بَكّار: اشتراه عبد الله بن عامر(٢)، وأهداه إلى عثمان بن عفان وكتب إليه: إني قد ابتعتُ لك غلاماً حبشيًّا شاعراً، فردّه عثمان عليه وكتب إليه: لا حاجةَ لي به؛ فإنما قُصارى العبد الشاعر إنْ شبع شَبَّب بنساء مواليه، وإن جاع هجاهم، فباعه ابن عامر، فاشتراه رجل من بني الحَسْحاس، وكان سُحَيم أعجميَّ اللسان.

وقال الزبير بن بَكار: كان سُحيم يهوى ابنةَ مولاه، واسمها عُمَيْرة بنت أبي مَعْبد، وكتم حبّها، فخرج مولاه أبو مَعْبد في سفر، وخرج به معه، فقال سحيم: [من الطويل]

عُمَيرةَ وَدِّعْ إن تَجَهَّزتَ غازِيا ... كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهِيا

وأفْحَش فيها فقال:

وبِتْنا وِسادانا إلى عَلَجانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهاداه الرِّياح تَهاديا

تُوسِّدني كفًّا وتَثْني بِمِعْصَم ... عليَّ وتحوي رِجلَها من وَرائيا

وهَبَّت شَمالٌ آخرَ الليلِ قَرَّةٌ ... ولا بُرْدَ إلا دِرْعُها ورِدائيا(٣)

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٣٩ و١٤٥-١٤٦ (مخطوط)، وانظر طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤٤، والمعارف ٤٢١، والاستيعاب (٧١٥)، والإصابة ١/ ٤٩٢.

(٢) في الشعر والشعراء ٤٠٨، والأغاني ٢٢/ ٣٠٥، والمنتظم ٥/ ١٤١: عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

(٣) المنتظم ٥/ ١٤١-١٤٢، وانظر طبقات فحول الشعراء ١٨٧-١٨٨.

وقرأتُ على عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن الطُّوسي كتاب «اعتِلال القلوب» لأبي بكر الخرائطي قال: حدثني أبو يوسف الزُّهري قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما ذهب أبو مَعْبَد بسُحيم إلى المدينة ليبيعه ـ قال: وفي رواية: كان سُحيم عبداً فباعه مولاه ـ فقال: [من الطويل]

وما كنتُ أخشى مَعْبداً أن يَبيعَني ... ولو[1] أصحبتْ كفَّاه من ماله صُفْرا

أخوكم ومَولاكم وكاتم سِرِّكم ... ومن [قد] ربا فيكم وعاشَركم دَهْرا

أشوقاً ولما يمضِ[2] لي غيرُ ليلةٍ ... فكيف وقد جدَّ المَطِيُّ بنا عَشْرا

وفي غير رواية الخرائطي: فرقّ له مولاه وردّه، ثم إنه عَشِق امرأةً من أهل بيت مولاه، فأخذوه وأحرقوه.

وقال ابن قتيبة: سَقَوه الخمر، وعرضوا عليه نِسوة، فلما مرَّتْ به التي كان يُشير إليها، ويُتَّهم بها، أهوى إليها، فقتلوه[3].

وسُحَيْم هو الذي دخل على عمر بن الخطاب فأنشده: [من الطويل]

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تَجهَّزْتَ غازيا ... كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهِيا

فقال له عمر: لو قدَّمْت الإسلام على الشَّيب لأجَزْتُك، فقال: يا أمير المؤمنين، الرويُّ والقافية ألجأني إلى هذا، فأجازه.

وفيها توفي

عبد الله بن الأرْقَم

ابن عَبْدِ يَغوث [بن وَهْب] بن عبد مَناف بن زُهْرَة، أسلم يوم الفتح، وكتب لرسول الله ﷺ جوابَ كتاب فأعجبه، وكتب لأبي بكر وعمر.

وقال هشام: وَرَد على رسول الله ﷺ كتابٌ فقال: «مَن يُجيب عنه؟» فقال ابن

---

(١) في (خ): أن يبيعني بمال ولو.

(٢) في (خ): أأشتاق ولم يمض؟! والأبيات في اعتلال القلوب ٢٨٦ ، والأغاني ٢٢/ ٣٠٦ ، ومصارع العشاق ١/ ١٤٨ .

(٣) الشعر والشعراء ٤٠٩ .

الأرقم: أنا، فأجاب فوافق ما كان في خاطر النبيِّ ﷺ، وبقي ذلك في قلب عمر، فلما وَلي استعمله على بيت المال، وكان عمر يقول: ما رأيتُ أخشى لله منه.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن جعفر، عن أمِّ بكر بنت المِسْوَر، عن أبيها قال: وَلّى عمر عبد الله بنَ الأرقم الزُّهري بيتَ مال المسلمين، وكان عمر يَستَسلِفُ من بيت المال، فإذا خرج العَطاءُ جاءه عبد الله يتقاضاه فيقضيه، فلما ولي عثمان أقرّه على بيت المال، وكان يستسلف منه ثم يقضيه، فاجتمع عند عثمان مالٌ كثير، وحضر وقت العطاء، فقال لعثمان: أدِّ المالَ الذي استسلفتَ، فقال له عثمان: وما أنت وذاك؛ إنما أنت خازني، فخرج عبد الله، فصَعِد المنبر، وصاح بالناس فاجتمعوا، فأخبرهم بما قال عثمان، ثم قال: هذه مفاتيح بيتِ مالكم، فألقاها وذهب[١].

ولما ردَّ المفاتيح استخزن عثمانُ زيد بنَ ثابت على بيت المال.

وليس في الصحابة من اسمه عبد الله بن الأرقم غيره، وله صُحبة ورواية[٢].

وفيها توفّي

عبد الله بن بُدَيْل

ابن وَرْقاء الخُزاعي، وأبوه بُدَيْل هو الذي كان سببَ فتح مكة، وقد ذكرناه[٣].

وقال هشام بن محمد: قُتل ابنُ بُدَيْل يوم صفّين مع علي عليه السلام، وقُتل معه أخوه عبد الرحمن، وكانا من رؤوس القُرَّاء، ولما مرّ عليهما أمير المؤمنين بكى وتأسّف عليهما، ومرّ معاوية بعبد الله بن بُدَيْل، فأراد أن يُمثِّل به، فنهاه عبد الله بن عامر، وغطّاه بعمامته، وقال: هذا سيِّد خُزاعة غيرَ مُدَافَع.

وقال هشام: قتلَه حُمران مولى عثمان بن عفان[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ٨/ ٩٧، والاستيعاب (١٣٠٠)، والمنتظم ٥/ ١٤٢، والتبيين ٢٩٤، والسير ٢/ ٤٨٢، والإصابة ٢/ ٢٧٣.

(٣) سلف في السيرة.

(٤) مروج الذهب ٤/ ٣٦٥ و٣٧٣، والاستيعاب (١٣١٦)، والإصابة ٢/ ٢٨٠.

وفيها توفي

عبد الله بن الحارث

أخو الأشتر النَّخَعي، كان شجاعاً جواداً، أفنى خلقاً من أهل الشام حتى قتلوه.

وفيها توفي

عبد الله بن خَبّاب ابن الأَرَتّ

وُلد في حياة رسول الله ﷺ، وكان مَوصوفاً بالخير والصّلاح، قتلته الخوارج بالنّهروان، وقد ذكرناه.

وروى أبو بكر الخطيب قصّتَه بإسناده إلى أبي الأحوص، وفيها زيادة، قال أبو الأحوص: كنا مع علي يوم النّهر، فجاءت الحَروريّة فنزلت من وراء النهر، فقال علي: والله لا يُقتَل اليومَ رجلٌ من وراء النَّهر - قالها ثلاثاً - فقالت الحرورية: يرى عليٌّ[1] أنّا نخافه، فذهبوا إلى منزل عبد الله بن خَبَّاب، وكان منزله على شطِّ النهر، فأخرجوه من منزله وقالوا: حدّثنا بحديثٍ حدَّثَك به أبوك سمعه من رسول الله ﷺ، فحدّثهم حديثَ الفتنة الذي ذكرناه، فذبحوه، وبَقَروا بطنَ أمِّ ولده. فأُخبر أميرُ المؤمنين بما صنعوا فقال: الله أكبر، نادوهم: أَخرِجوا إلينا قاتلَ عبد الله بن خَبّاب، فقالوا: كلُّنا قتلَه - قالوها ثلاثاً - فقال علي عليه السلام لأصحابه: دونكم القوم فقتلوهم[2].

وفيها توفي

عبد خَيْر بن يَزيد الخَيْرانّي الهَمْداني

ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وقال: وقُتل عبد خَيْر ابن محمد بن خولي من ولد كَهلان بن سَبأ، وكُنيته أبو عُمارة[3].

---

(١) في (خ): ترى يرى علياً؟!

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٠٥-٣٠٦، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٨١، والاستيعاب (١٣٦٢)، والمنتظم ٥/ ١٤٣، والإصابة ٢/ ٣٠٢.

(٣) كذا؟! والذي في طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤١: عبد خير بن يزيد الخيواني من هَمْدان، روى عن علي بن =

واختلفوا في وفاته، قال الهيثم: قُتل بصفّين، وقال أبو القاسم بن عساكر: عاش إلى سنة أربع عشرة ومئة، وأدرك زمان رسول الله ﷺ ولم يَلْقَه[(١)]، وكان ثقةً، عاش عشرين ومئة سنة، روى أحاديث.

وحكى ابن عساكر عن البخاري أنه قال: قيل لعَبْد خَيْر: كم أتى عليك؟ فقال: عشرون ومئة سنة، كنتُ غلاماً باليمن، فجاءنا كتاب رسول الله ﷺ، فأسلم أبي وأهلي وأنا[(٢)].

قال: وحكي أنه حضر مع علي عليه السلام النَّهرَوان.

وروى عن علي أخباراً كثيرة، وروى عنه أبو إسحاق السَّبيعيّ، وحَبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن السائب، وإسماعيل السُّدِّي في آخَرين.

وفيها توفي

عُبيد الله بن عمر بن الخَّطاب

وكنيته أبو عيسى، أدرك رسولَ الله ﷺ، وقُتل في اليوم الذي قُتل فيه عمار بن ياسر.

وقال ابن سعد: وأمُّه أمّ كُلثوم بنت جَرْوَل بن مالك، خُزاعية[(٣)].

وكان الإسلام قد فَرّق بين عمر وبين أمّ كلثوم بنت جَرْوَل. وأخوه لأمّه وأبيه زيد الأصغر، وأخوهما لأمهما عُبيد الله بن أبي جَهْم بن حُذَيفة بن غانِم.

وقال أبو نُعيم: ضرب عمر ابنَه عبيد الله بالدّرَّة، وقال: إنه كني بأبي عيسى، أوَكان لعيسى أب؟ إنما كنيةُ العرب: أبو سلمة، أبو قتادة ونحوه، وليس هذا من كُنى العرب[(٤)].

= أبي طالب، وشهد معه صفّين، وبارز وقَتل، ويكنى أبا عمارة، وقد روي عنه الحديث. اهـ
أما مانقله المصنف عن الطبقات فهو في تاريخ بغداد ١/ ١٢٤ـ١٢٥ ، والاستيعاب (١٦٧٠)، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٦٩ .

(١) وكذا ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٧/ ١٦٠ في وفيات سنة (١١٤هـ).

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ١٣٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٤٧ـ٣٤٨ من طريق الزبير بن بكار، بإسناده إلى أسلم، بأطول =

وحكى ابن عساكر: أن عُبيد الله سبّ المقداد بن الأسود، فأراد عمر أن يقطع لسانه، وقال: لئلا يَجترئ أحدٌ بعده على أصحاب رسول الله ﷺ، فسألوه فيه فتركه(١).

وقد ذكرنا عبيد الله في قَتْلِ الهُرْمُزان وجُفَيْنَة وبنت أبي لُؤلؤة، وأن عثمان أراد قتلَه، ثم وَدَى عثمان الهرمزان. وأقام عبيد الله بالمدينة وعلي عليه السلام يَتهدَّدُه، فلما قُتل عثمان هرب عُبيد الله إلى معاوية فجعله على أَعِنَّةِ الخيل، فقُتل معه بصفّين.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، فيمن وُلد على عهد رسول الله ﷺ(٢).

وقال الواقدي: التقى عمار بعُبيد الله يوم صفّين، فقال عبيد الله: أنا الطيِّبُ بن الطيب، فقال عمار: كذَبْتَ، بل أنت الخبيث بن الطيب.

قال: وبلغنا أن عبيد الله قطع أُذُن عمار يؤمئذ، قال: والثَّبْتُ عندنا أن أُذُن عمار قُطعت يوم اليمامة(٣).

قال: وأقرع معاوية بين الناس بصفين، فخرج سَهْمُ عبيد الله بن عمر على ربيعة، فبرز إليها، وأحضر امرأتَيه للقتال لينظرا إلى قتاله، وكان عنده أسماء بنت عُطارد بن حاجب بن زُرارة التميمي، وبَحريّة بنت هانئ بن قَبِيصَةَ الشَّيباني، ودفع إليه معاوية الكَتيبة الشَّهباء، وكانت أشدَّ العَسكر، فيها اثنا عشر ألفاً، فقال له بعض مواليه: إنما يُقَدِّمُك معاوية إلى الموت، لأنك قد ثَقُلْتَ عليه، فإن قُتلتَ استراح منك، وإن ظَفِرتَ كان الصِّيتُ له.

وقالت له بَحريّة: قد فشا ذِكرُك في الناس، وقد حسدك معاوية، وهذا أمر قد أبرَمَه هو وعمرو بن العاص، وهذه الكتيبة مثل التابوت؛ ما تَقَدَّمَها أحدٌ فرجع.

فلم يلتَفِتْ إليها، وتقدَّم إلى ربيعة وعليها يومئذ زياد بن خَصَفة التَّميمي، فشَدَّت ربيعة على الكتيبة الشهباء، فأنكت فيها فانهزمت، وقتلوا عبيد الله، وضُرب فُسطاط زياد بن

= وأوضح مما هنا.

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٤٨_٣٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣.

خَصَفة، فبقي طُنْبٌ ماله وَتد، وعبيد الله قتيلٌ هناك، فشَدُّوا الطُّنب في رِجل عبيد الله.

وأقبلت امرأتان فوقفتا عليه، وصرختا وبكتا، فقال زياد: مَن هاتان؟ قالوا: أسماء وبَحريَّة، قال: وما يطلبان؟ قالوا: جيفَةَ عُبيد الله، فأرسل إلى أمير المؤمنين يَسألُه في ذلك، فقال: إنما هي جيفة كلب، لا يحلُّ بَيْعُها، فدفعه إليهم، فحملوه على بَغْلٍ، فذكروا أن يَدَيْه ورجلَيْه كانتا تَخطَّان الأرض، قال: وسُرَّ معاوية بقتله، كما سُرَّ بقتل ذي كَلَع.

قال الواقدي: ولما حُمل خرج معاوية ومعه سرير، فتلقّاه وحمله عليه، وجعل يبكي ويقول: قُتل ابن الفاروق في طاعة خليفتكم فترحَّموا عليه، ثم حفر له وصلّى عليه ودَفَنَه.

وفي رواية ابن سعد عن الواقديّ قال: فلما سمعت بَحرِيّة كلامَ معاوية قالت: أما أنت فقد عَجَّلْتَ يُتْمَ وَلَدِه، وذهابَ نَفْسه، ثم الخوف عليه لما بعد أعظم، فقال معاوية لعمرو: ألا تسمع ما تقول هذه؟ فقال له عمرو: إن لم تُغْضِ عما ترى كنتَ من نفسك في غَمّ، لقد قال الناس فيمن هو خيرٌ منك، فقال معاوية: هذا والله رأيي الذي ورثتُه عن أبي.

وقال أبو اليقظان: قيل لأمير المؤمنين هذا عبيد الله بن عمر عليه جُبَّةُ خَزٍّ، وفي يده مِسواك، وهو يقول: سيعلم عليٌّ إذا التقينا غداً. فقال علي: دعوه فإنما دَمُه دم عصفور.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: مرّ الحسن بن علي في الليل على رجلٍ من هَمْدان، وعنده قتيلٌ قد شَدَّ مِقوَدَ فرسه برجله، فقال: مَن هذا؟ قال: لا أدري، فنزل الحسن فتأمَّله، فإذا به عبيد الله بن عمر، فجاء فأخبر أميرَ المؤمنين، فنفَّله سَلَبه، وكان يساوي أربعة آلاف درهم.

واختلفوا في قاتله؛ فحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: قد اختُلف علينا في قاتل عبيد الله بن عمر، فقيل: قتله عمار، وقيل: رجل من بني حَنيفة، وقيل: رجل من هَمْدان، وقيل: الأشتر النَّخعي، وقيل: المِرْقال في آخرين.

وقيل: إن أمير المؤمنين قتله، فحكى المسعوديّ قال: ضربه أمير المؤمنين ضربةً بالسيف، فقطعت ما عليه من الحديد، وخالطت حُشْوَة جوفه فقتلته، وكان علي عليه السلام يقول: لئن فاتني الفاسق يومَ الهرمزان؛ فما فاتني يوم صفين.

وقال هشام: وقع عبيد الله إلى الأرض وبه رَمَق، فرآه المِرقال هاشم بن عُتبة وهو جريح، وكان قريباً منه، فدبّ إليه، فقبض على ثُنْدُوَتِه بأسنانه حتى مات[١].

وحكى أبو الفرج الأصفهاني في «مقاتل الطّالبيين» قال: خرج ُعبيد الله بن عمر في كتيبة يُقال لها: الخضراء، وكان بإزائه محمد بن جعفر بن أبي طالب، وبيده راية أمير المؤمنين، ويقال لها: الجموح، وكانا في عشرة آلاف، فاقتتلوا قِتالا شديداً، فصاح عبيد الله بن عمر: فحتى متى هذا الحَذَر؟ ابرز إلي حتى أُناجزك، فبرز إليه محمد، فتَطاعنا حتى تكَسَّرت رماحهما، ثم تضاربا حتى انكسر سيفُ محمد، ونشب سيف عبيد الله في الدَّرَقة، فتعانقا، وعضّ كلٌّ واحد منهما [أنفَ] صاحبه، فوقعا عن فرسيهما، وحمل أصحابهما فقتل منهما خلقٌ كثير، حتى صار عليهما مثل التَّلِّ العظيم من القتلى.

وحمل أمير المؤمنين فأزال أهلَ الشام وقال: اكشفوا لي هؤلاء القَتلى عن ابن أخي، فكشفوهم، وإذا بهما مُتعانقان ميّتان، فقال علي عليه السلام: والله لَعَنْ غير حُبٍّ تعانقتما.

ثم قال أبو الفرج الأصفهاني: وهذه رواية الضَّحاك بن عثمان، ولم أعلم أن أحداً من أهل السِّير ذكر أن محمد بن جعفر قَتَل عُبيد الله بن عمر، ولا سمعتُ لمحمد بن جعفر في كتاب أحدٍ منهم ذكر مَقتل.

ثم قال أبو الفرج: واختلفوا في قاتله؛ فقالت هَمْدَان: قتله هانئ بن الخطّاب، وقالت حضرموت: قتله مالك بن عمرو النَّاطِفي[٢]، وقالت بكر بن وائل: قتله رجلٌ من تَيْم الله بن ثَعلبة يُقال له: مالك بن الصَّحْصَح بصري، وأخذ سيفَه ذا الوِشاح، فلما بويع لمعاوية بعث إليه إلى البصرة فأُخِذ منه، وكان سيفاً لا يُوجد مثله.

وقال ابن منده: لا يُعرف لعبيد الله بن عمر مسند يَصحّ.

---

(١) انظر في مقتل عبيد الله وقاتله: طبقات ابن سعد ٧/ ٢١-٢٣، والأخبار الطوال ١٧٨، ووقعة صفين ٢٩٧، ٣٣٠، ٣٥٥-٣٥٦، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٢٤-٢٢٥، ومروج الذهب ٤/ ٣٦٦-٣٦٨، والاستيعاب (١٦١٣)، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٣٦٣ و٣٦٥.

(٢) في مقاتل الطالبيين ٢١-٢٣: التُّبَّعي، وما بين معكوفين منه، وفي وقعة صفين ٢٩٨: السبيعي.

وقال الموفّق رحمه الله: ولد على عهد النبي ﷺ، ولا يُحفَظُ له رواية، ولا سمع منه، وكان من أَنْجاد قريش وفُرسانهم[١].

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد: أبو بكر وعمر وعثمان ومحمد[٢] وأمّ عثمان، وأمُّهم أسماء بنت عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التّميمي.

والحُرّ بن عبيد الله لأمِّ وَلَد. وأمُّ عَبْس بنت عبيد الله، وأمها تَهْلُل بنت يزيد بن عَمرو ابن عُدُس، من بني البَكّاء. وحَفْصة بنت عبيد الله، وأمّها أسماء بنت زيد بن الخَطّاب أخي عمر.

وأم سلمة بنت عُبيد الله، وأمها تَهْلُل بنت يزيد، وقيل: أمّها أسماء بنت عُطارد. وأمّ حكيم لأمّ ولد.

وكان لعبيد الله ابنةٌ تزوَّجها المختار بن أبي عُبيد، فوَلَدت له رجُلين، وأمها أمّ وَلَد[٣]. انتهت ترجمة عبيد الله.

وفيها توفي

عمار بن ياسر

ابن عامر بن مالك، ونسبه ابن سعد[٤] إلى يَعرب بن قَحْطان.

وعمّار حَليفُ بني مَخزوم، وكنيته أبو اليَقظان، وكان جَدُّه مالك من رَهْط الأسود العَنْسِيّ.

وقال البَلاذُري[٥]: عَنْس بالنون، وكان عنْس يُسمّى زيداً، وكُنية ياسر أبو عمار.

وقال ابن سعد: قدم ياسر وأخواه الحارث ومالك[٦]؛ بنو عامر من اليمن إلى مكة،

---

(١) التبيين ٤١٣ .

(٢) في المخطوط زيادة: وعمرو، وهو خطأ.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨ .

(٤) في طبقاته ٣/ ٢٢٧ .

(٥) في أنساب الأشراف ١/ ١٨٠ .

(٦) في (خ) و(ع): الحارث بن مالك، وهو خطأ، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٧ .

يريدون أخاً لهم، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، فحالَف أبا حُذَيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فزوّجه أبو حُذَيفة أَمَةً له يُقال لها: سُمَيّة بنت خُبّاط، فولَدت له عماراً، فأعتقه أبو حُذَيفة، ولم يزل ياسر وعمار مع أبي حُذَيفة حتى مات، وجاء الإسلام فأسلم ياسر وعمار وسُميَّة وأخوه عبد الله بن ياسر.

قال: وكان لياسر ابنٌ آخر أكبر من عمار يُقال له: حُرَيْث، قتلَتْه بنو الدِّيل في الجاهلية.

قال: ومات ياسر، فخلف على سُميَّة بعده الأزْرَق، غلامٌ رومي للحارث بن كَلَدة الثّقفي، وكان قَيْناً، وهو ممّن خرج من الطائف إلى رسول الله ﷺ مع أبي بَكْرة، فأعتقهم رسول الله ﷺ.

فولدت سُمَيّة للأزرق سَلَمة بن الأزرق، فهو أخو عمار لأمّه، وكانت سمية ممن تُعَذّب في الله لتَرجعَ عن دِينها فلم ترجع، فمرّ بها أبو جَهْل، فطعنها بَحرْبَةٍ في قُبُلها فماتت، فهي أوّلُ شهيدةٍ في الإسلام، وكانت عجوزاً كبيرة، وقد ذكرناها في السيرة.

قلت: وقد تشتبه أمُّ عمار بسميّة أم زياد بن أبيه من حيث جرى للحارث بن كَلَدة في تزويجها بغُلامه الرومي ذكر، والفرقُ بينهما أن سمية أمّ عمار كانت في الجاهلية لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وسمية أمّ زياد كانت أمَةً للحارث بن كَلَدة المخزومي، وكانت من البغايا بالطّائف، وكان لها رايةٌ مثل رايةِ البيطار تُعرَف بها، وسنذكرها في سنة أربع وأربعين عند استلحاق معاوية زياداً.

ذكر صِفة عمار:

قال علماء السير: كان شيخاً آدَمَ طُوالاً، أشْهَلَ العَينين، بعيدَ ما بين المَنْكِبين، ولا يُغيِّر شَيبه.

وروى أبو نُعيم، عن خالد بن سُمَيْر قال: كان عمار طويلَ الصّمت، طويل الحُزنِ والكآبة، وكان عامّة كلامه عائذاً بالله من فتنة[1].

قال: وعرضت بعد ذلك فِتنةٌ عظيمة.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٤٢.

ذكر إسلامه:

حكى ابن سعد عن الواقدي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه قال: قال عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها، فقلت له: ما تريد؟فقال ما تريد أنت؟قال: فقلت: أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، فقال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا على رسول الله ﷺ،فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثْنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون، فكان إسلامُ عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً.

ذِكرُ نبْذَةٍ من فضائله:

قال علماء السِّيَر: عمّار من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهِجرَتَيْن، وقيل: الثانية، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً مَن[1] أبواه مؤمنان سواه، وشهد اليَمامة، وقُطعت أُذُنه فيها، وكان من المُسْتَضعَفين الذين يُعَذّبون في الله تعالى ليَرجع عن دينه.

وقال ابن سعد بإسناده عن عمرو بن مَيمون قال: أحرق المشركون عماراً بالنار، فكان رسول الله ﷺ يَمرُّ به ويُمِرُّ يدَه على رأسه يقول: «يا نار كوني بَرْداً وسلاماً على عمار، كما كنتِ بَرْداً وسلاماً على إبراهيم، يا عمار تقتلُك الفِئةُ الباغية».

وفي رواية ابن سعد أيضاً بإسناده عن عثمان قال: أقبلتُ أنا ورسول الله ﷺ إلى البَطْحاء، وأبو عمار وأمُّه وعمار وهم يُعذَّبون، فقال ياسر: الدَّهرُ هكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «اصبروا يا آل ياسر فإن مَوعدَكم الجنّة، اللهمَّ اغفر لآل ياسر وقد فعلتَ»[2].

وقال أبو نُعَيم بإسناده عن عُبيد الله بن عمرو بن محمد بن عَمّار قال[3]: أخذ المشركون عمار بنَ ياسر، فلم يَدَعوه حتّى سَبَّ رسولَ الله ﷺ.

وفي رواية: ذكر آلهتَهم بخير، ونال من رسول الله ﷺ، فلما أتى رسول الله قال له:

---

(١) في (خ) و(ع): مع، وهو خطأ، وانظر تاريخ دمشق ٥٢/ ١١١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٠.

(٣) كذا، وهو خطأ، صوابه: عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار، كما في الحلية ١/ ١٤٠، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٣١، وتاريخ دمشق ٥٢/ ١٢٤ و١٢٥، والسير ١/ ٤١١.

«ما وراءك؟» قال: شَرٌّ، وأخبره فقال: «كيف تَجِدُك؟» أو «كيف تجد قلبَك؟» فقال: مُطمئنًّا بالإيمان، قال: «فإن عادوا فعُدْ».

وفي رواية: ثم أنزل الله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل: ١٠٦].

وقد أخرج ابن سعد عن الواقدي، عن أشياخه بمعناه وقال: قال المشركون لعمار: لا نَدَعُك حتى تقول: واللّات والعُزّى خيرٌ من دين محمد، وتهدَّدوه بالقتل، فقالها فتركوه، فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال له: «أفلح وجهك» فقال: والله ما أفلح، وأخبره الخبر فنزل فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ففي عمار نزلت هذه الآية[١].

وحكى عن ابن عباس قال: وفي عمار نزلت ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ الآية [الزمر: ٩].

قال: وعمار أول مَن بنى مسجداً لله تعالى يُصلّى فيه[٢].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن هانئ بن هانئ، عن علي عليه السلام قال: جاء عمار يَستأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذَنوا له، مرحباً بالمُطيَّب»[٣].

وقال الترمذي[٤] بإسناده عن أبي ربيعةَ الإياديّ، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الجنةَ لَتَشْتاقُ إلى ثلاثة: علي وعمار وسَلْمان».

وحكى البَلاذري[٥] عن هُزَيل بن شُرَحْبيل قال: أُتي رسول الله ﷺ فقيل له: وقع على عمار حائطٌ فمات، فقال: «ما مات عمار».

قال الزهري: وهذه من مُعجزات النبي ﷺ.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: رأيتُ عماراً يوم اليَمامة على صخرة وقد أشرف وهو يَصيح: يا معاشر المسلمين، إليّ إليّ فأنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تَفِرّون؟ قال: وقد قُطعت أُذُنه، وأنا أنظرُ إليها تَذَبْذب، وهو يُقاتل أشدَّ قِتال.

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٨٣، ولم أقف عليه في الطبقات.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣١.

(٣) مسند أحمد (٧٧٩).

(٤) في سننه (٣٧٩٧).

(٥) في أنساب الأشراف ١/ ١٨٤.

وفي رواية قال: فكان أعداؤه إذا نَبَزوه قالوا: العبد المُجَدّع، فيقول: خيرَ أعضائي سبَبْتُم.

وقال ابن سعد بإسناده عن طارق[١] بن شهاب قال: غزا أهلُ البصرة وعليهم رجل من آل عُطارد التميمي، فأمدَّهم أهل الكوفة وعليهم عمار بن ياسر، فقال الذي من آل عطارد لعمار: يا أجْدَع، أتريد أن تُشاركنا في غنائمنا، فكُتب إلى عمر في ذلك، فكتب عمر: إنما الغنيمة لمن شهد الوقعة.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: لما هاجر عمار إلى المدينة نزل على مُبَشِّر بن عبد المنذر. وقيل: إنه آخى رسول الله ﷺ بينه وبين حُذيفةَ بن اليَمان[٢].

ذكر مَقتل عمّار بن ياسر:

قال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن سَلمة قال: رأيتُ عمار بن ياسر يومَ صِفِّين شيخاً آدم في يده الحَرْبة، وإنها لترْعَد، فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الرَّاية، فقال عمار: إن هذه راية قد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاثاً، وهذه الرابعة، ولو ضَربونا حتى يُبلّغونا سَعَفاتِ هَجَر لعَرفتُ أن مَصلَحتنا على الحقّ، وهم على الضَّلالة.

وفي رواية ابن سعد: هذه الراية قد قاتلتُ بها بين يدي رسول الله ﷺ مرَّتين، وهذه الثالثة.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن عمار أنه قال يوم صفّين: الجنة تحت البارِقة، اليوم ألقى الأحبَّة، محمداً وحِزْبَه[٣].

وفي رواية: إن عماراً نادى: هل من رائحٍ إلى الجنّة، أو إلى تحت العَوالي، والذي نفسي بيده، لنُقاتلَنّهم على تأوِيله كما قاتلناهم على تَنزِيله، ثم قال:

نحن ضَرَبناكم على تنْزِيلهِ
واليوم نَضْربْكم على تأوِيلهِ

(١) في النسخ: عطاء، وهو خطأ. والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٥، وأنساب الأشراف ١/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٢/ ١٩١، و السير ١/ ٤٢٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٧-٢٣٩.

ضَـرْبـاً يُـزيـلُ الـهـامَ عـن مَـقِـيـلـهِ

ويُـذهِـلُ الـخـلـيـلَ عـن خَـلـيـلـهِ

أو يـرجـعَ الـحـقُّ إلـى سَـبـيـلـهِ

ثم نادى عمار هاشماً المِرْقال: أَقْدِم يا هاشم؛ فالجنة اليوم تحت ظِلال السُّيوف، والموتُ في أطراف الأَسَل، وقد فُتحت أبوابُ الجنّة، وتزيّنت الحورُ العِين، وحملا فقُتلا جميعاً[١].

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي البَخْتَرِيّ قال: قال عمار يوم صِفّين: ائتوني بشَرْبَةِ لَبَن؛ فإن النبي ﷺ قال لي: «إن آخر شَرْبَةٍ تَشربُها من الدنيا شَربةُ لَبَن»، فأُتي به فشَرِبه، ثم حمل فقاتل حتى قُتل[٢].

وقال أحمد[٣] بإسناده عن أبي البَخْتَرِيّ: أن عماراً أُتي بشَرْبَةِ لَبَن، فضحك وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شراب أشرَبُه اللّبَن حتى أموت».

وقال أبو نُعيم[٤] بإسناده، عن أبي سِنان الدُّؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: دعا عمار في ذلك اليوم بشرابٍ، فأُتي بقَدَح من لَبن، فشربه وقال: الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ، قال لي: «يا عمار، إن آخر زادِك من الدُّنيا ضَيْحَةُ لَبَن». الضَّيح: اللَّبَنُ الرَّقيق.

وفي رواية: إن عماراً استسقى ماءً، فجاءته امرأةٌ من بني شَيبان بعُسٍّ فيه لبن، فرفعه إلى فيه وقال: الله أكبر، اليوم أَلْقى الأحبَّة محمداً وحِزْبَه، ثم نادى عمار: أين مَن يَبتغي رضوان الله، ولا يُوَلّي إلى مالٍ ولا وَلَد؟! فأتَتْه عصابة من الناس، فقال: أيُّها الناس، اقصدوا هذه العصابة التي تَتَعلَّل بدم عثمان، ووالله ما قَصدُهم إلا الدنيا، وقد علموا أن الحقّ إذا لَزِمَهم حال بينهم وبين ما قصدوا إليه، والله لو ضربونا حق يُلحِقونا بسَعَفاتِ هَجَر لعَلمنا أننا على الحقّ وهم على الباطل، والله لَنَضْرِبَنّ اليوم هامَ هؤلاء

(١) وقعة صفين ٣٤١، وأنساب الأشراف ٢/ ٢١٧، ومروج الذهب ٤/ ٣٥٨ـ٣٥٩، والاستيعاب (١٧٠٥).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٨.

(٣) في مسنده (١٨٨٨٠) و (١٨٨٨٣).

(٤) في الحلية ١/ ١٤١ـ١٤٢.

الفاسقين ضَرْباً يرتاب منه المُبْطِلون، والله ما يطلبوا دم عثمان إلا ليَصيروا جَبابرةً ومُلوكاً، ولولا ذلك لما تَبِعهم اثْنان.

ثم دنا من عمرو بن العاص وقال: ويلك يا عمرو، بِعْتَ دِينك بمِصر، تبّاً لك، وصاح بعبيد الله بن عمر: وَيْحك يا فاسق، بعتَ دِينك من عدوِّ الله وابنِ عدوِّه بالدُّنيا[١].

وحكى ابن سعد[٢] عن الواقدي، عن أشياخه قالوا: قال عمار: اللهمَّ لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أُوقدَ ناراً عظيمة فأقَعَ فيها، أو أُغرِق نَفْسي في الماء لفعلت، وإني لا أقاتل هؤلاء إلا أُريد وَجهك، وأنا أرجو أن لا تُخَيِّبَني، ويده ترتعش على الحَرْبة.

واختلفوا في قاتله على أقوال:

أحدها: أنه أبو الغادية، واسمُه يَسار بن سبع المُرِّي من بني مُرَّة.

وذكره ابن سعد فيمن نزل البصرة من الصحابة، وذكره البُخاري وابن أبي حاتم فيمن نزل بواسط من الصحابة[٣].

وذكره جدّي في «التَّلقيح»[٤] فيمن له صُحبة ورواية، وقال: يسار بن سبع ـ وقيل: ابن سُبيع ـ قاتِل عمار، وكُنيته أبو الغادِية.

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» وقال: قد اختلفوا في صحبته، وكانت له دارٌ بدمشق بسوق الطَّير، وشهد الجابية مع عمر رضي الله عنه.

وقال: بايعتُ رسول الله ﷺ، وخطبنا يوم العَقَبة فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام...» الحديث.

قال: وكنا نعدُّ عماراً حَناناً فينا، فو الله إني لبمسجد قُباء إذ سمعتُه يَقع في عثمان فقلت: لئن أمكنني الله منك لأقتُلَنّك، فلما كان يوم صفّين حملتُ عليه، فطَعَنْتُه في رُكبته فقتلتُه[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨ـ٣٩.

(٢) في الطبقات ٣/ ٢٣٨.

(٣) التاريخ الكبير ٨/ ٤٢٠، والجرح والتعديل ٩/ ٣٠٦. ولم أقف عليه في طبقات ابن سعد.

(٤) ص٣٦٩.

(٥) لم أقف عليه في تاريخ دمشق، وأخرجه ابن سعد ٣/ ٢٤٠ـ٢٤١، وأحمد (١٦٦٩٨)، وابن عساكر =

وحكى ابن سعد عن الواقدي وغيره قالوا: لما استَلْحَم القتالُ يومَ صفّين وكادوا يَتفانَون قال معاوية: هذا يومٌ تَفانى فيه العرب؛ إلا أن تُدرِكَهم فيه خِفَّةُ العبد، يعني عماراً، وكان القتالُ الشَّديدُ ثلاثةَ أيّام ولَياليهن، آخرهنّ ليلةُ الهَرير، فلما كان يوم الثالث قال عمار لهاشم بن عُتْبة ومعه اللّواء يومئذٍ: احمِلْ فداك أبي وأمي، فقال له هاشم: يا عمار إنك رجلٌ تَستخِفُّك الحربُ، وإني إنما أزحفُ باللّواء زَحْفاً رَجاء أن أبلغَ بذلك ما أريد،

فلم يزل به حتى حَمل، فنهض عمار في كتيبته، فنهض إليه ذو الكَلاَع في كتيبته، فاقتتلوا فقُتلا جميعاً، وحمل على عمار حُوَيّ السَّكْسَكِيّ وأبو الغادية المُزَنيّ فقتلاه، ضربه أبو الغادية بسيفه حتى بَرَد، ونادى الناسُ: قتلتَ أبا اليقظان؟! قتلك الله، ولم يعرفه يومئذٍ.

وقال عمار: ادفنوني في ثيابي فإني مُخَاصَم، ولا تغسلوا عني دماً[1].

والقول الثاني: عُقبة بن عامر الجُهَني، وعقبة هو الذي ضرب عماراً بأمر عثمان فأصابه الفَتْق.

والثالث: عُمر بن حارث الخَوْلانيّ.

والرابع: شَريك بن سَلَمة المُراديّ، حكاه ابن سعد عن الواقدي[2].

والأول أصحّ، وعليه عامّة المؤرِّخين، ونصَّ عليه البَلاذُريّ وغيره[3].

وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: طعنه أبو الغادِية فوقع، فاحتزَّ رأسَه حُوَيٌّ ابن ماتِع بن زُرْعَة السَّكْسَكيّ، ثم أقبلا به إلى معاوية، فاختصما فيه كلُّ واحدٍ يقول: أنا قتلتُه، فقال لهما عمرو بن العاص: والله إنْ تختصمان إلا في النّار، فقال له معاوية: ما صنَعتَ! قومٌ بَذلوا نفوسهم دوننا تقول لهم هذا؟ فقال عمرو: هو والله ذلك، وإنّك لتعلَمه، وَدِدْتُ أنّي متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة[4].

= ٥٢/ ٢١٩ـ٢٢٢ ، وانظر المعارف ٢٥٧ ، والاستيعاب (٢٧٨٦) و(٣٠٨٩)، والإصابة ٤/ ١٥٠ .

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٢ـ٢٤٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٠ .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ١٩٣ و٢/ ٢١٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٠ ، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٣ و٢/ ٢١٧ ، ٢٢٠ .

وأخرج أحمد في «المسند»[(١)] بمعناه فقال: حدثنا يزيد بن هارون بإسناده، عن حَنْظَلة بن خُوَيلد قال: بينما أنا عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، كلٌّ واحدٍ يقول أنا قتلتُه، فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص: لِيَطِبْ به أحدُكما نفساً لصاحبه، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول له: «يا عمار تقتُلك الفئةُ الباغية» فقال معاوية لعبد الله: فما بالك معنا؟ قال: طاعةُ هذا الشيخ، فإن رسول الله ﷺ قال لي: «أَطِعْ أباك ما دام حيًّا» ولعَمري ما سللتُ سيفاً، ولا رميتُ بسَهْمٍ، ولا حملتُ سلاحاً ولا أحمله، وأنا معكم ولا أقاتل.

وأخرج ابن سعد بمعناه فقال: حدثنا أبو معاوية الضَّرير بإسناده، عن عبد الله بن الحارث قال: قال عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبَتِ قتلتُم عماراً، وسمعتَ رسول الله ﷺ يقول له: «تقتُلك الفئةُ الباغية»؟!، وسمعه معاوية فقال: إنك شيخٌ خَرِفٌ؛ لا تزال تأتينا بهَنَةٍ تَدحَضُ بها في بَولك، أنحنُ قتلْناه؟! قتله الذي أخرجه[(٢)].

وفي رواية: فبلغ علياً فقال: ونحن قتلنا حَمْزَة لأننا أخرجناه إلى أُحُد[(٣)].

وروى أيضاً عن عبد الله بن الحارث قال: بينما أنا أسيرُ مع معاوية في مُنْصَرفه من صِفّين بينه وبين عمرو بن العاص؛ إذ قال عبد الله بن عمرو: يا أبتِ، قتلتُم عماراً وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول له: «وَيْحك يا ابن سُمَيَّة، تقتُلك الفئةُ الباغية» فكيف قتلتموه؟ فقال معاوية: لا تزال تأتينا بهَنَةٍ، أنحن قَتَلْناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به[(٤)].

وأخرج أحمد في مسند عمرو بن العاص[(٥)] بمعناه فقال: حدثنا عبد الرزّاق بإسناده عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن أبيه قال: لما قُتل عمار دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار، وقد قال رسول الله ﷺ: «تقتُلك الفِئةُ الباغية» فقام عمرو بن العاص فَزِعاً حتى دخل على معاوية، فقال له: ما شأنُك؟ قال:

---

(١) برقم (٦٥٣٨).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٤.

(٣) انظر العقد الفريد ٤/ ٣٤٣.

(٤) هو الحديث السابق نفسه.

(٥) برقم (١٧٧٧٨).

قُتل عمار، قال معاوية: قُتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»، فقال له معاوية: دَحَضْتَ في بولك، أوَ نحن قتلناه؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاؤوا به فألقَوْه بين رماحنا وسُيوفنا.

وقال ابن سعد بإسناده إلى جعفر بن محمد[1] قال: سمعتُ رجلاً من الأنصار يحدِّث أبي، عن هُنَيّ مولى عمر بن الخطاب قال: كان أصحاب معاوية يقولون: إن قتلْنا عماراً فنحن الفئةُ الباغية، قال هُنَيّ: فذهبتُ أطوف بين القَتْلى، فإذا بعمار بينهم قتيل، فأتيتُ عمرو بنَ العاص فقلتُ له: ما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في عمار؟ فذكر الحديث، قال: فقلتُ: ها هو قتيل، قال: هذا باطل، فقلت: قم فانظرْه، فجاء، فلما رآه امتُقِع لونُه، ثم قال مثل ما قال معاوية: إنما قتله الذي أخرجه.

وفي رواية: ولما بلغ ذا الكَلاع قتلُ عمار قال لعمرو: وَيْحك، أنحن الفئة الباغية؟! وأضمر الرجوع إلى عسكر أمير المؤمنين وكانت تحت يده ستون ألفاً، واختلط الناس فقتله المِرْقال.

قلت: وقد روى حديث «تقتُلُك الفئة الباغية» جماعة؛ منهم أبو قتادة:

قال أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخُدريّ قال: أخبرني مَن هو خير منّي أبو قتادة، أن رسول الله ﷺ قال لعمار بحَفْرِ الخندق، وجعل يَمسح رأسَه ويقول: «بُؤْسَ ابنِ سميّة، تقتُلُك الفئةُ الباغية».

انفرد بإخراجه مسلم[2]، البُؤْس: الفقر[3].

وهذا خُرِّج على عادة العرب، كقوله عليه السلام لمعاذ: «ثكلتْكَ أُمُّك». ولهذا وقع في بعض نسخ البخاري: بُؤْساً لعمار[4].

---

(١) في (خ) و(ع): محمد بن جعفر، وهو خطأ، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٢٧.

(٢) مسند أحمد (٢٢٦٠٩)، وصحيح مسلم (٢٩١٥).

(٣) فسره النووي وغيره بالشدة والمكروه، انظر حواشي المسند، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٤٠.

(٤) كذا، والذي في البخاري (٤٤٧) و(٢٨١٢) من حديث أبي سعيد ﷺ: ويح عمار، وفي مسلم (٢٩١٥) (٧١) من حديث أبي قتادة ﷺ ويس أويقول :يا وَيْسَ ابنِ سمية.

ورَوَينا في حديث أبي سعيد؛ أن عماراً كان يَحمل في بناء مسجد رسول الله ﷺ لَبِنَتَيْن لبنتين، فرآه النبيُّ ﷺ، فجعل يَمسح التُّرابَ عن وَجْهه ويقول: «وَيْحَ عمّار، [تقتله الفئة الباغية]، يَدعوهم إلى النَّجاة، ويَدعونه إلى النار(١)».

وقال ابن عبد البر: لما احتُضر عبد الله بن عمرو قال: ما أَجِدُ في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أني لم أُقاتل الفئةَ الباغية مع علي عليه السلام(٢).

وقال هشام عن أبيه: ولما بلغ أميرَ المؤمنين قتلُ عمار جاء، فرآه مقتولاً وإلى جانبه هاشم المِرقال، فنزل وجلس عندهما يبكي، وترحّم عليهما وقال: رَحِمك الله أبا اليقظان، ما زلتَ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر. ولفَّهما في ثيابِهما ولم يَغْسِلْهما، وصلّى عليهما، فجعل عماراً مما يليه، والمِرقال مما يلي القِبلة(٣).

قال ابن سعد: وكبَّر عليهما خمساً أو ستاً أو سَبعاً(٤)، فلما أدخلهما القبر جعل عماراً أمامه.

واختلفوا في سنّ عمار، فحكى ابن سعد عن الواقدي قال: والذي أُجمِع عليه في قتل عمار أنه قُتل بصِفّين في صفر، سنة سبعٍ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، ودُفن هناك.

وذكر ابن سعدأيضاً أنه قُتل وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة(٥).

وذكره البَلاذري وقال: وهو الثبت عندنا(٦).

وحكى جدّي في «المنتظم» أنه قُتل وهو ابن إحدى وتسعين سنة(٧).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٦١)، والبخاري (٤٤٧) و(٢٨١٢) وما بين معكوفين منهما.

(٢) بنحوه في الاستيعاب (١٤٤٠).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٢ و٢٤٣، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٨ و٢/ ٢٢٠، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٢٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٤ و٢٤٠ (على الترتيب)، و٨/ ١٣٦.

(٦) حكى البلاذري عن الواقدي أنه قتل ابن إحدى وتسعين سنة، وأن الثبت أنه قتل ابن ثلاث وتسعين سنة، انظر أنساب الأشراف ١/ ١٩٨، و٢/ ٢١٨.

(٧) المنتظم ٥/ ١٤٨.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الضُّحى قال: رأى أبو ميسرة في المنام رَوضةً خضراء فيها قِبابٌ مَضروبة، فيها عمار وذو كلاع. وفي رواية حَوْشَب قال: قلتُ: كيف هذا وقد اقتتلوا؟ قال: فقيل لي: وَجدوا ربًّا واسِعَ المَغْفِرة[١].

قلت: وكان لعمار بن ياسر ولداً اسمُه محمد بن عمار، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، قال: وقد رُوي عنه الحديث[٢].

ذكر مسانيده:

واختلفوا فيها، فقال قومٌ أسند اثنين وستين حديثاً، وقال ابن البَرْقي: بِضْعاً وعشرين حديثاً، وأكثرها لأهل الكوفة، وبعضها لأهل المدينة.

أخرج له في الصحيحين خمسة أحاديث، اتفقا على حديث واحد في التيمم، وانفرد البخاري بثلاثة أحاديث[٣]، ومسلم بحديث.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عمّار سواه.

وأخرج له أحمد سبعةً وعشرين حديثاً بعضُها في الصحيح.

ومن مسانيده: قال أحمد بإسناده عن واصِل بن حَيّان قال: قال أبو وائل: خَطَبنا عمار فأبلَغَ وأوجَز، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغتَ وأوجزْتَ، فلو كنتَ تَنَفَّسْتَ، فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن طولَ صلاةِ الرَّجل وقِصَرَ خُطْبَته مَئِنَّةٌ من فِقهه، فأطيلوا الصلاةَ، وأَقْصِروا الخُطبَة، فإن من البيان سِحْراً».

انفرد بإخراجه مُسلم[٤]، ومعنى مَئِنَّةٌ؛ أي: عَلامَة.

انتهت ترجمة عمار بن ياسر

وفيها توفي

قيس بن المَكْشُوح

واسم المكشوح: هُبَيْرة بن عبد يَغوث المُرادي، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من مُراد.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤١ .

(٣) في (خ): البخاري بحديث، وهو خطأ، والمثبت من تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٦ وانظر ٣٦٥ .

(٤) مسند أحمد (١٨٣١٧)، وصحيح مسلم (٨٦٩).

قال: وإنما سُمِّي أبوه المَكْشوح لأنَّه كُشِح بالنار، أي: كُوِي على كَشْحِه[(١)].

وكان قيس فارسَ مَذْحِج، وسَيِّدَ مُراد، وكنية قيس أبو حَسَّان، كان أحد فرسان العرب.

وقيس ابنُ أخت عمرو بن مَعْدي كَرِب، وكان ممَّن أعان على قَتْلِ الأَسْودَ العَنْسِيّ.

شهد قيس اليرموك، وأُصيبت عينُه فيه، ولما جهَّز أبو بكر ﵁ أبا عبيدة إلى الشام أوصاه أبو بكر بقَيْس وقال: قد صَحِبك رجلٌ عظيم الشَّرَف، فارس العرب، ولا غَناء للمسلمين عن رأيه ومشورتِه، وبارز يوم اليرموك بِطْرِيقَيْن عظيمَين من الروم فقتلهما مُبارَزَةً، فسُرَّ به أبو بكر.

وكان قيس من أصحاب أمير المؤمنين، قُتل معه بصفِّين في اليوم الثاني الذي قُتل فيه عمار.

وقال أبو القاسم بن عساكر: أدرك النبي ﷺ ولم يَرَه[(٢)].

وقال جدي رحمه الله في «التَّلقيح»[(٣)]: قيس بن المَكشوح، واسم المكشوح هُبَيْرَة ابن عبد يَغوث، له صُحبة ورواية.

قلت: وقد استوفى أخبارَه ابنُ سعد وقال: وقيس هو الذي قَتَل الأَسْودَ العَنْسي الذي تَنَبَّأ، فسَمَّتْه مُضَر: قيس غُدَر، فقال: لستُ غُدَر، ولكنّي حَتْفُ [مُضر][(٤)].

وفيها توفي

هاشم بن عُتْبَة

ابن أبي وَقَّاص الزُّهري، ابن أخي سعد بن أبي وَقّاص، واختلفوا فيه؛ ذكره ابن سعد فقال: هو من الطبقة الرابعة من مُسلمة الفَتح، وكذا قال الخطيب[(٥)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٣ و٨/ ٨٥ .

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ١٨٠ .

(٣) ٢٤٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٣-٢٦٥ وما بين معكوفين منه، ومن قوله: قال أبو القاسم ... إلى هنا ليس في (خ). وانظر الاستيعاب (٢١٣٢)، والسير ٣/ ٥٢٠ .

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٤ ، وتاريخ بغداد ١/ ١٩٦ . ومن قوله: وفيها توفي هاشم ... إلى هنا ليس في (خ).

قال أبو القاسم بن عساكر: لم تَثبت لهاشم صُحبة، ووُلد على عهد النبي ﷺ[(١)].

قال المدائني: وأبوه عُتبة هو الذي كَسَر رَباعِيَة رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فكان أشياخ المدينة يقولون: لم يبلغ أحدٌ من ولد عُتبةَ الحُلُمَ إلا هُتِم أو بَخِر، لما صنع عُتبة برسول الله ﷺ[(٢)].

وأمُّ هاشم بنتُ خالد بن عُبَيد بن سُوَيد، ويُلَقَّب هاشم بالمِرْقال.

واختلفوا لم سُمِّي بذلك؛ فقال الهيثم: لأن أمير المؤمنين قال له يوم صفين: تقدم بالرَّاية فأرقِلْ بها.

وقد ذكره الجوهريّ فقال: الإرْقَال: ضَرْبٌ من الخَبَب، وقد أَرْقَل البَعيرُ، وناقَةٌ مِرْقال ومُرْقِل؛ إذا كانت كثيرة الإرقال، قال: والمِرْقال: لقبُ هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص الزُّهريّ، لأن أميرَ المؤمنين دفع إليه الرَّايةَ يومَ صِفّين، فكان يُرْقِل بها إرقالا[(٣)].

قال البَلاذري[(٤)]: سُمِّي بذلك لأنه قال: والله لأُرْقِلَنّ إلى هذا العدوِّ إرقال الجَملِ الصَّعْب.

وقال الخطيب: حضر هاشم حصار دمشق ووقعة اليرموك والقادسية وكان أميراً على كُرْدوس، ولم يزل مع أمير المؤمنين في حروبه[(٥)].

وقال خليفة: وفي سنة سبع عشرة هرب يَزْدَجِرْد من المدائن، فعقد سعد لهاشم بن عُتبة، فسار خلفَه، فهزم الله الفُرس، وغَنمهم هاشم.

قال: وفي سنة ثمان عشرة فُتحت حُلْوان على يدي هاشم بن عُتبة[(٦)].

قال البلاذري: كان هاشم قد أفطر في آخر يوم من شهر رمضان، فشهدوا عليه بذلك عند سعيد بن العاص؛ عامل عثمان على الكوفة، فاستدعاه سعيد وقال له: ما

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٠ .

(٢) التبيين ٢٨٩ .

(٣) الصحاح ٤/ ١٧١٢ (رقل).

(٤) في أنساب الأشراف ٨/ ١١٨ .

(٥) لم يذكر الخطيب ١/ ١٩٦ أنه حضر حصار دمشق.

(٦) تاريخ خليفة ١٣٦ـ١٣٧ ، ١٤٠ .

الذي دعاك إلى أن أفطرتَ قبل أميرك؟! قال: رأيتُ الهِلال، فقال سعيد: كيف رأيتَه بعين واحدة، والناس يرونه بعينين ولم يَرَوه؟! فقال له هاشم: سبَبْتَ[١] خيرَ عَينَيّ. فضربه سعيد حدًّا مئة جلدة.

فلما قُتل عثمان لحق هاشم بعلي عليه السلام فاستعمله على الكوفة، وكان سعيد بالكوفة، فضربه هاشم الحدّ مئةَ جلدة كما فعل به سعيد، وقال هاشم بن عتبة وسعيد يُضرَبُ بين يديه: [من البسيط]

صَبْراً سعيدُ فإن الحُرَّ مُصْطَبِرٌ ضَربٌ بضربٍ وتَسْحابٌ بتَسْحابِ

وقال الزبير بن بكار: أسلم عُتبة ومات مسلماً، وأوصى إلى أخيه سعد، وعُتبة هو الذي كَسَر رَباعيَة رسول الله ﷺ يوم أحد.

قال: وابنُه هاشم بن عُتبة كُنيته أبو عمرو، ويُعرف بالمِرْقال، كان من الأبطال والفُضَلاء الأخيار، وهو الذي فتح جَلُولاء، وكانت تُسمَّى فتحَ الفتوح، بلغت غنائمها ثمانيةَ عشر ألف ألف، وأرسله عمر إلى عمّه سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، فأبلى بلاءً حسناً، وقام مَقاماً لم يَقُمه أحد، وكان سبب الفتح[٢].

والأصح أن هاشماً أدرك اليومَ الرابع، وقد ذكرناه هناك.

قال: وحضر هاشم صفّين مع أمير المؤمنين، وكان على الخيل، وقيل: على الرَّجَّالة، فقاتل في اليوم الذي قُتل فيه عمار قِتالاً شديداً، فقُطِعت رجلُه قبل أن يُقتل، فجعل يُقاتل على رجلٍ واحدةٍ ويقول:

الفَحلُ يَحمي شَوْلَه مَعْقولا

وقال أبو عبيد القاسم: كانت الرَّايةُ العُظمى بيده يوم صفين، فجعل عمار بن ياسر يتناوله بالرُّمْح ويقول: أقْدِم يا أعور، وكان في مقابله عمرو بن العاص، فقال عمرو: إني لأرى صاحبَ الرَّاية السَّوداء إن دام على هذا لَيُفنِيَنّ العربَ اليوم.

وكان مع هاشم أربعة آلاف قد بايعوه على الموت، وحمل هاشم على أهل

(١) في أنساب الأشراف ٨/ ١١٩: سَمّيت.
(٢) التبيين ٢٨٩-٢٩٠.

فلسطين، وكان فيهم محمد وعبد الله ابنا عمرو بن العاص، وثار العَجاج، فقال عمرو: ما هذه الغبرة؟ قيل: على ابنيْك عبد الله ومحمد، فساق عمرو نحوهما، فقال له معاوية: لا تَنتقضُ صفوف أهل الشام، فقال عمرو: إنك لم تَلدهما، ورآه المِرقال فترك ابنيْه وقصده، وأردفه معاوية بذي كَلاع في جيوش أهل الشام، فحمل المِرقال عليهم، فقتل هو وأصحابُه من أهل الشام أربعةَ آلاف، منهم ذو الكلاع، وعبيد الله بن عمر، وأعيان القوم، وحمل عليهم الحارث بن المنذر التَّنوخي فقطع رِجله، ثم جاءت الكتيبة الشَّهباء، فحمل عليهم وهو مَقطوع الرِّجْل، فقَتل منهم جماعة وقتلوه.

وقال الموفق: ولما بلغ عائشة ﵂ قتلُه قالت: ذلك الذي لم تُرَدّ له رايةٌ قط[١].

ذكر أولاده: قال الواقدي: كان له عبد الرحمن، وعبد الله، وعبد الملك، وأمُّهم أميمة بنت عوف بن سَخبَرة من الأَزْد، وإسحاق وأمُّ الحكم، وأمُّهما أمُّ إسحاق بنت سعد بن أبي وقاص، وبَشير وأمُّه السَّيِّدة بنت قَيس بن حسان، من بني مَرْثد، وهاشم بن هاشم لأُمّ وَلَد[٢].

وقال الهيثم: لما قُتل هاشم يوم صفين أخذ الرَّاية ولَدُه عبدُ الله بن هاشم، فقاتل مليًّا، ثم أُسِر، فأُتي به معاوية، فقال له عمرو بن العاص: اقتُلْه، فأبى وحَبَسه، فقال عَمرو يُعاتِب معاوية: [من الطويل]

أمَرتُكَ أمراً حازماً فعَصَيتَني ... وكان من التَّوفيقِ قَتلُ ابنِ هاشمِ
أليس أبوه يا ابنَ هِند الذي به ... رَمانا عليٌّ عندَ حَزِّ الغَلاصِمِ
فهذا ابنُه والفَرْعُ يُشْبِهُ أصلَه ... ويُوشِكُ أن تَقْرَع به سنَّ نادِمِ

فكتب عبد الله إلى معاوية فقال: [من الطويل]

مُعاويَ إن المرءَ عَمْراً أبَتْ له ... ضَغِينةُ صَدْرٍ وُدُّها غيرُ سالمِ
يَرى لك قَتلي مُسْتَحِلًّا وإنما ... يَرى ما يرى عَمرٌو ملوكُ الأعاجمِ

---

(١) التبيين ٢٩٠ . وانظر في ترجمة هاشم ومقتله: نسب قريش ٢٦٣ ، والطبري ٥/ ٤٢ ، والمعارف ٢٤١ ، والأخبار الطوال ١٨٣ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٢١ ، ومروج الذهب ٤/ ٣٦١ ، والاستيعاب (٢٦٨٥)، والمنتظم ٥/ ١١٦ ، والسير ٣/ ٤٨٦ ، والإصابة ٣/ ٥٩٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٤_٧٥ .

علـى أنَّـهـم لا يَـقـتـلـون أسـيـرهـم إذا كـان فـيـه مـنـعـةٌ لـلـمُـسـالِـم
وقـد كـان مـنـا يـومَ صـفّـيـن وَقْـعَـةٌ عـلـيـك جـنـاهـا هـاشِـمٌ وابـنُ هـاشـم
مضى من قضاءِ الله فيها الذي مضى وما قد مَضى منها كأَضْغَاثِ حالم
هي الوَقْعةُ العُظْمى التي سار ذِكرُها وكـلٌّ عـلـى مـا فـات لـيـس بـنـادِمِ
فإن تَـعـفُ عـنـي تَـعْـفُ عـن ذي قـرابـةٍ وإن تَـرَ قـتـلـي تـسـتـحـلّ مـحـارمـي

فأطلقه معاوية، وأحسن إليه، فحلف عبدُ الله أن لا يَخرجَ عليه[1].

انتهت ترجمتُه والله أعلم

❀ ❀ ❀ ❀

(١) وقعة صفين ٣٤٨-٣٤٩، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٩٥-٢٩٧.

السنة الثامنة والثلاثون

فيها قُتل محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وولَّى أميرُ المؤمنين الأشتر مصر، ووفاة الأشتر، وسنذكرهما في آخر السنة.

وفيها بعد مقتل محمد بعث معاوية عبد الله بنَ عمرو الحَضْرَمِيَّ إلى البصرة، يدعو أهلها إلى نفسه، وإلى الإقرار بما حَكم به عمرو بن العاص يوم التَّحكيم.

فحكى الطبري عن عُمر بن شَبَّة، عن علي بن محمد، عن أبي الذَّيَّال، عن أبي نَعامة ـ حديثاً طويلاً اختصرتُه ـ قال: لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر؛ خرج عبد الله بن عباس إلى علي عليه السلام بالكوفة، واستخلف زياد بن أبيه على البصرة، وقدم ابن الحَضْرميّ من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياد إلى حُضَين بن المنذر ومالك بن مِسْمَع فقال: أنتم يا معاشر بكر بن وائل أنصارُ أمير المؤمنين وثِقاتُه، وقد نزل ابن الحضرمي حيث تَرون، وأتاه مَن أتاه، فامنعوني حتى يأتيَني أمرُ أمير المؤمنين ـ أو رأيُ أمير المؤمنين ـ فقال حُضَين: نعم، وقال مالك ـ وكان مائلاً إلى بني أمية، وهو الذي لجأ إليه مروان يوم الجمل: هذا أمر لي فيه شركاء، حتى أستشير وأنظر، فلما رأى زياد تثاقُلَ مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع بن خالد ـ وكان له صديقاً ـ فسأله ان يُجيرَه ويَمنعه، فأشار عليه نافع بصَبِرة بن شَيْمان الحُدَّاني، فأرسل إليه زياد فقال: ألا تُجيرني وبيت مال المسلمين؟ قال بلى. فتحوّل زياد، ونقل معه المِنبر، فكان يُصلّي زياد بهم الجمعة في مسجد الحُدَّان، ويُطعم الناس.

وكان ابن أبي حاضر[(١)] مع زياد وجماعة من الأشراف، فاختبرهم زياد، ودَسّ إليهم جابر[(٢)] بن وهب فقال: يا معاشر الأزد، إن تميماً تَزعُم أنهم يريدون أن يأخذوا جارَكم وبيت المال، ويُخرجوكم من البصرة قهراً، فذكر ابنُ شَيْمان كلاماً يدلُّ على أنه يحمي زياداً، وقال: إن جاء الأحْنَف جئتُ، وذكر أشراف بني تميم، فطاب قلب زياد.

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ١١١ : أبو أبي حاضر.
(٢) في (خ) و(ع): حاضر، وهو خطأ.

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين: أما بعد؛ فإن ابن الحَضْرَميّ قدم من الشام، فنزل في بني تميم، ونَعى ابن عفَّان، ودعا إلى الحرب، وبايعته تميم وأهل البصرة، ولم يبق معي مَن أمتنع به، واستجرتُ بصَبِرة بن شَيْمان فأجارني وبيتَ المال، فنزلت فيهم، وشيعةُ عثمان يختلفون إلى ابن الحَضْرمي، والسلام.

فبعث أمير المؤمنين أعين بن ضُبَيْعَة المجاشعيّ لتفريق قومه عن ابن الحَضْرمي، وقال له: إن تفرَّقوا عن ابن الحضرمي وإلا فجاهدْهم، فإن رأيتَ ممن قِبَلَك تثاقلاً فاصبر، وطاوِلْهم حتى تأتيَك جنودُ الله تعالى.

فقدم أعين، فنزل عند زياد، وأتى قومَه، وجمع رجالاً، ونهض إلى ابن الحضرمي، فدعاهم فشتموه، فانصرف عنهم، فدخلوا عليه قوم فقتلوه غِيْلَةً وهو على فراشه، فأراد زياد قتالهم، فكرهت الأزْد ذلك وقالوا: إن تعرَّضوا لجارِنا منعناه، وإن كَفُّوا عنا فما لنا حاجةٌ في قتالهم.

فكتب زياد إلى علي عليه السلام يُخبِره بقتل أعين وما جرى، فبعث أمير المؤمنين جارِية بنَ قُدامة في خمسين رجلاً من بني تميم، وشريك بن الأعور في خمس مئة، وكتب إلى زياد يُصوِّب رأيَه فيما صنع، ويأمره بمعونة جارية بن قُدامة، والإشارةِ عليه، فقدم البَصرة، فنزل على زياد، فقال له زياد: احذَرْ أن يُصيبك ما أصاب صاحبَك، ولا تَثقَنّ بأحدٍ منهم.

فسار جارية إلى قومه، فقرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين، ووعدهم فأجابه أكثرهم، فسار جارية إلى ابن الحَضْرَميّ، فحصره في دار سُنَيْبل[1]، وأحرق عليه الدار وعلى مَن معه؛ وكانوا سبعين رجلاً ـ ويقال أربعون ـ وتفرَّق الناس، ورجع زياد إلى دار الإمارة[2]. وهذا قول الطبري.

وقال هشام بن محمد عن أبيه: إنما بعث أمير المؤمنين جارية بن قُدامة في أربعة آلاف فارس، وكان ابن الحَضْرميّ قد استولى على البصرة، واتَّبعه أكثرُ أهلها، فحصره جارية في بعض دُور أهل البصرة، وقال له: اخرج فأبى، وتفرَّق القوم عنه، فأحرقه

(١) في (خ) و(ع): ابن سنيبل، وسيأتي على الصواب في الصفحة ٣٧٠، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ١١٢.
(٢) في (خ) و(ع) زيادة: وقيل كانوا سبعين. وانظر المنتظم ٥/ ١٥٢ـ١٥٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٣٠٨ـ٣١١.

ومَن معه في الدار، واستقامت البَصرة لأمير المؤمنين.

وقد اقتضى ذكرُ جاريةَ بن قُدامة هاهنا ذكر ترجمته: وهو

جارية بن قُدامة

بجيم وياء منقوطة بنقطتين من تحت، بن زهير بن الحُصَين بن رزاح بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب [بن سعد] بن زيد مَناة بن تميم، وكنيته أبو قُدامة السَّعدي، وقيل: أبو أيوب، وقيل: أبو يزيد، وقيل: اسمُه جُوَيْرِية.

واختلفوا في صُحبته، فذكره ابن سعد فيمن نزل البصرة من الصحابة وقال: له أخبار ومشاهد، وذكر قصته مع ابن الحضرمي فقال: بعثه علي عليه السلام إلى البصرة وبها عبد الله بن عامر [الحَضْرَميّ خليفة عبد الله بن عامر] بن كُرَيْز، فحاصره في دار سُنبيل؛ رجلٍ من بني تميم، وكان معاوية بعثه إلى البصرة ليُبايع له.

قال ابن سعد: وكان جارية بن قُدامة فيمن شهد قتلَ عمر بن الخطاب، قال: وكنّا من آخر مَن دخل عليه، فسألناه وَصيَّة، ولم يسأله أيّاها أحدٌ قبلَنا، قال: وقد روى جارية عن النبي ﷺ حديثاً.

قال ابن سعد بإسناده عن الأحنف بن قيس، عن [ابن] عمٍّ له يُقال له: جارية بن قُدامة أنه سأل النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، قلْ لي قولاً يَنفعني وأَقْلِل، لعلّي أن أعيه، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تغضب»، ثم أعاد عليه فقال: «لا تغضب»، حتى أعاد عليه مِراراً، كلُّ ذلك يقول: «لا تغضب»(١).

قلت: وقد أخرج أحمد هذا الحديث في «المسند» عن عبد الله بن نُمير، عن هشام، عن أبيه، عن الأحنف بن قيس، عن عمٍّ له يُقال له: جارية بن قُدامة، وذكر بمعناه(٢)، ولم يُخرّج أحمد في «المسند» لجارية غيره، ولا لمن اسمُه جارية سواه.

وقد ذكره جدي رحمه الله في «التّلقيح» في الصحابة الذين لهم صُحبة ورواية فقال: جارية بن قُدامة التَّميمي، عمُّ الأحنف بن قيس(٣).

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٥٤_٥٥ ، وما بين معكوفات منه.

(٢) مسند أحمد (٢٠٣٥٧).

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٢ .

وقال ابن عبد البرّ: عسى أن يكون عمَّه لأمِّه، وإلا فما يجتمعان إلا في [سعد بن] زيد مناة، وقيل: إنه ابنُ عمِّ الأحنف(١).

وشهد جارية صفّين مع أمير المؤمنين.

وقال خليفة بن خيّاط: كانت له دار بالبصرة في سكّة اصطفانوس(٢).

وقال أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري: جارية بن قُدامة شريف، لحِق رسول الله ﷺ، وروى عنه الحديث، وكان يقال له: مُحَرِّق؛ لأنه حَرق ابنَ الحَضْرميّ بالبصرة، وكان فارساً شجاعاً شهماً سَمْحاً، والدار التي حَرَّق فيها تُعرف بدار سنبيل، وهو الذي بعثه أمير المؤمنين إلى اليمن وراء بُسْر بن أرطاة، فهرب منه بُسْر(٣).

وذكره ابن عساكر فقال: قال الفضل بن سُويد: وَفَد جارية بن قُدامة على معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أنت السَّاعي مع ابن أبي طالب، والموقِدُ النّار، تَجوسُ البلاد، وتَسْفِك الدّماء، فقال: دع عنك هذا يا معاوية، فو الله ما أبغَضْنا أمير المؤمنين بعد ما أحبَبْناه، ولا غَشَشْناه منذ نَصَحْناه، فقال: ما كان أهْوَنك على أهلك حيث سَمَّوك جارية، فقال جارية: أنت أهون على قومِك حيث سَمَّوك معاوية، وهل مُعاوِية إلا كَلبةٌ عوت تُعاوي الكِلاب، وهل أُميَّة إلا تصغير أَمَة، والله إن قوائم السيوف التي جاهدناك بها يوم صفّين لفي أيدينا، قال: إنك لتهدِّدُني؟ قال: نعم، إنك لم تَملِكْنا قَسْراً، ولم تفتحنا عَنْوة، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق، فإن وفيتَ لنا وَفَيْنا لك، وإن غدرتَ بنا فقد تركنا وراءنا رجالاً أمداداً، وسواعد شِداداً، وسيوفاً حِداداً، ولئن مَدَدْت إلينا فِتراً من غَدْر بسطنا إليك باعاً من خَتْر. ثم فارق جارية بن قدامة الشام، ولم يَقبل صِلةَ معاوية(٤).

ولم يُذكر لنا تاريخُ وفاته، وليس في الصحابة مَن اسمُه جارية بن قدامة غيره، فأما غير ابن قُدامة فأربعة: جارية بن أَصْرَم الأَجْداري، في صُحبته نظر، والثاني: جارية بن

(١) الاستيعاب (٣٤٥) وما بين معكوفين منه.

(٢) طبقات خليفة (٢٨١).

(٣) تصحيفات المحدثين ٥١٧-٥١٩، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٨١.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٦٥-٣٦٦، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٨٢.

جابر العصري، والثالث: جارية بن جميل بن نُشبة الأشجعي، والرابع: جارية بن ظفر أبو غزوان الحنفي، له رواية ولصاحب هذه الترجمة لا غير(١).

وفيها خرج الخِرِّيت(٢) بن راشد في ثلاث مئة من بني ناجية على علي عليه السلام واعتزله.

وقال هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي مِخْنَف، عن أشياخه دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: قدم الخِرِّيت بن راشد على علي عليه السلام الكوفة من البصرة في بني ناجية، وكانوا قد شهدوا معه الجمل وصفّين، فلما حكم الحكمين قام الخِرِّيت إلى أمير المؤمنين فقال له: والله يا علي إنا لا نُطيع أمرَك، ولا نُصَلّي خلفك، لأنك حكَّمت في دين الله، فقال له علي: ثَكِلتك أمُّك! إذاً تعصي ربَّك، وتَنكُث عهدَك، ولا تَضُرّ إلا نفسَك، أخبرني لم فعلتَ ذلك؟ فقال: لأنك حكَّمت في كتاب الله، وضَعُفْتَ عن الحق، ورَكَنْتَ إلى القوم الذين ظلموا، فقال له علي: فهَلُمَّ أدارِسْك الكتاب، وأُناظِرْك في السنن التي أنا أعلم بها منك، قال: مَهْلاً عليَّ فإني سأعود إليك.

ثم خرج من عنده وفارقه بأصحابه، فقيل لأمير المؤمنين: إنا نخاف أن يُفسدَ عليك الأمر، ويصير في جماعة كثيرة، فيجري ما جرى يوم النّهر، فقال علي لزياد بن خَصَفة: اخرج وراءهم وعِظْهم، وأنذرهم وخَوِّفهم، فإن رجعوا وإلا فشَأْنُك بهم.

ثم قال له أمير المؤمنين: اخرج فانزل ديرَ أبي موسى حتى يأتيَك أمري، وكتب علي عليه السلام إلى عُماله بالحَذَر منهم، والمسير مع زياد بن خَصَفة إلى قتالهم، وسار زياد في مئة وعشرين رجلاً، وقطع الجِسْر، ونزل ديرَ أبي موسى، وأقام ينتظر أمرَ علي عليه السلام.

قال أبو مخنف: فبينما أمير المؤمنين على ذلك إذ جاءه كتابٌ من قَرَظَة بن كعب الأنصاري: أن خيلاً مرَّت متوجِّهةً من الكوفة إلى أسفل الفرات، فلقوا رجلاً من

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٢.

(٢) في (خ): الحارث، حيثما ورد، والتصويب من الطبري ٥/ ١١٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٩٦، والمنتظم ٥/ ١٥٣.

دهاقين يقال له: زاذان فَرُّوخ[(١)] فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: لا، بل مسلم، قالوا: فما تقول في علي؟ قال: هو أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وابن عم رسول ربّ العالمين، فقالوا: كفرت يا عدوّ الله وقتلوه، وكان معه رجل من أهل الذِّمَّة فلم يتعرَّضوا له.

قال: وكتب علي إلى زياد بن خَصَفة يُخبره الخبر، ويأمُره بالمسير إليهم، وأن يَرُدَّهم، فإن أبَوا ناجِزْهم.

فسار خلفه إلى قرقيسيا ثم إلى المذار، وكان زياد بن خصفة، عبد الله بن وَأْل، وهو الذي قدم بكتاب علي على زياد بن خَصَفة.

قال عبد الله: ولما نزلنا قرقيسيا سألْنا عنهم فقيل: أخذوا نحو جَرْجَرايا، فتبعناهم[(٢)] حتى أدركناهم بالمَذَار، وقطعنا دجلة، فلما رأونا ركبوا خيولَهم، ووقفوا عليها، وتقدّم إلينا خِرّيت بن راشد وقال: يا عميان القلوب والأبصار، أمع الله أنتم ومع كتابه وسنّة رسوله أم مع الظالمين؟ فقال له زياد ـ وكان مُجَرّباً رفيقاً: إن الذي جئنا له لا يُصلحه الكلامُ علانيةً على رؤوس أصحابي وأصحابك، ولكن أنزل [وتنزل] ثم نخلو جميعاً فنتذاكر أمرَنا وننظر، فإن رأيت ما جئنا به حقاً فاقبلْه، وإلا فاردُدْه.

قال: فانزل بنا على هذا النهر، قال: فنزلنا وتفرَّق أصحابنا عشرة وتسعة وأقل وأكثر، بعضهم يصنع طعاماً، وبعضهم يسقي، وقد علّقوا مخالي الدواب على رؤوسها، فلما نظر إليهم زياد قال: ويحكم ما هذا أنتم أصحاب حرب؟! والله لو جاءكم القوم على هذه الحال والغِرّة لبلغوا منكم ما أرادوا، قوموا إلى خيلكم فألْجِموها، والبسوا سلاحَكم حتى أدنو منهم، وأدعوهم إلى الطاعة، فإن أجابوا وإلا قاتلناهم، قال: ففعلوا ذلك.

---

(١) كذا، والذي في الطبري ٥/ ١١٧: متوجّهة نحو نفّر، وأن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلّى يقال له: زاذان فروخ.

(٢) كذا، وهو سياق مضطرب، والذي في الطبري ٥/ ١١٧ـ١١٨ أن علياً بعث بكتابه إلى زياد عبد الله بنَ وأل، فسار غير بعيد ثم عاد إلى أمير المؤمنين فقال: ألا أمضي مع زياد إذا دفعت إليه كتابك إلى عدوّك؟ ثم مضى، قال: ثم خرجنا حتى أتينا نِفَّر، فسألنا عنهم فقيل لنا: قد ارتفعوا نحو جرجرايا فاتبعناهم.

ثم جاء زياد فوقف ناحيةً في خمسة رجال، فقال له زياد: ما الذي نَقَمْتُم على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتمونا؟ فقال: لم أرْضَ صاحبَكم إماماً، ولا سيرتكم سيرة، فاعتزلناكم وصرنا مع مَن يدعو إلى الشورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على إمام كنا مع الناس، فقال له زياد: وَيحك، وهل يجتمع الناس على رجل يُداني أمير المؤمنين، وذكر فضائلَ علي وسوابقَه في الإسلام، فقال: ألا إنه خالف كتاب الله وحكَّم الرجال، قال زياد: فلِم قتلتم الرجلَ المسلم؟ قال: ما قتلتُه، وإنما قتله أصحابي، قال: فادفعهم إلينا، قال: لا سبيل إلى ذلك.

ثم تداعَوا إلى القتال، وقُتل منهم جماعة، وحال الليل بين الفريقين، فلما كان وقت السَّحَر ذهبوا تحت الليل، فنزلوا الأهواز، وكتب زياد إلى علي عليه السلام مع عبد الله ابن وَأْلٍ يقول:

أما بعد، فإنا لقينا عدو الله الناجي وأصحابَه بالمذار، فدعوناهم إلى الهدى وكلمة الحق، فأخذتهم العِزّة بالإثم، وزين لهم الشيطان أعمالَهم فصدهم عن السبيل، فاقتتلنا قتالاً شديداً إلى الليل، فاستُشهد منا رجلان صالحان: مولى لزياد كانت معه رايته يُدعى سُويداً، ورجل من الأبْناء يُدعى وافدَ بنَ بكر، وأصيب من الخوارج خمسة نفر، وفشت فينا وفيهم الجراحات، وساروا تحت الليل نحو الأهواز، ونحن بالبصرة نداوي جراحَنا، وننتظر أمرَك، والسلام.

فجهّز علي عليه السلام مَعقِل بن قيس من الكوفة في ألفين وكتب إلى ابن عباس إلى البصرة بأن يُجهّز رجلاً من أهل الصلاح في ألفين، وأمر زياد بن خصفة بأن يرجع إلى الكوفة، وكتب إلى زياد:

أما بعد، فقد وصلني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرتَه عن الناجي وأصحابه؛ الذين طبع الله على قلوبهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنْعاً، وأما أنت وأصحابُك فلله سَعْيُكم، وعليه جزاؤكم، فأبشروا بثواب الله، خير من الدنيا التي يقتل الجهَّالُ أنفسَهم عليها، ما عندكم ينفد وما عند الله باق، كأنك بالقوم بعد قليل بين أسير وقتيل، فأقبل إلينا أنت وأصحابك مَأجورين مُثابين، أطعتم وسمعتم وأحسنتم البلاء، والسلام.

وقال أبو مخنف: وسار مَعقِل بن قيس من الكوفة في ألفين، وأوصاه علي عليه السلام فقال له: يا مَعْقِل، اتّق الله ما استطعتَ، ولاتَبْغِ على أهل القبلة، ولا تظلم أهلَ الذّمّة، ولا تتكَبَّر فإن الله لا يُحبُّ المتكبِّرين.

وسار معقل فنزل الأهواز، وأبطأ عليه مَدَدُ أهل البصرة، فقال لأصحابه: سيروا بنا نلتقي القوم، فإني لأرجو أن ينصرنا الله، فقالوا: سر على اسم الله.

فبينما هو على ذلك إذ جاءه كتاب ابن عباس يقول: قد بعثنا إليك خالد بنَ مَعْدان الطائي، فأقم حيث أنت، فأقام حتى وصل الطائي، وسُرَّ القوم بقدومه.

ثم ساروا خلف الخوارج، فلحقوهم عند الجبل، ومعقل أمير الجيش، فصفَّ أصحابَه، فجعل على ميمنته يزيد بن المَعْقِل، وعلى ميسرته مِنجاب بن راشد الضَّبِّي من أهل البصرة، ووقف الخريت بن راشد الناجي بمن معه من العرب والأكراد والعلوج، واقتتلوا ساعة، ثم انهزموا،فقتل معقل منهم ثلاث مئة من العرب والعلوج والأكراد وبني ناجية، وانهزم الخريت بن راشد حتى لحق بأسياف البحر، وبها جماعة من قومه، فأقام فيهم يدعوهم إلى الخلاف على أمير المؤمنين، ويأمرهم بحربه؛ حتى تبعه منهم خلق كثير، وأقام معقل بأرضِ الأهواز، وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بالوَقْعة، وفيه:

أما بعد، فإنا لقينا المارِقين وقد استظهروا بالمشركين، فقتلناهم قتلَ عادٍ وإرَم، مع أنا لم نَعْدُ فيهم سيرتَك؛ لم نقتل مُدبِراً، وقد نصرك الله والمسلمين، فالحمد لله رب العالمين.

فاستشار علي أصحابه فقالوا: نرى أن معقل بن قيس يتبع آثار الفاسق حتى يقتله، وإلا أفسد علينا الناس، فكتب إليه يأمره بذلك.

فسار معقل خلفه وهو بالأسياف، فجمع الخرِّيت خلقاً عظيماً من بني ناجية، والتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ورأى النُّعمان بن صُهْبان الرَّاسبيّ الخريت بن راشد يجول في الناس، فحمل عليه فطعنه، فسقط عن دابّته، فنزل فقتله، وقتل معه في المعركة عامة بني ناجية، وبعث معقل بن قيس الرِّجال في آثار مَن بقي، فسَبَوا خلقاً كثيراً، فمن كان مُسلماً أطلقه معقل، ومَن كان مُرتَدّاً عرض عليه الإسلام، فإن أسلم خلّى سبيله، ومَن أقام على دينه وامتنع من أداء الجِزية أسره.

وكتب مَعقِل إلى أمير المؤمنين بالفتح، وكان قد سبى من النصارى من بني ناجية نحواً من خمس مئة إنسان؛ ليرى أميرُ المؤمنين فيهم رأيَه، فرحل مَعقِل وهم معه، فمر بهم على مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشّيباني، وهو عامل علي [على] أردشيرخُرَّة، فبكى النساء والصبيان وصاحوا: يا أبا الفضل، امنُن علينا فأنت حامل الأثقال، وفكّاك العُناة، فقال: أقسم بالله لأتصدقنّ عليكم.

وبعث مَصْقَلَة ذُهْلَ بن الحارث إلى معقل بن قيس فقال: بِعني بني ناجية، فقال: بألف ألف، فلم يزل به حتى باعهم بخمس مئة ألف، ودفعهم إليه وقال: عَجِّل إلى أمير المؤمنين بالمال، فقال: نعم أنا أُنفذه شيئاً بعد شيء.

وقدم معقل بن قيس على أمير المؤمنين، فأخبره فقال: أحسنتَ وأصبت، ثم أبطأ مصقلة على علي بالمال، وبلغه أن مَصْقَلَة خلّى سبيل الأسارى، ولم يسألهم أن يُعينوه في فِكاك نفوسهم بشيء، فكتب إليه: يا مصقلة، اقدم بالمال؛ فإنك قد خنت المسلمين، وإلا فقد أمرتُ رسولي بإشخاصك.

فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة، فقال له ابن عباس: أحضِر المال، وكان عمال البصرة يَحملون من كُوَر البصرة المال إلى ابن عباس، فقال مَصقَلَة: أنظِرْني أياماً، ثم أقبل إلى علي فأدّى إليه مئتي ألف وعجز عن الباقي، ولحق بمعاوية، فقال علي: ماله قبحه الله، فَعل فِعل السّيد، وفرَّ فِرار العبد، وخان خيانةَ الفاجر، أما إنه لو أقام وهو عاجز ما أخذنا منه شيئاً، ثم هدم علي دارَ مَصقلة بن هُبَيرة.

وكان أَخوهُ نعيم بن هُبيرة شيعياً، ولأمير المؤمنين مُحبًّا ناصحاً، فكتب مصقلة من الشام إلى أخيه نعيم: إني كلّمتُ معاوية فيك، فوعدك الإمارة والكرامة، فأقبِلْ إلينا عند وصول الرسول، وبعث بالكتاب مع رجل نصراني يُقال له: حُلْوان من بني تَغلِب، وعلم به مالك بن كعب الأرحَبيّ، فبعث بحُلْوان وبالكتاب إلى أمير المؤمنين، فقرأه، وقطع يدَ حُلْوان فمات، وبلغ التغلبيّون هلاكَ حُلْوان، فقالوا لمَصقلة: أنت أهلكته، فإما أن تُحيِيَه وإما أن تَدِيَه، فقال: أما إحياؤه فلا أقدر عليه، ولكني سَأدِيه، فوَدَاه[1] .

(١) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٢٠ـ١٣١ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٩٦ـ٣٠٣ ، والمنتظم ٥/ ١٥٣ـ١٥٤ .

وفيها ولّى أميرُ المؤمنين زياد بن أبيه فارس[١]، فحكى الشَّعبيُّ وقال: ولما قتل علي أهلَ النهر، وخرج عليه بنو ناجِية، وقدم ابن الحَضْرميّ البصرة، انتَقَض أهلُ الجبال، وطمع أهلُ الخراج في الخراج وكسروه، وأخرجوا سَهْلَ بنَ حُنَيف من فارس ـ وكان عامل علي عليها ـ فاستشار علي ابنَ عباس في ذلك، فقال له: وأين أنت عن زياد، فبعثه في جيش كثيف إلى فارس، فدَوَّخ البلاد ووَطِئها، فأدّوا الخراج، واستقامت الأمور.

وقال أبو معشر: وحجَّ بالناس في هذه السنة قُثَم بن العبَّاس من قِبل أمير المؤمنين، وكان قُثَم عاملَه على مكة والطائف، وكان عامله على اليمن عُبيد الله بن عباس، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى خُراسان خُلَيْد بن قُرَّة اليَربوعي، وأما مصر فكانت بيد معاوية وعليها عُمَّالُه.

وفيها توفّيت

أسماء بنت عُمَيْس

ابن معد بن تَيْم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قُحافَة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وهب الله بن شهران بن عِفْرِس بن أَفْتَل، وهو جماع خَثْعَم، وأمُّها هند، وهي خَوْلة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حَماطَة بن جُرَش.

قال ابن سعد بإسناده عن يزيد بن رُومان قال: أسلمت أسماء بنت عُمَيْس قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بمكة، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فوَلَدت له هناك عبد الله وعَوْناً ومحمداً بَني جعفر، ثم قتل عنها جعفر [بمؤتة] شهيداً في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: فتزوَّجها أبو بكر الصدّيق بعد جعفر، فوَلَدت له محمد بن أبي بكر، ثم تُوفّي عنها أبو بكر.

قال الواقدي: ثم تزوَّجها علي بن أبي طالب، فوَلَدت له يحيى وعَوْناً[٢].

---

(١) في الطبري ٥/ ١٣٧، والمنتظم ٥/ ١٥٩ أن تولية زياد كانت في سنة (٣٩).

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠.

وفي رواية: ومحمداً، فهي تُدعى أمّ المحمَّدين.

وقد أشرنا إلى طَرفٍ من أخبارها في ترجمة جعفر بن أبي طالب، وكانت تخدم فاطمة عليها السلام إلى أن تُوفّيت فاطمة، وقد ذكرناها، وأسماء أخت ميمونة زوجةِ النبي ﷺ، وأمِّ الفضل لأمها، وكانت وفاة أسماء في هذه السنة، بعد مقتل ابنها محمد ابن أبي بكر، وقيل: قبله.

ذكر طرف من أخبارها:

قال ابن سعد بإسناده عن الشعبي، وأسنده أبو حمزة قالا: لما قدمت أسماء بنت عُمَيس من أرض الحبشة قال لها عمر: يا حَبشيّة، سبقناكم بالهجرة، فقالت: إي لعَمْري لقد صدقت، كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعَكم، ويُعَلِّم جاهلَكم، وكنا البُعداء الطُرَداء، أما والله لآتينّ رسول الله ﷺ فلأذكرنّ له ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «للناس هجرة، ولكم هجرتان».

وفي رواية ابن سعد عنها أنها قالت: يا رسول الله، إن رجالاً يَفخرون علينا، ويَزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأوَّلين، فقال رسول الله ﷺ: «لكم هجرتان، هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مُرْهَنون بمكة، ثم هاجرتم بعد ذلك».

وفي رواية ابن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «كذب مَن يقول ذلك، لكم الهجرة مرَّتين: مرة إلى النجاشي، ومرة إلي»[(١)].

وقد ذكرنا أن أسماء أشارت بالنَّعْش لما توفيت فاطمة عليها السلام وقالت: كانوا يصنعونه بالحبشة.

وقد ذكرنا أن النبي ﷺ لما استشهد جعفر أتى إلى بيت أسماء، وعزَّاها في جعفر وقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً» الحديث.

وروى ابن سعد، عن عبد الله بن نُمَير، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيّب أن أسماء نَفِست بمحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذي الحُلَيْفة، وهم يريدون حجّة الوداع، وأن أبا بكر أمرها أن تغتسل ثم تُهلّ بالحج.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٦ .

وفي رواية ابن سعد: فهمَّ أبو بكر بردِّها، فسأل النبيّ ﷺ فقال: «مُرْها فلتغتسل، ثم تحرم». قال ابن المسيب: وكانت نُفَساء.

وفي رواية ابن سعد: فأمرها رسول الله ﷺ أن تَسْتَثْفِر بثوب، ثم تغتسل وتُهلّ.

وقال ابن سعد بإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: دخلتُ مع أبي على أبي بكر فرأيتُ يد أسماء مَوشومة، وهي تَذُبُّ عن أبي بكر[١].

وقد ذكرنا أن أبا بكر أوصى أن تغسله أسماء بنت عُميس، وأنها غسلته.

وقال ابن سعد: فرض لها عمر ألفَ درهم في العطاء[٢].

قلت: وقد أخرج أحمد في «المسند» عشرة أحاديث ذكرنا بعضَها، وليس لها في الصحيح شيء.

وقال أحمد بإسناده عن أم جعفر ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدتها أسماء بنت عُميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابُه جاء رسول الله ﷺ فدخل عليّ وقال: «ائتيني ببني جعفر» فأتيتُه بهم، فشَمَّهم ودمعت عيناه ... وذكر الحديث، وفيه: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً»[٣].

وأسماء هي أشارت أن يُلَدَّ رسول الله ﷺ، وقد ذكرناه[٤].

قلت: وليس في الصحابيّات مَن اسمُها أسماء بنت عُمَيْس سواها، فأما أسماء غير بنت عُميس فاثنتا عشرة امرأة:

إحداهن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والثانية: أسماء بنت يزيد بن السَّكَن، والثالثة: أسماء بنت مُخَرّبة بن جَنْدل، والرابعة: أسماء بنت سَلامة بن مُخَرِّبة، والخامسة: أسماء بنت مُرْشدة، والسادسة: أسماء بنت قُرْط بن خَنْساء، والسابعة: أسماء بنت النُّعمان الجَوْنِيّة، تزوجها رسول الله ﷺ ثم طلّقها، وقد ذكرناها، والثامنة:

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٨.

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٧٠.

(٣) مسند أحمد (٢٧٠٨٦).

(٤) انظر في ترجمتها: الاستيعاب (٣٢٠٤)، والمنتظم ٥/ ١٥٤، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢٢، والسير ٢/ ٢٨٢، والإصابة ٤/ ٢٣١.

أسماء بنت زيد بن الخطّاب، والتاسعة: أسماء بنت سلامة، دَارِميّة زوجة عياش بن أبي ربيعة[١]، والعاشرة: أسماء بنت عمرو بن عديّ، سُلَميّة، وتُكنى أمّ منيع، والحادية عشرة: أسماء بنت مُحْرِز بن عامر، أنصاريّة من بني النّجّار، والثانية عشرة: أسماء بنت عُميس بنت مرشد بن حير، أخت بني حارثة[٢]، والثالثة عشرة: أسماء بنت يزيد، أنصاريّة وتكنى أم سلمة، وقيل: هي بنت السَّكَن.

ذكر أعيانهن:

أما أسماء بنت أبي بكر فسنذكرها عند مَقتل ابنها عبد الله بن الزبير.

وأما أسماء بنت يزيد بن السَّكَن فهي من بني عبد الأَشْهَل، وكُنيتُها أمُّ عامر، وقيل: اسمُها فُكَيْهَة، وقد أخرج لها أحمد في «المسند» نيّفاً وعشرين حديثاً، ولم يُخرّج أحمد في «المسند» عمّن اسمُها أسماء سوى ثلاثة؛ هذه، وأسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عُمَيْس.

ومن مسانيد أسماء بنت يزيد بن السَّكَن: قال أحمد بإسناده عن شَهْرِ بن حَوْشَب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ: «إنه عَمِلَ غير صالح»[هود:٤٦] قالت: وسمعتُه يقرأ: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذّنوب جميعاً ولا يبالي، إنه هو الغفور الرحيم»[٣]. ولها أحاديث حِسان.

وأما أسماء بنت مُخَرِّبة بن جَنْدل بن أُبَيْر بن نَهْشَل بن دارِم، من بني تميم، وأمُّها العَناق بنت الجَبَّار بن عَوْف بن أبي حارثة، من تَغلبِ بن وائل، تزوَّجها هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم، فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام، ثم مات عنها هشام، فخلف عليها أخوه أبو رَبيعة بن المغيرة، فولدت له عياشاً وعبد الله وأمَّ حُجَير بني أبي رَبيعة، وأسلمت أسماء وبايعت، وقدِمت المدينة، وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطاب أو بعدها[٤].

---

(١) هي أسماء بنت سلامة بن مخربة، فيما ذكر الحافظ في الإصابة ٤/ ٢٢٩ .

(٢) كذا، وهذا خطأ، فليس في الصحابيات من اسمها أسماء بنت عميس غير التي سلفت، وقد ذكر المصنف ذلك، وتجاوز العَدّ إلى (١٣) امرأة. انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢٤ .

(٣) مسند أحمد (٢٧٥٦٩)، وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢٤ ، والاستيعاب (٣٢٠٧).

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٨٤ ، وانظر الإصابة ٤/ ٢٣٠ .

وأما أسماء بنت سلامة بن مُخَرّبة بن جَندل فتميميّة، وأمُّها سلمى بنت زهير، تميميّة أيضاً، أسلمت قديماً وبايعت، وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها عَيَّاش ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، فولدت له هنالك عبد الله بن عيَّاش[(١)].

وأما أسماء بنت مُرْشِدة بن جَبْر، من بني حارثة، وأمُّها سَلامة بنت مسعود بن كعب ابن عامر بن عَدِيّ بن مَجدَعة بن حارثة، تزوَّجها الضحَّاك بن خليفة، من بني عبد الأشهل، فولدت له ثابتاً، وأبا جبيرة، وأبا بكر، وعمر، وثبيتة التي تزوَّجها محمد بن مسلمة، وبكرة، وحمَّادة، وصفيَّة. أسلمت أسماء وبايعت النبي ﷺ[(٢)].

وأما أسماء بنت قُرْط بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة، وأمُّها ماويّة بنت القَيْن بن كعب بن سواد، من بني سَلِمة، تزوَّجها الطُّفَيل بن النعمان بن خَنْساء بن مَبْذول[(٣)]، فولدت له الربيّع، أسلمت أسماء وبايعت رسولَ الله ﷺ.

وأما أسماء بنت مُحْرِز بن عامر، أنصاريّة، وأمُّها أمُّ سهل، نَجَّاريّة، تزوَّجها قيس ابن عُبيد، وكُنيته أبو بَشير، أنصاريّ، فولدت له بشيراً والجعد، أسلمت وبايعت[(٤)].

ذكر سَلْمى بنت عُمَيْس

أخت أسماء بنت عُمَيْس بن مَعْد بن تَيْم، وأمُّها هند، وهي خَوْلَة بنت عوف، فسَلمى أخت أسماء لأمّها وأبيها.

أسلمت قديماً مع أختها أسماء، وتزوّجها حمزة بن عبد المطَّلب بن هاشم، فوَلَدت له ابنتَه عُمارة، وهي التي كانت بمكّة، فأخرجها علي في عُمرة القضيَّة، واختصم فيها علي وزيد وجعفر، وقد ذكرناها.

ولما قُتل حمزة تأيّمت سلمى، فتزوَّجها شَدّاد بن الهاد اللّيثي، فوَلَدت له عبد الله بن

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٨٥، وانظر الإصابة ٤/ ٢٢٩، والاستيعاب (٣٢٠٥).

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣١٦، وانظر الإصابة ٤/ ٢٣٣.

(٣) كذا، والذي في طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٧٥: سنان.

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٤، وانظر الإصابة ٤/ ٢٣١-٢٣٢.

شَدَّاد، فهو أخو عمارة بنت حمزة لأمِّها، وهو ابن خالة وَلَد العباس بن عبد المطلب أمِّ الفضل، وهو ابن خالة خالد بن الوليد بن المغيرة، وقد ذكرناه(١).

وليس في الصحابيّات مَن اسمُها سَلْمى بنت عُمَيْس غير هذه، فأما سلمى غير بنت عُمَيْس فعشرة نساء: إحداهن سَلمى مولاة رسول الله ﷺ، قال ابن سعد: وقد سمعتُ مَن يقول: إنها مولاة صفيّة بنت عبد المطَّلب، زوّجها رسول الله ﷺ أبا رافع مولاه، وهي أمُّ أولاده، وكانت قابلة خديجة في جميع أولادها من النبي ﷺ، وهي التي قَبِلت مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وخرجت إلى زوجها فأعلَمَته، فبَشّر رسولَ الله ﷺ، فوهب له غلاماً، وشهدت سَلمى خيبر مع رسول الله ﷺ(٢).

والثانية: سلمى بنت يَعار، حكى ابن سعد عن الواقدي أنها أسلمت و بايعت رسول الله ﷺ، وهي أخت ثُبَيْتَة بنت يعار، امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وثُبَيتة هي التي أعتقت سالماً، فتبنّاه أبوحذيفة، وقد ذكرناه.

أسلمت ثبيتة و بايعت رسول الله ﷺ (٣).

والثالثة: سلمى بنت زيد بن تَيم بن أمية، من بني بياضة من الأوس، أمها الرَّحَّالة بنت المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام الخزرجي، تزوجها عمرو بن عبَّاد بن عمرو، من الخزرج، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ(٤).

والرابعة: سلمى بنت عمرو بن خُنَيْس بن لَوْذان، من بني ساعدة، وأمُّها هند بنت المنذر بن الجموح بن زيد بن حَرام، وهي أخت المنذر بن عمرو، والمنذر شهد العقبة و بدراً، وكان نقيباً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وهي أخته لأبيه وأمه.

تزوّجها عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أسلمت سلمى وبايعت النبي ﷺ(٥).

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٧٠، والاستيعاب (٣٣٤٣)، والإصابة ٤/ ٣٣٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٦، والاستيعاب (٣٣٤٦)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٥، والإصابة ٤/ ٣٣٣.

(٣) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٣٠، وانظر الإصابة ٤/ ٣٣٣. ومن قوله: الثانية سلمى بنت يعار... إلى هنا ليس في (خ).

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٣٦، وانظر الإصابة ٤/ ٣٣١.

(٥) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٤٧-٣٤٨، والإصابة ٤/ ٣٣١-٣٣٢.

والخامسة: سلمى بنت أسلم بن حَرِيش، وتكنى أمّ عبد الله[(١)].

والسادسة: سلمى بنت زيد بن تَيْم[(٢)].

والسابعة: سلمى بنت صخر، أم أبي بكر، تُكنى أمّ الخَير[(٣)].

والثامنة: سلمى بنت قيس بن عمرو، تكنى أمّ المُنذر، أنصارية[(٤)].

والتاسعة: سلمى بنت نصر، مُحاربيّة.

والعاشرة: سلمى أمّ رافع، لها إدراك، وقيل: سلمى أخرى غير منسوبة، وقيل: هي مولاة صَفيّة[(٥)].

وفيها توفي

سَهْل بن حُنَيْف

ابن واهب بن العُكَيم بن ثعلبة بن[(٦)] الحارث بن مَجْدَعة بن عمرو بن حَنَش بن عوف ابن عمرو بن عوف الأنصاريّ، من أهل مسجد قُباء، وكُنيته أبو سَهْل، واسم أمّه هند بنت رافع بن عُمَيْس، وقيل: أبو عبد الله.

وسهل من الطبقة الأولى من الأنصار، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب، وشهد سهل بدراً وأحداً والخَندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وثبت معه يوم أحد حين انكشف الناس عنه، وبايعه على الموت وجعل يَنْضَح يومئذٍ بالنَّبل عن رسول الله ﷺ، قال ابن سعد: فقال رسول الله ﷺ: «نَبّلوا سَهْلاً فإنه سهل».

وروى ابن سعد عن الزهري قال: لم يُعطِ رسول الله ﷺ من أموال بني النَّضير أحداً من الأنصار إلا سهل بن حُنَيف وأبا دُجانَة سِماك بن خَرَشَة؛ فإنهما كانا فقِيرَين.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣١٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٥، والإصابة ٤/ ٣٣١.

(٢) هي نفسها السالفة قبل ترجمتين.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٥، والإصابة ٤/ ٣٣٢.

(٤) الاستيعاب (٣٣٤٥)، والتلقيح ٣٣٥، والإصابة ٤/ ٣٣٢.

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٥، والإصابة ٤/ ٣٣٢-٢٣٤.

(٦) في (خ) و(ع) زيادة بن عمرو، وهو خطأ.

وقد شهد سهل صفين مع أمير المؤمنين[١].

واختلفوا في وفاته على قولين: أحدهما: أنه توفّي بالكوفة، قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: مات سهل بن حُنيف بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصَلّى عليه علي عليه السلام.

والثاني: أنه توفي بالرَّحْبة عند عَود علي من صفين، قال ابن سعد بإسناده عن حَنَش ابن المُعْتَمِر قال: لما توفي سهل بن حُنيف أتي به إلى علي عليه السلام في الرحبة، فكبَّر عليه ستّ تكبيرات، فكأن بعض القوم أنكر ذلك، فقيل إنه بَدريّ.

وروى ابن سعد عن عبد الله بن معقل قال: كبّر علي في سلطانه كله أربعاً أربعاً على الجنازة، إلا على سهل بن حُنيف فإنه كبَّر عليه خمساً ثم التفت إليهم وقال: إنه بدري.

وفي رواية ابن سعد: أنه لما كبَّر عليه خمسة قالوا: ما هذا التكبير؟ فقال علي: هذا سهل بن حُنيف من أهل بَدْر، ولأهل بدرٍ فضلٌ على غيرهم، فأردت أن أعلمكم فضلَهم[٢].

ذكر أولاده: قال ابن سعد: كان له من الولد: أبو أُمامة، واسمه أسعد باسم جدِّه أبي أُمامة، وعثمان، وأمُّهما حبيبة بنت أبي أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس، من بني النجار. وسعد وأمُّه أمّ كلثوم بنت عُتبة بن أبي وَقّاص الزهري. قال: ولسهل اليوم عَقِبٌ بالمدينة وبغداد. وأخوا سهل بن حُنَيف لأمّه عبد الله والنعمان ابنا أبي حَبيبة بن الأزْعر ابن زيد بن العَطّاف بن ضُبَيعة، وسهل بن حُنَيف أخو عثمان بن حُنَيف[٣].

أسند سهل عن رسول الله ﷺ أحاديث، قال قوم: أربعين حديثاً، وأخرج له أحمد في «المسند» اثني عشر حديثاً، منها في الصحيحين ستة، اتفقا على أربعة منها، وحديثان لمسلم.

قال أحمد بإسناده عن محمد بن سليمان الكرماني، سمعت أبا أُمامة بن سَهْل بن

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٧.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٨.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٧.

حُنَيف يقول: قال أبي: قال رسول الله ﷺ: «مَن خرج حتى يأتيَ هذا المسجد» مسجد قُباء «فيصلّي فيه ركعتين، كان كعَدْلِ عُمْرَة». وفي رواية: ولم يذكر الركعتين[١].

وليس في الصحابة من اسمه سهل بن حُنيف سواه، فأما غير ابن حنيف فكثير[٢].

وفيها توفي

صُهيب بن سنان

ابن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن خُزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مَناة بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

كذا نسبه ابن سعد والبَلاذري، ومنهم مَن يجعل جَذِيمة مكان خُزَيمة[٣].

وأمُّه سلمى بنت قَعيد بن مَهِيض، من تميم.

واختلفوا فيه؛ فقال ابن سعد: كان أبوه سِنان بن مالك، أو عمه، عاملاً لكسرى على الأُبُلَّة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، وقيل: كانوا في قرية على شطِّ الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، فأغارت الرُّوم على تلك النّاحية، فسَبَتْ صُهَيباً وهو غلام صغير، فقال عمُّه: أنشد الله الغلامَ النَّمريّ، دجَّ وأهلي بالثني، والثني اسم القرية التي كان بها. فنشأ صُهيب بالروم، فابتاعته كَلْبٌ منهم، فقدِمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جُدعان، وبُعث رسول الله ﷺ لما أراد الله به من الكرامة، ومَنّ عليه من الإسلام.

قال: وأما أهل صهيب ووَلَدُه فيقولون: بل هرب من الروم حين بلغ وعَقَل، فقدم مكة، فحالف عبد الله بنَ جُدعان، وأقام معه إلى أن هَلَك[٤].

وقد أخرج الحميدي [في] «الجمع بين الصحيحين» عن البخاري، عن عبد الرحمن

---

(١) مسند أحمد (١٥٩٨١).

(٢) انظر في ترجمته: المعارف ٢٩١، والاستيعاب (١٠٤١)، والمنتظم ٥/ ١٥٤، والتلقيح ٢٠٤ و٣٦٦، والاستبصار ٣٢٠، والسير ٢/ ٣٢٥، والإصابة ٢/ ٨٧.

(٣) كما عند ابن سعد ٣/ ٢٠٦، والبلاذري ١/ ٢٠٣، أما النسب الذي أثبته المصنف فهو ما ذكره ابن عساكر ٨/ ٣٧١.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٧.

ابن عوف قال: قلتُ لصهيب: اتّقِ الله ولا تَدَّعِ إلى غير أبيك. فقال صُهيب: ما يَسُرُّني أن لي كذا وكذا وأني فعَلتُ ذلك، ولكن سُرِقتُ وأنا صبيّ[١].

قلت: ولم أجد هذا اللفظ في مسند عبد الرحمن بن عوف.

وكنية صُهيب: أبو يحيى، كَناه به رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن حمزة بن صُهَيب، عن أبيه: أنه كان يُكنى أبا يحيى ويقول إنه من العرب، ويُطعم الكثير، فقال له عمر بن الخطاب: يا صُهيب، مالك تُكنى أبا يحيى وليس لك ولد؟ وتقول إنك من العرب وأنت رجل من الروم؟ وتُطعم الطعام الكثير وذلك سَرَفٌ في المال؟

فقال صهيب: إن رسول الله ﷺ كناني أبا يحيى، وأما قولك في النسب وادّعائي إلى العرب فإني رجل من النَّمِر بن قاسط، من أهل الموصل، ولكن سُبِيت، سبَتْني الرُّوم غلاماً صغيراً بعد أن عَقَلْتُ أهلي وقومي، وعرفت نَسَبي، وأما قولك في الطعام وإسرافي فيه؛ فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن خِيارَكم مَن أطعم الطعام، ورَدَّ السلام»، فذلك الذي يَحملُني على أن أُطعِم الطعام[٢].

وفي رواية: وكناني رسول الله ﷺ أبا يحيى قبل أن يُولد لي.

ذكر صفته:

قال ابن سعد: كان رجلاً أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب، وكان كثيرَ شَعر الرَّأس، وكان يَخضب بالحِنَّاء[٣].

وقال هشام: سُمِّي صهيباً لأنه كان أصْهَبَ اللون، وقد ذكرنا أنه أسلم مع عمار بن ياسر.

ذكر بعض مناقبه:

قال علماء السير: صُهيب من الطبقة الأولى من المهاجرين، وكان من المُسْتَضْعَفِين الذين يُعَذَّبون بمكة في الله تعالى، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله

---

(١) الجمع بين الصحيحين ١/ ١٧٧، والحديث في البخاري (٢٢١٩).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٧.

ﷺ، وهو من السابقين الأوَّلين، ويُسَمَّى سابقَ الرُّوم.

قال ابن سعد بإسناده عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «صُهيب سابِقُ الرُّوم»[١].

ذكر هجرته إلى المدينة:

قال ابن سعد بإسناده عن أبي عثمان النهدي قال: بلغني أن صُهيباً حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له أهل مكة: أتيتنا هاهنا صُعلوكاً حقيراً فكَثُر مالُك عندنا، وبلغتَ ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟! والله لا يكون ذلك، فقال: أرأيتم إن تركتُ مالي، مُخَلُّون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم، فجعل لهم ماله أجمع، فبلغ النبي ﷺ فقال: «رَبِح صُهَيب، ربح صهيب».

وقال ابن سعد بإسناده عن سعيد بن المسَيَّب قال: أقبل صهيب مُهاجراً نحو المدينة، واتَّبعه نفرٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وانْتَثَل ما في كِنانته، ثم قال: يا معاشر قريش، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايْمُ الله، لا تَصِلوا إليّ حتى أرمي بكلِّ سهم معي في كنانتي، ثم أضربَكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دَلَلْتكم على مالي وخَلَّيتم سبيلي؛ قالوا: نعم، ففعل، فلما قدم على النبي ﷺ قال: «ربح البيعُ أبا يحيى، ربح البيع»، قال: ونزل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وحكى ابن سعد عن الواقدي، عن عاصم بن سويد، عن محمد بن عمارة بن خُزيمة ابن ثابت قال: قدم آخِرَ الناس في الهجرة إلى المدينة علي بن أبي طالب وصُهيب بن سنان، وذلك للنصف من ربيع الأول، ورسول الله ﷺ بقُباء لم يَرِمْ بعد[٢].

وقال الواقدي: لما هاجر صهيب إلى المدينة نزل على سعد بن خَيْثَمة، وكان منزل العُزَّاب من الصحابة، قال: وآخى رسول الله ﷺ بين صُهيب والحارث بن الصِّمَّة[٣].

وقال أبو نعيم بإسناده عن علي بن عبد الحميد[٤] بن زياد بن صَيْفي بن صُهَيب، عن

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٨ـ٢٠٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٠.

(٤) في (خ) و(ع): عبد الرحمن، وهو خطأ، انظر الحلية ١/ ١٥١، وتهذيب الكمال (ترجمة زياد بن صيفي).

أبيه، عن جدّه، عن صهيب قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مَشهداً قط إلا وكنت حاضرَه، ولم يبايع بيعةً قط إلّا كنت حاضرها، ولم يَسر سَرِيّةً قط إلا كنتُ حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامَهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنتُ وراءهم، ولا جعلتُ رسول الله ﷺ بيني وبين العدوّ قط؛ حتى توفي رسول الله ﷺ.

وقد ذكرنا أن عمر بن الخطاب أمرَ صهيباً أن يصلي بالناس أيام طُعن، وأنه صلّى على عمر.

ذكر وفاته:

حكى ابن سعد عن الواقدي، عن أبي حذيفة رجلٍ من ولد صهيب، عن أبيه، عن جدّه قال: توفي صُهيب في شوّال بالمدينة، سنة ثمان وثلاثين، ودُفن بالبقيع وهو ابن سبعين سنة[(١)].

وقال هشام: ابن أربع وثمانين سنة، وصلى عليه سعد بن أبي وقّاص.

وعامة المؤرخين أنه توفيّ بالمدينة، إلا أحمد بن هارون فإنه قال: توفي بالشام، والأول أشهر، ودُفن بقِبلي دمشق.

عند ميدان الحصى قبر يقال: إنه قبر صهيب، بناه خلف المصري صاحب المعظَّم عيسى رحمه الله، وبنى عليه قُبة ومَنارة، وقال: رأيت في المنام قائلاً يقول: هذا قبرُ صُهَيب.

ذكر أولاده:

وهم عثمان وصيفي وحمزة وسعد وعبادة وحبيب وصالح ومحمد بنو صهيب، رووا عنه كلهم. كذا ذكر ابن عساكر في «تاريخه» وزاد ابن قتيبة: وعُمارة بن صهيب[(٢)]. وليس في أولاده من اسمه يحيى، فلعل رسول الله ﷺ كناه تأوّلاً بطول العمر.

أسند صهيب عن رسول الله ﷺ أحاديث، أخرج له أحمد في «المسند» ثمانية، منها ثلاثة تفرّد بها مسلم، ولم يُخَرّج له البخاري شيئاً.

وروى صُهيب عن عمر بن الخطاب وغيره، وروى عن صهيب ابن عمر وجابر بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١١.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ ٣٧٦، والمعارف ٣٦٥.

عبد الله، ومن التابعين: ابن المسيّب، وابن أبي ليلى، وعُبَيْد بن عُمَير، وكعب الأحبار، في آخرين.

ومن مسانيده: قال أحمد بإسناده، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦] قال: إذا دخل أهلُ الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مُنادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله مَوعداً يُريد أن يُنجِزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقِّل موازيننا، ويُبيِّض وجوهنا، ويُدخلنا الجنة، ويُزحزحنا عن النار؟ قال: فيُكشف لهم الحِجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله عزوجلّ شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه، ولا أَقَرَّ لعيونهم. انفرد بإخراجه مسلم(١).

وذكر ابن عساكر في «تاريخه» في ترجمة صُهيب قال: خرجت مع عمر إلى الشام، فبينما أنا عنده بالجابية إذ جاءه يهودي قد شُجَّ، فغضب عمر غضباً [شديداً]، وقال لصهيب: انطلق فانظر مَن شَجَّه، قال صهيب: فمضيتُ وإذا به عوف بن مالك الأشجعي، قال: فقلت لعوف: إنه قد غضب غضباً شديداً، وأخاف أن يَبْدُرَ منه بادرة في حقّك، فاذهب إلى معاذ بن جبل فكلِّمه، قال: وأتيت عمر فأخبرتُه، وجاء معاذ ومعه عوف، فقال معاذ لعمر: لا تعجل، إن عوفاً رأى هذا اليهودي يسوق حماراً وعليه امرأة قد اكترَتْه منه، فرآه عوف وقد ألقاها عن الحمار وغَشِيَها، وجاءت المرأة ومعها أخوها فاعترفت، فقال عمر لليهودي: ما على هذا صالحناكم، ومن فعل مثل هذا فلا ذِمَّةَ له، وأمر عمر باليهودي فصُلب، فهو أوّل يهودي صُلب في الإسلام(٢).

وليس في الصحابة من اسمه صهيب بن سنان غيره، فأما صُهيب غير ابن سنان فصهيب بن النعمان غير منسوب، وهل له رواية؟ على قولين، ولم يذكر جدّي في «التَّلقيح» مَن اسمه صُهيب غير هذين، صهيب بن سنان وصهيب بن النعمان، وذكر البخاري في «تاريخه» سبعة من الرواة؛ اسم كلّ واحدٍ صهيب(٣).

---

(١) مسند أحمد (١٨٩٣٥)، وصحيح مسلم (١٨١).

(٢) تاريخ دمشق ٨/ ٢٧٢ (مخطوط).

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٢٨ و٢١٠ ، والتاريخ الكبير ٤/ ٣١٥-٣١٧ . وانظر في ترجمة صهيب غير ما ذكر: المنتظم ٥/ ١٥٥ ، والسير ٢/ ١٧ ، والإصابة ٢/ ١٩٥ .

وفيها توفي

عبد الله بن عامر الحَضْرَمي

الذي حَرَّقه جارية بن قدامة بالبصرة، واسم الحَضْرَميّ عبد الله بن عماد، من كِندة، ومنزله بحَضْرَمَوت، حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف، وعامر أبو صاحب هذه الترجمة قُتل يوم بدر كافراً. وعبد الله بن عامر صاحب هذه الترجمة ابن بنت عمة رسول الله ﷺ، واسمها أرْنب، وأمُّها أمّ حكيم بنت عبد المطلب وتُسمّى أمّ طلحة، وقيل: بل هي كُنيتها.

وعبد الله بن عامر وأبو كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف ابنا خال طلحة بن عبيد الله.

وعبد الله ابنُ أخي العلاء بن الحَضْرمي عامل النبي ﷺ على البحرين، وبئر ميمون التي بأعلا مكة ينسب إليهم، وعمرو بن الحضرمي أول قتيل من المشركين بنَخْلَة في صدر الإسلام، وقد ذكرناه، والصَّعبة بنت الحَضْرميّ أم طلحة بن عُبيد الله.

وكان عبد الله صاحب هذه الترجمة قد استماله معاوية بالمال فمال إليه، وبعثه معاوية إلى البصرة، فنزل في بني تميم وأسعر الفتنة، فأحرقه الله تعالى في الدنيا(١)، وقد ذكرناه.

وفيها توفي

مالك بن الحارث

ابن عبد يَغوث بن مَسْلَمة بن ربيعة بن الحارث بن جَذيمة بن سعد بن مالك النَّخَعي الكوفي، والنَّخع أبو قبيلة من العرب، ويُلقَّب بالأشْتَر، والشَّتَر: انحرافُ جَفْنِ العين.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين؛ شهد معه الجمل وصفّين والنّهروان ومشاهدَه كلَّها(٢).

---

(١) انظر أنساب الأشراف ١/ ١٣ـ١٤ و ٤٤٨ ، وتاريخ دمشق ٩/ ٤٥٥ـ٤٥٦ (مخطوط).

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٣٢ .

وذكره أبو سعيد بن يونس فقال: كان فيمن نفاه عثمان إلى الشام، وكان من المؤلّبين على عثمان، وشهد حَصْرَه، وكان قد حضر اليرموك وأبلى فيه بلاء حسناً، وذهبت إحدى عينيه، وانشترت الأخرى، وقد ذكرنا فعلَه يوم الجمل، وأنه هو الذي عقر الجمل، وصرع عبد الله بن الزُّبير حتى قال ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً، ولما دخل على عائشة بعد وَقْعة الجمل قالت له: أنت الذي أردتَ قتلَ ابن أختي؟ فقال: [من الطويل]

فـو الله لـولا أنـنـي كـنـتُ طـاوِيـاً ثـلاثـاً لألـفَـيتِ ابنَ أُختِـك هـالِكـا[١]

وقد ذكرناه هناك، ووَلده إبراهيم بن الأشتر الذي قتل عبيد الله بن زياد على الزّاب، وسنذكره.

ذكر ولاية الأشتر على مصر ووفاته:

قال علماء السير كابن إسحاق وهشام والواقدي: ولما اختلّ أمرُ مصر على محمد ابن أبي بكر، وبلغ أمير المؤمنين قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين؛ صاحبنا الذي عزلناه عنها؛ يعني قيس بن سعد، أو مالك بن الحارث، يعني الأشتر.

وكان أمير المؤمنين حين انصرف من صفين ردّ الأشتر إلى عمله على الجزيرة، وكان عاملاً عليها، فكتب إليه وهو يومئذ بنصيبين: سلام عليك يا مالك، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدِّين، وأقمع به نَخْوة الأثيم، وكنتُ قد ولَّيتُ محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه خوارج، وهو غلام حَدَثٌ غِرّ، ليس بذي تَجربةٍ للحرب، ولا مُجَرِّبٍ للأشياء، فاقدم عليّ لننظر من ذلك فيما ينبغي، واستخلِفْ على عملك أهلَ الثقة النَّصفة[٢] من أصحابك، والسلام.

فأقبل مالك حتى قدم على علي عليه السلام، فأخبره بحديث محمد وما جرى عليه، وقال: ليس لها غيرك فاخرج رحمك الله، فإني إن لم أُوصِك اكتفيتُ برأيك، فاستعن بالله على ما أهَمّك، واخلط الشدَّة باللين، وارفق ما كان الرّفق أبلغ، واعتزم بالشدَّة حين لا يغني عنك إلا الشّدَّة.

(١) انظر السير ٤/ ٣٤، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤١.

(٢) في تاريخ الطبري ٥/ ٩٥: النصيحة، وهي الأشبه.

فخرج الأشتر من عند علي، فأتى رحلَه، وتهيّأ للخروج إلى مصر، وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر، فشقّ عليه، وعَظُم ذلك لديه، وقد كان طمع في مصر، وعلم أن الأشتر متى قَدِمها كان أشد عليه [من محمد بن أبي بكر].

فكتب معاوية إلى الخانسيار[١] ـ رجلٍ من أهل الخراج، وقيل: كان دِهقان القُلْزُم ـ يقول: إن الأشتر واصل إلى مصر قد وَليها، فإن أنت كفيتَني إياه لم آخذ منك خراجاً ما بَقيت، فاحتل لهلاكه بكلّ ما تقدر عليه.

فخرج الخانسيار حتى قدم القُلْزُم فأقام به، وخرج الأشتر من العراق يُريد مصر، فلما قدم القلزم استقبله الخانسيار وقال: انزل فأنا رجل من أهل الخراج، وقد أحضرتُ ما عندي، فنزل، فأتاه بطعامٍ وعلَف، وسقاه شَربة من عَسَل جعل فيها سُمًّا، فلما شربه مات.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن عليًّا بعث الأشتر إلى مصر، فاسألوا الله أن يَكفيكموه، فكانوا كلّ يوم يدعون على الأشتر.

وبعث الخانسيار إلى معاوية، فأخبره بهلاك الأشتر، فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه قد كانت لابن أبي طالب يدان يمينان، فقُطعت إحداهما يوم صفّين ـ يعني عمار بن ياسر ـ وقُطعت الأخرى الآن، يعني الأشتر.

وفي رواية: وإن معاوية قال: وإن لله جنوداً من عسل[٢].

وقال ابن سعد: ولاه علي عليه السلام مصر، فخرج إليها، فلما كان بالعَرِيش شرب شَربةَ عسلٍ فمات، قال: وروى عن خالد بن الوليد أنه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر[٣].

وقال ابن الكلبي عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ على طريق الحجاز، فقدم المدينة، فجاءه مولى لعثمان بن عفان يقال له: نافع، فأظهر له الوُدّ وقال: أنا مولى

(١) في الطبري: الجايستار.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ٩٥ـ٩٦ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٨٧ ، ومروج الذهب ٤/ ٤٢٢ـ٤٢٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٣٢ـ٣٣٣ .

عمر بن الخطاب، فأدناه الأشتر وقرَّبه، ووَثِقَ به، وولّاه أمرَه، فلم يزل معه إلى عين شمس، وتلقّاه أهل مصر بالهدايا، فسقاه نافع العسل فمات.

وذكر ابن سعد أنه سُمَّ بالعَرِيش، قال الصوري: صوابه بالقلزم[١].

وقد ذكر أبو تمام الأشتر في شعراء «الحماسة»[٢].

وفي الشعراء مَن لقبه الأشتر ثلاثة، هذا، والثاني الأشتر بن عامر، أحد بني عَوف من تَيْم الرِّباب[٣]، والثالث الأشتر الحَمامي الأزْديّ، من أزْد عُمان، من بني حَمامة.

وقال المدائني: ذكر الأشتر عند معاوية، فذمّه رجل، فقال له رجل من النَّخع: اسكت فإن حياتَه أذلَّتْ أهلَ الشام، وموتَه أذلَّ أهلَ العراق، فنظر إليه معاوية ولم يَقُلْ شيئاً.

واختلفوا في وفاته، فقال أبو سعيد بن يونس: مات مَسموماً سنة سبعٍ وثلاثين، وقال هشام: سنة ثمانٍ وثلاثين في رجب.

وقال أبو اليَقظان: كان قد ثَقُل على أمير المؤمنين أمرَه، وكان مُتَجَرِّئاً عليه مع شدَّة محبّته له.

وحكي عن عبد الله بن جعفر أنه قال: كان علي قد غضب على الأشتر، وقَلاه واستَثْقَلَه، فكلّمني أن أكلّمه فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، وَلِّه مصر، فإن ظفر وإلا استرحتَ منه، فوَلّاه، فلما بلغه موته قال: لليدين وللفم[٤]، قال عبد الله: وكانت عائشة قد دعت عليه فقالت: اللهمَّ ارمِهِ بسَهْم من سهامك.

وحكى أبو مخنف عن مولى الأشتر قال: لما مات الأشتر وجدوا في ثَقَله رسالة من أمير المؤمنين إلى أهل مصر.

انتهت ترجمة الأشتر والله أعلم.

وفيها توفي

---

(١) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤٦ و ٣١ (على الترتيب).

(٢) شرح ديوان الحماسة (٢٥) للمرزوقي.

(٣) في (خ) و(ع): اللات؟! والمثبت من المؤتلف والمختلف للآمدي ٣٢ .

(٤) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤٥ ، ٤٨ .

محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وكنيته أبو القاسم، وأمُّه أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيّة، وُلد عام حجَّةِ الوداع بذي الحُلَيْفَة، في عقب ذي القعدة، فأراد أبو بكر أن يَرُدَّ أسماء إلى المدينة، فسأل النبي ﷺ فقال: «مُرْها أن تَغتسلَ وتُهِلّ»، وقد ذكرناه، وكان في حِجر علي عليه السلام لما تزوَّج بأمّه أسماء، فتولّى تربيته، وذكرنا ما جرى لمحمد مع عثمان بن عفان، ولما سار علي إلى الجمل سار معه محمد، وكان على الرَّجَّالة، وشهد معه صفّين، وولّاه مصر بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة عنها[١]، وقد ذكرنا سبب عزل قيس بن سعد عن مصر، وأن أمير المؤمنين اتَّهمه بمعاوية، ثم بان له أنه ناصحٌ له.

ولما قدم قيس بن سعد مصر وأقام بها عَزله علي عليه السلام عنها بمحمد بن أبي بكر، فلما قدم محمد خلا به قيس وقال له: يا أبا القاسم، إنك قد جئتَ من عند أمير لا رأيَ له، وليس عَزلُه إيّاي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، وإني أدُلُّك على الذي كنتُ أكيد به معاوية وعمراً وأهل خَرِبْتا، فكايدْهم به، فإنك إن كايَدْتَهم بغيره تهلك.

ووصف له قيس بن سعد المُكايدة التي كان يكايدهم بها، فاستَغَشَّه محمد بن أبي بكر، وخالفه في كلّ شيءٍ أمره به، فسار إليه معاوية وعمرو بأهل الشام فافتتحا مصر، وقتلا محمداً[٢].

وقد ذكرنا أن الأشتر سار والياً عليها، وسُقي السّم، وأن أمير المؤمنين كتب إلى محمد بن أبي بكر يُشَجّعه، ويُقوّي عَزْمَه.

وقال أبو مخنف عن أشياخه: إن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان، فلما اختلف الناس بالعراق على أمير المؤمنين طمع معاوية في مصر، وكان أهل خَرِبْتا عثمانية، ومَن كان من الشيعة كان أكثر منهم، فكان معاوية يهاب مصر لأجل شيعة أمير المؤمنين، وكان قَصْدُ معاوية أن يستعين بفتوح مصر على

---

(١) التبيين ٣١٤ـ٣١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٩٤، والمنتظم ٥/ ١٤٩.

حَرْب أمير المؤمنين.

قال: فاستشار معاوية أصحابَه: عمرو بن العاص، وحَبيب بن مَسلمة، وبُسْر بن أبي أرطاة، والضّحّاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبا الأعور عَمرو بن سفيان السُّلَمي، وغيرهم، وهؤلاء كانوا بِطانتَه، فقال: هل تَدرون لماذا أدعوكم؟ قالوا: لا يَعلم الغيب إلا الله، فقال له عمرو: نعم، أهمَّك أمر مصر وخراجها الكثير، وعَدد أهلها، فدعوتنا لنُشير عليك فيها، فاعزم وانهض، فإن في افتتاحها عِزّك وعِزّ أصحابك، وكَبْتَ عدوِّك.

فقال له: يا ابن العاص إنما أهمَّك الذي كان بيننا، يعني أنه كان قد أعطاه مِصر طُعْمَةً لما صالحه على قتال أمير المؤمنين، وقال معاوية للقوم: ما ترون؟

قالوا: ما نرى إلا رأي عمرو، قال: فكيف أصنع؟! فقال عمرو: ابعث جيشاً كثيفاً، عليهم رجلٌ حازمٌ صارم، تثق به، فيأتي إلى مصر، فإنه سيأتيه مَن كان من أهلها على رأينا، فيظاهره على من بها من أعدائنا. فقال معاوية: أو غير هذا؟

قال: وما هو؟

قال: نُكاتب مَن بها من شيعتنا، نأمرهم [بالثبات] على أمرهم، ونُمنّيهم قُدومَنا عليهم، فتقوى قلوبُهم، ونعلم صديقَنا من عدوّنا، وإنك يا ابن العاص بُورك لك في العَجَلة، ولي في التُّؤَدَة.

قال عمرو: فاعمل برأيك، فو الله ما أرى أمرَكم إلا صائراً إلى الحرب.

قال: فكتب إليهم معاوية كتاباً يُثني عليهم ويقول: هنيئاً لكم بطلب دَم الخليفة المظلوم، وجهادكم أهلَ البغي، وقال في آخره: فاثبتوا فإن الجيش واصل إليكم، والسلام.

وبعث بالكتاب مع مَولىً يقال له: سُبَيع، فقدم مصر ومحمد بن أبي بكر أميرها يؤمئذٍ، فدفع الكتاب إلى مَسلمة بن مخلّد الأنصاري، وإلى مُعاوية بن حُدَيْج، فكتبا جوابه:

أما بعد: فعَجِّل علينا بخَيلك ورَجْلك، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين، فإن أتانا

المَدَد من قِبلك يَفتح الله علينا ... وذكر كلاماً طويلاً.

وكان مسلمة ومعاوية بن حُدَيج مقيمان في عشرة آلاف في خَرِبْتا، قد باينوا محمد ابن أبي بكر، ولم يُحسن تَدبيرَهم كما كان قيس بن سعد يفعل، فانتقضت عليه الأمور، وانخَرَمَت القواعد.

ولما وقف معاوية على جوابهما ـ وكان يومئذ بفلسطين ـ جَهّز عمرو بن العاص في ستة آلاف، وخرج معه معاوية يُودّعه، وأوصاه بما يفعل، وقال له: عليك بتقوى الله، وبالرّفق فإنه يُمْن، والعَجَلةُ من الشيطان، وأن تَقبل ممّن أقبل، وتعفو عمّن أدبرَ؛ فإن قَبل فبها ونِعمتْ، وإن أبى فإن السَّطْوَةَ بعد المَعْذِرة أقطع من الحجّة، وادعُ الناس إلى الصُّلح والجماعة، فإذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك أَبرَّ الناس عندك.

فسار عمرو، فلما دانى مصر اجتمعت العثمانيّة إليه، فكتب إلى محمد بن أبي بكر: أما بعد، فتَنَحّ عني بدمك، فإني لا أحبُّ أن يُصيبَك مني قُلامَة ظُفْر، والناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، فاخرج إني لك من الناصحين.

وجاءه كتاب معاوية يقول: يا محمد، إن البغي والظُّلم عظيم الوَبال، وسَفْكَ الدم الحرام من النّقمة في الدنيا والآخرة، وإنا لا نَعلم أحداً كان على عثمان أشدَّ منك؛ سعيتَ عليه مع السَّاعين، وسفكتَ دمَه مع السَّافكين، ثم أنت تظنُّ أني نائمٌ عنك أو ناسٍ لك فعلَك، حتى تأتي فتتأمّر على بلاد أنت فيها جاري، وجلُّ أهلها أنصاري، يَرون رأيي، ويَرقبون قولي، ويستصرخون عليك، وقد بعثتُ إليك قوماً حِناقاً، يستسقون بدمك، ويتقرّبون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهداً لَيُقاتلُنَّك، وذكر فعلَه بعثمان، وضربه بالمشاقِص، ثم قال في آخر الكتاب: ولن يُسْلِمَك الله من القِصاص أينما كنت، والسلام.

فطوى محمد الكتابَين، وبعث بهما إلى أمير المؤمنين، وكتب إليه: أما بعد، فإن ابن العاص قد نزل أداني مصر، واجتمع إليه مَن كان يرى رأيَه، وقد جاء بجيش جرّار، وقد رأيتُ ممَّن قِبَلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمِدَّني بالأموال والرجال، والسلام.

فكتب إليه علي عليه السلام: أما بعد، فقد قرأتُ كتابَك، وفهمت ما قلت، وإن

نزولَ ابن العاص بأداني مصر، وخروج مَن خرج إليه، فذلك خير لك من إقامتهم عندك، وذكرتَ أنك قد رأيتَ في بعض مَن قِبَلك فَشَلاً، فلا تفشل أنت، واضمُم إليك شيعتَك، واندُب إلى القوم كِنانة بن بِشر، المعروف بالنّصيحة والنّجدة والبأس، فإني نادِبٌ إليك الناس على الصَّعبِ والذَّلول، فاصبر لعدوِّك، وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيَّتِك، وجاهدهم محتسباً، وإن كانت فِئتُك أقلَّ الفئتين فإن الله يُعزُّ القليل، وقد يَخذل الكثير، وقد قرأت كتاب الفاجِرَين، والمتحابَّيْن على المعصية، والمتَّفِقَيْن على الضّلالة، والمتواطِئين على الفاحشة، الذين استمتعوا بخَلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، ولا يَهُلْك إبراقُهما وإرعادُهما، وأجبهما إن كنت مُجيبهما بما هما أهلُه، فإنك تجد مقالاً ما شئت، والسلام.

فكتب محمد إلى عمرو: أما بعد، فإنك يا ابن العاص زعمتَ أنك تكره أن يُصيبَني منك ظُفْر، وأشهد أنك من المُبْطِلين، وزعمتَ أنك لي من الناصحين، وإنك من الغاشّين.

وكتب إلى معاوية: أما بعد، فإني لا أعتذر إليك من أمر عثمان، وإنني أرجو أن تكون لي عليكم دائرة، فإن نُصرتم عليّ في الدنيا فلَعَمري كم ظالمٍ قد نَصرتُم، ومؤمنٍ قد قتلتم، والله المستعان على ما تصفون.

ثم قام خطيباً في الناس فقال: أما بعد، فإن القوم الذين ينتهكون الحُرْمَة، ويُشبّون نارَ الفتنة، قد نَصبوا لكم العدواة، وساروا إليكم بجيوشهم، فمَن أراد الجنة فلْيخرج إليهم، فليجُاهدهم في الله، انتدِبوا مع كنانة بن بشر.

فانتدب مع كنانة نحو من ألفَي رجل، وخرج محمد بن أبي بكر في ألفين، واستقبل عمرو بن العاص كِنانة وهو على مقدّمة محمد، ومحمد يُسَرِّح إلى كنانة الكتائب، فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حُدَيْج السَّكوني.

وفي رواية: فلما رأى عمرو كِنانة قد أقبل سَرَّح إليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة، وكنانة يهزمها، فاستنجد عمرو بمعاوية بن حُدَيْج السَّكوني، فسار في أصحابه وأهل الشام، فأحاطوا بكنانة، فلما رأى كِنانة ذلك ترجَّل عن فرسه، وترجَّل أصحابه، وقرأ كنانة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل

عمران: ١٤٥]، ثم أبلى بلاءً حسناً، وقتل من أهل الشام مَقتلة عظيمة، وقتلوه.

ولما رأى أصحاب محمد بن أبي بكر ذلك تفرَّقوا عنه، فنزل محمد عن فرسه، ومشى حتى انتهى إلى خَرِبة، فأوى إليها، وجاء عمرو فدخل الفُسطاط، وخرج معاوية ابن حُدَيْج في طلب محمد، فسأل قوماً من العُلوج ـ وكانوا على الطريق ـ فقال: هل رأيتم رجلاً من صِفته كذا وكذا؟ فقال واحد منهم: دخلتُ تلك الخَرِبة وإذا برجل جالس، فقال ابن حديج: هو وربِّ الكعبة، فدخلوا فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به نحو الفُسطاط.

ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في جُنده ـ فقال: أتقتل أخي صَبْراً؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حُدَيْج يأمره أن يأتيه بمحمد، فقال معاوية: أتقتل كنانة بن بِشر وأُخلّي أنا عن محمد، هيهات هيهات؟!

فقال محمد: اسقوني ماءً، فقال معاوية: لا سقاني الله إن سقيتُك قطرةً، إنكم منعتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائماً فتلقَّاه الله بالرَّحيق المختوم، والله لأقتلنَّك يا ابن أبي بكر، فليسقِك الله من الحميم، فقال له محمد: يا ابن اليهودية النسَّاجة، ليس ذلك إليك، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا.

فقال معاوية أتدري ما أصنع بك؟ أُدخِلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار. فقال محمد: إن فعلتم ذلك فطالما فعلتموه بأولياء الله، وإني لأرجو أن النار التي تُحرِقُني أن يَجعلَها الله عليّ بَرْداً وسلاماً، كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يَجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نُمروذ وأوليائه، يحرقك ووليّك معاوية وعمرو بن العاص بنارٍ تَلَظَّى كلّما خَبَتْ زدناهم سَعيراً.

فقال له معاوية بن حُدَيج: إنما أقتلُك بعثمان. فقال له: وما أنت وعثمان! إن عثمان عَمل بالجَوْرِ، ونَبَذ حُكم القرآن، فنَقم المسلمون عليه فقتلوه، وأغلظ له، فغضب ابن حُدَيج وقتله، ثم ألقاه في جِيفة حمار، ثم حَرقه بالنار.

وبلغ عائشة فجَزِعت عليه جَزَعاً شديداً، وقنتت في دُبُرِ كلِّ صلاة تدعو على معاوية ابن حُدَيْج وعَمرو، وقبضت عيالَ محمد إليها وولده، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها.

وهذه روايات أبي مِخنف[١].

واما الواقدي فإنه قال: حدثني سُويد بن عبد العزيز، عن ثابت، عن القاسم بن أبي عبد الرحمن: أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف، فيهم معاوية بن حُدَيْج، وأبو الأعور السُّلَمي، فالتقوا بالمُسَنَّاة، فاقتتلوا قتالا شديداً، ثم أقبل كِنانة بن بِشر بن عتَّاب التُّجِيبي فقاتل، وانهزم محمد بن أبي بكر فاختبأ عند جَبَلة بن مَسْروق، فدُلَّ عليه معاوية بن حُدَيج، فأحاط به، وخرج محمد فقاتل حتى قُتل.

قال الواقدي: وكانت وقعة المسنّاة في صفر سنة ثمان وثلاثين[٢].

قال الواقدي: وإنما وَلّى علي الأشتر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، والأول أشهر.

وذكر أبو سعيد بن يونس: أن معاوية بن حُدَيْج بعث إلى المدينة بمَولى له يُقال له: سليم؛ يُبَشّر بقَتْل محمد، ومعه قميص محمد، فدخل به دار عثمان، واجتمع إليه من آل عثمان نساء ورجال، وأظهروا السُّرور بمَقتله، وأمرت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بكَبْش فشُوي، ثم بعثت به إلى عائشة فقالت: هكذا شُوي أخوك، فلم تأكل عائشة شِواء حتى لَقيتْ الله تعالى.

قلت: وقد روى لنا هذه الواقعة غيرُ واحدٍ عن أبي الفضل محمد بن ناصر، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن مَنْده، عن أبيه عن أبي سعيد بن يونس الحافظ، عن أسامة بن أحمد التُّجيبي بإسناده، عن يزيد بن أبي حَبيب، وذكر القصة فقال: بعث مُعاوية بن حُدَيْج إلى المدينة بمَولى يُقال له: سليم، وذكره[٣].

واختلفوا في مقتل محمد بن أبي حُذيفة، فقال الواقدي: قُتِل في سنة ست وثلاثين، وقال هشام بن محمد الكلبي: إنما قُتل بعد مقتل محمد بن أبي بكر، ودخول عمرو بن العاص إلى الفُسطاط[٤]، وقد ذكرنا ذلك فيما تَقَدَّم.

ذكر وصول الخبر إلى أمير المؤمنين بمقتل محمد بن أبي بكر الصديق:

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٩٧ـ١٠٥ ، والمنتظم ٥/ ١٥٠ـ١٥١ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٠٥ .

(٣) المنتظم ٥/ ١٥١ـ١٥٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ١٠٥ـ١٠٦ .

روى هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن أشياخه قالوا: خطب علي عليه السلام الناس قبل مقتل محمد، لما وصل إليه كتابه يستصرخ به فقال:

أما بعد، فإن هذا صَريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النَّابغة عدوُّ الله، وعدوّ مَن والى الله، ووَليُّ مَن عاداه، فلا يكوننّ أهل الضلال والباطل أشدّ اجتماعاً منكم على ضلالهم وباطلهم، وأنتم على الحق، فاعجَلوا إليهم بالمواساة والنّصر، ألا وإن مصر أعظمُ خيراً من الشام، وأكثر جُنداً، فلا تُغْلَبوا عليها، فإن بقاءها في أيديكم عِزٌّ لكم، وكَبْتٌ لعدوِّكم، اخرجوا إلى الجَرَعة بين الكوفة والحِيرة، وافوني غداً هناك إن شاء الله تعالى.

فلما كان من الغد خرج يمشي، فنزلها بُكرةً، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يُوافِه منهم رجل، فرجع إلى القصر حزيناً كئيباً، وبعث بالعَشِيّ إلى أشرافهم، فدخلوا عليه فوَبَّخهم وعَنَّفهم وقال: إن الله ابتلاني بكم أيُّها القرية[1]، وبمَن لا يُطيع إذا أَمرتُ، ومَن لا يُجيب إذا دعوت، أوليس عَجَباً أن معاوية يَدعو الجُفاةَ الطُّغاة فيجيبونه إلى [أي] جهةٍ شاء، على غير عَطاء ولا مؤونة، وأنتم أهل النُّهى، وبَقيَّةُ الناس؛ أدعوكم فتعصونني وتخالفونني، وتختلفون علي.

فقال مالك بن كعب الهمْداني ثم الأرحبي: يا أمير المؤمنين، إنه لا عِطْرَ بعد عَروس، لمثل هذا اليوم كنتُ أدَّخِرُ نفسي، يا قوم، أجيبوا إمامكم، وانصروا دعوتَه، وقاتلوا عدوَّه، وأنا أسير إليها يا أمير المؤمنين.

فسار إلى مصرفي ألفين، فودَّعه علي عليه السلام وقال: والله ما إخالك تُدركه إلا وقد فات الأمر، فسار خمساً، فوصل الخبر بهلاك محمد وفتوح مصر، وقدم على أمير المؤمنين رجلان من عيونه؛ أحدهما الحجَّاج بن غَزيّة الأنصاري، كان مقيماً بمصر، وعبد الرحمن بن شَبيب الفَزاريّ، كان مقيماً عيناً له بالشام، فأما الأنصاري فحدّثه بمقتل محمد بن أبي بكر وما عاين، وأما الفزاري فقال: لم أخرج من الشام حتى قَدِمت البُشرى من قبل عمرو بن العاص بفتح مصر، ومقتل محمد، قال: يا أمير

(١) في الطبري ١٠٧/٥ : الفرقة.

المؤمنين، فما رأيتُ قوماً أسرّ، ولا أتمَّ سروراً من أهل الشام بهلاك محمد، فقال أمير المؤمنين: إن حُزننا عليه بقَدْر سُرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً، وحزن على محمد حتى رُئي ذلك في وجهه، وقال: ما حَزِنتُ على أحدٍ، أو ماجَزِعتُ على أحدٍ مثل جَزَعي على محمد، إنه كان لي رَبيباً، وكنتُ أعدّه وَلَداً، وكان بي بارّاً، فعند الله أحتسبه، فعلى مثله يُحزَن.

ثم خطب الناس فقال في خطبته: ألا إن مِصر قد افتتحها الفَجَرة الظَّلَمة؛ الذين صَدُّوا عن سبيل الله، وبَغَوا الإسلامَ عِوَجاً، ألا إن محمد بن أبي بكر قد استُشهد رحمة الله عليه، فعند الله نحتَسِبُه، أما والله لقد كان فيما علمتُ يَعمل للجزاء، ويُحبُّ هدى المؤمنين، وقد استَصْرَخْتكم مُعلناً، وناديتكم مُستغيثاً، فلم تسمعوا لي قولاً، ولم تُطيعوا لي أمراً، فأنتم القوم لا يُدرَك بكم الأثْآر، ولا تُجيبون إلى غَواث. وفي رواية: ولا ترفعون العار، ولا تدفعون الشَّنار، دعوتكم إلى نصر إخوانكم منذ خمسين ليلة، فجَرْجَرْتم جَرْجَرَةَ البعير الأشدق، وتثاقلتم تثاقُلَ مَن ليس له نيَّةٌ في الجهاد، ثم خرجتُ منكم بشِرْذِمَةٍ يسيرة، كأنما تُساقون إلى الموت، ثم قال: أفٍّ لكم، ونزل.

وقال أبو مخنف وغيره: وكتب علي عليه السلام إلى ابن عباس إلى البصرة يُخبره بهلاك محمد، وفتوح مصر، وأنه نَدب الناس إلى نُصرته فتثاقلوا عليه، ثم قال: أسأل الله أن يَجعل لي منهم فَرَجاً، وأن يُريْحَني منهم عاجلاً.

فكتب إليه ابن عباس: أسأل الله أن يُعِزَّك بالملائكة المقرَّبين، فإن الله مُعينُك وناصرُك، ومُجيبُ دعوتك، وكابتُ عدوِّك، يا أمير المؤمنين، إن الناس ربما تثاقلوا ثم نَشَطوا، فارفِق بهم، ثم استعن بالله عليهم، والسلام[١].

وذكر صاحب «العقد» أن معاوية بن حُدَيْج ضرب عُنق محمد بن أبي بكر، وبعث برأسه إلى معاوية، فكان أول رأسٍ طِيف به في الإسلام. وذكر في «العقد» أيضاً أن محمد بن جعفر بن أبي طالب كان بمصر مع محمد بن أبي بكر، فلما قُتل ابنُ أبي بكر لجأ محمد بن جعفر إلى أخواله من خَثْعَم؛ لأن أمَّه أسماء بنت عُميَس كانت خَثْعَمِيّة،

(١) الطبري ٥/ ١٠٦-١٠٩ ، ومروج الذهب ٤/ ٤٢١-٤٢٢ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٩٢ .

فقال معاوية بن حُدَيْج: لَتَأتِيَنّي به، فقال: لا والله، ابنُ أختنا لجأ إلينا، لا نُسلِمه أبداً. فقال له معاوية: إنك لأَوْرَه، أي: أحمق، فقال: أجل، إني لأوره حين أقاتل عن ابنِ عمِّك لأَحقِنَ دمَه، وآتيك بابن أختي لتَسفِكَ دمَه.

وفي رواية: إني لأوره حيث أُقدِّم بني عَمّي لتسفك دماءهم دونك، فسكت ابنُ حُدَيج، ولم يعرض لابن جعفر[١].

قلت: وقد وهم صاحب «العقد» فإن بني جعفر لم يفارقوا أمير المؤمنين، ولم يذهب أحد منهم إلى مصر.

وذكر ابن سعد بمعناه فقال[٢]: كان الحسن لا يُسمّيه باسمه، إنما كان يُسمّيه الفاسق، قال: فأُخذ الفاسق ابنُ أبي بكر، فجُعِل في جوف حمار، ثم أُحرق عليه.

وقال الواقدي: كان محمد بن أبي بكر يُدْعى عابدَ قريش لزُهده ونُسكه، حتى بدا منه في حقِّ عثمان ما بدا، وكان الحسن البصري يُسمّيه الفاسق، فيقول: قال الفاسق وفعل الفاسق.

وقال جدي رحمه الله في كتاب «الصفوة» و«التَّلقيح» في أولاد أبي بكر: كان محمد من نُسَّاك قريش، إلا أنه كان ممَّن أعان على عثمان يومَ الدّار[٣].

قلت: ومحمد بن أبي بكر جدُّ جدي رحمه الله، وسنذكر نسبه في ترجمة جدِّي إن شاء الله تعالى.

ذكر أولاد محمد بن أبي بكر: قال علماء السير: كان له من الولد: القاسم وعبد الله، فأما القاسم فسنذكره في سنة ثمان ومئة، وأما عبد الله بن محمد فقال الموفق[٤] رحمه الله: روى عبد الله عن عائشة.

وقد ذكرنا أن محمداً تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، ولم تلد من محمد

---

(١) العقد الفريد ١/ ١٣٦ـ١٣٧ ، وذكره ابن قدامة في التبيين ١١٩ـ١٢٠ .

(٢) كذا، وهذا من دلائل الاختصار، فلم يسبق خبر بمعنى ما نقل عن ابن سعد، والخبر التالي في الطبقات ٣/ ٧٨ـ٧٩ .

(٣) صفة الصفوة ١/ ٢٣٨ ، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٠٦ .

(٤) في التبيين ٣١٦ .

لأنها كانت قد أسنّت، وقُتل عنها جماعة آخرهم محمد فرثته وقالت:

إن تَـقـتـلـوا وتُـمَـثّـلـوا بـمـحـمّـدٍ فما كان من أهل النساءِ ولا الخَمْرِ[(١)]

وسنذكر عاتكة في سنة إحدى وأربعين.

وفيها توفي

مَعقِل بن قيس الرِّياحي الكوفي

وكان من أصحاب أمير المؤمنين، وهو الذي بعثه إلى الخارجي النَّاجي[(٢)] وبني ناجية، وكان صاحب شرطة أمير المؤمنين، وشهد الجمل أميراً على بني أسد، وبعثه عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب بفتح تُسْتَر، وبعثه أمير المؤمنين في عدة أماكن.

وقال أبو عبيدة مَعْمَر: خرج المُسْتَورد بن عَلْقمة[(٣)]، فلقيه مَعْقِل بن قيس، فقتل كلّ واحدٍ منهما صاحبَه مَبارزة.

قال الواقدي: مات سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وقيل: بعد الأربعين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) انظر التبيين ٤٢٩.

(٢) في هامش (خ) حاشية: وهو الخريت بن راشد، قتله وأسر من بني ناجية خمس مئة ... إلخ، وسلفت قصته قريباً.

(٣) كذا هنا، وفي تاريخ دمشق ١٧/ ١٦ (مخطوط) وعنه ينقل، وصوابه: المستورد بن عُلَّفَةَ كما عند الطبري ٥/ ١٨١، وكما ضبطه الأمير في الإكمال ٦/ ٢٥٩، وانظر المؤتلف للدارقطني ٣/ ١٤٦٨ و١٦٣٨، واللباب ٢/ ٣٥٢، وتوضيح المشتبه ٦/ ٣٢٨.

السنة التاسعة والثلاثون

قال علماء السير ممَّن سمَّينا: وفيها فرَّق معاوية جُيوشه نحو العراق، فبعث النعمان بن بَشير في ألفَيْ رجل إلى عين التَّمر، وبها مالك بن كعب مَسْلَحةً لأمير المؤمنين في ألف رجل، [فأذن لهم علي، فأتى] منهم تسع مئة إلى الكوفة، ولم يَبق مع مالك سوى مئة رجل، فكتب مالك إلى علي يُخبره، فصَعِد المنبر، وأمرهم بالنُّهوض فتثاقلوا، فقال:

يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمَنْسِر من مَناسِر أهل الشام قد أظَلّكم؛ انحَجَر كلُّ امرئ منكم في بيته وأغلق عليه بابَه، المغرور والله مَن غَرَرْتموه، ومَن فاز بكم فاز بالسهم الأخْيَب، لا أحرارٌ عند اللقاء، ولا إخوانُ ثِقةٍ عند النَّجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا مُنيتُ به منكم، عُميٌ لا تُبصرون، وبُكْمٌ لا تنطِقون، وصُمٌّ لا تَسمعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم نزل.

وأما مالك بن كعب فإنه لما دَهَمه النعمان خرج في المئة رجل الذين بقوا عنده، قد كسروا جُفون سيوفهم واستقتلوا، فلما رآهم أهل الشام قد فعلوا ذلك ظنوا أنهم مَدَد[1]، فولَّوا على أدبارهم، وتبعهم مالك فقتل منهم نفراً، وكتب إلى أمير المؤمنين بالفتح.

وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف فارس، وأمره أن يأتي هِيت والأنبار والمدائن فيغير عليها، وكان بهِيت أشرس بن حسان البَلَوي، وقد تفرَّق عنه أصحابه، ولم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، فخرج إليهم فاقتتلوا، وثبت أشرس، وقاتلهم قتالا شديداً، فقتلوه وأصحابه، ثم نهبوا أموال أهل هِيت والأنبار، ورجعوا إلى الشام.

وبلغ الخبر أمير المؤمنين، فخرج في آثارهم، فمنعه أهل الكوفة وقالوا: نحن

(١) كذا، وفي العبارة سقط، يستدرك من الطبري ٥/ ١٣٣ ، والمنتظم ٥/ ١٥٧ وهو أن مالك بن كعب كتب إلى مخنف بن سليم أن يمده، وهو قريب منه، فوجه إليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وأصحابه وقد كسروا جفون سيوفهم...

نكفيك، فقال: ما تكفونني؛ ونزل بالنُّخيلة، فجهَّز في آثارهم قيس بن سعد، ففاتوه[١].

وفيها بعث معاوية عبد الله بن مَسْعَدَة الفَزاريّ في ألف وسبع مئة رجل إلى تَيْماء، وأمره أن يُصدِّق مَن مرّ به من أهل البوادي، وأن يَقتل من امتنع من أداء صَدَقَةِ ماله، ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز.

فسار الفَزاريّ في جَمعٍ كثير من قومه، وبلغ أمير المؤمنين، فبعث المسيَّب بن نَجَبَة الفَزاريّ في ألفَيْ رجل، فأدرك ابنَ مَسْعَدة بتَيْماء حين زالت الشمس، واقتتلوا قِتالاً شديداً، وحمل المسيَّب على ابن مَسْعدة، فضربه ثلاث ضَربات على رأسه، كلّ ذلك ولا يلتمس قَتْلَه ويقول له: النَّجاء النجاء، فدخل ابن مسعدة وعامة مَن معه حِصن تَيْماء، وهرب الباقون إلى معاوية، وانتهب الأعراب إبلَ الصَّدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره المسيّب ومَن معه ثلاثة أيام، ثم ألقى الحَطَب على الباب، وألهب فيه النار، فاحترق الباب، وأيقنوا بالهلاك، فأشرف ابن مسعدة ومَن معه فقالوا: يا مُسيّب، قومك. فرَقَّ لهم، وكره هلاكَهم، فأمر بالنار فأُطفِئت، وقال المسيب لأصحابه: قد أخبروني عيوني بأن جنداً قد فصل إليكم من الشام، فانضموا في مكان واحد، ففعلوا، فلما جاء الليل خرج ابن مَسعدة وأصحابُه نحو الشام، فقال عبد الرحمن بن شَبِيب للمسيب: سِرْ في طَلَبهم، فأبى عليه، فقال: غَشَشْتَ أمير المؤمنين.

وفيها بعث معاوية الضَّحّاك بن قيس في ثلاثة آلاف نحو واقِصة، وأمره بالغارة على مَن هو في طاعة أمير المؤمنين من الأعراب، فسار يَقتل ويَأخذ الأموال، ومر بالثَّعْلبية، وانتهى في غارته إلى القُطْقُطانَة، وأتى الضَّحّاك على عمرو بن عُمَيْس بن مسعود وهو في خيل لأمير المؤمنين، وأمامه أهله يريدون الحج، فأغار الضحاك عليهم، ومنعهم من الحجَّ، وبلغ أمير المؤمنين، فسرَّح حُجْر بنَ عَديّ الكِنديّ في أربعة آلاف، فسار خلف الضحاك، فلحقه بتَدمُر، فقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحال بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حُجر بمَن معه سالماً غانماً.

وقال ابن سعد عن الواقدي، حدثني ابن جريج، عن ابن أبي مُلَكية قال: وفي سنة تسع

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٣٤، وأنساب الأشراف ٢/ ٣١٩-٣٢٠، والمنتظم ٥/ ١٥٧-١٥٨.

وثلاثين سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نَكَص راجعاً، وذكره أبو معشر أيضاً[١].

وقد ذكرنا أن أمير المؤمنين وَجّه زياداً إلى فارس فيما تقدّم، بعد حريق ابن الحَضْرَمي لما اختلف الناس على علي عليه السلام، وأخرجوا عُمَّاله.

وقال عمر بن شَبَّة: إنما كان ذلك في سنة تسع وثلاثين لما امتنع أهل فارس من الخراج، فاستشار علي مَن يُولّيه، فقال له جارية بن قُدامة: ألا أدُلُّك على رجلٍ صَليبِ الرَّأي، عالم بالسياسة، كافٍ لما وَلي؟ قال: مَن هو؟ قال: زياد بن أبيه، فقال: هو لها، فسار في أربعة آلاف إلى فارس وكَرْمان، فدوَّخ تلك البلاد فاستقاموا.

وقال الشعبي: إن الذي أشار بتولية زياد عبد الله بن عباس، وكان زياد مُقيماً بالبصرة، وكان ابن عباس قد قدم على أمير المؤمنين الكوفة، فاستشاره فأشار عليه بزياد، فقال له علي: إذا وصلتَ البصرة فوَلِّه، فولّاه، وقد أشرنا إليه فيما تقدّم.

قال عمر بن شَبَّه، عن أشياخه: دخل زياد بلاد فارس وهي تضطرم ناراً، فلم يزل بهم بالمُداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة، لم يقف موقفاً واحداً للحرب، وكان أهل فارس يقولون: ما رأينا سيرةً أشبهَ بسيرة كِسرى أنو شِروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة، والعلم بما يأتي.

قال: ولما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها، فوَعد مَن نصره ومَنَّاه، وخوّف قوماً وتوعَّدهم، وضرب بعضَهم ببعض، ودلَّ بعضَهم على عَورة بعض، فدانت له البلاد، وأتى إلى إصطَخْر فنزل بها، وحصَّن بها قلعة زياد، وحمل إليها الأموال، ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليَشْكُري، وهي اليوم تُسمّى قلعةَ منصور.

واختلفوا فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال قوم: عبد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شَجَرة الرُّهاوي ليَحجّ بالناس، فتنازعا، ثم اصطلحا على شَيبة بن عُثمان الحَجَبي، فصَلّى بالناس، ووقف بهم.

وقال هشام والواقدي: لم يشهد عبد الله بن عباس في أيام علي عليه السلام الموسم، ولاحجّ بالناس.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٣٥ـ١٣٦ .

وقال الواقدي: بعث علي عليه السلام في سنة تسع وثلاثين عُبيد الله بن العباس، وبعث معاوية يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ، فتنازعا وهمَّا أن يَقتتلا، فدخل بينهما الناس، فاصطلحا على شَيبة بن عثمان بن أبي طلحة.

وقال الهيثم: بعث علي عليه السلام قُثَم بن العباس على الموسم في سنة تسع وثلاثين، فنازعه يزيد بن شَجَرة الرهاوي، وأبى كلّ واحدٍ منهما أن يُسلِم الأمرَ إلى الآخر، وخاف الناس الفَوات، فرضي أهل مكة بشَيبة بن عثمان، فأقام لهم الحج.

وكان عمال أمير المؤمنين في هذه السنة على الأمصار بحالهم كما كانوا في السنة الماضية[١].

وفيها توفي

سعد القَرَظ

مولى عمار بن ياسر، والقَرَظُ وَرَق السَّلَم، وإنما نُسب إليه لأنه كان يَجنيه ويبيعه للدِّباغ.

وكان سعد يؤذن على عهد رسول الله ﷺ بقُباء، ثم أذَّن على عهد أبي بكر وعمر، وأنزله عمر داراً بالمدينة، وتوارث الأذانَ بعده أولادُه، وكان يَحمل العَنَزة بين يدي أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي في الأعياد، وكان أولادُه يُرجّعون في الأذان، وهو اليوم بمكة على ذلك، وهو مذهب الشافعي وأهل الحجاز، وأما أهل المدينة والشام والعراق فلا يُرَجّعون، وهو مذهب أبي حَنيفة ومالك وأحمد[٢]، وقد بيّناه فيما تقدم.

وذكره جدي في «التّلقيح» فقال: سعد القَرَظ بن عائذ الأنصاري، مولى عمار بن ياسر، له صحبة ورواية، وليس في الصحابة مَن اسمه سعد بن عائذ غيرُه[٣].

---

(١) انظر الطبري ٥/ ١٣٦ـ١٣٨، والمنتظم ٥/ ١٥٩ـ١٦٠.

(٢) انظر المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٣/ ٦٤، والمغني ٢/ ٥٦، ومغني المحتاج ١/ ١٣٦، وحاشية ابن عابدين ١/ ٣٨٦.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٨، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٦، والمعارف ٢٥٨، والاستيعاب (٩٤٠)، والمنتظم ٥/ ١٦٠ـ١٦١.

السنة الأربعون

قال علماء السير: وفيها بعث معاوية بُسْر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فقَدم المدينة، وعامِلُ أمير المؤمنين عليها يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففرَّ منهم أبو أيوب إلى الكوفة، فلحق بأمير المؤمنين، ودخل بُسْر المدينة، فصَعِد مِنبرَها ـ ولم يقاتله أحد ـ فقال:

يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إليّ أمير المؤمنين معاوية ما تركتُ بها أحداً ـ أو مُحتَلماً ـ إلا قتلتُه، بايعوا لمعاوية. فبايعوه.

وهدم دوراً كثيرة، وأخاف أهلَها، وأرسل إلى بني سلمة فقال: ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، وبلغ جابر فجاء إلى أم سلمة فقال لها: ماذا تَرين فقد خشيتُ أن أُقتل، وهذه بيعة ضلالة؟ فقالت له: أرى أن تبايع، فإني قد أمرتُ ابني عمر ابن أبي سَلَمة أن يُبايع، وأمرت خَتَني عبد الله بن زَمْعة ـ وكانت ابنتها من أبي سلمة عند عبد الله بن زَمعة ـ أن يبايع، فأتاه جابر فبايعه.

ثم مضى بُسْر إلى مكة، فخافه أبو موسى أن يقتله فقال بُسْر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك، فخلى سبيلَه.

ثم مضى بُسْر إلى اليمن، وعليها عُبيد الله بن عباس عامِلٌ لعلي عليه السلام، فخرج عبيد الله فارًّا إلى الكوفة، واستخلف على اليمن عبد الله بن عَبد المَدان الحارثي، فقتله بُسْر، ولقي في طريقه ابنَين صغيرَين لعبيد الله بن العباس، اسم أحدهما عبد الرحمن، والآخر قُثَم، وأمُّهما جُوَيْرِية بنت قارض كِنانيّة، وكان عبيد الله قد أودعهما عند رجل من بني كنانة لصغرهما، فقُتل الكناني دونهما.

وفي صفة قتله قولان: أحدهما أن بُسْراً أخذهما من عند الكناني، فقال له: عَلامَ تقتل هذين الغلامين ولا ذنب لهما؟! فإن كنت قاتلهما فاقتلني قبلهما، فبدأ بالكناني فقتله، ثم قتل الغلامين. والثاني أنه طلب من الكناني الغلامَين، فخرج الرجل وبيده سيفٌ مَسلول وهو يقول: [من الرجز]

اللّيثُ [مَن] يمنع حافات الدَّارْ
ولا يَزال مُصلِتاً دون الجار
ألا فتًى أروع غير غدَّارْ

فقال له بسْر: ما أردنا قتلَك، فلِمَ عرَّضتَ نفسك للقتل؟ قال: أُقتل دون جاري، فعسى أُعذَر عند الله، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل، ثم أحضر بُسْر الغلامين فذبحهما بمَحضرٍ من أمِّهما، فصِحن نساء بني كنانة، ووَلْوَلْن وقُلْن: لعنك الله يا بُسر ومَن بعثك، إن سُلطاناً لا يقوم إلا بذبح الغلمان لسُلطان سوء، لقد نُزعت منك الرحمة، وعَمّت المصيبة.

ويقال: إن أُمَّهما عائشة بنت عبد الله بن [عبد] المَدان. ولما ذبح بُسْر ولديها في الحال خُولطت، فهامت على وجهها، وكانت تَنشُدهما في الموسم وتقول: [من البسيط]

ها مَن أحسَّ بابنيَّ اللذَين هما … كالدُّرَّتين تجلّى عنهما الصَّدَفُ
ها مَن أحسّ بابنيّ اللذَين هما … سَمعي وقلبي فقلبي اليومَ مُختَطَفُ
مَن ذا لوالِهةٍ حَرّى مُفجَّعةٍ … على صَبيّين ضَلّا إذ غدا التَّلَفُ

ذكر ترجمة بُسْر

قال ابن عبد البر: كان من الطُّغاة[1].

ومَن قال: بُسْر بن أرطاة فقد وهم، وإنما هو بُسْر بن أبي أرطاة، واسم أبي أرطاة عمير بن [عويمر بن] عمران، أو ابن عمرو، وكذا قال الطبري[2]: ابن أبي أرطاة، قال: وهو من بني عامر بن لؤي.

واختلفوا هل له صُحبة أم لا؟ قال مسلم: له صحبة، وقال جدّي في «التلقيح» له رواية، وذكره فيمن له رواية، قال: وهو بسْر بن أبي أرطاة، واسم أبيه: عُمير بن عَمرو، وكنيته أبو عبد الرحمن[3] القرشي، قال: ذكر ابن عدي في كتاب «الكامل» عن

(١) الاستيعاب (٢٠٤).
(٢) في تاريخه ١٣٨/٥ .
(٣) في (خ) و(ع): عبد الله، وهو خطأ.

يحيى بن معين قال: أهل المدينة يُنكرون أن يكون بُسر سمع من رسول الله ﷺ، وأهل الشام يَروون عنه، عن رسول الله ﷺ[(١)].

وذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله وقال: له رواية، ونسبه فقال: هو بُسْر بن أرطاة [بن أبي أرطاة] بن عويمر بن عمران بن الحُلَيْس، ونسبه إلى عامر بن لؤي، قال: وقال الواقدي: لم يسمع من رسول الله ﷺ لصِغره، وكان من الشُّجعان، إلا أنه غيرُ مرضيٍّ في دينه، وابتُلي في الفتنة، فكان فيها رأساً، ومات في أيام معاوية. هذا كلام الموفق[(٢)].

وأما ابن سعد فذكره فيمن مات رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان فقال: بُسْر بن أبي أرطاة، واسم أبي أرطاة عُمَيْر بن عُوَيمر بن عمران بن الحُلَيْس بن سَيَّار بن نزار بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، وأُمُّه زينب بنت الأبرص بن الحُلَيْس بن سيّار، هذا المذكور.

قال: وقال محمد بن عمر: قُبض رسول الله ﷺ وبُسْر صغير، ولم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً، وتحوَّل فنزل الشام.

قال ابن سعد: وفي غير رواية محمد بن عمر أنه سمع من النبي ﷺ، وأدركه، وروى عنه.

قال ابن سعد بإسناده عن عطاء بن أبي مروان قال: بعث معاوية بُسْر بن أبي أرطاة إلى المدينة ومكة واليمن يستعرض الناس، فيقتل مَن كان في طاعة علي عليه السلام، فأقام بالمدينة شهراً، ليس يقال له في أحد: إن هذا ممَّن أعان على عثمان إلا قتَلَه، وقتل قوماً من بني كعب على ماءٍ لهم فيما بين مكة والمدينة، وألقاهم في البئر، ومضى إلى اليمن، وقتل ابنَيْ عُبيد الله بن العباس: عبد الرحمن وقُثَماً، وقتل عَمرو بنَ أمِّ أراكَةَ الثّقفي، وقتل أكثر من مئتين، قال: وعاش بُسْر إلى أيام عبد الملك بن مروان، إلا أن الواقدي قال فيما حكاه عنه ابن سعد أنه قتل هؤلاء كلهم بعد ما قُتل علي عليه السلام[(٣)].

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٦٧ ، وانظر الكامل لابن عدي ٢/ ٤٣٨ ، وميزان الاعتدال (١١١٠).

(٢) في التبيين ٤٩١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣٩ و٩/ ٤١٢ .

وقال هشام: أغار بُسر في طريقة على الأحياء؛ فقتل النساء، وذبح الأطفال في المهود، وفتك في الإسلام.

وذكره أبو القاسم بن عساكر فقال: قال يحيى بن معين: كان رجل سوء خبيثاً، لا تصحُّ له صُحبة(١).

وقال الواقدي: أغار في هذه الخَرْجَة على نساء من همْدان مُسلِمات، فكُنّ أوَّلَ نساءٍ سُبين في الإسلام.

وقال ابن عبد البر: وهو الذي بارز أميرَ المؤمنين يومَ صفين، وضربه أمير المؤمنين على رأسه، فسقط وبدت عورتُه، كما فَعل بعمرو بن العاص، فقال الحارث بن النَّضْر السَّهْميّ: [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ فارسٌ ليس يَنتهي ... وعورتُه تحت العَجاجَةِ بادِيَهْ
فكفَّ لها عنه عليٌّ سِنانَه ... ويَضحك منها في الخَلاء معاوِيَهْ
فقولا لعمرٍو ثم بُسْرٍ ألا انظُرا ... سَبيلَكما لا تَلقيا اللّيثَ ثانيهْ
وكونا بعيداً حيث لا تَبلُغ القَنا ... نُحورَكما إن التَّجاربَ كافيَهْ(٢)

وقال الهيثم: لم يكن في بني عامر بن لؤي أخبث من بُسْر، ولا أسوأ منه، وكان على رجَّالة معاوية يوم صفّين، ووُلد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، ما رأى رسول الله ﷺ ولا سمع منه، ووُلد مروان بن الحكم معه في تلك السنة، وخرف بعد قَتْل الغُلامَيْن، وكان كلما التقى أحداً يقول: أين شيخي عثمان، وعملوا له سيفاً من خشب فكان يَسُلُّه، وله بمصر دار وحَمّام، ومات في أيام معاوية.

وقال ابن سعد: مات في خلافة عبد الملك بن مروان(٣).

وقال أبو القاسم بن عساكر: كانت داره بدمشق عند درب الشَّعَّارِين، وكانت له آثار غير محمودة(٤)، وحكى عن واهب بن عبد الله المعَافِريّ قال: قدِمتُ المدينة، فأتيتُ

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٣٠١ (مخطوط).
(٢) الاستيعاب (٢٠٤).
(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٤٠ و٩/ ٤١٢ .
(٤) نقله عنه المزي في تهذيبه (٦٥٤) ، وسقط من مخطوط التاريخ ٣/ ٢٩٤ .

منزلَ زينب بنت فاطمة بنت علي بن أبي طالب لأُسَلّم عليها، وإذا بها جالسة مُسْفِرة، وعندها جماعة عظيمة، فقلت: سبحان الله، قَدرُك قَدرُك، وأنت تنجلين(١) للناس مُسْفِرة؟! فقالت: لي قصة:

لما كان أيام الحَرَّة، ودخل أهل الشام المدينة، وفعلوا ما فعلوا، وكان لي ابنٌ قد ناهز الاحتلام، فلم أشعُرْ به إلا وقد دخل عليَّ يَسعى، وبُسْر بن أرطاة خلفَه يسعى، فألقى الغلام نفسَه عليَّ، وبكى بكاء شديداً فلق كَبِده، فقال بُسْر: ادفعيه إليَّ فأنا خيرٌ له، فقلت له: اذهب مع عمّك، فقال: لا والله فإنه قاتلي، فلم أزل أُسكِّنه وبسر يقول: ادفعيه إلي فهو خيرٌ له، فدفعتُه إليه، فخرج والسيف بين ثياب بُسر، فقال للغلام: امشِ بين يديّ، فمشى بين يديه، فشهر السَّيف وضربه حتى بَرَد، وجاء إلي الصَّريخ، فخرجتُ حاسِرةً، فألقيتُ نفسي على ابني، وآليت على نفسي منذ ذلك اليوم أن لا أستَتر من أحدٍ، لأن بُسراً أولُ مَن هتك ستري، وأخرجني للناس، والله حَسِيبُه.

وقال الحافظ ابن عساكر: ما زال سُدَيْف الشاعر يَتَتَبَّع أولاد بُسْر بن أرطاة حتى ذَبح له غُلامين بالساحل، عوض ابني عبيد الله بن عباس(٢)، وسنذكر سُدَيْفاً في سنة خمس وأربعين ومئة، قتله أبو جعفر المنصور، وقتل بُسْر في مَسيره ذلك خَلْقاً من شيعة علي عليه السلام.

وليس في الصحابة مَن اسمه بُسْر بن أبي أرطاة إن صحَّ له صُحبة غيره، فأما غير ابن أبي أرطاة فأربعة نفر، وقيل: خمساً؛ أحدهم بُسْر بن جحاش القرشي، والثاني بُسْر بن راعي العير، وقيل: بشر بشين معجمة، والثالث بُسْر بن سفيان الكَعْبيّ، والرابع بُسْر المازني أبو عبد الله، ويقال: بسر بن أبي بُسْر، والخامس بُسْر بن البراء(٣).

والسين في جميع هذه الأسامي مُهملة، وكلُّهم له رواية إلا صاحب هذه الترجمة،

(١) في تاريخ دمشق ٣/ ٣٠٠، وتهذيب الكمال: تجلسين.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٧١ (مخطوط).

(٣) كذا، وقد اتفق مترجمو بشر بن البراء بن معرور على أنه بشين معجمة، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢٨، والاستيعاب (١٧١)، والتلقيح ١٦٧ (وعنه ينقل)، والسير ١/ ٢٦٩، والاستبصار ١٤٣، والإصابة ١/ ٢٤٧.

وقد ذكرنا الخلاف فيه.

فأما بُسْر بن سفيان، وبُسْر بن أبي بُسْر فليس لهذين رواية.

قلت: وقد أخرج أحمد في «المسند»[١] لبُسْر بن أرطاة حديثَين، فقال أحمد بإسناده عن جُنادة بن أبي أمية: أنه قال على المنبر برُوْدِس حين جلد الرَّجلَين اللذين سرقا غنائم الناس: إنه لا يمنعني من قَطعهما إلا أن بُسر بن أرطاة وَجَد رجلاً قد سرق من المَغْنَم، أو في الغزو، يُقال له: مِصْدَر، فجلده ولم يقطع يدَه، وقال: نهانا رسول الله ﷺ عن القَطْعِ في الغزو.

وقال جدي رحمه الله: في إسناده ابنُ لَهِيعة، وابن لهيعة ذاهبُ الحديث[٢].

رجع الحديث إلى الأول، قال علماء السير: ولما بلغ أمير المؤمنين فِعل بُسْر بالغلامين بكى بكاء شديداً، وأرسل جارية بن قُدامة في ألفَين، ووَهْب بن مسعود في ألفين، فسار جارية بن قدامة حتى أتى نَجْران، فقتل بها جماعة من العُثمانية؛ ممّن ساعد بُسْراً على الفساد، وهرب بُسْر وأصحابه، وجاريةُ خلفَه، حتى أتى مكة والمدينة، وأبو هريرة يُصلّي بالناس في المدينة، فطلبه جارية فهرب منه، فقال: لو أدركتُ أبا سِنَّوْر لضربتُ عُنُقه.

ثم سار نحو أطراف الشام، فلقي جماعة من أصحاب بُسْر، فجمعهم وأحرقهم، ثم عاد إلى الكوفة.

ويقال: إن أمير المؤمنين استُشهد في غَيبة جارية؛ لأن أبا مخنف روى: أن جارية لما عاد من اليمن إلى مكة قال لأهلها: بايِعوا، قالوا: لمن نُبايع، قد هلك أمير المؤمنين؟ قال: بايعوا للحسن، فبايعوهم وأهل المدينة.

وفيها جرت مُهادنة بين أمير المؤمنين ومعاوية؛ بعد مكاتبات جرت بينهما على أن يكون لأمير المؤمنين العراق، ولمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما في عمل الآخر بجيش ولا غارة ولا غزو.

---

(١) برقم (١٧٦٢٦).

(٢) في التحقيق ٢/ ٣٣٣: ابن لهيعة وإسماعيل بن عياش ضعيفان.

قال ابن[١] إسحاق: ولما لم يُعْطِ أحد الفريقَين لصاحبه الطاعة كتب معاوية إلى أمير المؤمنين: أما إذا أبيت فلك العراق ولي الشام، وتكُفُّ السيفَ عن دماء هذه الأمة، فأجابه أمير المؤمنين لما رأى من أهل الكوفة من النّفاق، وأنهم خذلوه، وتراضيا على ذلك، وأقام أمير المؤمنين بالعراق يَجبيها، ويقسم أموالها في الناس، ومعاوية يَجبي الشام وما حولها.

وفيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة، وروى هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: كان أبو الأسود الدّيليّ مقيماً بالبصرة؛ يطالع علياً عليه السلام بما يبدو فيها من العمال، وعلم به عبد الله بن عباس.

قال أبو مخْنَف وغيره: فمرّ ابن عباس يوماً على أبي الأسود فقال له: لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنت راعياً لما بلغتَ به المرعى، ولا أحسنتَ مهنته.

فكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام: أما بعد، فإن الله جعلك والياً مؤتَمناً، وراعياً مُستولياً، وقد بلوناك فوجدْناك عظيمَ الأمانة، ناصحاً للرَّعية، ترفدهم وتظلف[٢] نفسَك عن دُنْياهم، وإن ابنَ عمِّك هذا قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، فلم يَسَعْني كتمانُك ذلك، فانظر يرحمك الله فيما هنالك والسلام.

فكتب إليه علي: أما بعد، فإن مثلَك مَن يَنصح الإمام والأمة، فلا تَدَعْ إعلامي بما يكون مما فيه صلاح الأمة، فإنه واجب عليك والسلام.

وكتب علي إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فإن الذي بلَغَك باطل، وإني لما تحت يدي ضابط، وله حافظ، فلا تصدِّق الظنين، والسلام.

فكتب إليه علي: أخبرني بالذي جَبيت من الخراج والجزية، وفي أيِّ شيء وضعتَه؟ فكتب إليه ابن عباس: ابعث إلى عملك مَن أحببتَ، فإني ظاعن والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخوالَه من بني هلال بن عامر، فجاءه الضحاك بن عُبيد الله[٣]،

---

(١) في الطبري ٥/ ١٤٠ : قال زياد بن عبد الله، عن أبي إسحاق.

(٢) في (خ) و(ع): وتلطف، والمثبت من الطبري ٥/ ١٤١ ، وتظلف: تكف وتمنع.

(٣) في الطبري ٥/ ١٤٢ ، وأنساب الأشراف ٢/ ١٢٦ ، والعقد الفريد ٤/ ٣٥٦ : الضحاك بن عبد الله.

وعبد الله بن رَزين، وجماعة من قيس فأخذ ما كان في بيت المال.

واختلفوا في مبلغه، فقال هشام: أربع مئة ألف درهم، وقيل: سبع مئة ألف، وقال البلاذري: ألف ألف درهم،

وتبعتهم بكر والبطون إلى الطّفوف، فاقتتلوا وكَثُرت الجِراحات في الفريقين، ثم رأوا البقيا بعضهم على بعض فكفوا عنه، وأفلت ابن عباس في عشرين رجلا بالمال إلى مكة، وبلغ علياً عليه السلام فأرسل وراءه الخيل ففاتهم.

وفي رواية: فكتب أمير المؤمنين إلى ابن عباس: أما بعد، فإني أشركتُك في أمانتي، ولم يكن أحدٌ من أهل بيتي أوثقَ في نفسي منك؛ لمؤازرتي وأداء الأمانة إلي، فلما رأيتَ الزمانَ لابن عمك قد حَرِب، والعدوّ عليه قد كَلِب، وأمانة الناس قد خَرِبت، والأمة قد افتُتِنَتْ، قلبتَ لابن عمك ظَهرَ المِجَنّ؛ بمفارقته مع المفارقين، وخِذلانه مع الخاذلين، واختطفتَ ما قَدرت عليه من مال الأمة؛ اختطافَ الذِّئب الإزْل[1] فارِدَةَ المِعزى، أما تُوقن بالمعاد، وتخاف ربَّ العباد، أو ما يَكبر عليك أنك تأكُل الحرام، وتَنكِح الحرام، وتشتري الإماءَ بأموال الأرامل والأيتام، اردُد إلى المسلمين أموالَهم، ووالله لئن لم تفعل لأعذرنّ الله فيك، فإن الحسن والحُسين لو فعلا ذلك لم يكن لهما عندي هَوادة، والسلام.

فكتب إليه ابن عباس: حقي في بيت المال أكثر مما أخذتُ.

فكتب إليه علي: العجب كلّ العَجَب من تزيين نفسك لك! إنك أخذتَ أكثر مما تَستحقّه، وهل أنت إلا رجلٌ من المسلمين ليست لك سابقة، وقد علمتَ سوابقَ أهل بدر، وما كانوا يأخذون غير ما فُرض لهم، ويكفي أنك اتَّخذتَ مكة وَطناً، وضربت بها عَطَناً، تشتري من مُوَلَّدات الطائف ومكة ما تقع عليه عينُك، وتَميل إليه نفسُك، وتَبذل فيهن مالَ غيرك، فكأنْ قد بلغت المَدَى، وعُرض عليك عَمَلُك غداً بالمحلّ الأعلى الذي يَتَمَنّى[2] المُضيع للتوبة الخلاصَ، ولات حين مَنَاص.

(١) الشديد الداهية.

(٢) في (خ) و(ع): ينهي؟! والمثبت من أنساب الأشراف ٢/ ١٢٩ ، والعقد ٤/ ٣٥٩ .

فكتب إليه ابن عباس: لأن ألقى الله بكلِّ ما على ظهر الأرض، وبما في بطنها؛ أحبّ إلي أن ألقاه بدمِ مُسلم.

فكتب إليه أمير المؤمنين: إن الدِّماء التي أشرتَ إليها قد خُضْتَها إلى ساقيك، وبذلتَ في إراقتها جُهدك، ووضعتَ بإباحتها حظَّك، والسلام.

وقال البلاذري(١): ابتاع ابن عباس لما قدم مكة من جُبير مولى بني كعب الخزاعي ثلاث مُوَلَّدات: حوراء، وفُتون، وشادن بثلاث آلاف دينار.

قلت: كذا ذكر أرباب السير هذه الواقعة والمكاتبات بين أمير المؤمنين وابن عباس، والظن بابن عباس خلاف ذلك، فإنه كان يُعظّم أمير المؤمنين تعظيماً لم يُعظّمه غيره، ويرى في حقّه ما لم يره سواه، وكان أمير المؤمنين يعترف بفضل ابن عباس، ويُعدّه للمهام، ويستشيره في أموره كلها، وولّاه البصرة، وولّى إخوته أعظم الولايات، وأفخر الأماكن، ويحتمل أن ابن عباس أخذ من بيت المال ما يَستحقّه في مدة طويلة، فحرف عليه أهل الضغائن والأحقاد ما ذكروه، وشنّعوا بما أثبتوه.

وقد قال قوم: إن ابن عباس ما زال بالبصرة حتى استشهد أمير المؤمنين، فقال أبو زيد: زعم أبو عبيدة ـ ولم أسمعه منه ـ أن ابن عباس لم يزل بالبصرة حتى قُتل علي عليه السلام، فشخص إلى الحسن بن علي، فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البَصرة، فحمل ثَقَلَه ومالاً من بيت المال، وقال: هي أرزاقي.

قال أبو زيد: فذكرت ذلك لأبي الحسن فأنكره، وزعم أن علياً عليه السلام قُتل وابن عباس بمكة، وأن الذي شَهد الصُّلح بين الحسن ومعاوية عُبيد الله بن عباس.

قلت: وهذا هو الصحيح، وقد نصّ عليه المدائني وغيرُه: أن ابن عباس كان بمكة لما قتل أمير المؤمنين.

وفيها استُشهد أمير المؤمنين، حدثنا عبد العزيز بن محمود البزاز بإسناده، عن زهير ابن الأرقم قال: خطبنا علي عليه السلام يوم الجمعة فقال: نُبِّئت أن بسراً ـ يعني بن أبي أرطاة ـ قد طلع اليمن، وإني والله لأحسب أنه سيظهر هؤلاء القوم عليكم، وما

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ١٢٨.

يظهرون عليكم بكثرتهم، بل بعصيانكم إمامَكم وطاعتهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في الأرض وإصلاحهم، قد بعثتُ فلاناً فخان وغدر، وبعثت فلاناً فخان وغدر، وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتَمَنْتُ أحدَكم على قَدح لأخذ عِلاقته، اللهمَّ إني قد سَئمتُهم وسئموني، وكرهتُهم وكرهوني، اللهمَّ فأرِحْني منهم وأرِحْهم مني، فما صلى الجمعة الأخرى حتى قُتل[1].

قلت: وهذا يدلُّ على أنه استُشهد قبل رجوع جارية بن قُدامة من اليمن، وسنذكر سيرة أمير المؤمنين في ترجمته في حرف العين.

وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبة بكتابٍ افتعله على لسان معاوية، لأنه بلغه أن معاوية بعث أخاه عُتبة بن أبي سفيان على الموسم، فعجل المغيرة فوقف بالناس، ونحر قبل وصول عُتبة، وكان عامل أمير المؤمنين في هذه السنة على مكة والطائف قُثَم بن العباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري، حتى قدم المدينة بُسْر بن أرطاة، وكان عامله على البصرة عبد الله بن عباس إلى أن قدم مكة، وعلى فارس زياد ابن أبيه.

وفيها توفي

الأشعث بن قيس الكندي

ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة ممن أسلم من قبائل العرب، ورجع إلى بلاد قومه، فقال: الأشعث بن قيس، وهو الأشَجُّ بن معدي كَرِب بن معاوية بن جَبَلَة بن عَدِيّ بن ربيعة بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرْتِع ابن كِندة، وهو ثور بن عُفَير بن عَديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، قال: وإنما سُمِّي كِندة لأنه كَنَد أباه النّعمة، أي: كَفره.

وأمُّ الأشعث كَبْشَة بنت يزيد [بن شُرحبيل بن يزيد] بن امرئ القيس بن عمرو بن حُجْر آكِل المُرار، وكُنية الأشعث أبو محمد.

(١) المنتظم ٥/ ١٦٣.

وقال ابن سعد: كان اسم الأشعث مَعْدِي كرب، وكان أبداً أشعثَ الرَّأس؛ فسُمّي الأشعث(١).

وقال الجوهري: والأشعث اسمُ رجلٍ، ومنه الأَشاعِثة(٢).

وقال الهيثم: قتلت مُراد أباه قيساً، فخرج يطلب ثأره فأُسر، ففَدى نفسَه بثلاثة آلاف بعير(٣).

وقد ذكرنا أنه وَفَد على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة في وَفْد كِندة، فأسلم وأسلموا، وأجازهم رسول الله ﷺ بعَشْر أواقٍ، وأعطى الأشعث اثنتي عشرة أُوقيّة، ورجع إلى بلاده، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتَدَّ، وقد أشرنا إلى رِدَّته في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ونذكر هاهنا طرفاً منها:

قال ابن سعد بإسناده عن زُرعة بن عبد الله بن زياد بن لَبيد قال: كان رسول الله ﷺ قد استعمل زياد بن لَبيد على صدقات حضرموت - الثمار والخُفّ والماشية والكراع والعُشور - وكتب له كتاباً، فكان لا يَعدوه إلى غيره، ولا يُقصّر دونه، فلما قبض رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر؛ كتب إلى زياد يُقِرُّه على عمله، ويأمره أن يُبايعَ مَن قِبله، ومَن أبى وطئه بالسيف، ويَستعين بمَن أَقْبَلَ على من أَدْبَر، وبعث بكتابه إليه مع أبي هِندٍ البَياضي.

فنعى زياد رسولَ الله ﷺ إلى الناس، وأخذَهم بالبيعة لأبي بكر وبالصَّدَقة، فامتنع قومٌ من الصَّدقة ومن إعطائها، وقال الأشعث بن قيس: [إذا اجتمع الناس] فما أنا إلا كأحدهم، ونكص عن البيعة، فقال له امرؤ القيس بن عابِس الكِنديّ: أَنشُدك الله يا أشعث، ووِفادتَك على رسول الله ﷺ، وإسلامَك أن تَنقُضَه اليوم، والله ليقومن بهذا الأمر من بعده مَن يقتل مَن خالفه، فإيّاك إياك، وأَبْقِ على نفسك، فإنك إنْ تقدَّمت تقدَّم الناسُ معك، وإن تأَخَّرتَ افترقوا واختلفوا.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٠.

(٢) الصحاح (شعث ١/ ٢٨٥).

(٣) المعارف ٣٣٣.

فأبى الأشعث وقال: قد رجعت العرب إلى أديانها، وما كانت تعبد [الآباء]، ونحن أقصى العرب داراً من أبي بكر، أيَبعث أبو بكر إلينا الجيوش؟ فقال امرؤ القيس: إي والله، وأُخرى: لا يَدَعُك عاملُ رسول الله ﷺ ترجع إلى الكفر، فقال الأشعث: مَن؟ [قال:] زياد بنُ لَبيد[(١)]، فتضاحك الأشعث وقال: أما يَرضى زياد أن أُجيرَه؟ فقال امرؤ القيس: سترى.

ثم قام الأشعث فخرج من المسجد إلى منزله، وقد أظهر من الكلام القبيح ما أظهر، من غير أن يَنطق بالردّة، ووقف يَتربَّص إلى آخر الناس.

قال: وبايع لأبي بكر بعد الظهر، وصلّى بالناس العصر، ثم غدا على الصدقة ـ وهو أقوى نَفْساً، وأشَدّ لساناً مما كان ـ فمنعه حارثة بن سُراقة الكِنديّ أن يُصدّق غلاماً منهم، وقام فحلّ عِقال البكرة التي أُخذت في الصدقة، وجعل يقول: [من الرجز]

يمَنعُها شيخ بخَدَّيْه الشَّيبْ

مُلَمَّعٌ كما يُلَمَّعُ الثَّوبْ

ماضٍ على الرَّيْب [إذا كان الرَّيْبْ]

فنهض زياد، وصاح في أصحابه المسلمين، ودعاهم إلى النُّصرة لله وكتابه، فانحازت طائفة من المسلمين إلى زياد، وجعل مَن ارتدَّ يَنْحاز إلى حارثة، فاقتتلوا أياماً كثيرة.

وضوى إلى الأشعث بن قيس بَشَر كثير، فتحصَّن بمَن معه في حِصن يقال له: النُّجَير، فحاصرهم زياد بن لبيد، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فقال الأشعث: إلى متى نقيم في هذا الحصن؟ قد غَرِثْنا[(٢)] فيه وغَرِثَ عيالُنا، وهذه البعوث تَقدم عليكم ما لا قِبَل لكم به، والله لَلموت بالسَّيف أحسنُ من الموت بالجوع، ويؤخذ برَقَبة الرجل، فما يُفعَل بالمرأة؟

ثم نزل وأخذ الأمان، وبعث به زياد إلى أبي بكر في وَثاق، وقد ذكرنا القصّة في

(١) في (خ) و(ع): ربيعة، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٢ وما بين معكوفات منه.
(٢) الغَرَثُ: الجوع.

الردّة، وأن أبا بكر زوَّجه أختَه أمَّ فَروَة.

وقال الواقدي: أقام الأشعث بالمدينة إلى أيام عمر بن الخطاب، وشهد اليرموك على كُردوس أميراً، وأُصيبت عينه يومئذٍ، ثم عاد إلى المدينة، وخرج إلى العراق مع سعد بن أبي وقاص، فشهد القادسية والمدائن وجَلُولاء ونَهاوَند، واختطّ بالكوفة، وبنى بها داراً في كِندة ونزلها، وولّاه عثمان أرْمِيْنية، وقيل: أَذَرْبيجان، وشهد صفين مع أمير المؤمنين والحكومة، وكان أحدَ شهود الكتاب الذي كُتب بين يدي أمير المؤمنين والحكومة ومعاوية.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الصَّلْت سُليم الحَضْرَميّ قال: شهدتُ صفين، ورأيت الأشعث بن قيس الكندي، وإذا هو رجلٌ أصلع، ليس له في رأسه إلا شُعيرات، وهو يقول: أين معاوية؟ فقيل: هو ذا، فقال: اللهَ اللهَ يا معاوية في أمة محمد، هَبوا أنكم قد قَتلتُم أهلَ العراق، فمَن للثُّغور والذَّراري؟ فإن الله يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ الآية [الحجرات: ٩] فلم يَلبثُوا بعد ذلك إلا قليلاً حتى كان الصُّلح بينهم، وانصرف معاوية بأهل الشام إلى الشام، وأمير المؤمنين بأهل العراق إلى العراق.

وقال ابن سعد: ولما أراد علي عليه السلام أن يُحَكِّم عبد الله بن عباس مع عمرو بن العاص، أبى الأشعث ذلك وقال: والله لا يَحكم مُضَرِيَّيْن أبداً حتى يكون فيه يماني، فحكّموا أبا موسى[(١)].

وكان الأشعث يقول: كَفَّرتُ عن يميني بالله بخمسة عشر ألفاً.

قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن رجاء الزُّبَيديّ قال: سمعتُ الشّيباني يذكر، عن قيس بن محمد بن الأشعث: أن الأشعث كان عاملاً على أذربيجان، استعمله عثمان، وأنه أتاه رجل من قومه فأعطاه ألفين، فشكاه، فلما قدم الأشعث أرسل إليه فقال: إنما استودعتُك المال، فقال الرجل: إنما اعطيتنيه صِلةً، فحَمي الأشعث فحلف، فكفّر عن يمينه بخمسة عشر ألفاً[(٢)].

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٦-٢٣٧.

وفي رواية عن الأشعث أنه قال: اشتريتُ يميني مرَّةً بسبعين ألفاً.

وبسببه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[آل عمران: ٧٧].

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «مَن حَلَفَ على يمين هو فيها فاجِرٌ ليَقتطِع بها مالَ امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» فقال الأشعث: فيَّ والله [كان] ذلك، كان بيني وبين رجلٍ من اليهود أرضٌ، فجَحدني، فقدَّمتُه إلى رسول الله ﷺ، فقال لي: «ألك بيِّنة؟» قلت: لا، فقال لليهودي: «احلف»، قال: قلت يا رسول الله، إذن يَحلف، ويذهب مالي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾الآية. أخرجاه في الصحيحين(١).

وليس للأشعث في الصحيحين غيره.

وأخرج أحمد في «المسند» عن الأشعث، أن الخصومة كانت بين الأشعث وابن عمٍّ له في بئر كانت في يد ابن عمه، فجَحده إيّاها(٢).

وحكى ابن سعد: أن أول مَن مَشت الرِّجال معه وهو راكب الأشعث(٣).

وقال قيس بن أبي حازم: شهدتُ جنازةً فيها الأشعث وجرير بن عبد الله، فقال له جرير: تقدَّم، فقال: لا بل أنت أولى، لأني ارتددت عن الإسلام، وأنت يا جرير لم ترتد(٤).

قال هشام: وكان الأشعث داهيةً من دواهي العرب.

قال الخطيب أبو بكر بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس(٥) قال: خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام أم عمران بنت سعيد بن قيس الهَمْداني على ابنه الحسن بن علي، فقال سعيد: حتى أستأذن أمَّها، فقال: قم فوامرها، فخرج من عنده، فلقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر فقال: ما تريد من الحسن؟ يفخر عليها ويقول:

---

(١) مسند أحمد (٣٥٩٧) و(٢١٨٣٧)، وصحيح البخاري (٢٤١٦)، وصحيح مسلم (١٣٨).

(٢) مسند أحمد (٢١٨٤٨).

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٧.

(٤) تهذيب الكمال (٥٢٤)، والسير ٢/ ٤٠، والإصابة ١/ ٨٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر ٣/ ٤٥ من طريق الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش، وذكره المزي في تهذيبه.

جدّي رسول الله، وأمي فاطمة، وأنا ابن أمير المؤمنين، لكن هل لك في ابن عمها؟ قال: ومَن هو؟ قال: محمد بن الأشعث، قال: نعم قد زوَّجتُه إياها.

ثم دخل الأشعث على أمير المؤمنين فقال له: خطبت ابنة سعيد على الحسن؟ قال: نعم، وذكر أنه خرج ليَستأمرَ أمَّها، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، قال: ولم؟ قال قد زوَّجها محمدَ بن الأشعث، قال: متى؟ قال: الساعة، ولكن هل لك في أشرف منها بيتاً، وأكرم حَسَباً، وأتمّ جمالاً، وأكثر مالاً؟ قال: ومَن هي؟ قال: جَعْدَة بنت الأشعث، قال: نعم، فزوَّجها الحسن.

وعلم سعيد، فلقي الأشعث فقال: خدعتَني يا أعور، فقال: يا أحمق، أتستَشيرُني في ابن بنت رسول الله ﷺ ؟!.

ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال له: يا أبا محمد، ألا تزور أهلَك؟ فقال: بلى، فقال: والله لا تمشي إلا على أردِيَةِ قومي، فقامت له كِندَةُ سِمَاطين، ومشى على أرديتها من القصر إلى باب الأشعث.

وهذه جَعْدة بنت الأشعث هي التي سَمَّت الحسن فقتلَتْه، لما نذكر في ترجمة الحسن.

وقد حكينا عن ابن سعد أنه قال: أول مَن مشى بين يديه الناس وهو راكب الأشعث.

وقال الواقدي: وهو أول من حَمل بين يديه الرجال الأعمدة، وهو أوَّل مَن دُفِن في منزله[١].

ذكر وفاته:

قال الخطيب[٢]: الأشعث يُعَدّ فيمن نزل من الصحابة الكوفة، وكان على راية كِندة يومَ صفّين مع أمير المؤمنين، وحضر قتال الخوارج بالنَّهروان، وورد المدائن، وعاد إلى الكوفة، فأقام بها حتى مات في الوقت الذي صالح فيه معاوية الحسن، في سنة أربعين، وقيل: في سنة إحدى وأربعين.

وقال هشام: مات في سنة اثنتين وأربعين، وهو وهم.

(١) أخرجه ابن عساكر ٣/ ٤٧ (مخطوط) عن الأصمعي.

(٢) في تاريخ بغداد ١/ ١٩٦ـ١٩٧ .

قال ابن سعد بإسناده عن حكيم بن جابر قال: لما مات الأشعث بن قيس ـ وكانت ابنتُه تحت الحسن بن علي ـ قال الحسن: إذا غَسّلتموه فلا تَهيجوه حتى تُؤذنوني، فآذنوه، فجاء فوضّأه بالحَنوط، وصلّى عليه(١).

وتوفي الأشعث وهو ابن ثلاث وستين سنة(٢).

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد: النُّعمان، ومحمد، وإسحاق، وإسماعيل، وحَبَّانة، وقُرَيبة، وقيس، وجَعْدة.

فأما النعمان بن الأشعث فإن الأشعث بُشِّر به وهو عند رسول الله ﷺ فقال: والله، لَجَفْنَةٌ من ثَرِيد أُطعِمُها في قومي؛ أحبُّ إلي منه، فهلك صغيراً.

وأمُّ النعمان أُميَّة بنت جَمْد بن مَعْدِي كَرِب، من بني الحارث الأكبر، ثم خلف على أمية بعد الأشعث حُجْر بن عَدِيّ الأَدْبَر.

وأما محمد بن الأشعث وإسحاق وإسماعيل وحَبَّانة وقُرَيْبة؛ فأُمُّهم أمّ فَرْوَة بنت أبي قحافة، أخت أبي بكر رضي الله عنه.

وأما قيس بن الأشعث؛ فقال ابن سعد: هو الذي أخذ قَطِيفَةَ الحسين بن علي يوم قُتِل، فكان يُقال له: قيس القَطيفَة، وأمُّه مُلَيْكَة بنت زُرارة بن قيس، نَخَعِيّة، تزوَّجها الأشعث على حكمها.

قال: ووَلَدُ محمد بن الأشعث بالكوفة أكثر من ثلاثين وَلَداً، والنَّسْلُ لمحمد وإسماعيل وإسحاق. ووَلَدُه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث هو الخارج على الحَجّاج(٣).

ذكر إخوة الأشعث: قال ابن سعد: سيف بن قيس، وأمُّه الشَّحَّاء، قَينةٌ من حَضْرَمَوت، وفد مع الأشعث إلى رسول الله ﷺ، فأمره رسول الله ﷺ أن يُؤذّن لهم،

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٧ .

(٢) انظر الاستيعاب (١٣٥) ، والمنتظم ٥/ ١٦٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٠ـ٢٣١ .

فلم يزل يُؤذّن لهم حتى مات.

وأخوهما إبراهيم بن قيس، وَفَد أيضاً مع الأشعث إلى رسول الله ﷺ[(١)].

أسند الأشعث الحديث عن رسول الله ﷺ، فروى عنه تسعة أحاديث، أخرج له في الصحيحين حديثاً واحداً، وهو مُشترَك بينه وبين ابن مسعود[(٢)]، وقد ذكرناه.

وأخرج له أحمد في «المسند» ثلاثة أحاديث، منها حديث اليمين، وقال أحمد بإسناده عن زياد بن كُلَيب، عن الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناس»، وفي رواية «إن أشكر الناس لله تعالى أشكرهم للناس»[(٣)].

وروى عن الأشعث: قيس بن أبي حازم، والشّعبي، وأبو وائل شَقيق بن سَلَمة، وإبراهيم النَّخَعي، في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمه الأشعث بن قيس غيره، فأما في غير الصحابة فاثنان: أحدهما الأشعث بن قيس الجابريّ، روى عن علي بن صالح بن حَيّ، والثاني: الأشعث بن قيس الهَمْدانيّ، كوفي، روى عن مِسْعَر بن كِدام[(٤)].

انتهت سيرة الأشعث.

وفيها توفي

بشير بن عبد المنذر بن رِفاعة

وكنيته أبو لُبابَة، وأمُّه نُسيبة بنت زيد بن ضُبَيعة.

وأبو لُبابة هو الذي ردَّه رسول الله ﷺ من بعض طريق بدر إلى المدينة، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

قال ابن سعد: ردَّه رسول الله ﷺ من الرَّوْحاء، حين خرج إلى بدر، وضَربَ له بسَهْمه وأجرِه، واستعمله على المدينة، وهو الذي ارتبط نفسه بساريةٍ في مسجد رسول الله ﷺ، في قضيَّة بني قُرَيظة[(٥)]، وقد ذكرناه فيما تقدَّم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٧ .

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٧٠ و ٣٨٨ .

(٣) مسند أحمد (٢١٨٣٨) و (٢١٨٤٦).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ٦٠٥ .

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣ ، وانظر الاستيعاب (١٨٨) و(٣١٢٣)، والمنتظم ٥/ ١٦٨ ، والاستبصار =

وفيها توفي

تميم بن أوس

ابن خارجة بن سويد بن جَذيمة بن ذِراع بن عدي بن الدَّار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة بن لَخْم.

وقال ابن ناصر: نُمارة؛ براء مهملة، هو المعروف عند أهل النسب، وهو الصواب.

ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة ممن أسلم من القبائل، وقد ذكرناه في السيرة، ولم يذكر ابن سعد تاريخَ وفاته، وقد ذكرها جدي رحمه الله وقال: مات في سنة أربعين، فينظر هناك[١].

وفيها مات

الحجاج بن عبد الله الصَّريمي

بفتح الصاد، من الخوارج، ولَقَبه البُرَك، وهو الذي وَثب على معاوية، وهو أحد الثلاثة الذين تحالفوا على قتل أمير المؤمنين ومعاوية وابن العاص، وسنذكره في آخر ترجمة أمير المؤمنين.

وفيها توفي

الحارث بن خَزْمة

بزاي معجمة ساكنة، ابن عديّ بن أبي غَنْم بن سالم بن عَون بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن سعد: وهو من القَواقِلة حليف لبني عبد الأشهل، وداره فيهم، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيته أبو بشير، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين إياس بن أبي البُكَير، شهد الحارث بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وروي عنه

= ٢٧٦، والإصابة ٤/ ١٦٨.

(١) انظر طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٤، والاستيعاب (٢٣٨)، والمنتظم ٥/ ١٦٨-١٦٩، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٥٧، وتاريخ دمشق ٣/ ٥٢٦ (مخطوط)، والسير ٢/ ٤٤٢.

الحديث، وتوفي بالمدينة سنة أربعين وهو ابن سبع وستين سنة، وليس في الصحابة من اسمه الحارث بن خَزمة سواه[١].

وفيها توفي

خارجة بن حُذافة

ابن غانم بن عامر بن عبد الله بن عُبيد بن عَوِيج بن عديّ بن كعب العَدويّ، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمّه فاطمة بنت عمرو بن بُجرة، من بني عدي ابن كعب.

رأى رسول الله ﷺ وصَحِبه، وروى عنه، ووَلي القضاء بمصر والشّرطة لعمرو بن العاص، وهو الذي قتله الخارجيّ بمصر في هذه السنة، وقد خرج يصلّي بالناس صلاةَ الفجر نيابة عن عمرو بن العاص، وكان الخارجي يظُنّه عمراً، وسنذكره.

وكان له من الولد: عبد الرحمن، وأبان، وأمهما امرأة من كِنْدَة، وعَوْن وعبد الله لأمّ ولد.

فقيل للخارجي: ما هذا؟ فقال: أردْتُ عمراً، وأراد الله خارجة، فذهبت مثلاً[٢].

وليس في الصحابة مَن اسمه خارجة بن حُذَافَة غيره[٣].

وأخرج له أحمد في «المسند» حديثاً واحداً، وهو حديث الوتر، فقال أحمد بإسناده عن عبد الله بن أبي مُرَّة، عن خارجة بن حُذافة العَدَويّ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذاتَ غداةٍ، فقال: «لقد أمَدَّكم الله بصلاةٍ هي خيرٌ لكم من حُمر النَّعَم» قلنا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الوِتر، فيما بين صلاةِ العشاء إلى طُلوع الفجر»[٤].

قلت: روى أحمد هذا الحديث ولم يضعِّفه، وذكره جدّي في مَوضعين، وضعَّفه في

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤١١، والاستيعاب (٤٢٥)، والمنتظم ٥/ ١٦٩، والتلقيح ١٧٦، والاستبصار ١٩١، والإصابة ١/ ٢٧٧.

(٢) كذا وردت هذه العبارة هنا، وموضعها قبل سطرين.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٦، والاستيعاب (٦٤٨)، والمنتظم ٥/ ١٦٩، والتلقيح ١٨٥، والتبيين ٤٤٢، والإصابة ١/ ٣٩٩.

(٤) مسند أحمد (٢٤٠٠٩/٨).

كتاب «التَّحقيق» وفي كتاب «الواهية»[١]، فقال في «التَّحقيق»: الوتر سُنَّة، وقال أبو حنيفة: الوتر واجب، واحتجّ لمذهبه بأخبارٍ، منها: ما أخرجه أحمد بإسناده عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضَمْرة، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا؛ فإن الله يُحبُّ الوتر»[٢].

واحتجّ لأبي حنيفة بأخبار، منها: حديث [خارجة بن حُذافَة، وذكره بالإسناد الذي ذكرناه، ثم قال: في إسناده ابن إسحاق، وقد كذّبه مالك، وفيه عبد الله بن راشد، وقد ضعّفه الدارقطني، وقال البخاري: لا يُعرف عبد الله بن راشد إلا بحديث الوتر، وليس له سماع من ابن أبي مُرَّة، وذكره في «الواهية» بمعناه[٣].

قلت: أما حديث علي عليه السلام وقوله ﷺ «يا أهل القرآن أوتروا» فحجَّةٌ لأبي حنيفة؛ لأن الأمر للوجوب، وخصوصاً إذا كان مَحبوبَ الحقّ.

وأما قوله: ابن إسحاق كذَّبه مالك، فقد وثَّقه أحمد بن حنبل وغيره، ومن أين لهم رواية المغازي والسير إلا عن ابن إسحاق، ومن شرف ابن إسحاق وفضله أن أبا بكر الخطيب بدأ في «تاريخه» باسمه، وقدّمه على مَن اسمُه أحمد[٤].

وسنذكر ما يتعلّق بهذا في ترجمة ابن إسحاق، وقد أشرنا إليه في حديث معاذ وقوله: وأجتهد رأيي.

وفيها توفي

خَوَّات بن جُبَير

ابن مُطْعِم بن النعمان[٥] بن أُميَّة بن البُرَك، وهو امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف.

---

(١) التحقيق ١/ ٤٥٣ (٦٥٥)، والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ٤٤٩ (٧٦٩).

(٢) مسند أحمد (٨٧٧)، والتحقيق ١/ ٤٥١ (٦٤١).

(٣) التحقيق ١/ ٤٥٤، والعلل ١/ ٤٤٩.

(٤) انظر تاريخ بغداد ١/ ٢١٤، وتهذيب الكمال (٥٦٤٦)، وميزان الاعتدال (٦٨٠٢).

(٥) كذا في (خ) و(ع)، وأجمع مترجموه أنه خوات بن جبير بن النعمان، دون زيادة: ابن مطعم. انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٤٢، والمعارف ٣٢٧، والاستيعاب (٦٨٢)، والمنتظم ٥/ ١٦٩، والتلقيح ١٨٧، والاستبصار ٣٢٣، وتهذيب الكمال (١٧٣٤)، والسير ٢/ ٣٢٩ (وانظر حواشيهما)، والإصابة ١/ ٤٥٧.

وهو من الطبقة الأولى من الأنصار بني الخَزْرَج، وأُمُّه أم عبد الله من بني غَطَفان[١].

وهو أخو عبد الله بن جُبَير أمير الرُّماة يوم أحد، وقد ذكرناه هناك. وكنية خَوَّات أبو صالح في قول الواقدي، وقيل: أبو عبد الله.

وذكر ابن سعد أن خَوَّات بن جُبَير خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فلما كان بالرَّوْحاء أصابه حَجَرٌ فكُسِر، فردَّه رسول الله ﷺ إلى المدينة، وضرب له بسَهْمِه وأجرِه، فكان كمن شهدها، وشهد خَوَّات أحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ.

قال: وكان رَبْعَةً من الرجال، يخضب بالحِنَّاء والكَتَم.

قال ابن سعد: وهو صاحبُ ذاتِ النِّحْيَيْن في الجاهلية، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه[٢].

وقد أشرنا إلى طرفٍ من حديث ذاتِ النِّحْيَيْن في صدر الكتاب في باب الأمثال، فنذكره هاهنا أتمّ من ذلك: حدثنا غيرُ واحد عن أبي الفضل بن ناصر بإسناده، عن عفيف بن سالم الموصليّ، عن عثمان بن واقد قال: قال خَوَّاتُ بن جُبَيْر: أنا كنتُ صاحبَ ذاتِ النِّحْيَيْن في الجاهلية ـ والنِّحْيُ: الزِّقُّ الصَّغير ـ قال: أتيتُ سوقَ عكاظ، فإذا أنا بجاريةٍ معها نِحْيان من سمن، وكأنها فَلْقَة قَمَر، فقلت لها: من أنت؟ قالت: سلمى بنت يَعار الخَثْعَمِيَّة، فقلت: لعل سمنك هذا مشوباً؟ قالت: وهل تشوب الحُرَّة؟ فقلت لها: انزلي إلى بطن الوادي حتى أذوقَ سَمْنَك، فنزلت، فأخذتُ إحدى النِّحيَيْن فذُقتُه، فقلت لها: ما هذا بمَشوب، ثم ناولتُها إياه في يدها مفتوحاً، ثم أخذتُ الآخر فذُقتُه وقلت: أمسكيه، ودفعتُه في يدها مفتوحاً، ثم شَددتُ عليها فقضيتُ منها حاجتي، وكَرِهتْ أن تُرسله لأنه كان قُوتَ أهلها، فذهبت مثلاً: أَشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْن[٣].

ثم أسلمتُ وهاجرتُ إلى رسول الله ﷺ، فبينما أنا في بعض طرق المدينة؛ إذا ببَغيٍّ كانت لي خِلًّا في الجاهلية، فحَجَبني عنها إسلامي، ودَعَتْني نفسي إليها، فلم أزل

(١) كذا، والذي في طبقات ابن سعد: وأمّه من بني عبد الله بن غطفان.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) انظر الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة (٦٦٧).

ألتفتُ إليها حتى تلقاني جدارُ بني خُدْرَة، فهشم وجهي، وسال الدم، فأتيت النبي ﷺ وأنا على تلك الحالة، فقال: «مَهْيَم؟»، فأخبرتُه فقال: «لا تَعُدْ، فإن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً عَجَّلَ له عُقوبتَه في الدنيا».

قال: ثم مرَّ بي رسول الله ﷺ بعد لَيالٍ وأنا جالس مع شَوابّ من شَوابّ أهل المدينة، يُناشِدْنَني ويُضاحِكْنَني ويُمازِحْنَني، فمضى ولم يقل شيئاً، فلما أن كان من الغد غَدوتُ عليه فقال: «يا خَوَّات، أما آن لذلك البعير أن يَرجعَ عن شُروده؟» قال: قلت: والله يا رسول الله ما شَرد منذ أسلم، قال: «صدقتَ، ولكن لا تَعُدْ إلى ذلك المجلس؛ فإنه مَجلسُ الشيطان».

ومعنى الحديث أن النبي ﷺ لامه على مُجالَسة النِّساء.

وأنبأنا غير واحد عن إسماعيل بن أحمد بإسناده، عن وهب بن جرير، عن أبيه قال: سمعتُ زيد بن أسلم يحدِّث: أن خَوَّات بنَ جُبَير قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ، فنزلنا مَرَّ الظَّهران، فخرجتُ من خِبائي، فإذا نِسوةٌ يتحدَّثْن فأعجَبْنَني، فأخرجتُ حُلَّةً لي من عَيبتي فلبستُها، ثم جلستُ إليهنّ، فخرج رسول الله ﷺ من قُبَّته فقال: «أبا عبد الله، ما يُجلِسُك إليهن؟» قال: فهِبتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، جَملٌ لي شَرُود أبتغي له قَيداً.

قال: فمضى رسول الله ﷺ، ودخل الأراك فقضى حاجتَه، وخرج فتوضّأ ثم قال: «أبا عبد الله، ما فعل شِراد جَملك؟»

قال: فتعجَّلْتُ إلى المدينة، واجتنبتُ دخولَ المسجد ومُجالسةَ رسول الله ﷺ، فلما طال ذلك عليَّ تحيَّنْتُ ساعة خلوة المسجد، فجعلتُ أصلّي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حُجَر نِسائه، فصلّى ركعتَين خفيفتين، ثم جلس، وطَوَّلْتُ رجاءَ أن يَذهبَ ويَدَعني، فقال: «طَوِّل أبا عبد الله ما شئتَ، فلستُ ببارِحٍ حتى تَنصرف»، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «أبا عبد الله ما فعل شِرادُ جَملك، أو ما فَعل شِرادُك؟» فقلت: والذي بعثك بالحق ما شَرَد ذلك الجمل منذ أسلمتُ، فقال: «رحمك الله» مَرّتين أو ثلاثاً، ثم أمسك عنّي فلم يَعُدْ[1].

(١) نقل المصنف القصتين عن المنتظم ٥/ ١٧٠-١٧٢ .

ذكر وفاته:

حكى ابن سعد عن الواقدي قال: مات خَوَّات بالمدينة سنة أربعين وهو ابن أربعٍ وسبعين سنة.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: صالح، وحَبيب قُتل يوم الحرَّة، وأمُّهما من بني ثعلبة بن فُقَيم.

وسالم، وأمّ سالم، وأمّ القاسم، وأمهم عُميرة بنت حَنْظلة بن حبيب، قُضاعيّة، وكان [حنظلة بن] حبيب بن خَوَّات حليف بني ثعلبة بن عمرو بن عوف.

وداود، وعبد الله، وبعبد الله كان خَوّات يُكنى، وقيل: بصالح[1]، وقد ذكرناه.

وليس في الصحابة مَن اسمه خَوَّات غيره.

وقد روى الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا مَسانيدَه.

وفيها توفي

دِحْيَة بن خَليفة

ابن فَرَوة بن فَضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرج، وهو زيد مَناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب بن وَبرة ابن تَغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة.

واختلفوا فيه، فعامّة المحدِّثين وأهل اللغة على أنه دِحية بكسر الدال، قال الجوهري: دِحية بالكسر هو دِحية بن خَليفة الكلبي، الذي كان يأتي جبريل عليه السلام في صورته، وكان من أجمل الناس.

قال: فأما دَحْيَة بالفتح، ودَحْوَة بالواو؛ فهما ابنا معاوية بن بكر بن هَوازن[2].

وكان دِحية من الطبقة الأولى من الصحابة، أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً، وشهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان جبريل يأتي رسولَ الله ﷺ في صورته، لأنه كان جميل الزّيّ حسناً.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٤٢.

(٢) الصحاح (دحا ٦/ ٢٣٣٤_٢٣٣٥).

قال ابن سعد بإسناده عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشبَهُ من رأيتُ بجبريل دِحية الكلبي»(١).

وقيل إنما شَبَّهه بجبريل لأنه كان يدخل على الملوك في زيٍّ حَسَن.

قال ابن سعد بإسناده عن عامر الشَّعبي قال: شَبَّه رسول الله ﷺ ثلاثة نَفرٍ من أمَّته فقال: دحية الكلبي يشبه جبريل، وعُروة بن مسعود الثَّقفي يُشبه عيسى بن مريم، وعبد العُزَّى يُشبه الدَّجَّال.

وقال ابن سعد بإسناده عن القاسم بن محمد، عن عائشة ﵂ قالت: وَثب رسول الله ﷺ وَثْبةً شديدة، فنظرتُ فإذا معه رجلٌ واقف على بِرْذَون، عليه عمامةٌ بَيضاء، قد سَدَل طَرَفها بين كَتفَيه، ورسول الله ﷺ واضعٌ يدَه على مَعْرَفَة برذَوْنه، قالت: فقلت: يا رسول الله، لقد راعَتْني وَثْبَتُك، مَن هذا؟ قال: «ورأيتِه؟!» قلت: نعم، قال: «مَن رأيتِ؟» قلت: دِحية بن خَليفة الكلبي، قال: «ذاك جبريل»(٢).

وقد ذكرنا هذا المعنى في عدَّة مواضع، وذكرنا أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يَدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دِحية، وأمره أن يَدفعه إلى عظيم بُصرى، ليدفعه إلى قيصر.

وقال الواقدي: لَقيه بحمص، فدفع إليه كتابَ رسول الله ﷺ، وذلك في المحرم سنة سبعٍ من الهجرة.

ذكر وفاته:

ذكر ابن سعد(٣) أنه بقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، ولم يذكر تاريخ وفاته.

وقال هشام: مات سنة أربعين، وقيل: سنة خمسين، والأول أشهر، وقد ذكره الواقدي.

وليس في الصحابة مَن اسمُه دِحية غيره، واتّفقوا على أنه لم يُعقب، وكانت وفاتُه

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٣٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٣٥ .

(٣) في طبقاته ٤/ ٢٣٦ .

بالشام، وببلد النَّاصرة من الساحل مقابل الطُّور على رأس جبل قبر، يقال: إنه قبرُه[١].

وروى الحديث عن رسول الله ﷺ، وأخرج له أحمد في «المسند» حديثين، قال أحمد بإسناده عن الشعبي، عن دِحية الكلبيّ قال: قلتُ: يا رسول الله، ألا أحمل لك حماراً على فَرَس، فيُنتجَ لك بغلاً فتَركبَه؟ فقال: «إنما يفعل ذلك الذين لا يَعلمون»[٢].

قلت: ولا بأس بذلك في زماننا؛ فإن الدّلدل التي ركبها رسول الله ﷺ من الحمار، وركبت الصَّحابة البغال، وإنما قال رسول الله ﷺ ذلك لأن العرب لم تكن تعرفه في ديارها، وكانوا يستقبحونه، وكان عامَّة مراكيبهم الخيل؛ لأنها مُعَدَّة للقتال.

وفيها توفي

أبو مَسعود البَدْريّ

واسمُه عُقبة بن عَمرو بن ثَعلبة بن أُسَيْرة بن عَسِيرة بن عَطِيّة بن جِدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج.

وأبو مَسعود من الطبقة الأولى من الأنصار، وأُمُّه سَلَمة[٣] بنت عازِب بن خالد بن الأَجَشّ بن عبد الله بن عَوف، من قضاعة.

واتّفقوا على أنه شهد العَقَبة مع السبعين من الأنصار، وكان أصغرهم، وقد حكاه ابن سعد عن الواقدي.

واختلفوا في شهوده بدراً، فحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: لم يشهد أبو مسعود بدراً، وليس بين أصحابنا في ذلك اختلاف.

قال: ويَقول الكوفيون: إنه شهدها، وليس ذلك بثبت، ولكنه قد شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد[٤].

---

(١) انظر في ترجمته: المعارف ٣٢٩، والاستيعاب (٦٩٦)، وتاريخ دمشق ٦/ ٤٧ (مخطوط)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٤١، والسير ٢/ ٥٥٠، والإصابة ١/ ٤٧٣.

(٢) مسند أحمد (١٨٧٩٣).

(٣) في (خ) و(ع): أم سلمة، والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٣٥٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٦٠-٣٦١.

وقال ابن إسحاق: لم يشهد بدراً، وإنما نزل مَاءً يقال له: بدر، فنُسب إليه.

وقال البخاري ومسلم: شهدها، وبها سُمِّي البَدْرِيَّ.

وقد أنكر عليهما ابن عبد البر ذلك وقال: ما شهدها، ولا يصحُّ ذلك، ولكنه شهد العَقَبة مع السبعين، وأُحداً، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وذكره خليفة فيمن نزل الكوفة من الصحابة، وقال: داره في سوق المراضع[١].

وقال ابن سعد بإسناده عن عامر الشَّعبي قال: لما خرج علي عليه السلام إلى صفين استخلف أبا مسعود على الكوفة، وكان رجال من أهل الكوفة قد استَخْفَوا، فلما خرج علي ظهروا، فكان ناسٌ يأتون أبا مسعود فيقولون: قد أظهر الله أمير المؤمنين، وأهلك أعداءه، فيقول أبو مسعود: والله ما أعدُّه ظَفَراً ولا عافية أن تَظهر إحدى الطائفتين على الأُخرى، قالوا: فمه؟ قال: يكون بين القوم صُلح، فلما قدم عليٌّ الكوفة ذكروا له ذلك، فقال له: اعتزِلْ عملَنا، قال أبو مسعود: ولم؟ قال: إنا وَجدناك لا تَعقل عَقْلَةً.

قال أبو مسعود: أما أنا فقد [بقي] من عقلي أن الأخير شرٌّ[٢].

واختلفوا في وفاته، قال المدائني وأبو سليمان بن زَبْر: مات سنة أربعين، وقال ابن عبد البر: مات سنة إحدى وأربعين بالمدينة، وقيل: سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة تسع وخمسين، وحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: توفّي بالمدينة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وحكى جدّي في «المنتظم» أن أبا مسعود مات سنة تسع وثلاثين[٣].

وكان له من الأولاد: بشير، وأمّه هُزَيْلَة بنت ثابت، خَزرجيّة، ومسعود، وأم بشير، تزوّجها سعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل، فولدت له، ثم خَلَف عليها الحسن بن علي عليه السلام، فولدت له زيداً، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي [ربيعة ابن] المغيرة المخزومي، فوَلَدت له عَمْراً.

وأمُّ غَزيّة بنت أبي مسعود، تزوّجها تميم بن يُعار بن قيس، خزرجيّ، وأمُّ الوليد

---

(١) انظر التاريخ الصغير ١/ ١٠٩ و١١٠، والكنى لمسلم (٣١٦٩)، وطبقات خليفة ١٣٦، والاستيعاب (١٨٩٥)، وتاريخ دمشق ٤٨/ ١٠١، ١٠٦، ١٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٦١_٣٦٢.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٣٦٢، والاستيعاب (١٨٩٥)، والمنتظم ٥/ ١٦١، وتاريخ دمشق ٤٨/ ١١٥.

بنت أبي مسعود، تزوَّجها سعد بن زيد بن وَدِيعة، من بني عوف، فولدت له عبد الواحد، وغَزيّة بنت أبي مسعود، تزوّجها عبد الرحمن بن تميم، خزرجيّ، فولدت له زكريا ويحيى، وقد انقرض نسل أبي مسعود كلهم[١].

أسند أبو مسعود عن رسول الله ﷺ أحاديث، أخرج له منها في الصحيحين سبعة عشر حديثاً، اتّفقا على تسعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بسبعة[٢].

وأخرج له أحمد في «المسند» ستّة وعشرين حديثاً، منها مُتَّفق عليه، ومنها أفراد، فمن مسانيده: قال أحمد بإسناده عن علقمة، عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ قال: «مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفَتاه». أخرجاه في الصحيحين[٣]، ومعنى كفتاه: من قيام الليل.

وروى عنه ابنه بشير بن أبي مسعود، وعبد الله بن يزيد الخَطْميّ ـ وله صحبة ـ وقيس ابن أبي حازم، وعلقمة بن قيس، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، والشعبي، ورِبْعيّ بن حِراش في آخرين[٤].

وليس في الصحابة مَن اسمه عقبة بن عمرو سوى رجلين؛ أحدهما هذا، والثاني عُقبة بن عمرو بن نابي أنصاري، له صُحبة، وليس له رواية، فأما عُقبة غير ابن عمرو فكثير[٥].

وفيها توفي أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

وقد ذكرنا نسبه من الطَّرفَين، وسنذكر من فواضله وفضائله ما تَقَرُّ به العين، فنقول: هو أميرالمؤمنين، وأول مَن صلّى مع سيِّد المرسَلين، وابن عم خاتم النبيين، وأحد

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٥٩ـ٣٦٠.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٧.

(٣) مسند أحمد (١٧٠٦٨). وأخرجه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٧) من طريق عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي مسعود، به.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٤٨/ ٩٩، والسير ٢/ ٤٩٤، وتهذيب الكمال (٤٥٧٣).

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٣١.

العشرة المبشرين، وصهره على ابنته سيدة نساء العالَمين، وهو من أعيان الصحابة المنتَجَبين، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين الأولين، ولم يسجد قط لأوثان المشركين.

وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت فاطمة بنت أسد في الجاهلية إذا جاءت إلى هُبَل، وهي حامل بعلي عليه السلام، وأرادت أن تَسجد له تَقَوَّس علي عليه السلام في بطنها، فيمنعها من ذلك.

وقال الحاكم أبو عبد الله: معنى قولهم علي كرم الله وجهه؛ لم يسجد لصَنَمٍ قطّ.

وكذا حكى ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام: أنه لم يعبد الأوثان[1].

وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين نفسه، وبات ليلة الهجرة على فراشه؛ يَقيه بروحه، وخلّفه بمكّة ليَردَّ الودائع التي كانت عنده، وثبت معه يوم أحد لما انهزم الناس، وبايعه على الموت، وكان يَحمل رايةَ رسول الله ﷺ العُظمى في القتال، يتقدَّم بها في نَحْر العدو، إلى غير ذلك من المناقب الجميلة، والفضائل الجليلة.

وقد ذكرنا أنه أول مَن صلّى معه، وذكرنا في السيرة اختلافَ الناس في أوّل الصحابة إسلاماً.

وقال ابن سعد: أوّل مَن صلّى عليّ، وهو ابن عشر سنين، وقيل: ابن تسع سنين، وقيل: ابن إحدى عشرة سنة[2].

وذكره الشيخ الموفق في «الأنساب» رحمه الله فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يُكنى أبا الحسن، ذهب جماعة إلى أنه أول مَن صلّى مع رسول الله ﷺ بعد خديجة، وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهدَه كلها، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وقام فيها المقام الكريم، إلا تبوكاً، فإن رسول الله ﷺ خلّفه على المدينة وعلى عياله.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩-٢٠.

قال: ولما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بينه وبين نفسه وقال: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[١].

وحكاه ابن سعد وفيه: أن النبي ﷺ وضع يده على مَنْكِب علي وقال: «أنت أخي تَرثني وأرِثُك»، فلما نزلت آية المواريث قطعه ذلك.

وقد روي أن النبي ﷺ آخى بين علي وبين سَهل بن حُنَيْف، والأول أشهر[٢].

قال الموفَّق: وكان علي عليه السلام كثير المناقب.

قال أحمد بن حنبل: لم يُرْوَ في فضائل الصحابة بالأسانيد الحسان مثل ما روي في فضائله.

قال: وكان أمير المؤمنين من أشجع الناس،لم يُبارز قطّ قِرناً إلا قتله؛ إلا من اعتصم منه بالفِرار، ومشاهده مشهورة.

قال: وكان أقضى الناس بالحديث.

وقال عمر: أقضانا علي، وقال ابن عباس: إذا ثبت لنا عن علي شيءٌ لم نَعْدُه إلى غيره.

قال: وسار في الناس بسيرة أبي بكر رضي الله عنه في القسم والتسوية بين الناس، وإذا ورد عليه مال لم يُبق منه شيئاً إلا قسمه ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، ولم يكن يَخصُّ به حميماً ولا قريباً، ولا يَخصُّ بالولايات إلا أهل الدّيانات. وهذا قول الموفق رحمه الله[٣]، وقد جمع له كتاباً مفرداً في فضائله.

قلت: وقد جمع الإمام أحمد بن حنبل كتاباً في فضائل أمير المؤمنين، ورواه النسائي، ووقع إلي بمصر في سنة أربعين، ونقلتُ منه.

وقد ذكرنا صفة أمير المؤمنين فيما تقدّم؛ عند ولايته الخلافة، وقد جمعتُ في هذا الكتاب لُمَعاً من فضائله الزاهرة من الكتاب العزيز، والسنة الطاهرة.

---

(١) التبيين ١٢٠ـ١٢١.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠ـ٢١.
(٣) التبيين ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥.

فأما الكتاب فآيات، منها في سورة البقرة قوله تعالى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٤٣]، روى مجاهد، عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب، هو أول مَن صلّى مع النبي ﷺ.

وقال ابن عباس: ما أنزل الله آية إلا وأمير المؤمنين أميرُها ورأسُها، يشير إلى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٢٧٤]، روى عكرمة، عن ابن عباس قال: كان مع أمير المؤمنين أربعة دراهم، فتصدّق بدرهمٍ ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فنزلت الآية(١).

ومنها في آل عمران ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ [٦١]؛ وقد ذكرنا القصة في السنة العاشرة، وفي وفد نَجْران.

ومنها في المائدة قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٥٥]، إلى قوله ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، ذكر أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره»(٢)، عن السدي قال: مرَّ سائلٌ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطاه خاتَمة وهو راكع، فنزلت الآية.

وفي رواية السدِّي: أن رسول الله ﷺ رآه وقد أعطى السائل خاتَمه، فدعاه وقال: «من أين لك هذا؟» فقال: أعطاني إياه ذلك المصلّي، فكبَّر رسول الله ﷺ، ونزل جبريل عليه السلام بالآية، فقال حسان بن ثابت: [من الطويل]

أبا حَسَنٍ تَفديك روحي ومُهجتي ... وكلُّ بطيءٍ في الهوى ومُسارعِ
فأنت الذي أعطيتَ إذ كُنتَ راكعاً ... فدَتْك نفوس الخلْقِ يا خيرَ راكعِ
بخاتمك الميمون يا خير سيّدٍ ... ويا خير شارٍ ثُمّ يا خيرَ بائعِ
فأنزل فيك الله خيرَ وِلايةٍ ... وبَيَّنها في مُحكمات الشَّرائعِ

فإن قيل: فإلقاءُ الخاتم عَبَث، قلنا: قد كان الكلامُ والفعل مباحاً في صدر الإسلام، يتحدّثون في الصلاة، ويَسأل بعضُهم بعضاً، ففي «الصحيحين» من حديث

(١) أسباب النزول للواحدي ٨٦، وللسيوطي ٥٠ من طريق مجاهد، عن ابن عباس.
(٢) ٤/ ٨٠. وانظر تفسير الطبري (١٢٢١٠-١٢٢١٤)، وأسبا ب النزول ١٩٢، ولبا ب النقول ٩٣.

زيد بن أرقم قال: كنّا نتكلّم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبَه وهو إلى جنبه، حتى نزل ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨] فأُمِرْنا بالسّكوت، ونُهينا عن الكلام[1].

وإذا كان الفعل قد كان مُباحاً من غير فائدة، ففي الصدقة أَوْلى.

وقد روي أن أمير المؤمنين أشار إلى السائل، فأخذه من يده، فلا يكون عَبَثاً.

ومنها في براءة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[١١٩] قال ابن عباس: نزلت في عليّ فإنه سيّد الصادقين[2].

ومنها في هود قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[١٧] ذكر أبو إسحاق الثّعلبي[3]، عن ابن عباس: أن الشاهد هنا علي بن أبي طالب في القُرب والنَّسب.

ومنها في مريم قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [٩٦] روى الثعلبي[4]، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي، قل: اللهمَّ اجعل لي عندك عَهْداً، وفي قلوب المؤمنين وُدّاً» فأنزل الله هذه الآية، قال ابن عباس: فالوُدّ: ما جعله الله في قلوب المؤمنين.

ومنها في سورة الأحزاب ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٢٣] قال ابن عباس: نزلت في علي عليه السلام، وهو الذي ينتظر أشقاها.

ومنها في الصافات ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [٢٤] قال مجاهد: عن حب علي عليه السلام.

ومنها في الجاثية قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢١] قال ابن عباس: هم عُتبة وشيبة والوليد بن المغيرة ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ هم علي عليه السلام، وقيل: علي وحمزة وعبيدة بن الحارث.

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٣٤)، وصحيح مسلم (٥٣٩).
(٢) انظر الدر المنثور ٣/ ٢٩٠.
(٣) في تفسيره ٥/ ١٦٢.
(٤) في تفسيره ٦/ ٢٣٣.

ومنها في الواقعة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾[الواقعة: ١٠] قال ابن عباس: أول السابقين إلى الإسلام علي عليه السلام[١].

ومنها في المجادلة قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾[١٢] قال ابن المسيّب: تصدَّق أمير المؤمنين بدينار، ثم ناجى الرسول، فاقتدى به الناس.

وحكى الثّعلبي[٢]، عن مجاهد قال: قال علي عليه السلام: إن في كتاب الله آية؛ ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، وتلا هذه الآية وآية الرُّخصة.

ومنها قوله تعالى ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة: ١-٧] قال ابن مسعود: هم علي عليه السلام وأهل بيته[٣].

وقد ذكرنا قصة الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، وأنه نزل فيه وفي علي عليه السلام: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا﴾ وهو أمير المؤمنين ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ﴾ الوليد ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨][٤]، في آيات كثيرة.

وأما السنة فأحاديث، منها: استخلاف رسول الله ﷺ إياه في أهله في غزاه تبوك، وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: لما خَلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزاة تبوك في أهله قال: يا رسول الله، تُخلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي».

أخرجاه في الصحيحين[٥]، وهو حديث كثير الروايات وقد أخرجه مسلم وزاد فيه: أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال سعد: أما ما

(١) انظر الدر المنثور ٦/ ١٥٤.

(٢) في تفسيره ٩/ ٢٦١-٢٦٢، وانظر أسباب النزول ٤٣٨، والدر المنثور ٦/ ١٨٥-١٨٦.

(٣) انظر الدر المنثور ٦/ ٣٧٩.

(٤) أسباب النزول ٣٦٧-٣٦٨، وانظر الدر المنثور ٥/ ١٧٨. وانظر في هذا الفصل كله: ذخائر العقبى ٨٨-٨٩.

(٥) مسند أحمد (١٥٨٣)، وصحيح البخاري (٤٤١٦)، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣١).

ذكرت [ثلاثاً] قد سمعت رسول الله ﷺ قالهن له؛ فلن أسُبّه أبداً، لأن تكون لي واحدةٌ منهن أحبّ إليّ من حُمْر النَّعم، فذكر حديث الراية يوم خيبر ـ وسنذكره بعد هذا ـ ولما نزل قوله تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين وقال: «اللهمَّ هؤلاء أهلي»، وسمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبيَّ بعدي»[(١)].

وقد أخرجه ابن سعد بإسناده عن أبي سعيد قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، وخلّف علياً في أهله، فقال بعض الناس: ما منعه أن يخرج به إلا كره صُحبَته، فبلغ ذلك علياً، فذكره لرسول الله ﷺ فقال له: «يا ابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[(٢)].

وأخرجه أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن ابن بُريدة، عن أبيه[(٣)] قال: خرج علي مع رسول الله ﷺ إلى ثَنِيَّة الوَداع يبكي ويقول: خلَّفتني مع الخَوالِف؟ ما أحبُّ أن تخرج في وَجْهٍ إلا وأنا معك، فقال له: «ألا ترضى...» وذكره.

وقال الزهري: إنما خلفه في أهله كما فعل موسى بأخيه هارون لما ذهب إلى المِيقات، وكانت المدينة قد خلت من الرجال، فخاف رسول الله ﷺ عليها، فتحدَّث المنافقون وأرجفوا وقالوا: ما تركه إلا لأنه كَرِهه، فقال: «أنت خليفتي في أهلي».

وقوله: «لا نبيّ بعدي» إشارة إلى نَسْخ الشرائع بشرعه.

وإنما قال معاوية لسعد: ما منعك أن تَسُبَّ أبا تراب؛ لأنه أراد أن يستَفْسِر منه هل يرى ذلك أم لا؟ وكان معاوية يسبُّ أمير المؤمنين، فتورّع سعد عن ذلك.

وذكر المسعودي في كتاب «مروج الذهب»[(٤)]: أن سعداً لما قال هذه المقالة

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٤)(٣٢).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢.

(٣) كذا قال، وإنما أخرجه أحمد (١٠٠٦) عن عائشة بنت سعد، عن أبيها سعد بن أبي وقاص، وأما حديث بريدة فلفظه عند أحمد (١٠٠٧): من كنت مولاه فعلي مولاه.

(٤) ٥/ ٤٠ـ٤٢.

لمعاوية قال له معاوية: ما كنت عندي أَلْوم منك الآن، هلّا نصرته، ولم قعدتَ عن بيعته، أما إني لو سمعت رسول الله ﷺ يقول له ذلك لكنتُ له خادماً ما عشت.

ولما وَلي معاوية الخلافة دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: السلام عليك أيُّها الملك، فضحك معاوية وقال: يا أبا إسحاق ما ضَرَّك لو قلتَها - يعني أراد ان يُسلِّم عليه سعد بالخلافة - فقال سعد: والله لا أقولها أبداً، أتقول هذا يا معاوية وأنت جَذْلان ضاحك، والله إني ما أحبُّ أني وُلِّيتُها بما وُلِّيتَها به[١]. والجَذْلان بجيم: الفَرِح.

ومنها حديث الراية، قال البخاري بإسناده عن سهل بن سعد؛ أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطيَنَّ الراية - أو هذه الراية - غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسوله»، فبات الناس يَذكرون أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوا على رسول الله ﷺ؛ يرجو كلٌّ أن يُعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينه، فأرسلوا إليه، فجاء وهو رَمِدٌ، فبَصق في عينه، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وَجَعٌ، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مِثلَنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه، فو الله لئن يَهتدي بهُداك رجلٌ واحد خير لك من أن تكون لك حُمْر النَّعَم».

أخرجاه في الصحيحين[٢]، وإنما ضرب المثل بحُمر النَّعم لأنها من أعزِّ أموال العرب.

وفي «المسند»[٣] عن علي قال: ما رَمِدت عيني منذ تَفَل فيها رسول الله ﷺ.

وقد أخرج أحمد في «المسند» بمعناه، وفيه: فأخذ رسول الله ﷺ الراية فهزَّها، ثم قال: «مَن يأخُذُها بحقِّها؟» فقال فلان: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «أمِطْ» أي: اذهب، ثم جاء آخر فقال: أنا، فقال: «أمِط» أي: اذهَبْ، ثم قال: «والذي كَرَّم وجهَ محمد، لأُعطينّها رجلاً لا يَفِرّ، هاكَ يا علي» فأخذها وانطلق، ففتح الله على يديه[٤].

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣١.

(٢) صحيح البخاري (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم (٢٤٠٦).

(٣) برقم (٥٧٩).

(٤) مسند أحمد (١١١٢٢).

ومنها حديث المؤاخاة، قال الترمذي بإسناده عن السدّي، عن عبد الله بن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟! فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

حديث ارتقائه على كتفي رسول الله ﷺ:

قال أحمد في «المسند»[(٢)]: حدثنا أسباط بإسناده، عن علي بن أبي طالب قال: انطلقتُ أنا ورسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي نبي الله: «اجلس»، فجلستُ، فصَعِد على مَنكبيّ، فذهبتُ لأنهضَ به فلم أُطِق، ورأى مني ضَعْفاً، فنزل، وجلس لي نبيُّ الله ثم قال: «اصعد عليَّ»فصعَدتُ على مَنكبيه، فنهض بي، وإنه ليُخَيَّل إليّ أنني لو شئتُ أن أنالَ أُفق السماء لنِلتُه، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثالُ صُفْرٍ أو نحاس، فجعلتُ أزاولُه من عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنتُ منه؛ قال لي رسول الله ﷺ: «اقذفه»، فقذفتُه فتكسَّر كما تتكسَّر القوارير، ثم نزلتُ، فانطلقنا نَستَبِقُ حتى توارينا بالبيوت، خَشيةَ أن يلقانا أحدٌ من الناس.

وروى عن ابن المسيب أنه قال: فلهذا كان علي عليه السلام يقول: اسألوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. قال: ولم يكن أحد من الصحابة يقول ذلك غيره.

حديث الموالاة:

قال أحمد في مسند زيد بن أرقم بمعناه، قال: حدثنا عفان بإسناده، عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بوادٍ يقال له: وادي خُمٍّ، فأمر بالصلاة فصلّاها بهَجير، قال: فخطبنا رسول الله ﷺ، وظُلِّل له بثوبٍ على شَجرة من الشمس، فقال: «ألستم تَعلمون ـ أو تشهدون ـ أني أولى بكلِّ مؤمنٍ من

---

(١) كذا، وقد روى الترمذي (٣٧٢٠) هذا الحديث من طريق جميع بن عمير التيمي، عن ابن عمر، لا من طريق السدي. وإنما روى السدي حديثاً بعده عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: اللهمَّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه. ونقل المصنف هنا عن الترمذي قوله: حسن صحيح، والذي في الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) برقم (٦٤٤).

نَفْسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمَن كنتُ مَولاه فإن علياً مَولاه، اللهمَّ عادِ من عاداه ووالِ مَن والاه»[١].

وروي أنه شهد له اثنا عشر من أهل بدر بذلك.

واتّفق علماء السِّير على أنّ قصةَ الغَدير كانت بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجّة الوَداع، في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وكان مع رسول الله ﷺ عشرون ومئة ألف، ممن كان يسكن مكة والمدينة وما حولهما وما بينهما من الأعراب، وقد ذكرنا هذا.

وقال أبو إسحاق الثعلبي[٢]: ولما قال رسول الله ﷺ: «مَن كنتُ مولاه فعليّ مَولاه» شاع ذلك في الأمصار، وطار في الأقطار، فبلغ الحارث بن النُّعمان الفِهريّ، فقدم المدينة، فأناخ راحلتَه عند باب المسجد، فدخل والنبي ﷺ جالس وحوله أصحابُه، فجاء حتى جثا بين يديه، ثم قال: يا محمد، إنك أمرتَنا أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقبلنا ذلك منك، وإنك أمرتنا أن نُصلّي في اليوم والليلة خمس صلوات، ونصوم شهر رمضان، ونُزكي أموالَنا، ونحجَّ البيت، فقبلنا منك، ثم لم ترضَ بهذا حتى رفعتَ بضَبْعَي ابنِ عمك ففضَّلتَه وقلت: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» فهذا شيءٌ من الله أو منك؟

فاحمرَّت عينا رسول الله ﷺ وقال: «والله الذي لا إله إلا هو، إنه من الله وليس مني»، فقام الحارث وهو يقول: اللهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك، وفي رواية: اللهمَّ إن كان ما يقول محمد حقاً فأنزل علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم.

قال: فو الله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحَجَر من السماء، فوقع على هامته، فخرج من دُبُره فمات، وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ الآية [المعارج: ١].

حديث في محبَّته:

قال أحمد في «المسند»[٣] بإسناده عن علي كرم الله وجهه قال: والله؛ إنه لمما عَهِد إليّ رسول الله ﷺ أنه لا يُحبّني إلا مؤمن، ولا يُبغضني إلا مُنافق.

---

(١) مسند أحمد (١٩٣٢٥).

(٢) في تفسيره ١٠/ ٣٥.

(٣) مسند أحمد (٦٤٢).

انفرد بإخراجه مسلم[١]، وأخرج الترمذي بمعناه، فقال: حدثنا واصل بإسناده، عن المُساوِر الحِميريّ، عن أمِّه قالت: دخلتُ على أم سلمة، فسمعتُها تقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «لا يُحبُّ علياً منافق، ولا يُبغضه مؤمن».

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنا لنَعرف المنافقين إلا ببُغْضهم عليَّ بن أبي طالب[٢].

حديث الأضحية:

قال أحمد في «المسند»[٣] بإسناده عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أُضحِّي عنه، فأنا أُضحّي عنه بكَبْشَين أملَحين.

قال الزهري: وإنما خَصَّ أميرَ المؤمنين بذلك دون غيره لقربه منه، ومنزلته عنده، فصار كأنه فعل ذلك بنفسه.

حديث القضيب الأحمر:

قال أحمد في «الفضائل»[٤] بإسناده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يتمسّك بالقضيب الياقوت الأحمر؛ الذي غرسه الله بيمينه في جنة عدن؛ فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب» كرّم الله وَجهه.

حديث ردِّ الشمس:

حدثنا غير واحد عن أبي الفضل بإسناده، عن إبراهيم بن الحسن البصري، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عُمَيس قالت: كان رسول الله ﷺ يُوحى إليه ورأسُه في حِجر علي بن أبي طالب، فلم يُصلِّ العصرَ حتى غربت الشمس، فقال: يا علي صلَّيتَ العصر؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردُد عليه الشمس». قالت أسماء: فلقد رأيتُها غربت، ثم رأيتُها طَلعت بعد ما غربت.

قلت: وقد طعن في صحّة هذا الحديث جدّي رحمه الله؛ فإنه ذكره في «الموضوعات»[٥] قال جدي: فإن صلاة العصر صارت قَضاءً بغَيبوبة الشمس، فرجوع

---

(١) في صحيحه (٧٨).

(٢) سنن الترمذي (٣٧١٧) و(٣٧١٧م).

(٣) برقم (١٢٧٩).

(٤) برقم (١١٣٢).

(٥) برقم (٦٦٧).

الشمس لا يَجعلُها أداءً، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُحبس الشمس على أحدٍ إلا على يُوشَع بن نون»(١). هذا صورة كلام جدي.

قال: وكان صالح بن أحمد أو أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء؛ لأنه من علامات نبوّة نبينا ﷺ ومعجزاته.

وقوله ﷺ: «لم تُحبس الشمس على أحدٍ إلا على يوشع بن نون» فمعناه من بني إسرائيل؛ لأن هذه الأمة أفضل من بني إسرائيل، ثم لا يخلو حبسها على يوشع إما أن يكون مُعجزةً لموسى أو ليوشع، فإن كان لموسى فنبيُّنا أفضل منه، وإن كان لأجل يوشع فلا خلاف أن علياً عليه السلام أفضل من يُوشَع، قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»(٢).

فإن قيل: فإن حبسَها ورجوعَها مُشكل؛ لأنها لو حُبِست أو رُدَّت لاختلَّت الأفلاك، ولفَسد النظام، قلنا: حبسُها وردُّها من باب المعجزات أو الكرامات، ولا مجال للقياس في خَرْق العادات.

وفي الباب حكاية عجيبة جرت ببغداد، ينقلها من مشايخنا خلفٌ عن سلف، حكاها لي جماعة، منهم عبد الوهاب بن علي الصوفي، وعبد الرحمن بن أبي حامد بن عصية الحَربيّ، وعبد العزيز بن محمود البزاز، وجماعة آخرون قالوا: جلس أبو منصور المظفَّر بن أرْدَشِير العبَّادي الواعظ بالتَّاجية مدرسة بباب أبْرز بعد العصر، وذكر حديث: ردّ الشمس ثم شرع بعده في فضائل أهل البيت، فذكر منها بعضها ولم يتمّم، فنشأت سحابةٌ عظيمة، فغَطَّت الشمس، فظنّ الناس أنها قد غربت، فأرادوا أن يَتفرَّقوا، فأشار إليهم أبو منصور من المنبر أن لا تتحرّكوا واثبُتوا، ثم أدار وَجهه إلى ناحية المغرب، وارتجل في الحال وقال: [من الكامل]

لا تَغربي يا شمسُ حتى ينتهي مَدحي لآل المصطفى ولنَجلِهِ
واثْنِي عِنانَك إن أردْتِ ثَناءهم أنسيتِ إذ كان الوقوفُ لأجْلِهِ

(١) أخرجه أحمد (٨٣١٥) من حديث أبي هريرة. وانظر الموضوعات ٢/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) نقل السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٢) عن ابن حجر والدميري والزركشي قولهم: لا أصل له، ولا يعرف في كتاب معتبر.

إن كان للمولى وُقوفُكِ فليكن هذا الوقوفُ لخَيْلِهِ ولرَجْلِهِ

ويروى: لوُلْدِه ولنَسْلِه، قال: فطلعت الشمس، فلا يُحصى ما رُميَ عليه من الحلي والثياب(١).

ذكر زهده وورعه ولباسه وتواضعه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الزهد» لأبيه بإسناده عن علي بن ربيعة، عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن التيَّاح فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال علي: الله أكبر، وقام مُتوكِّئاً على ابن التيَّاح، حتى قام على بيت المال وقال: [من الرجز]

هذا جَنايَ وخياره فيهْ

وكلُّ جانٍ يَدُه إلى فيهْ

يا ابن التياح، علي بأشياع أهل الكوفة، فنودي في الناس، فأعطى جميع ما كان فيه، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء، غُرِّي غيري، ها وها، حتى ما بقي فيه دينارٌ ولا درهم، ثم أمر بنَضْحه، وصلّى فيه ركعتين(٢).

وقال الواقدي: إنما صلّى في بيت المال ليَشهدَ له يوم القيامة أنه لم يَحبس ما كان فيه عن المسلمين، ولقد كانت الشاة تَيْعَر في بيت المال فيفرّقه(٣).

وحدثنا جدي رحمه الله، حدثنا أبو بكر بن حبيب الصُّوفي بإسناده، عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضَمْرة على معاوية، فقال له: صف لي علياً، قال: أوَتعفِيني؟ قال: لا أُعفيك، بل تصفه، فقال: أما إذ لابُدّ منه؛ فإنه والله كان بعيد المدَى، شديد القُوى، يقول فصْلاً، و يحكم عَدْلاً، يَتفجَّر العلمُ من جوانبه، وتنطق الحِكمة من نواحيه، يستوحش من الدُّنيا وزَهرتها، ويَستأنس بالليل وظُلمته، كان والله غزير الدَّمعة، طويل الفِكرة، يُقلّب كَفَّه، ويخاطب نفسَه، يُعجبه من اللباس ما خَشُن، ومن

(١) نقله عن المصنف: الذهبي في تاريخ الإسلام ١١/ ٩١٩، والسير ٢٠/ ٢٣٢.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (٨٨٤)، ولم أقف عليه في الزهد، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٨٠-٨١ من طريق أحمد، وانظر صفة الصفوة ١/ ٣١٤-٣١٥.

(٣) انظر فضائل الصحابة (٩١٤-٩١٥) و(٨٨٦).

الطعام ما جَشُب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويَبتَدِئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دَعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا، وقُربه منا؛ لا نُكلِّمه هيبة له، ولا نبتَدِئُه لعظمه، فإن تبسَّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعظِّم أهلَ الدِّين، ويُحبُّ المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عَدله، فأشهد بالله لرأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفَه، وغارت نجومُه، وقد مَثَل قائماً في مِحرابه، قابضاً على لحيته، يَتململُ تَمَلْمُلَ السّليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا، أبي تعرَّضتِ؟ أم بي تَشوَّفتِ؟ هيهات، غُرِّي غيري، قد بَتَتُّك ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك، فعُمرك قصير، وعيشُك حقير، وخطرُك كثير، آه من قلَّةِ الزّاد، وبُعْدِ السَّفَر، ووَحْشَةِ الطَّريق.

قال: فذرفت دُموع معاوية على لحيته فما يملكها، وهو ينشفها بكُمّه، وقد اختنق القوم من البكاء أو بالبكاء.

ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، ثم قال: فكيف حُزنك عليه يا ضرار؟ قال: حُزنَ مَن ذُبح وَلَدُها في حِجرها؛ فلا ترقأ عَبْرَتُها، ولا يَسكن حُزنُها(١).

قلت: وقد أخرج أبو القاسم بن عساكر هذه الحكاية في «تاريخه»(٢) عن المدائني، وفي آخرها بعد قول ضرار: ولا يَسكن حزنُها؛ أن معاوية قال له: لكن أصحابي لو سُئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيءٍ مثل هذا.

وقال أبو نعيم الحافظ بإسناده عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلتُ على علي عليه السلام بالخَوَرْنق وهو يُرعَد تحت سَمَل قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك ولأهلك ـ أو ولأهل بيتك ـ في هذا المال نصيباً، وأنت تصنع بنفسك ما تَصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنها لقَطِيفَتي التي خرجتُ بها من المدينة(٣).

قال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن أبي مُطرّف(٤) قال: رأيت علياً عليه السلام

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٨٤ـ٨٥، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/ ٣١٥ـ٣١٦.

(٢) ٨/ ٤٧٤ (مخطوط).

(٣) حلية الأولياء ١/ ٨٢، وصفة الصفوة ١/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

(٤) في (خ): معطوف، والمثبت موافق لصفة الصفوة ١/ ٣١٧، والذي في فضائل الصحابة (٨٧٨)، والزهد ١٦٢: عن أبي مطر، وهو الصواب.

مؤتزراً بإزار، مرتدياً آخر ـ أو برداء ـ ومعه الدّرة كأنه أعرابي يدور، حتى بلغ سوق الكَرابيس، فوقف على شيخ فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يَشترِ منه شيئاً، فأتى غلاماً حَدَثا، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام، فأخبره ابنُه، فأخذ أبوه درهماً، ثم جاء به، فوقف على أمير المؤمنين وقال: هذا الدرهم، فقال: ما شأنُه؟ فقال: كان ثمنُ القميص درهمين، فقال: باعني رِضاي، وأخذ رضاه.

وحدثنا جدي رحمه الله قال: حدثنا عبد الوهاب الأنماطي بإسناده، عن عمرو بن قيس: أن علياً عليه السلام رُئي عليه إزارٌ مَرقوع، فعُوتب في لبسه فقال: يقتدي بي المؤمن، ويخشع له القلب.

وقال أبو نعيم بإسناده عن علي بن الأقمر، عن أبيه قال: رأيت علياً عليه السلام يبيع سيفاً له في السوق ويقول: مَن يشتري مني هذا السيف، فوالذي فَلَق الحبَّة؛ لطالما كشَفْتُ به الكَرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثَمنُ إزار ما بِعتُه[١].

وحكى ابن الكلبي، عن الأحنف بن قيس قال: دخلت على معاوية، فقدَّم إلي من الحُلو والحامض شيئاً كثيراً، ثم قدّم إلي لوناً لم أره ولم أعرفه، فقلت: ما هذا؟ فقال: مصارين البَطّ، محَشُوَّةٌ بالمخ، ودهن الفستق، وقد ذر عليه السكر، قال الأحنف: فبكيت وقلت: لله درُّ علي بن أبي طالب، لقد جاد بما لم يَسمحوا به، لقد دخلتُ إليه ليلةً عند إفطاره، فقال لي: قم فتَعَشَّ مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة فأطال، ثم انفتل من صلاته، فدعا بجِراب مختوم، ففكَّه وأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه، فقلت: يا أمير المؤمنين لم أَعهدْك بخيلاً، فما هذا الختم على الشعير؟ فقال: والله ما أختمه بخلاً، ولكني خفتُ أن يَلُتَّه الحسن والحسين بسمن أو إهالة، فقلت: أحرام هو؟ قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يَتأسّوا بأضعف رعيَّتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميّزون عليهم بشيء فيزدادون تواضعاً[٢].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله بن هُبيرة الشيباني، عن عبد الله بن زُرَير[٣]

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٣، وصفة الصفوة ١/ ٣١٨.

(٢) التذكرة الحمدونية (٩٥).

(٣) في (خ) و(ع): رزين، وهو خطأ، والتصويب من مسند أحمد (٥٧٨)، وفضائل الصحابة (١٢٤١).

الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب يوم أضحى، فقَرَّب إلينا خزيرة[١]، فقلت: رحمك الله، لو قرَّبتَ إلينا من غير هذا، فإن الله قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زُرَير، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَحلُّ للخليفة من هذا المال إلا قَصْعتان: قَصعَةٌ يأكلها هو وأهلُه، وقَصعةٌ يَضَعُها بين يدي الناس».

وفي رواية: «لا يحل للخليفة من مال الله...» وذكره.

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه قال: أُهدي إلى علي عليه السلام زِقاق من سَمْن وعسل، فرآها قد نَقصت، فسأل عنها فقيل: بعثت أم كلثوم فأخذَتْ منه، فبعث إلى المقَوِّمين فقوَّموه خمسة دراهم، فبعث إلى أم كلثوم: ابعثي لي خمسة دراهم؛ فإنما هو من مال المسلمين[٢].

وقال ابن أبي الدنيا بروايته عن الكميل بن زياد قال: جاء إلى بيت المال زِقاق من عسل، فقال الحسن بن علي لقَنبر: قد نزل بي أضياف، فاذهب فائتِني من العسل بمقدار ما يُصيبني، وإذا قسمه أمير المؤمنين فخُذ منه بمقدار ما أخذت، ورُدَّه في بيت المال، ففعل قنبر، وجاء علي إلى الزِّقاق فوجد ذلك الزقّ ناقصاً، فسأل قَنبر فخاف، فأخذ يَتعلّل عليه، فناشَده الله ليَصْدُقَنّه، فحدّثه الحديث فقال: عليَّ بالحسن، فجاء فوقع على قدميه وقال: بحقّ عمي جعفر ـ وكان علي إذا سُئل بحق جعفر سكن غضبه ـ فقال له: ما حَملك على ما صنعتَ قبل القِسمة؟ قال: أما لي فيه حق؟ قال: بلى، ولكن لم انتفعتَ به قبل المسلمين؟! لولا أنني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبّل ثناياك لأوجعتُك ضَرْباً، قم فاشترِ عِوضَه، فصُبَّه في الزِّقّ، ففعل.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن مجاهد قال: قال علي عليه السلام جُعتُ مرةً بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأةٍ قد جمعت مَدَراً تُريد بَلَّه، فأتيتُها، فقاطعتُها على كل دَلْوٍ أو ذَنوب بتمرة، فمَدَدْتُ ستة عشر ذَنوباً، حتى مَجِلت يداي، فأعطتني ست عشرة تمرة، فأتيت بها النبي ﷺ، فأكل منها[٣].

---

(١) لحم يقطع صغاراً، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

(٢) صفة الصفوة ١/ ٣٢٠.

(٣) مسند أحمد (١١٣٥)، وفضائل الصحابة (١٢٢٩)، وصفة الصفوة ١/ ٣٢٠.

وقال ابن سعد بإسناده عن خالد بن أبي أمية[١] قال: رأيت علياً عليه السلام وقد لَحِق إزارُه بركبتَيه.

وقال ابن سعد بإسناده عن الحُرّ بن جرموز، عن أبيه قال: رأيت علياً وهو يخرج من القصر، وعليه قِطرِيّتان: إزار إلى نصف الساق، ورِداءٌ مُشمّر قريب منه، ومعه دِرّةٌ له يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكَيلَ والميزان، ولا تَنفُخوا اللّحم.

وروى ابن سعد: أنه كان لعليّ عمامة سوداء، قد أرخاها من بين يديه ومن خلفه، وفي رواية: من خلفه، وهو الأصح.

وروى أيضاً عن يزيد بن الحارث قال: رأيت على علي عليه السلام قَلَنْسوة بيضاء مُضَرَّبَة[٢].

وقال البخاري بإسناده عن محمد بن الحنفيّة قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم مَن؟ قال: ثم عمر، قال: وخشيتُ أن أقول: ثم مَن فيقول عثمان، فقلت: ثم أنت فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. انفرد بإخراجه البخاري[٣].

وروى أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن أبي النوار بائع الكرابيس[٤] قال: اشترى أمير المؤمنين تَمراً بدرهم، فحمله في مِلحفته، فقال له رجل: ناولني إياه أحمله عنك، فقال: أبو العِيال أولى بحمل حاجته من غيره، ولم يعطه إياه.

وحكى البلاذري[٥]، عن المدائني قال: خرج أمير المؤمنين يوماً من القصر، فرأى

---

(١) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥ : خالد أبي أمية.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥ـ٢٨ .
(٣) في صحيحه (٣٦٧١).
(٤) كذا، وهذا الحديث يرويه صالح بياع الأكسية، عن أمه أو جدته قالت رأيت علياً... انظر فضائل الصحابة (٩١٤)، والزهد ١٦٥ـ١٦٦ ، وأما الذي يرويه أبو النوار بياع الكرابيس فهو في الفضائل (٩١١)، والزهد ١٦٥ قال: أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام، فاشترى مني قميص كرابيس... والحديثان من زيادات عبد الله ابن أحمد على كتابي أبيه.
(٥) في أنساب الأشراف ٢/ ١٠٨ .

الناسَ مُجتمعين على بابه، فضَربهم بالدّرة حتى تفرقوا، ثم قال لعمرو بن حُرَيْث: كنتُ أظن أن الأُمراء يَظلمون الناس، وإذا بالناس يظلمون الأمراء، ما في هؤلاء من خير.

وقال الكُميل بن زياد: كان أمير المؤمنين يَرقع ثوبَه، ويَخصف نعلَه، ويتولّى حَوائجَه بنفسه، فعاتبته يوماً على ترك الشّهوات، والتَّقَلُّل من الدنيا، وما هو فيه من شدّة العيش، فبكى وقال: كان رسول الله ﷺ يَخصِف نَعلَه، ويَرقع ثوبَه، ويَحمل حاجته، ويُجالس المساكين، ويَبيتُ الليالي طاوياً، ويَشُدّ الحَجَر على بطنه، وما شبع من طعام أبداً، وكنتُ أشدُّ الحَجَر معه، فهل أكرمه الله بذلك أو أهانه؟! فإن قال قائل أهانه فقد فَسق ومرق، وإن قال أكرمه علمنا أن الله أهان غيره، حيث بسط له الدنيا، وزواها عن أعزّ الخلق عليه، وأقربهم إليه، حيث خرج من الدنيا خَميصاً، وورد الآخرة سَليماً؛ لم يرفع حَجراً على حجر، ولا لَبِنَة على لَبِنة، ولقد سلكتُ سبيلَه بعده، ورَقعتُ مِدرعتي هذه حتى استحييتُ من راقعها، فقيل لي: ألا تستبدل غيرها؟! فقلت للقائل: اغْرُبْ، فعِند الصَّباح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى.

ذكر جملة من كلامه، ولمعة من نثره ونظامه:

روى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن رجل من بني شيبان قال: خطب علي عليه السلام يوماً، فقال في خطبته: أيَّتها النفوس المختلفة، والقلوب المُشَتَّتة، الشاهدة أبدانُهم، الغائبة قلوبُهم، المختَلَّة عقولهم، كم أدلكم على الحقّ وأنتم تَنفرون نُفور المعزى من وَعْوَعَة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سَنام العدل، أو أقيم بكم اعوِجاج الحق.

اللهمَّ إنك تعلم أني لم تكن مني منافسةٌ في سلطان، ولا التماسُ شيءٍ من الدنيا، ولكن لأردَّ المعالم من دينك، وأُظهر الصَّلاح في بلادك، وتُقام المُعَطَّلَة من حدودك.

اللهمَّ إنك تعلم أنه لا ينبغي أن يكون على الدّماء والفُروج والمغانم والإمامة البخيلُ؛ لأن نَهْمَته في جمع المال، ولا الجاهل فتَخْتَلّ الأحكام، ولا الجافي فتنفر الرَّعيَّة بجفائه، ولا الخائف فيتخذ قوم دون لشدته[1]، ولا المرتشي في الحكم فتذهب الحقوق، ولا المُعَطِّلُ السنَنَ، ولا الباغي فيدحض الحق ببغيه، ولا الفاسق فيستن

---

(١) كذا (؟!).

الشرع بفسقه.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجل مات وترك ابنتين وأبوين وامرأة؟ فقال: لكل واحد من الأبوين السدس، وللابنتين الثلثان، قال: فالمرأة؟ قال أمير المؤمنين: صار ثُمنها تسعاً.

قلت: وهذا الجواب في غاية الفصاحة والرشاقة، وقد وافقه فقهاء الصحابة إلا ابن عباس؛ فإنه كان لا يقول بالعَول، فيُدخل النقص على الابنتَين لا غير، فيكون لكل واحد من الأبوين السدس كاملاً، وللمرأة الثمن كاملاً، وما بقي للابنتين، وعلي عليه السلام ومَن يقول بالعول فإنه يدخل النَّقْصَ على الكُلّ لما ضاق عن الوفاء بالمقدرات.

وأصل المسألة من أربعة وعشرين، وتعول إلى سبعة وعشرين، للزوجة الثمن وهو ثلاثة، وللبنتين الثلثان ستة عشر، وللأبوين ثمانية لكل واحد أربعة، فكان أصلها من أربعة وعشرين، إلا أنها زادت بثمنها وهو ثلاثة، فيدخل النقص على الكل نسبة واحدة لما ضاق المال عن الوفاء بالمقدار، فيكون للزوجة ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها، فهذا معنى قوله: صار ثمنها تسعاً.

وأما على قول ابن عباس ومَن نفى العول، فيُدخل النقص على الابنتين لا غير، فيكون للزوجة ثمن كامل، وهو ثلاثة من أربعة وعشرين، وللأبوين لكل واحد منهما سدس كامل ثمانية، يبقى ثلاثة عشر تكون بين الابنتين، وقد قررناها في الفرائض.

ذكر جواب لمعاوية:

قال هشام بن محمد: كتب إليه معاوية: أما بعد، فإن أنْصَحَ الناس لله ولرسوله خليفتُه الثالث المظلوم عثمان، وإنك لكلّهم حَسَدْتَ، وعليهم بَغيت، عرفنا ذلك في نَظَرك الشَّزْر، وتنفُّسِك الصُّعَداء، وإبطائك عن بيعتهم، ولم تكن لأحدٍ منهم أكثر حَسَداً لابن عمك منك[1]، وكان أحقّ أنك لا تفعل معه ذلك؛ لقرابته وصِهره، فقطعتَ رَحِمه، وقبَّحتَ مَحاسنه، وألَّبتَ الناس عليه، وأظهرتَ له الصداقة، وأبطنتَ له

(١) في (خ) و(ع) زيادة: وابن عمتك. والمثبت من وقعة صفين ٨٧ ، وأنساب الأشراف ٢/ ١٩٤ ، والعقد ٤/ ٣٣٥ .

العداوة، حتى ضُرِبت له آباط الإبل من الآفاق، وقِيدت إليه الخيل العِراب، وشُهِر عليه [السلاح] في حرم رسول الله ﷺ، فقُتل معك في المدينة وأنت تسمع الواعية، لم تردّ عنه ذلك بقولٍ ولا فِعل، ولعمري لو قُمتَ في أمره مُقاماً واحداً، فنهيت الناس عنه؛ لمحا ذلك ما كان يعرفه الناس منك من المُجانَبة له، ولساعدوك على قَتَلَتِه[1]، ولكنك آويتَ قَتَلته مع خذلانهم، فهم أنصارك وأعوانك، وأعضادك[2] وبِطانتك ويدك، ثم تنتفي من دمه؟! فإن كنتَ صادقاً فمكِّنّا من قَتَلَتِه لنقتلهم، ثم نحن أسرع الناس سراعاً إليك، وإن أبيتَ فمالك عندنا سوى السيف، والله لنَطْلُبَنَّ قَتَلَة عثمان في البرّ والبحر، والجبال والرمال، حتى نقتلَهم، أو تلحقَ أرواحُنا بعثمان قبل ذلك.

فكتب إليه أمير المؤمنين: قد أطلتَ الخُطَب في أمر عثمان، والله ما قتله غيرك، وإن السيف الذي قتلتُ به أخاك وخالَك وجدّك عندي، والسلام.

جواب أمير المؤمنين في الرُّوح:

ذكر الشعبي أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر رضي الله عنه يقول: أخبرني عن الرُّوح التي ذكرها الله في كتابكم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[الإسراء: ٨٥]، ما هي؟ فجمع عمر الصحابة، وأخبرهم الخبر، فلم يجد عندهم جواباً، غير أنهم قالوا: يَسَعُنا ما وسع رسول الله ﷺ، فقال لهم كعب الأحبار: إن الخصوم لا يَقنعون منكم بهذا، ولا بدّ من جَوابٍ يصل إلى أفهامهم، فقال: عليَّ بعَليٍّ عليه السلام، فجاء فعرض عليه كتاب قيصر وقال: ليس لها سواك، فقال: نعم، وكتب في الجواب:

أما بعد، فإن في كتاب الله مَقْنَع، فإن طَلبتَ زيادة فاعلم أن الروح نُكتة لطيفة، ولمعة شريفة، من صنعة بارئها، أخرجها من خزائن مُلكه، وأسكنها في ملكه، وهي عنده لك سبب، وهي لك عنده وَديعة، فإذا أخذتَ مالك عنده أخذ ماله عندك، والسلام.

فلما قرأ قيصر كتابه قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت نبوة.

---

(١) في (خ) و(ع): قتله.

(٢) يريد: وعضدك، فجمعها على ما ترى؟!

ويروى أن عمر ﷺ قال عند ذلك: أعوذ بالله من مُعضِلةٍ ليس لها أبو حسن.

وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لولا علي هلك عمر.

قلت: وله سبب، أنبأنا جدي رحمه الله، حدثنا محمد بن عبد الملك بإسناده إلى حَنَش بن المُعتمر أن رجلين أتيا امرأةً، فاستودعاها مئة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون الآخر حتى نجتمع.

فلبثا حولاً، فجاء أحدهما إليها فقال: إن صاحبي قد مات، فادفعي إليَّ الدنانير، فقالت: إنكما قلتما كذا وكذا، فلستُ أدفعها إلا إليكما، فثقل عليها بأهلها وجيرانها، فدفعتها إليه، فلبثتْ حولاً، وجاء الآخر فقال: ادفعي إليّ الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاء فزعم أنك مت، وثقل علي فدفعتها إليه.

فاختصما إلى عمر بن الخطاب، فأراد أن يَقضي عليها، فقالت المرأة: أَنشدك الله إلا رفعتَنا إلى علي، فرفعهما إليه، فعلم أنهما قد مَكرا بها، فقال للرجل: ألستُما قلتُما لا تدفعيها إلا إلينا جميعاً؟ قال: بلى، قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فأتِ بصاحبك حتى نَدفعها إليكما، فذهب ولم يعد[(١)].

ومن كلامه في صفة الأولياء: قال ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي أراكة قال: صليتُ مع علي عليه السلام صلاةَ الفجر، فلما سلّم انفتل عن يمينه، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قِيدَ رُمح أورُمحين، قلب يديه وقال: لقد رأيتُ أصحاب محمد ﷺ، فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم، لقد كانوا يُصبحون شُعثاً غُبْراً صُفْراً، بين أعينهم أمثال ركب المعْزى، قد باتوا لله سُجَّداً وقياماً، يتلون كتاب الله يُراوحون بين جِباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا عند ذكره كما يَميد الشجر في يوم ريح عاصف، وهَملت أعينهم حتى تَبلَّ ثيابَهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

---

(١) ذكره المقدسي في التبيين ١٢٤ـ١٢٥ .

ثم نهض فما رؤي مُفتراً حتى ضربه ابنُ مُلْجِم.

ومن كلامه في الرقائق: قال أبو نعيم الأصفهاني بإسناده عن العلاء بن المسيب، عن عبد خير، عن علي عليه السلام قال: قال لي: ليس الخير أن يَكثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويَعظم حِلمك، فلا خير في الدنيا إلا لأحد الرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يَقِلّ عمل في تقوى، وكيف يقل ما يُتقبّل.

وروى أبو نعيم أيضاً بإسناده إلى علي عليه السلام قال: إن أخوف ما أخاف اتّباعُ الهوى، وطول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيَصُدّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد تَرَحَّلت مُدبِرة، ألا وإن الآخرة قد ترحّلت مُقبلة، ولكل واحد منهما بَنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حِساب ولا عمل.

وروى أبو نعيم أيضاً عن علي عليه السلام: أنه شَيَّع جنازة، فلما وُضعت في اللّحد ضجَّ أهلها، أوعَجّ أهلُها، وبَكَوا، فقال: وممّ يَبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين مَيّتهم لأذهلهم معاينتهم عنه، وإن له إليهم لعَودة ثم عودة، حتى لا يُبقي منهم أحداً[1]، ثم قام وذكر موعظة بليغة طويلة.

وقال علي عليه السلام: أقلّ ما يَلومكم الله تعالى لا تستعينوا على معاصيه بنعمه.

قال: وقال: اتقوا الله في الخلوات؛ فإن الشاهد هو الحاكم.

قال: وقال: الزُّهد كلّه في كلمتين من القرآن ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد: ٢٣].

قال: والعجب ممن يدعو ويستبطئ الإجابة، وقد سدّ طُرُقَها بالمعاصي.

ومن كلامه في قوس قُزَح؛ حكى الحارث الأعور عنه قال ـ وكنية الحارث أبو

(١) حلية الأولياء ١/ ٧٥-٧٨، وصفة الصفوة ١/ ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٧-٣٢٨، ٣٣١-٣٣٢.

زهير، وأبوه عبد الله، ويقال: عُبيد، الهَمْداني الكوفي، من أصحاب ابن مسعود، حمل عنه العلم، قال ـ قال علي عليه السلام: لا تقولوا: قوس قُزَح، وإنما قولوا: قوس الله، وأمانٌ من الغَرَق.

وأول ما رؤي في الجاهلية على قُزَح، وهو الجبل الذي يُؤخذ منه الجِمار فينسب إليه، والعامة تقول: قوس قدح بالدال، وهو غلط فاحش[(١)].

ومن كلامه في القضاء والقدر؛ روى العوفي، عن ابن عباس قال: قال رجل لأمير المؤمنين: أخبرني عن القدر ما هو؟ فقال: طريق مظلم فلا تَسلُكه، قال: أخبرني عنه، قال: سرُّ الله الخفيّ في خلقه فلا تُفْشِه، قال: أخبرني عنه، قال: بحرٌ عميق فلا تَلِجْه.

ثم قال: أيها السائل، خلقك كما تشاء أو كما يشاء؟ قال: كما يشاء، قال: أيُميتك على ما يشاء أو على ما تشاء؟ قال: على ما يشاء، قال: ألك مَشيئة فوق مشيئة الله، أو دون مَشيئة الله، أو مع مشيئة الله؟! فإن قلت: فوق مشيئة الله؛ فقد ادّعيتَ الغَلَبة لله، وإن قلت: مع مشيئة الله؛ فقد ادَّعيتَ الشركة، وإن قلت: دون مشيئة الله؛ فقد اكتفيتَ بمشيئتك عن مشيئة الله.

قال: صدقتَ، فما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله؟

قال: لا حول عن معصيته إلا بعصمته، ولا قُوَّة على طاعته إلا بمعونته، أعقَلتَ عن الله؟ قال: نعم، فقال لأصحابه: الآن أسلم أخوكم فصافحوه[(٢)].

وقال: [من الوافر]

إذا عَقَد القضاءُ عليك أمراً ... فليس يحلُّه إلا القضاءُ

(١) انظر المقاصد الحسنة (١٢٩٧)، وفيض القدير ٢/ ١٨٢، وكشف الخفاء ٢/ ٤٨١-٤٨٢.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٤٢٢) و(٥٤٨) من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده. وأخرجه اللالكائي مختصراً في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١١٢٣) من طريق عبد الله بن بكر، عن أبي عبد الرحمن رفع الحديث إلى علي. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٥١٢-٥١٣ من طريق أبي إسحاق، عن الحارث.

فـمـالـك قـد أقـمـتَ بـدار ذُلٍّ … وأرضُ الله واسـعـةٌ فـضـاءُ
تَـبـلَّـغْ بـالـيـسـيـر فـكـلُّ شـيءٍ … مـن الـدنـيـا يـكـون لـه انـقِـضـاءُ(١)

وقال: [من البسيط]

لا تَـخْـضَـعـنَّ لـمـخـلـوقٍ عـلى طَمَعٍ … فـإن ذاك مُـضِـرٌّ مـنـك بـالـدِّيـنِ
واسـتـرزقِ الله مـمـا فـي خـزائِـنـه … فـإن ذلـك بـيـن الـكـافِ والـنُّـونِ(٢)

وقال: [من الهَزَج]

ولا تَـصـحـبْ(٣) أخـا الـجَـهـلِ … وإيَّـــاك وإيـــاهُ
فـكـم مـن جـاهـلٍ أردى … حـكـيـمـاً حـيـن آخـاهُ
يُـقـاسُ الـمـرءُ بـالـمـرءِ … إذا مـا الـمـرءُ أدنـاهُ
ولـلـشـيءِ عـلـى الـشـيءِ … عـلامـاتٌ وأَشـبـاهُ

وذكر الغزالي(٤) في كتاب «سر العالمين» وقال: قال أمير المؤمنين: [من البسيط]

الـمـرء فـي زَمـنِ الإقـبـالِ كـالـشَّـجَـرةْ … وحـولَـهـا الـنـاسُ مـا دامت بـهـا الـثَّـمـرَهْ
حتى إذا ما عَرَتْ عن حَملها انصرفوا … عنـهـا عُـقـوقـاً وقـد كـانـوا بـهـا بَـرَرَهْ
وحـاولـوا قَـطـعـهـا مـن بـعـد مـا شَـفَـقـوا … دَهـراً عـلـيـهـا مـن الأريـاح والـغَـبـرهْ
قَـلَّـت مُـروآتُ أهـلِ الأرضِ كـلـهـم … إلّا الأقـل فـلـيـس الـعـشـر مـن عَـشَـرَهْ
لا تَـحْـمَـدَنَّ امـرءاً حـتـى تُـجَـرِّبَـه … فـرُبَّـمـا لـم يُـوافـق خُـبـرُه خَـبَـرَهْ

---

(١) ديوانه ٦، ونسبها إليه ابن حمدون في تذكرته ١/ ٧٩ وروايتها عنده: غيرُ القضاءِ، واسعةُ الفضاءِ، إلى انقضاءِ.

(٢) ديوانه ٩٥، ونسبهما ابن حبان في روضة العقلاء ١٣٢ إلى أبي العتاهية، ونسبهما أبو الفرج في الأغاني ٢٠/ ٥٩ إلى أبي محمد التيمي، وبلا نسبة في أدب الدنيا والدين ٢٩٨.

(٣) في (خ): لا تصحبن. والأبيات في ديوانه ١٠٠، والعزلة ٦٧ والإبانة ٢/ ٤٦٥، وسر العالمين ١/ ٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٣٩٩ (مخطوط). وانظر المجالسة وجواهر العلم (١٣٧٩/ ١)، وديوان أبي العتاهية ٦٦٥-٦٦٦.

(٤) في (خ): العراقي. والأبيات في سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي ١٦.

ذكر مقتله:

قال علماء السير: ما زال الناس خائفين على أمير المؤمنين منذ حكَّم الحَكَمين، وقتل الخوارج، وكان دائماً يجري على لسانه أنه يُقتل، ويَستَبطئ القاتل فيقول: متى يُبعث أشقاها؟

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن زيد بن وَهب قال: قدم على علي عليه السلام قومٌ من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجَعْد بن بَعجة، فقال له: اتق الله يا علي فإنك ميت، فقال علي: بل مَقتول ضَرْبَةٌ على هذه تخضب هذه، يعني لحيته من رأسه، عَهدٌ مَعهود، وقَضاءٌ مَقضيّ، وقد خاب مَن افترى، وعاتبه في لباسه فقال: ما لكم وللباسي، هو أبعدُ من الكِبر، وأجدر أن يَقتدي بي المسلمون[1].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن الحارث بن عبد الله[2] قال: قال علي عليه السلام: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي أتدري مَن أشقى الأوَّلين والآخِرين؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أشقى الأولين عاقِرُ الناقة، وأشقى الآخِرين مَن يَخضِب هذه من هذه». يعني: لحيته من هامَتِه.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الطُّفَيل قال: دعا علي الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن مُلْجَم المراديّ فردّه مرتين، ثم أتاه فقال: ما يَحْبِسُ أشقاها؟! لتُخْضَبَنّ ـ أو لتُصْبَغَنّ ـ هذه من هذه، ثم تمثّل بهذين البيتين:

أُشْدُدْ حيازيمَك للمَوتِ ... فإن الموت لاقيك
ولا تَجزَعْ من الموت ... إذا حلَّ بواديك

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي مِجْلَز قال: جاء رجل من مُراد إلى علي عليه السلام وهو يصلّي في المسجد، فقال: احترِسْ، فإن ناساً من مُراد يريدون قَتلَك، فقال: إن

---

(١) فضائل الصحابة (٩٠٨) و(٩٠٩).

(٢) كذا، والذي في فضائل الصحابة (٩٥٣): عبد الله: حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثني قتيبة بن قدامة، عن أبيه، عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله ﷺ يا علي...

مع كلِّ رجل مَلَكَين يَحفظانه مما لم يُقَدّر، فإن جاء القَدَر خلَّيا بينه وبينه، إن الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصينة.

قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن عُبيدة قال: قال علي عليه السلام: ما يَحبِسُ أشقاكم أن يجيءَ فيَقْتُلَني؟ اللهمَّ قد سَئِمتُهم وسئموني، فأرِحْهم مني، وأرِحْني منهم.

وقال ابن سعد بإسناده: أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا عليّ، مَن أشقى الأوَّلين والآخِرين؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «إن أشقى الأوَّلين عاقرُ الناقة، وأشقى الآخرين الذي يَطعَنُك يا علي» وأشار إلى حيث طُعِن.

قال ابن سعد: [أخبرنا الفضل بن دكين قال] حدثنا سليمان بن القاسم الثَّقَفي قال: حدَّثَتني أمي، عن أم جعفر سُرِّيّة علي بن أبي طالب قالت: إني لأَصُبّ على يديه الماءَ إذ رفع رأسَه، فأخذ بلحيته، فرفعها إلى أنفه وقال: واهاً لك، لتُخْضَبِنّ بدم، قال: فأُصيب يوم الجمعة(١).

ذكر اجتماع الخوارج على قتله وقتل معاوية وعمرو بن العاص:

قال علماء السِّيَر كابن إسحاق والواقدي وهشام وابن سعد وغيرهم، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، ونبدأ برواية ابن سعد قال:

انتدب ثلاثةُ نَفَرٍ من الخوارج: عبد الرحمن بن مُلْجَم المُراديّ ـ وهو من حِمْيَر ـ والبُرَك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بُكَيْر التميمي.

وقال البلاذري: اسم البُرَك: الحجّاج بن عبد الله الصَّريمي، قال: واسم عمرو بن بُكير زاذَوِيه مولى بني حارثة.

وقال ابن الكلبي: عبد الرحمن بن [عمرو بن] مُلْجَم بن المَكْشوح بن نَفَر بن كَلَدة الحِميريّ، وكان كَلَدة أصاب دماً في قومه من حِمير، فأتى مُراداً فقال: جئتكم تَجوب بي ناقتي الأرض، فسُمّي تجوب، فابن مُلْجَم تجوبي بالواو، وقاتل عثمان تُجيبي،

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١ـ٣٣.

وقد ذكرناه في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال: فاجتمعوا بمكّة، فتذاكروا قتلى النَّهْرَوان، وبكوا وترَحَّموا عليهم وقالوا: ما نَصنع بالبقاء بعدهم، فإنهم إخواننا، لم تأخذهم في الله لَومةُ لائم، ثم تذاكروا ما جرى من سَفْك الدّماء يوم الجمل وصفين، وعابوا عَملَ الولاة، وقالوا: فلو شَرَيْنا نُفوسَنا، فالتمسنا قتلَ أئمة الضَّلال، فأرحنا منهم العباد والبلاد، وثأرنا بهم إخواننا الشهداء بالنَّهْرَوان.

فقال ابن مُلْجَم: أنا أكفيكم ابنَ أبي طالب، وقال البُرَك: وأنا لمعاوية، وقال عَمرو ابن بكير: وأنا لعمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتعاقدوا في الكعبة؛ على ألا يَنكُص واحدٌ منهم عن صاحبه الذي وُجِّه إليه حتى يَقتله أو يُقتل دونه، وسَمّوا أسيافَهم، واتَّعدوا فيما بينهم ليلة سبعَ عشرة من شهر رمضان؛ أن يثب كلّ واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه.

وقال هشام: كان الوَعْد بينهم أن يوقع كلُّ واحدٍ منهم بصاحبه في سابع وعشرين من رمضان.

وانفصلوا عن مكة بعد انقضاء الموسم.

وحكى البلاذري[١] عن المدائني: أن بني مُلْجَم؛ وهم: عبد الرحمن وقيس ويزيد؛ أجمعوا على قتل أمير المؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص، فنهاهم أبوهم عن ذلك، وأمرتهم أمهم به، فقال أبوهم: وَدِّعوا أهلَكم فإنكم غير راجعين، فخرج ابن ملجم إلى الكوفة، وقيس إلى الشام، ويزيد إلى مصر.

ثم قال البلاذري: وهذا خبر شاذ لا يرويه إلا قوم من الخوارج.

فأما ابن مُلْجَم فقدم الكوفة، فلقي أصحابَه الخوارج، فكاتَمهم بما يريد، وأقام بينهم يَزورهم ويَزورونه، وهو ساكت مخافةَ أن يَظهر منه شيء مما قَدِم له، فاتَّفق أنه

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

زار يوماً أصحاباً له من تَيم الرّباب، وكان أمير المؤمنين قد قتل منهم جماعة يوم النَّهروان، فرأى امرأةً منهم يقال لها: قَطام ـ وقد نسبها ابن سعد فقال: بنت شجنة بن عديّ بن عامر بن عوف بن ثَعلبة بن سعد بن ذُهل بن تيم الرّباب، وكان علي عليه السلام قتل أباها وأخاها يوم النَّهر، وكانت فائقة الجمال. وقد نسبها البَلاذري فقال: قطام بنت علقمة[1] من تيم الرباب ـ فلما رآها ابن مُلْجَم عَشِقها، وأخذت بمجامع قلبه، ونسي الحاجةَ التي قدم لأجلها فخطبها.

قال هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: قالت له: لا أتزوَّجك إلا على حكمي، قال: احتكمي، قالت: ثلاثة آلاف درهم، ووَصيفاً ووصيفة وقينة، وقتل علي ـ عليه السلام ـ فقال لها: لك جميع ما طلبت إلا ما كان من قتل علي، وما أراك ذكرتيه لي وأنت تريديني فكيف أصنع به؟ قالت: بلى، التمس عَثرتَه، فإن أصبتَه شفيتَ نفسي ونفسك، وأخذتَ بثأر الأحبة، ونفعك العيش معي، وإن أنت قُتلت فما عند الله خير وأبقى من الدنيا. فقال: والله ما أقدمني إلى هذا المِصر إلا قتلُ علي.

وعامة المؤرخين على أنه لم يَدخل بها؛ إلا ما رواه أبو اليقظان، فإنه قال: ودخل بها، فلما فرغ منها ازداد لها عشقاً، فقالت له: والله ما أُمكّنك من نفسي بعدها حتى تَقتل علياً، وسأطلب لك مَن يُعينك على ذلك، فأرسلت إلى رجل من تَيْم الرِّباب يقال له: وَرْدان بن مُجالد، فأخبرتْه الخبر، فأجابها إلى ذلك.

قال ابن سعد: ولقي ابن مُلجم رجلاً من أشجع يقال له: شَبيب بن بَجَرة، فأعلمه ما يُريد، ودعاه إلى أن يكون معه، فأجابه إلى ذلك.

وفي رواية: أن ابن مُلجم أتى شبيباً الأشجعي، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتلُ علي، وكان الأشجعي يرى رأي الخوارج، فقال له: ثكلتْك أمُّك، لقد جئتَ شيئاً نُكراً! وكيف نصل إليه؟

(١) في مطبوع أنساب الأشراف ٢/ ٣٤٨: قطام بنت شجنة، وفي نسخة الشاملة من الكتاب (قرص ليزري) كما هنا.

وفي رواية: لقد جئت شيئاً إدّا، كيف تقدر عليه؟ قال: نكمُن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شدَدْنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا نفوسَنا، وأخذنا ثأرَ إخواننا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فقال له: وَيحك، قد عرفتَ سابقةَ عليٍّ وبلاءه في الإسلام، ومَن الذي يُساعدك على قتله؟

قال له: أليس قتل بالنهر عباد الله الصالحين، وإخواننا المؤمنين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمَن قتل منهم. فلم يزل به حتى أجابه.

وكانت قطام مُعتكفةً في المسجد الأعظم، فأخبروها فقالت: إذا أردتم ذلك فأتوني.

ثم جاء ابن ملجم وصاحباه في الليلة التي قُتل في صبيحتها علي عليه السلام إلى المسجد، وقطام معتكفه فيه، فدعت بالحرير فعصَّبتهم به في صدورهم ورؤوسهم، وكانوا قد ألقوا إلى الأشعث بن قيس الكندي [يناجونه] في مسجده حتى كاد يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابن مُلْجم وشَبيب بن بجرة، فأخذا أسيافهما، ثم جاءا حتى جلسا مُقابل السّدَّة التي يخرج منها أمير المؤمنين.

قلت: وقد ثبت بهذه الرواية أن الأشعث بن قيس كان يرى رأي الخوارج، مضافاً إلى ارتداده.

قال ابن سعد: قال الحسن بن علي: أتيت أمير المؤمنين سُحَيراً، فجلستُ إليه فقال: يا بني، إني بِتُّ الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس، فسَنَح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمّتك من الأَوَدِ واللّدَد، فقال لي: ادعُ الله عليهم، فقلت: اللهمَّ أبدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً مني.

ودخل ابن النبَّاح المؤذن على ذلك فقال: الصلاة، فأخذت بيده، فقام يمشي وابن النبَّاح بين يديه وأنا خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيّها الناس الصلاةَ الصلاةَ، كذلك كان يَصنع في كلّ يوم، يخرج ومعه درّتُه يوقظ الناس.

قال: فاعترضه الرجلان، فقال بعضُ مَن حضر ذلك: فرأيتُ بريقَ السيف،

وسمعتُ قائلاً يقول: لا حُكمَ إلا لله، أو الحكمُ لله يا علي لا لك، ثم رأيتُ سيفاً ثانياً فضربا جميعاً، فأما سيف ابن مُلجَم فأصاب جبهتَه إلى قَرنه ووصل إلى دماغه، وأما سيف شَبيب فوقع في الطَّاق فسمعتُ علياً يقول: لا يفوتَنّكم الرجل، وشدّ الناس عليهما من كل جانب، فأما شَبيب فأفلت، وأُخِذ ابنُ مُلْجَم فأُدخل على علي عليه السلام، فقال: أَطِيبوا طعامَه وألينوا فراشَه، فإن أَعِشْ فأنا وليُّ دمي، عفواً أو قصاصاً، وإن أمُتْ فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين.

فقالت أم كلثوم بنت علي: يا عدوَّ الله، قتلتَ أمير المؤمنين؟! فقال ابن مُلجم: ما قتلتُ إلا أباك، قالت: فوالله إني لأرجو أن لا يكون على أبي أمير المؤمنين بأس. قال: فلم تبكين إذاً، والله لقد سَمَمْتُه شهراً ـ يعني سيفه ـ فإن أَخْلَفَني فأبعده الله وأسْحَقَه.

هذا صورة كلام ابن سعد(١).

وأما مَن سمَّينا من العلماء فإنهم قالوا: كانوا ثلاثة: ابن مُلْجَم وشبيب ووَرْدان، من تيم الرباب، لما خرج أمير المؤمنين للصلاة وهم مُقابل السّدَّة؛ وثب عليه شبيب، فضربه بالسيف فوقع في عَضادة الباب، أوفي الطَّاق، وضربه ابن ملجم فأقر السيف فيه، وهرب وَرْدان فدخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو يَنزع الحرير عن رأسه وصدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان، فخرج الرجل وجاء بسيفه، فضرب به وَرْدان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كِندة في الغَلَس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عُوَيمر، فأخذ السيف من يد شبيب، وجَثَم عليه الحضرمي، فلما رأى الناسَ قد أقبلوا في طَلَبه، وسيف شَبيب بيده، خشي على نفسه فتركه، فنجا شَبيب في غِمار الناس.

وأما ابن مُلْجَم فشَدُّوا عليه فأخذوه، وضرب رجل من هَمْدان يُكنى أبا أَدْماء رِجلَ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣ـ٣٦ .

ابنِ ملجم فصرعه، وألقوا عليه قَطيفة، وأخذوه إلى بين يدي أمير المؤمنين.

قال هشام: فلعنته أم كلثوم وقالت له: قتلتَ أمير المؤمنين؟! فقال: إنما قتلتُ أباك، والله لقد ضربتُه بسيفٍ اشتريتُه بألف، وسمَمْتُه بألف، ولو قُسمت هذه الضَّربة على أهل الأرض لأهلكتهم.

ودفع أمير المؤمنين بيده في ظهر جَعْدة بن هُبَيرة بن أبي وَهْب، فصلى بالناس الفجر، وحُمل علي عليه السلام إلى القصر فقال: عليَّ بعدوّ الله، فأُدخل عليه فقال: يا عدوَّ الله، ألم أُحسن إليك ـ وكان قد أحسن إليه في العطاء ـ فما حَملك على هذا؟

فقال: شَحذتُه أربعين صباحاً، وسألتُ الله أن يَقتل به شرَّ خلقه، فقال علي: لا أراك مقتولاً إلا به، لأنك من شرار خلق الله، ثم أمر به إلى الحبس، فأُخرج والناس ليأكلون لحمه بأسنانهم؛ كأنهم سباع ضَارية، فسجنوه.

ثم قال علي عليه السلام لولده: إن متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن عشتُ رأيتُ فيه رأيي.

وفي رواية محمد بن حنيف(١): أنه جيءَ بابن مُلْجم وهو مكتوف إلى بين يدي الحسن، فقالت له أم كلثوم وهي تبكي: يا عدوَّ الله، لا بأس على أبي، والله مُخزيك، فقال: فعلى مَن تبكين، والله لقد اشتريتُ سيفي بألف، وسَمَمْتُه بألف، ولو كانت هذه الضَّربة بجميع أهل المصر ما بقي منهم أحد.

فكانت أم كلثوم تبكي وتقول: مالي ولصلاة الفجر! قُتل فيها بَعْلي، وقُتل فيها أبي.

قال الواقدي: وأقبل الناس أرسالاً فقالوا: يا أمير المؤمنين، خلِّ بيننا وبين مُراد، فلا تقوم لهم قائمة بعد اليوم، فقال: لا، إنما القاتل واحد، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن فَقدناك ـ ولا نفقدك ـ نُبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، افعلوا ما شئتم.

---

(١) كذا، والذي في الطبري ٥/ ١٤٦ : محمد بن الحنفية.

(٢) في طبقاته ٣/ ٣٦.

وقال ابن سعد(١): بعث الأشعث بن قيس ابنَه قيس بن الأشعث صَبيحةَ ضُرب أمير المؤمنين، [فقال:] يا بني، انظر كيف أصبح أمير المؤمنين، فذهب فنظر فرجع إليه فقال: رأيتُ عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عَيْنَي دَمِيغ وربِّ الكعبة.

ذكر وصية أمير المؤمنين:

قال علماء السير: دعا ولديه الحسن والحسين عليهما السلام فأوصاهما، فكان مما أوصاهما به أن قال: أُوصيكما بتقوى الله وطاعته، ولا تَبغِيا الدنيا وإن بَغَتكما، ولا تبكيا على شيءٍ زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وكونا للظالم خَصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعمَلا بما في كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ، ولا تأخُذكما في الله لومةُ لائم.

ثم قال لمحمد بن الحنفية وكان حاضراً: هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخَويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتَوقير أخوَيْك، وتعظيم حقّهما عليك، ولا تقطع دونَهما أمراً.

ثم قال: أوصيكما به فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يُحبّه.

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيّته(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يَشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الآية [التوبة: ٣٣] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢] إلى قوله: «وأنا من المسلمين».

وأوصيك يا حسن وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ الآية [آل عمران: ١٠٢] فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضلُ من الصلاة والصوم»، وانظروا إلى ذوي الأرحام فصلوهم؛ يُهوِّن الله عليكم الحساب.

---

(١) ذكرها مع ما قبلها الطبري ٥/ ١٤٧ـ١٤٨ .

اللهَ اللهَ في الأيتام، لا تقربوا أموالَهم فإن الله يقول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية [النساء: ١٠].

اللهَ اللهَ في جيرانكم، فإنهم وصيَّةُ نبيكم ﷺ، فإني سمعته يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورِّثه».

اللهَ اللهَ في صيامكم؛ فإن الصَّومَ جُنَّةٌ من النار.

اللهَ اللهَ في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

اللهَ اللهَ في الزكاة فإنها تُطفئ غضب الربّ.

اللهَ اللهَ في ذُرِّيَّة نبيكم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية [الشورى: ٢٣].

اللهَ اللهَ في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم.

اللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم.

اللهَ اللهَ في الفقراء والمساكين؛ فإنهم إخوانكم، ولا تَدَعوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فيُولَّى الأمرَ شرارُكم، ثم تَدعون فلا يُستجاب لكم، وعليكم بالتَّواصُلِ والتَّباذُل، وإياكم والتفرُّق والتقاطُع والتدابُر، وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعُدوان، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله وحده لا شريك له حتى قبض.

وقال الواقدي: كان آخر كلامه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

واختلفوا في وقت وفاته؛ فقال ابن سعد(١): مكث علي عليه السلام يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين.

وذكر جدي في «الصفوة»(٢) قال: ضربه ابن ملجم يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت

(١) في طبقاته ٣/ ٣٦.
(٢) صفة الصفوة ١/ ٣٣٤.

من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين من رمضان.

وقال أبو اليقظان: ضربه في الليلة السابعة عشر من رمضان، ومات في الليلة التاسعة عشر.

وقال الهيثم: ضربه في ليلة سبع وعشرين من رمضان، وقيل: في الليلة الخامسة والعشرين من رمضان، ومات في الليلة السابعة والعشرين، وهي ليلة القدر.

قال الحسن: كانت ليلة القدر، والليلة التي عرج فيها بعيسى عليه السلام، ونُبِّئ فيها رسول الله ﷺ، ومات فيها موسى ويوشع بن نون، وأشار ابن سعد بمعناه[١].

وقد حكى الطبري أنه قُتل في شهر ربيع الآخر، وليس هذا القول بشيء[٢]، والمشهور عن الواقدي وأبي مَعْشر أنه ضُرب يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، كما ذكر ابن سعد.

وحكى الطبري[٣] عن علي بن محمد أنه قال: قُتل أمير المؤمنين يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان.

ذكر غسله وتكفينه والصلاة عليه:

قال الواقدي: غَسّله أولاده: الحسن والحسين ومحمد وعبد الله بن جعفر، وكان عنده من بقايا حَنُوط رسول الله ﷺ، فحَنَّطوه به.

وقال ابن سعد: وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص.

قال ابن سعد فيما رواه عن أشياخه: أن الحسن صلّى عليه وكبّر أربعاً.

وحكى الطبري: أن الحسن كبَّر عليه تسعاً[٤]، وقال الهيثم: خمساً، وقال أبو اليقظان: ستة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧.

(٢) ذكره الطبري ٥/ ١٤٣ بصيغة التمريض، وقيل.

(٣) في تاريخه ٥/ ١٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦، وتاريخ الطبري ٥/ ١٤٨.

ذكر المكان الذي دُفن فيه:

واختلفوا فيه اختلافاً واسعاً على أقوال؛ فحكى ابن سعد[١] عن أشياخه: أنه دُفن عند مسجد الجماعة، في الرَّحْبة، مما يلي أبواب كندة، قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر، ثم انصرف الحسن من دفنه، فدعا الناس إلى بيعته فبايعوه.

والثاني: أنه في قصر الإمارة بالكوفة، قال البلاذري: عمل الحجاج عَملاً في قصر الإمارة بالكوفة، فحفروا فظهر شيخ أبيض الرأس واللحية، فقال الحجّاج: أبو تراب والله. وأراد أن يشهره، فنهاه عَنْبَسَة بن سعيد فقال: ناشدتُك الله أن تفعل، فكفَّ عنه[٢].

والثالث: أنهم دفنوه وقت السَّحَر، وغيَّبوا قبرَه، وقد ذكره الخطيب في «تاريخه» عن [أبي] مُسلم صالح العِجْلي[٣] قال: قُتل علي عليه السلام بالكوفة ودُفن، ولا يُعلَم مَوضع قبره.

قال الهيثم: إنما غَيَّبوا مَوضعَ قبره خوفاً عليه من بني أمية.

والرابع: في قِبلة مسجد الكوفة، في المكان الذي قتل فيه. ذكره ابن إسحاق.

والخامس: أن الحسن حوله إلى المدينة معه، ودُفن عند أمه فاطمة عليهما السلام بالبقيع.

والسادس: أنهم جعلوه في صندوق، وسيَّروه إلى المدينة، فضلَّ به البعير، فوقع إلى طيئ، فظنوه مالاً، ففتحوا الصندوق، فوجدوه فدفنوه عندهم. قاله الفضل بن دكين.

والسابع: أنه دفن في كوخ زادوه، ثم حمل إلى البقيع.

---

(١) في طبقاته ٣/ ٣٦.
(٢) أنساب الأشراف ٢/ ٣٦٥.
(٣) في (خ) و(ع): مسلم بن صالح العجلي، والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ١٣٦ ، والمنتظم ٥/ ١٧٧ .

والثامن: أنه على النَّجف، في المكان المشهور اليوم، قال أبو اليقظان: كانوا قد خرجوا به في الليل من الكوفة، فأبعدوا خوفاً عليه، فدفنوه في هذا المكان، وأقام مدّة أيام بني أمية على حاله، فلما زالت أيامهم ووصل الأمر إلى بني العباس، ومضت مدة إلى زمان هارون الرشيد، فخرج يتصيَّد بنواحي الكوفة، فأرسل فهْداً على ظبي، فطرده حتى انتهى به إلى مكان الضَّريح اليوم، فوقف الفَهد ولم يُقدم عليه، فعجب هارون، فنزل هنالك، واستدعى شيوخ الحيرة والكوفة، فسألهم عنه، فقال له شيخ كبير قد أتت عليه مئة سنة: هذا قبر ابن عمك علي بن أبي طالب، وقد أظهر الله لك هذه الآية، وهي وقوف الفهد عن الظبي، وأيضاً فقد كنت أجيء مع أبي إلى هذا المكان وأنا صغير، فيقول: يا بُنيّ هذا قبر أمير المؤمنين.

قال: وكان أبي يقول عن أبيه: إنه كان يزوره مع زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

فأمر الرشيد ببناء القبة عليه والمشهد، وهو الباقي إلى الآن.

وقال أبو نعيم الأصفهاني: سمعت أبا بكر الطَّلحي، يذكر عن مطين: أنه كان ينكر أن يكون القبر الذي على النَّجفَ قبر علي عليه السلام، قال: ولو علم به زُوَّاره رَجَموه، وإنما هو قبر المغيرة بن شعبة.

قلت: وقد وهم أبو نعيم ومُطَيّن في هذا، فإن المغيرة بن شعبة مات بالكوفة في الطاعون، ودُفن بجانبها عند خبَّاب بن الأرَتّ لما نذكر في ترجمته.

ذكر سن أمير المؤمنين:

واختلفوا فيه على أقوال: أحدها ثلاث وستون، مثل عمر رسول الله ﷺ، وقال ابن سعد بإسناده إلى ابن إسحاق[1] قال: توفي علي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال الواقدي: وهو الثبت عندنا، قال: وقال محمد بن عمر بإسناده عن عبد الله بن

---

(١) في طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦ : أبي إسحاق.

محمد بن عَقيل قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول سنة الجُحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين: هذه السنة لي خمس وستّون سنة، وقد جاوزتُ سنّ أبي، قلت: وكم كان سنّه يوم قُتل؟ قال: ثلاث وستون سنة. ولم يذكر ابن سعد غير هذا القول.

والثاني خمس وستون سنة، رواه حنبل بن إسحاق بإسناده إلى جعفر بن محمد، قال: توفي علي وله خمس وستون سنة، قال: وكذا طلحة والزبير.

والثالث سبعة وخمسون سنة، قاله الهيثم.

والرابع ثمان وخمسون سنة، رواه حنبل أيضاً عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قُتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ومات لها الحسن، وقتل لها الحسين.

وقال جعفر: سمعتُ أبي يقول لعمته فاطمة بنت الحسين أم عبد الله بن حسن بن حسن: هذه السنة لي ثمان وخمسون، فمات لها.

والسادس: ستون قاله أبو اليقظان، والأشهر أنه كان له ثلاث وستون سنة، وقد نص عليه الواقدي كما ذكرنا، وقال الطبري: هو أصحّ ما قيل[1].

ذكر خلافته:

اختلفوا فيها، قال ابن سعد[2]: كانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

وكذا حكى الطبري، عن الخطيب[3]، عن أبي معشر قال: كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، قال: وكذا قال الواقدي، وقال الهيثم: أربع سنين وستة أشهر، والأول أصح، لأنه بُويع في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه، سنة خمس وثلاثين، وقيل: في رمضان سنة أربعين.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٥١.

(٢) في طبقاته ٣/ ٣٦.

(٣) كذا، وقد روى الطبري ٥/ ١٥٢ هذا الخبر عن شيخه أحمد بن ثابت الرازي، فظنه المصنف أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي أبا بكر صاحب تاريخ بغداد، والطبري أصغر من الخطيب باثنين وخمسين ومئة من السنين.

ذكر من قدم الحجاز بخبر أمير المؤمنين:

ذكر البلاذري[١]: أن الذي قدم بخبره سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن [أمية بن] عبد شمس، وكذا ذكر ابن سعد[٢]، قال: وبلغ عائشة فقالت: [من الطويل]

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافِرُ

وذكره الطبري أيضاً، وزاد عليه وقال: وقالت عائشة بعد ما أنشدت البيت: مَن قَتَله؟ قالوا: رجلٌ من مُراد، فأنشدت: [من الوافر]

فإن يك نائياً فلقد نعاه نَعِيٌّ ليس في فِيه التُّرابُ

فقالت لها زينب بنت أم سلمة: ألأمير المؤمنين تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى فذكِّروني.

قال الطبري: وكان الذي ذهب بنَعيه سفيان بن أمية[٣].

ذكر النَّوْحِ عليه:

قال ابن سعد[٤]: حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي، عن طَلْق الأعمى، عن جدته قالت: كنت أنوح أنا وأم كلثوم بنت عليّ على عليٍّ عليه السلام.

ذكر مراثيه عليه السلام:

قد أكثرت فيها الشعراء، فمن ذلك ما حكاه الطبري[٥] قال: قال أبو الأسود الدِّيْليّ: [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ فلا قَرَّتْ عيونُ الشَّامِتينا

أفي شهرِ الصِّيام فَجَعتمونا بخيرِ الناسِ طُرّاً أجمعينا

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ٣٦٢.

(٢) في طبقاته ٣/ ٣٨.

(٣) في الطبري ٥/ ١٥٠ : سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري.

(٤) في الطبقات ٣/ ٣٧.

(٥) في تاريخه ٥/ ١٥٠-١٥١.

قتلتُم خيرَ مَن ركب المطايا ... ورَحَّلَها ومَن ركِبَ السَّفينا
ومَن لَبس النِّعال ومَن حَذاها ... ومَن قرأ المَثَاني والمِئينا
إذا استقبلتَ وَجْهَ أبي حُسَينٍ ... رأيتَ البَدْرَ راعَ النَّاظِرينا
لقد علمتْ قريشٌ حيث كانت ... بأنَّك خيرَها حَسَباً ودينا

وقال الهيثم: قال شاعر الخوارج عِمران بنُ حِطَّان يرثي ابنَ مُلْجَم: [من البسيط]

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليَبْلُغَ من ذي العَرْشِ رِضوانا
إني لأذكُرُه يوماً فأحْسِبُهُ ... أوفى البريَّةِ عند الله مِيزانا
أكرِمْ بقومٍ بُطونُ الأرضِ أقْبُرُهُم ... لم يَخلِطوا دينَهم بغياً وعُدوانا[1]

ولما وقف أبو الطيّب الطَّبريّ على هذه الأبيات أجابه فقال: [من البسيط]

إني لأبرأُ مما أنت قائلُه ... عن ابنِ مُلْجَمٍ الملعون بُهتانا
إني لأذكُره يوماً فألعَنُه ... [دِيناً] وألعنُ عِمراناً وحِطَّانا
عليك ثم عليه الدَّهرَ مُتَّصِلاً ... لعائنُ اللهِ إسْراراً وإعْلانا
فأنتُم من كلابِ النَّارِ جاء به ... نصُّ الشَّريعةِ بُرهاناً وتبيانا

يريد قوله ﷺ: «الخوارج كلابُ أهل النار»[2].

قلت: وهذا عِمران بن حِطّان كان من شعراء الخوارج، عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان، وبلغ قوله: يا ضربة من تقيٍّ عبد الملك، فنَذر دمَه، وأخذتْه الحميَّة، ووضع عليه العيون ليقتله، فهرب منه، وجعل يتقلَّب في الأمصار والبَراري، فلم يُجِرْه أحد، فأتى رَوْحَ بنَ زِنْباع ـ وكان خَصِيصاً بعبد الملك ـ فنزل عليه، وأقام في ضيافته أياماً ولم يُعَرِّفه نفسَه، وكان عابداً مُتَنَسِّكاً، فعارضه يوماً فرآه أديباً، فأُعجب به رَوْح وقال: مَن أنت؟ قال: رجلٌ من الأزد، وأخبر

---

(١) الكامل للمبرد ١٠٨٥، والأغاني ١٨/ ١١١، ومروج الذهب ٤/ ٤٣٥، وتاريخ دمشق ١٢/ ٦٧١، والسير ٤/ ٢١٥.

(٢) أبيات عمران وردّ الطبري والحديث في الأذكياء لابن الجوزي ٢٤٦-٢٤٧، وأخرج الحديث أحمد في مسنده (١٩١٣٠) عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ.

عبدَ الملك بفضله وزُهده وعبادته، ووَصفه له فقال: هو والله عِمران، فطَلَبه فهرب، وكتب إلى روح: [من البسيط]

يا رَوْحُ كم من كريمٍ قد نزلتُ به ... وظنَّ ظنَّك من لَخْمٍ وغَسَّانِ
حتى إذا خِفتُه زايَلْتُ مَنزِلَه ... من بعد ما قيل عِمرانُ بنُ حِطَّانِ
قد كنتُ ضَيفَك حَوْلاً ما يُرَوِّعُني ... فيه طَوارِقُ من إنسٍ ولا جانِ
حتى أردْتَ بي العُظمَى فأوحَشَني ... ما يُوحِشُ الناسَ من خَوفِ ابنِ مَرْوانِ
لو كنتُ مُستغفِراً يوماً لطاغِيةٍ ... كنتَ المقدَّمَ في سرٍّ وإعلانِ
لكن أبَتْ ليَ آياتٌ مُفَصَّلةٌ ... عِند الولايةِ من طه وعِمرانِ

ثم هرب إلى عمان، فأقام بها عند طائفةٍ من الخوارج حتى هَلَك[1].

ولم أقف على تاريخ وفاته[2].

وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، فقال: عِمران بن حِطَّان السَّدُوسي، وكان شاعراً.

وروى عن أبي موسى الأشعري وعائشة وغيرهما، هذا صورةُ ما ذكره ابن سعد[3].

وقال غيره: البَصْري، وقد روى عن ابن عمر وابن عباس، وروى عنه ابن سيرين، ويحيى بن أبي كثير، ومُحارب بن دِثار، في آخرين.

وقال قتادة: كان عمران لا يُتَّهم في الحديث، وهو تابعيٌّ ثقة.

وقال يعقوب بن شَيبة: أدرك جماعةً من الصحابة، وتزوَّج امرأةً من الخوارج اسمُها خمرة، وكانت من أجمل النساء وأعقلهن، فأراد أن يَردّها عن مذهب الخوارج فردَّتْه هي إليه، وكان قبيحَ المنظر، فقالت له يوماً: أنا وأنت في الجنة، قال: ولِم؟ قالت:

---

(١) الكامل للمبرد ١٠٨٣-١٠٨٦، والأغاني ١٨/ ١١٠-١١٣، وتاريخ دمشق ١٢/ ٦٧١ (مخطوط)، والسير ٤/ ٢١٤-٢١٥.

(٢) نقل الذهبي في السير ٤/ ٢١٦ عن ابن قانع أنه توفي سنة أربع وثمانين.

(٣) في طبقاته ٩/ ١٥٥.

لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وأُعطيتُ مثلَك فصَبرتُ، والصابر والشاكر في الجنة[١].

وقال هشام: مرَّ عمران يوماً بالفرزدق وهو يُنشد، فوقف عليه ثم قال: [من الخفيف]

أيُّها المادِحُ العِبادَ ليُعطى ... إنّ لله ما بأيدي العِبادِ
فسَلِ الله ما طلبت إليهم ... وارْجُ فضل المهيمن العَوَّادِ
لا تقل في الجَوادِ ما ليس فيه ... وتُسَمِّي البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق: الحمد لله الذي شغل هذا عنا ببدعته، ولولا ذلك لَلَقِينا منه بلاءً وعناءً[٢]

ذكر أزواج أمير المؤمنين وأولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، وأمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفيّة، وأمُّه خولة بنت جعفر بن قيس بن مَسْلَمة بن ثعلبة [بن يربوع بن ثعلبة] بن الدُّول بن حَنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

وعُبيد الله، قتله المختار بن أبي عبيد بالمَذار، وأبو بكر قُتل مع الحسين، ولا عَقِب لهما، وأمُّهما ليلى بنت مسعود بن خالد بن ثابت بن رِبْعيّ بن سَلْمى بن جَندل بن نَهْشل ابن دارِم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم.

والعباس الأكبر وعثمان وجعفر الأكبر وعبد الله، قتلوا مع الحسين بن علي، ولا بقية لهم، إلا العباس فإن له بَقيّة، وأمُّهم أمّ البَنين بنت حِزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة ابن الوحيد بن عامر بن كعب بن كِلاب.

ومحمد الأصغر قُتل مع الحسين، وأمُّه أم وَلَد.

ويحيى وعَون، وأمهما أسماء بنت عُمَيس الخَثْعَميّة.

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٦٦٧، ٦٦٩ (مخطوط).

(٢) الأغاني ١٨/ ١١٩وتاريخ دمشق ١٢/ ٦٧٠-٦٧١.

وعمر الأكبر ورُقَيّة، وأمهما الصَّهباء، وهي أمُّ حَبيب بنت ربيعة بن بُجَير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عُتبة بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم ابن تَغْلب بن وائل.

قال ابن سعد: وكانت سَبِيَّة، أصابها خالد بن الوليد حين أغار على بني تَغْلِب بناحية عين التَّمْر.

قال: وكان لعمر أولاد: محمد وأم موسى وأم حبيب، وأمهم أسماء بنت عقيل بن أبي طالب.

وقد روى عمر الحديث وكان في ولده عدَّةٌ يحدّث عنهم، نذكرهم في مواضعهم.

ومحمد الأوسط بن علي، وأمُّه أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مَناف، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وأم زينب خديجة بنت خويلد.

وأم الحسن ورَمْلَة الكبرى، وأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مُعَتِّب الثقفي.

وأم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورَمْلة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأُمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم جعفر، وجُمانة، ونفيسة، وهن لأمهات الأولاد.

قال: وابنة لعلي لم تُسمَّ لنا، توفيت وهي صغيرة لم تبرز، وأمّها مُحيَّاة بنت امرئ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم، من كلب، كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية، فيقال لها: مَن أخوالُك؟ فتقول: وَوْوَوْ، تعني كلباً.

قال: فجيمع أولاد علي عليه السلام لصُلبه أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة امرأةً، وكان النَّسلُ من ولده لخمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعبّاس بن الكلابيّة وعُمر بن التَّغلبيّة، هذا كلام ابن سعد[١].

---

(١) طبقاته ٣/ ١٧-١٩ و ٧/ ١١٧ .

ولا بدّ من بَسْط الكلام على هذه الجملة، وإيضاح ما أبْهمه ابن سعد، وما نقل عن العلماء كابن إسحاق والواقدي وهشام والبلاذري وغيرهم، فنقول:

أول أزواجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولم يتزوَّج عليها حتى تُوفّيت عنده، وكان له منها الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كُلثوم الكبرى، ويقال: إنه كان له منها ولدٌ آخر يقال له: مُحَسِّن، مات صغيراً.

قال الموفق رحمه الله في كتاب «الأنساب» مُحَسِّن بن علي عليه السلام، لا نعرفه إلا في الحديث الذي يرويه هانئ بن هانئ، عن علي قال: لما وُلد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني ماسمَّيتموه؟» قال: فقلت: حرباً، قال: «بل هو حَسَن»، فلما وُلد الحُسين قال: «ما سمّيتموه؟» قلت: حرباً، قال: «بل هو حُسَين»، فلما وُلد الثالث قال: «ما سمّيتموه؟» قلت: حرباً، قال: «بل هو مُحَسّن» ثم قال: «إني سَمَّيتُهم بأسماء ولد هارون: شِبْر وشُبَير ومُشَبِّر».

قال الموفّق: والظاهر أن المُحَسِّن مات طفلاً[1].

وقد ذكرنا هذا الحديث في السنة الثالثة من الهجرة عند ولادة الحسن مُسنداً.

وتزوَّج أمير المؤمنين بعد فاطمة أمَّ البَنين بنت حِزام بن ربيعة بن الوليد بن كعب بن عامر بن كِلاب، كذا نسبها الطبري[2]، ونَسَبُ ابن سعد أصحّ.

وقال الهيثم: وحِزام بن ربيعة: أخو لبيد الشاعر. فأولدها العباس، وعثمان، وجعفر، وعبد الله، وقد ذكرنا أنهم قتلوا مع الحسين.

وقال البلاذري: والعبَّاس يُلَقَّب بالسَّقَّاء، ويكنى أبا قِربة، لأنه حَمل للحسين قِربةً من الماء يوم الطّفوف، ومالك بن حِزام أخو أم البَنين، قُتل مع المختار بالكوفة[3].

(١) التبيين ١٣٣ ، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ١٥٣ .

(٢) الذي في تاريخ الطبري ٥/ ١٥٣ : بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد...

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ١٣٧ .

ثم تزوج علي عليه السلام ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن رِبعيّ بن سَلْمى بن جندب[١] بن نَهْشَل بن دارِم بن مالك بن حَنْظلة بن زيد مناة[٢] بن تميم، كذا نسبها هشام، وحكاه الطبري. ونسب ابن سعد أصح.

فولدت له عُبيد الله وأبا بكر، واختلفوا فيهما، فحكينا عن ابن سعد أن عُبيد الله قتله المختار بالمَذار، وأبا بكر قُتل مع الحسين يوم الطّفوف. وحكى الطبري عن هشام: أنهما قتلا مع الحسين عليه السلام. وقال الواقدي كما ذكر ابن سعد أن عبيد الله قتله المختار.

ثم تزوج أمير المؤمنين أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيّة، وقد حكينا عن ابن سعد أنها وَلدت له عوناً ويحيى.

وحكى الطبري عن هشام: أنها وَلدت له محمداً الأصغر، وقيل: إن محمداً لأم ولد، ولا بقيَّة لهم[٣].

قلت: وهذه أسماء هي التي يقال لها: أم المحمَّدين، قال هشام: لأنها وَلدت لأبي بكر رضي الله عنه محمداً، ولجعفر قبله محمداً، ولعلي عليه السلام محمداً، وقد ذكرناها.

وقال الواقدي: لم تلد لعلي عليه السلام ولداً اسمُه محمد، والأول أشهر.

وقال الزبير بن بكار: مات يحيى بن علي صغيراً.

وقال هشام: ثم تسرَّى علي عليه السلام خَولة بنت جعفر من بني حنيفة، أم محمد، من سَبْي اليمامة سِندِيّة.

وقال الهيثم: ويقال لأبيها جعفر جان الصفا، سُبِيَت في أيام أبي بكر، فرآها قوم فعرفوها، فأخبروا علياً فاشتراها وأعتقها ومهرها وتزوَّجها.

---

(١) في الطبري ٥/ ١٣٥: جندل.

(٢) في الطبري ٥/ ١٥٤: بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٤.

ثم تزوج علي أُمامة بنت أبي العاص بن الرَّبيع، فولدت له محمداً الأوسط.

وقال البلاذري[١]: لما استُشهد أمير المؤمنين؛ كتب معاوية إلى المدينة إلى مروان ابن الحكم وهو عاملُه عليها أن يُزوِّجه أُمامة، فأرسل إليها فقالت: قد ولَّيتُ أمري المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وبلغه الخبر، فقال المغيرة: اشهدوا أني قد تزوَّجتُها، وبلغ معاوية الخبر فسكت.

ثم تزوج علي عليه السلام أم سعيد ابنة عروة بن مَسعود الثقفيّ، فوَلدت له أم الحسن، ورَمْلة الكبرى، كذا حكى ابن سعد، وقد حكاه الطبري أيضاً[٢].

وقال البلاذري: وَلدت له عمر الأصغر، قال: وقيل إنه لأمّ ولد[٣].

ثم تزوج علي عليه السلام الصَّهباء، وهي أم حَبيب بنت رَبيعة، وقد نسبها ابن سعد إلى بكر بن وائل[٤]، فوَلدت له عمر الأكبر، ورقيَّة.

وقال الطبري: فعُمِّر عمر بن علي حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراثِ علي عليه السلام، ومات بيَنْبُع، ولم يذكر الطبري تاريخ وفاته. وقال هشام: مات سنة سبع وستين، وكان أشبه الناس بأبيه.

وقال البلاذري: أم حَبيب بنت جُبَير بن بُجَير، تغلبية[٥].

ثم تزوج أمير المؤمنين مُحَيَّاة ابنة امرئ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب ابن عُلَيم، من كلب، فولدت له جاريةً هلكتْ وهي صغيرة.

قلت: وهذه البنت التي ذكرها ابن سعد، وأنها كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فتقول: وَوْوَوْ، وقد ذكرها البلاذري[٦] وقال: كانت تُكنى أم يَعلى، ماتت وهي

---

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ١٣٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ١٣٨ .

(٤) نسبها ابن سعد ٣/ ١٨ ، والطبري ٥/ ١٥٤ إلى تغلب بن وائل.

(٥) في أنساب الأشراف ٢/ ١٣٨ : أم حبيب بنت حبيب بن بجير التغلبي.

(٦) في أنساب الأشراف، وانظر الطبري ٥/ ١٥٥ .

صغيرة، قال: وقال هشام بن الكلبي، عن عبد الله بن حسن قال[١]: قدم امرؤ القيس ابن عدي بن أوس بن جابر على عمر بن الخطاب ﷺ ـ وهو الذي أغار على بني بكر ابن وائل، وأسر الدّعّاء بن عمرو ـ فأسلم، وعقد عمر له لواء على بني قُضاعة، فلم يُرَ رجلٌ لم يصلّ لله سجدةً قط عُقِدَ له لواءٌ على المسلمين إلا هو.

فخرج ولواؤه يهتزُّ بين يديه، فأدركه علي عليه السلام، فأخذ بمنكبه وقال: يا عمّ، أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وهذان ابناي الحسن والحسين، أمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد أحببتُ مُصاهرتَك لي ولهما فزوِّجنا، فقال: كرامةً ونُعْمَ عين، قد زوَّجتُك يا أبا الحسن المُحيَّاة بنت امرئ القيس، وزوجت حسناً زينب، والحسين الرّباب ابنتي امرئ القيس، قال: فولدت المحيَّاة لعلي ابنة صغيرة يقال لها: أم يَعلى، فكانت تخرج إلى المسجد، فيقال لها: مَن أخوالك؟ فتقول: وَوْوَوْ .... وذكره.

قال: ولم تلد زينب للحسن، وولدت الرّباب سُكَينة بنت الحسين، فتزوجها عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان أبا عُذْرِها، فمات عنها، فتزوّجها مصعب بن الزبير، فولدت له فاطمة، ومات مصعب عنها، فخطبها عبد الملك بن مروان فقالت: أبو الذباب، لاهَا الله ذا، وكانت تقول: يا أهل الكوفة، أيْتَمتموني صغيرة، وأرْمَلْتموني كبيرة.

وسنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وقال البلاذري: وتزوج أمير المؤمنين أيضاً ميمونة بنت علي بن عبد الله بن عقيل بن أبي طالب[٢]، ثم خلف عليها كَثير بن العباس.

---

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ١٣٩: حدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن حسن، عن عبد الجبار بن منظور بن زبان الفزاري، عن عوف بن حارثة المري قال.

(٢) كذا، وهو خطأ صرف وتخليط من مختصري الكتاب أو نساخه، فإن البلاذري ٢/ ١٣٨ عدّد أزواج بنات علي ﷺ، فقال: وميمونة تزوجها عبد الله بن عقيل. اهـ.

قال: وتزوّج كثير بن العباس أيضاً أم كلثوم الصُّغرى قبل أختها زينب، وقيل بعدها.

قال: وتزوّج خديجة بنت أمير المؤمنين: عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب.

قال: وتزوّج نَفيسة بنت أمير المؤمنين: تمّام بن العباس بن عبد المطلب.

وقال المدائني: وفاطمة بنت علي عليه السلام؛ أمُّها أم وَلَدَ، روت عن أسماء بنت عُمَيْس، وأخيها لأبيها محمد بن الحنفية، وكانت مع الحسين لما قُتل، وقدموا بها دمشق مع السَّبْي.

وقال الزُّبَير بن بَكَّار: كانت فاطمة بنت علي هذه عند محمد بن أبي سعيد بن عَقيل ابن أبي طالب، فوَلدت له حُمَيْدة، ثم خلف عليها سعيد بن الأسود بن أبي البَخْتَريّ بن هشام بن الحارث بن عبد العُزَّى بن قصيّ، فولدت له بَرَّة وخالدة، ثم خلف عليها المنذر بن عُبَيدة بن الزبير بن العوّام، فوَلدت له عثمان دَرَج، قال: وتُوفّيت فاطمة هذه وسُكَينة بنت الحسين في سنة تسع عشرة [ومئة][1] وسنذكرهما.

قال: وكان عامة بنات أمير المؤمنين عند وَلَد عَقيل والعباس، لم يَخرج عنهم منهنّ سوى أربع: أم كلثوم بنت فاطمة، تزوّجها عمر بن الخطاب. وزينب الكبرى وأمّها فاطمة أيضاً، تزوجها عبد الله بن جعفر فوَلدت له. وأم الحسن[2] بنت علي، كانت عند جَعْدة بن هُبَيْرة المَخزومي. وفاطمة بنت علي، كانت [عند] سعيد بن الأسود، من بني الحارث بن أسَد.

وقال هشام: استُشهد علي عليه السلام وترك أربع حرائر: أُمامة بنت أبي العاص، ولَيلى التَّميمية، وأمّ البَنين كِلابيّة، وأسماء بنت عُمَيسْ، وثماني عشرة أمّ وَلَد.

وقال أبو عمرو الشيباني: دخل الأشعث بن قيس على علي عليه السلام وبين يديه صَبيّة تَدْرُج، فقال: مَن هذه؟ فقال علي: ابنتي زينب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ،

(١) نسب قريش ٤٦ ، وانظر تاريخ دمشق ٢٩٩ ، ٣٠١ (تراجم النساء).

(٢) في أنساب الأشراف ٢/ ١٣٨ ، ونسب قريش ٤٥ : أم الحسين، وسماها ابن سعد والطبري: أم الحسن، كما سلف قريباً.

فقال: زوِّجنيها، فقال: اغْرُب، بفيك الكَثْكَثُ، ولك الأَثْلَب، أغرَّك ابنُ أبي قُحافة حيث زوَّجك أمَّ فَروة، وإنها لم تكن لا من العَواتِك، ولا من الفَواطم من سُليم، فقال: قد زوَّجتم مَن هو أخمل مني نَسباً، وأوضع حَسَباً، قال: ومَن هو؟ قال: المِقداد بن الأسود، قال: فعل ذلك رسول الله ﷺ، وهو أعلم بما فَعَل، ولئن عُدتَ إلى مِثلها لأسُوأنّك[١].

والكَثْكَثُ: فُتاتُ الحجارة والتراب، وفيه لغتان: كسر الكاف وفتحها، والأَثْلَبُ أيضاً فيها لغتان الكسر والفتح، وهو مثله[٢]، وقيل: هذا دعاء عليه، مثل قولك: ثَكِلَتْك أمُّك.

وأما قول الأشعث عن المقداد فإن رسول الله ﷺ كان قد زوَّجه ضُباعة بنت الزبير، وهي ابنة عمِّ رسول الله ﷺ، وقد ذكرناه في سنة ثلاث وثلاثين في ترجمة المِقداد، وكان المقداد من المهاجرين الأوَّلين وأهل بدر، ولم يكن مثل الأشعث بن قيس؛ فإنه ارتدَّ عن الإسلام، وقد ذكرنا عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نَدِم عند الموت على تركه حيث لم يقتله، وكان من المنافقين على أمير المؤمنين، ثم رأى رأيَ الخوارج في آخر عُمره، وجَعْدة ابنتُه هي سَمَّت الحَسَن لما نذكره.

ذكر موالي أمير المؤمنين:

كان له عدة موالي، والمشهور منهم قَنْبَر، ويحيى بن أبي كثير، فأما قَنبر فكان يُلازمه، وأما يحيى فروى عنه الحديث، وروى عنه الأوزاعي، وكان عالماً فاضلاً. قال أبو إسحاق السَّخْتياني[٣]: ما بقي على وجه الأرض أعلم من يحيى، مات سنة تسع وعشرين ومئة. وروى عنه ابنه عبد الله بن يحيى[٤].

(١) العقد الفريد ٦/ ١٣٦.
(٢) انظر الصحاح ١/ ٢٩٠.
(٣) كذا، وهو أيوب بن أبي تميمة، أبو بكر البصري، انظر تهذيب الكمال (٥٩٧) وفروعه.
(٤) انظر المعارف ٢١٨.

ذكر عُمّاله ونَقْشِ خاتمه:

كان عامله في هذه السنة على البصرة عبد الله بن عباس، ثم انتقل إلى مكة وقد ذكرناه، وكان قاضيه على البصرة أبو الأسود الدِّيْلي.

وكان عامله على فارس وكَرْمان زياد بن أبيه، وقد ذكرنا توليتَه له تلك الأماكن.

وعلى اليمن ومَخاليفها عُبيد الله بن عباس، ولما قصده بُسْر بن أبي أَرْطاة عاد إلى الكوفة.

وكان على مكة والطائف قُثَم بن العباس.

وعلى المدينة أبو أيّوب[1] الأنصاري، وقيل: سَهل بن حُنَيف، ولما قَدِم بُسْر بن أبي أرطاة الحجاز عاد قُثَم إلى الكوفة.

وأما نَقْشُ خاتمه فقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن علي قال: كان نَقْشُ خاتم علي بن أبي طالب: اللهُ المَلِك.

وروى ابن سعد أيضاً عن أبي إسحاق الشَّيباني قال: قرأتُ نقشَ خاتم علي عليه السلام في صُلْحِ أهل الشام: محمد رسول الله.

وفي رواية هشام، عن أبيه: الله الملِك، عليّ عبدُه.

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه: أن علياً عليه السلام كان يتختَّم في اليسار[2].

ذكر ميراثه:

قال ابن سعد بإسناده عن هُبَيرة بن يَريم قال: سمعتُ الحسن بن علي قام فخطب الناسَ وقال: أيُّها الناس، لقد فارقكم أمسِ رجلٌ ما سبقه الأوَّلون، ولا يُدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه البعث، فيعطيه الراية، فما تُردُّ حتى يَفتح الله

(١) في (خ) و(ع): أبو تراب؟! وانظر الطبري ٥/ ١٥٥ـ١٥٦ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨ـ٢٩ ، وأنساب الأشراف ٢/ ١٣٤ .

له، إن جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ما ترك صَفراء ولا بيضاء إلا سبع مئة دِرهم فضلت من عطاياه؛ أراد أن يَشتري بها خادماً.

وفي رواية ابن سعد أيضاً: ولقد قُبض في الليلة التي عُرج فيها بروح الله عيسى بن مريم، ليلة سبعٍ وعشرين من شهر رمضان(١).

وروى الواقدي عن الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: والله ما خَلّف أبي ديناراً ولا درهماً، ولا بيضاء ولا صفراء؛ سوى سبع مئة درهم؛ أعدّها ليشتري بها خادماً لأهله.

فإن قيل: فقد قال أحمد بن حنبل(٢) بإسناده عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، عن علي عليه السلام أنه قال: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحَجَر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً أو لأَربعون ألفاً، وهذا يدلُّ على أنه كان له مالٌ كثير.

فالجواب من وجوه: أحدها: أن أبا الحُسين بن فارس اللّغوي قال: سألتُ أبي عن هذا الحديث فقال: معناه أن الذي تصدَّقتُ به منذ كان لي مال إلى اليوم كذا وكذا(٣).

والثاني: أن معناه: كان لي مال فتصدَّقتُ به؛ وأنه كان يبلغ أربعين ألفاً. والثالث: أنه ليس في الحديث أن ما تصدق به وما خرج عنه، فيكون معناه: وإن صَدقتي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً؛ ثم خرجتُ عن الجميع لما وَليت الخلافة، والدليل عليه قوله عليه السلام: يا بيضاء، يا صفراء، غرِّي غيري، وما ذكرنا من خُشونة لِباسه، وخُشونة مطعمه، واقتناعه باليسير من الدنيا.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧ .

(٢) في مسنده (١٣٦٧).

(٣) نقله عن ابن فارس: المحبُّ الطبري في الرياض النضرة ١/ ٢٨٤ .

ذكر مقتل ابن مُلْجَم

قد ذكرنا قول أمير المؤمنين لبَنيه: إذا متُّ فألْحِقوا بي ابن مُلجم أخاصمه عند الله.

وقال ابن سعد: وكان ابن ملجم في السجن، فلما دُفن علي عليه السلام بعث الحسن بن علي فأخرجه من السجن ليقتله، واجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري والنار، فقالوا: نحرقه، فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن علي ومحمد بن الحنفيّة: دعونا حتى نَشفي أنفسَنا منه أولاً، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحل عينيه بمسمارٍ مُحمىً فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتَكحل عيني عَمِّك بمُلْمُولٍ مَضٍّ، وجعل يقرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ إلى آخر السورة وإن عينيه لتَسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليَقطعه فجَزِع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك، وسَمَلْنا عينيك يا عدوّ الله فلم تَجزع، فلما صِرنا إلى لسانك جَزعتَ؟! فقال: ما ذاك مني جَزَعٌ، إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، وجعلوه في قَوْصَرة، وأحرقوه بالنار.

قال ابن سعد: والعبّاس بن علي يومئذٍ صغير، فلم يُستَأْن به بلوغه، قال: وكان ابن مُلجم رجلاً أسمر، حسنَ الوَجْه أفلج، شعره مع شَحمة أُذنيه، في جبهته أثَرُ السُّجود. هذا قول ابن سعد[١].

وحكى الطبري أن أمير المؤمنين قال: يا حسن، إن أنا مت من ضربته فاضربه ضربةً بضربة ولا تُمثّلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمُثْلَة ولو بالكلب العَقور».

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجم، فأخرجه من الحبس، فقال للحسن: هل لك في خَصلة؟ إني والله ما أعطيتُ اللهَ عهداً إلا وَفيتُ به، إني كنتُ أعطيتُ اللهَ عهداً يوم التّحكيم أن أقتل علياً ومعاوية، أو أموتَ دونهما، إن شئتَ خلّيتَ بيني وبين معاوية،

---

(١) في طبقاته ٣/ ٣٨.

ولله عليّ إن لم أقتله ـ أو قتلته وبقيت ـ أن آتيك، فأضع يدي في يدك، فقال له الحسن: لا والله حتى تُعاينَ النار، ففعل به ما فعل.

وذكر المدائني: أن أمير المؤمنين أمرهم أن يُمَثّلوا به، وهو وَهْمٌ منه لما روينا من النّهي عن المُثْلَة، وأنها حرام، فكيف يأمر بالحرام، وما فعله به أولاد علي عليه السلام فكان من رأيهم لا من رأيه، لأنه قال: ضربة بضَرْبة، كما قلنا.

وقيل: إن أم الهيثم بنت الأسود أخذت جُثّته فأحرقتها، وذكر علي بن عَقيل في كتاب «الفنون» أن ابن مُلْجَم قال للحسن: إني أريد أن أُسارَّك بشيء، فأبى الحسن وقال: إنه يريد أن يَعَضّ أُذني، فقال ابنُ مُلْجَم: والله لو أمكنني منها لأخذتُها من صِماخها.

ثم قال ابن عقيل: انظرو إلى حُسنِ رأي هذا السَّيِّد؛ الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق، ويقظته إلى هذا الحدّ، وانظروا إلى ذلك اللعين؛ كيف لم يَشْغَلْه حالُه عن استزادة غِشّه[1]!

قلت: وقول ابن سعد: والعباس بن علي صغير فلم يُسْتَأْن به بلوغه؛ دليل لأبي حنيفة: أنه إذا قُتل إنسان وله وَرَثة كبار وصغار فللكبار أن يقتلوا القاتل وإن لم يَبلغ الصغار، وهو قول فقهاء الصحابة، وعند أبي يوسف ومحمد ومالك والشافعي وأحمد أنه ليس للكبار ذلك حتى يَبلغ الصغار، فإذا بلغوا اجتمعوا على الاستيفاء.

وجه قولهم: أنه حقٌّ مُشترَك، فلا يَنفرد أحدهم باستيفائه كما لو كانوا كباراً، ولأبي حنيفة استيفاءُ القصاص من ابن مُلْجَم وفي الوَرَثة صِغار، وفَعل الحسن ذلك بمَحضرٍ من أعيان الصحابة، وقد كان فيهم جماعة من أهل بدر، فحلّ محلَّ الإجماع، ولا يقال: فعله سياسة؛ لأن القتل سِياسة إنما يُفوَّضُ إلى رأي الإمام؛ لأنه قد روي أن الحسن إنما قتله قبل أن يُبايَع بالخلافة، وقبلَ أن يَقع الإجماعُ على إمامته، وقولهم:

---

(١) نقله عن ابن عقيل: ابنُ القيم في الطرق الحكمية ص٣٨.

حقٌّ مُشتَرَك، قلنا: الصغير عاجز فيقوم الكبير القادِرُ مَقامه[١].

قلت: ونقلتُ من خطّ جدّي رحمه الله من جزء فيه فضائل عاشوراء؛ أحضره إليّ أبو سليمان خالد بن يوسف النابلسي المحدِّث الحافظ بدمشق في أواخر سنة إحدى وخمسين وست مئة، قال جدي: روى أبو بكر أحمد بن موسى بن مَرْدَوِيه الحافظ في كتاب «مناقب أمير المؤمنين» بإسناده عن أبي منصور بن عمار: قال بعثني هارون الرشيد إلى بلد الروم في بعض أموره، فأنزلني على بِطريق من البطارقة، فكنت عنده زماناً أو حيناً، فأنِسَ بي، ثم قال لي يوماً: حدثني هذا الرَّاهب ـ وأومأ إلى راهب في صومعة، وقال: هو فيها منذ أربعين سنة، قلت له: حَدِّثني بأعجب ما رأيتَ في صومعتك هذه ـ فقال: بينما أنا فيها إذ خرج من البحر طائر عظيم، أعظم من بُخْتيّ، فرفرف على صومعتي، فهالني ذلك هولاً عظيماً، ثم سقط إلى الأرض، ورمى من منقاره رأسَ إنسانٍ ويديه ورجليه، ثم استوى ذلك رجلاً قائماً، فعاد الطائر فابتلعه ورجع إلى البحر، ثم خرج في اليوم الثاني، والثالث ففعل كذلك.

قال: فلما كان في اليوم الثالث قبل أن يَبتلعه قلت للرجل: بالذي ترجوه أن يُفرِّج عنك مما أنت فيه، مَن أنت؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن مُلْجَم قاتل علي بن أبي طالب، وَكَّل الله بي هذا الطائر؛ يفعل بي هذا كلّ يوم إلى يوم القيامة.

ثم قال جدي: ويُصدِّق هذا الحديث ماروى أبو محمد بن قتيبة في كتاب «غريب الحديث» من حديث عكرمة: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني مررتُ بجَبوب بدر ـ والجَبوب: الأرض الغليظة ـ وإذا برجلٍ أبيض، ورجلٍ أسود بيده مِرْزَبة من حديد؛ يضربه بها الضَّربةَ فيغيب في الأرض، ثم يبدو فيضربه بها فيغيب، ثم يبدو فيضربه، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل، يُفعَل به ذلك إلى يوم القيامة»[٢].

---

(١) انظرفي هذه المسألة المغني ١١/ ٥٧٦ـ٥٧٧ ، وبدائع الصنائع ١٠/ ٢٧١-٢٧٢ ، والمبسوط ٢٦/ ١٧٤ ، وحاشية ابن عابدين ٦/ ٥٣٩ .

(٢) الخبر في تصحيفات المحدثين ١/ ٤٧ ، والفائق ١/ ١٨٦ ، ولم أقف عليه في غريب الحديث لابن قتيبة بطبعتيه.

قلت: وقد ذكر الجوهري الجَبوب وقال: هي الأرض الغليظة، ويقال: وجه الأرض، فلا يُجمع(١).

ذكر مسانيده:

واختلفوا فيها، فقال ابن مَنْده: أسند خمس مئة وسبعة وثلاثين حديثاً. وقال أبو نعيم الأصفهاني: أسند أربع مئة ونيّفاً من المتون سوى الطُّرق، وقال ابن البَرْقي: الذي حُفظ عنه نحو من مئتي حديث(٢).

وكذا أخرج له أحمد بن حنبل في «مسنده» مئتي حديث ونيِّفاً.

أخرج له في الصحيحين أربعة وأربعون حديثاً. المتفق عليه منها عشرون، وانفرد البخاري بتسعة عشر، ومسلم بخمسة(٣).

وروى علي عن أبي بكر وعمر ﷺ. وروى عنه الجمُّ الغَفير فنذكر أعيانهم: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية بنوه، وطلحة، والزبير، والعبادلة: ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وابن جعفر، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخُدري، وأبو رافع، وأبو أُمامة، وأبو هريرة، وأبو جُحَيْفة، وأبو ليلى، وأبو الطُّفَيل، وأبو سَرِيحة حُذَيفة بن أسيد، وصُهَيب الرُّومي، وزيد بن أرقم، وحُذَيفة ابن اليَمان، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، وخبّاب بن الأَرَتّ، وجَرير بن عبد الله البَجَلي، وسَفِينة، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن سَمُرة، والمغيرة بن شُعبة، وعَمرو ابن حُرَيْث، والبراء بن عازب، وعُمارة بن رُوَيبة، وطارق بن شهاب، وطارق بن أَشْيَم الأشجَعيّ، وعبد الرحمن بن أَبْزى الخُزاعي في آخرين، ومن التابعين: عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، وابن المسيّب، والحسن البصري، وابن سيرين، وعَبيدة بن

(١) صحاح الجوهري ١/ ٩٧ (جبب).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٣.

(٣) في تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٦ (وعنه ينقل): انفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر، اهـ. قلت: وهو الصواب، انظر الجمع بين الصحيحين للحميدي (١٣٦-١٥٩).

عمرو السَّلْماني، والأسود بن يزيد، ومَسروق بن الأجْدَع، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ، وأبو أراكة، والكُمَيل بن زياد، وعَبْد خَير، والأشعث بن قيس، وأخوه الأحنف، وأبو الأسود الدِّيْليّ، وقيس بن عُباد، وأبو رَجاء العُطارِديّ، وعامر الشَّعبيّ، وأبو ساسان حُضَيْن بن المنذر الرَّقاشيّ، وقَنبر مولاه، ويحيى بن [أبي] كثير مولاه أيضاً، في خلق كثير(١).

فصل

وليس في الصحابة من اسمه علي بن أبي طالب سواه، فأما من غير الصحابة فجماعة؛ أحدهم: علي بن أبي طالب أبو الحسن [البصري]، روى عن حماد بن سلمة وغيره.

والثاني: علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب: مُهاجر، ويعرف بالدَّهَّان، روى عن الهَيْصَم ـ ويقال: الهيثم ـ بن شَدَّاخ العَبْديّ أو العدوي وغيره.

والثالث: علي بن أبي طالب الجُرْجانيّ، روى عنه أبو سَهْل بن زياد القَطّان.

والرابع: علي بن أبي طالب أبو الحسن الأسْتراباذي، أخرج عنه أبو بكر الإسماعيليّ.

والخامس: علي بن أبي طالب، تَنوخيّ، واسم أبيه أبي طالب: [محمد بن] أحمد ابن إسحاق بن البهلول، روى عن أبي بكر بن مجاهد.

والسادس: علي بن أبي طالب، بَكْر اباذي، مَحلَّةٌ من بلد جُرْجان، روى عن أبي أحمد بن عَديّ الحافظ وغيره.

والسابع: علي بن أبي طالب، يقال له: الرزَّاز، واسم أبيه أبي طالب: أحمد بن محمد بن بَيان، روى عن أبي علي بن شاذان، وهو آخر من روى جزء ابن عَرَفة.

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٧٣ فما بعدها.

والثامن: علي بن أبي طالب، قاضي القضاة ببغداد، الزَّيْنَبي، روى عن أبيه، وعمه طِراد بن محمَّد، وابن البَطِر، وابن العَلَّاف وغيرهم[١].

ذكر مسانيد علي بن أبي طالب:

قال أحمد بن حنبل[٢] بإسناده عن حَنَش، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فانتهينا إلى قومٍ بَنَوْا زُبْيَةً للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سَقط رجل فيها، فتعلّق بآخر، ثم تعلّق رجلٌ بآخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجَرحَهم الأسد، فانتَدبَ له رجلُ بحَرْبَةٍ فقتله، وماتوا من جِراحته كلّهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، ولَبسوا السلاح، فأتاهم علي على تَفيئةِ ذلك، فقال لهم: تريدون أن تقتتلوا ورسول الله ﷺ حيّ؟! إني أقضي بينكم بقضاء فإن رضيتموه، وإلا تحاجزوا تأتوا النبي ﷺ فتسألونه، فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمَن عدا بعد ذلك فلا حقَّ له، قالوا: نعم.

قال: اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر رُبُعَ الدِّية، وثُلُث الدّية، ونِصف الدية، والدية كاملة، فللأول الربع لأنه أهلك مَن فوقه، وللثاني ثُلث الدية، وللثالث نصف الدية، وللرابع الدية كاملة. فلم يَرضَوْا، وأتَوا رسول الله ﷺ وهو عند مقام إبرهيم، فقَصُّوا عليه القصة، فقال: «أنا أقضي بينكم» واحتبى، فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فينا بكذا وكذا، وقَصُّوا عليه القصة، فأجازه رسول الله ﷺ.

قلت: وفي هذا الحديث كلام طويل؛ فإن محمد رحمه الله قال في «الجامع الصغير» وغيره: إن الإنسان إذا حفر بئراً في مِلكه فتَلِف بذلك إنسان أو بَهيمة؛ فلا ديةَ عليه، ولا ضَمانَ في البهيمة، وإن كان في غير مِلكه ضَمِن؛ لأنه في الأوَّل غيرُ مُتَعَدٍّ بخلاف الثاني، وينبغي أن يكون حافرُ الزُّبْيَةِ على هذا، وكذا جِراحةُ الأَسَد تكون هَدَراً.

قال محمد رحمه الله: رجلٌ شَجَّ نفسَه، وشَجَّه غيرُه، وعقره أسد، ونهشته حية،

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٦١٩، وتحرف في مطبوعه الزيني إلى الدنقشي؟! وما بين معكوفين منه.
(٢) في مسنده (٥٧٣).

فمات من ذلك، فالحيَّةُ والأسَد شيءٌ واحد، وعلى الأجنبي ثلث الدِّية[١]؛ لأن جِراحة الأسَدِ والحيَّةِ بمَنْزِلَةِ جراحةٍ واحدة؛ لأن كليهما يَرجعان إلى حُكم الإهدار، فقد تَلِفَتْ نفسُه بثلاث جِراحات: جِراحة نفسه، وجِراحة الأسد، وجِراحة الحيَّة، وقد ذكرنا أنهما هدر، بقي فعل الأجنبي فيجب فيه ثُلثُ الدِّيَة، وما يتعلّق بهذا وبالديات ذكرناه في «شرح الجامع الصغير».

ذكر ما جرى للبُرَك مع معاوية

قال علماء السير: قعد في تلك الليلة التي ضُرب فيها أمير المؤمنين لمعاوية، فلما خرج ليُصَلّي بالناس الفجر وَثب عليه بالسيف، فضربه فوقع في أَلْيته وفاته، فأُخِذ، فجيء به إلى معاوية فقال: وَيحك، ما الذي حَمَلك على هذا؟ فقال: إن لك عندي خبراً أَسُرُّك به، فإن أخبرتُك فنافعي هو عندك؟ قال: وما هو؟ قال: إن أخاً لي قتل علياً في هذه الليلة، قال: فلعلّه لم يَقدِرْ عليه؟ قال: بلى، إن علياً ليس معه مَن يَحرُسُه، فأمر به فقُطعت يداه ورجلاه، ثم ضرب عُنُقَه، واتَّخذ معاوية المقصورة في جامع دمشق، وهو أوّل مَن اتَّخذها، وأقام الحرس.

ثم أحضر معاوية الساعدي وكان طبيباً حاذِقاً فقال: داوني، فقال: اختر إحدى خَصلتين: إما أن أحمِيَ حديدةً فأضعها موضعَ اليسف، وإما أن أسقيَك شَربةً تقطع عنك الولد وتبرأ منها؛ فإن ضَرْبتَك مَسمومة؟ فقال معاوية: أما النار فلا صبرَ لي عليها، وأما انقطاعُ الولد ففي يزيد وعبد الله ما تَقَرُّ به عيني، فسقاه تلك الشربة فبَرِئ، وانقطع نَسْلُه، وكان إذا سجد أقام الحرس على رأسه.

وقال البلاذري[٢]: لم يقتل معاوية البُرَك، وإنما قطع يديه ورجليه ـ أو يده ورجله ـ ثم أطلقه، فصار إلى البَصرة ووُلِدَ له في زمان زياد بن أبيه، فأخذه زياد وقال له:

(١) الجامع الصغير ٤٠٤.
(٢) في أنساب الأشراف ٢/ ٣٥١.

وَيْلك، تركتَ أمير المؤمنين لا نَسْلَ له، فقتله وصَلَبه.

والأول أصح، ذكره الطبريّ[١] وغيره.

ذكر ما جرى لعمرو بن بكر مع عمرو بن العاص

قال هشام: جلس في تلك الليلة عند السُّدّةِ بمصر ينتظر عمرو بن العاص، فاتّفق أن عَمْراً اشتكى بطنَه في تلك الليلة، فأمر خارجة بن أبي حَبيبة[٢] أن يُصلّي بالناس، وكان صاحب شُرطته، فشَدَّ عليه عمرو وهو يظنّ أنه عَمْراً، فقَتَله.

وقد ذكرنا ترجمةَ خارجة في هذه السنة، وأخذ عَمراً الناسُ، فأتَوا به إلى عمرو بن العاص، وسلّموا عليه بالإمرة فقال عمرو: مَن هذا؟ قالوا: عَمرو بنُ العاص، فقال: يا فاسق، والله ما ظننتُه غيرك، فقال عمرو: أردتَ عَمراً، وأراد الله خارجة، فذهبت مَثَلاً، وقد ذكرنا ذلك.

وأمر بقطع يديه ورجليه وقَتْله، فلما أراد قَتْلَه بكى، فقال له: أجَزِعتَ؟ قال: لا والله، وإنما أبكي كيف قتلَ صاحباى علياً ومعاوية ولم أقتل أنا عَمْراً، وكتب معاوية إلى عمرو: [من الطويل]

وَقَـتْـكَ وأسـبـابُ الـمَـنُـون كـثـيـرةٌ ... مَـنِـيَّـةُ شـيـخٍ مـن لـؤيٍّ بـن غـالـبِ
فـيـا عَـمـرو مَـهْـلاً إنـمـا أنـت عَـمُّـه ... وصـاحِـبُـه دون الـرِّجـالِ الأقـارِبِ
نَـجـوتَ وقـد بَـلَّ الـمُـرادِيُّ سـيـفَـه ... مـن ابـنِ أبـي شـيـخِ الأبـاطـحِ طـالـبِ
ويَـضـربـنـي بـالـسـيـفِ آخـرُ مـثـلُـه ... فـكـانـت عـلـيـه تـلـك ضَـربَـةَ لازبِ
وأنـت تُـنـاغـي كـلَّ يـومٍ ولـيـلـةٍ ... بـمِـصْـرِك بِـيـضـاً كـالـظِّـبـاء الـسَّـوارِبِ[٣]

(١) في تاريخه ٥/ ١٤٩ ، وانظر المنتظم ٥/ ١٧٨ .

(٢) كذا، وفي أنساب الأشراف ٢/ ٣٥٠ : خارجة بن أبي خارجة، وسلف عند المصنف في وفيات هذه السنة أنه: خارجة بن حُذافة بن غانم بن عامر العدوي، وأمه فاطمة بنت عمرو. فقوله هنا: خارجة بن أبي حبيبة خطأ وتحريف.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٤٩-١٥٠ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٣٥١ ، ومروج الذهب ٤/ ٤٣٦-٤٣٨ ، والمنتظم ٥/ ١٧٨-١٧٩ .

وفي هذه السنة ـ وهي سنة أربعين ـ بُويع الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة.

فصل في ذكر بيعته وما يتعلّق بها

اتفقوا على أنه بويع بالخلافة في شهر رمضان هذه السنة، وإنما اختلفوا في الوقت الذي بويع فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: في اليوم الذي استُشهد فيه أمير المؤمنين، قاله الواقدي.

والثاني: في الليلة التي دُفن فيها أمير المؤمنين.

والثالث: بعد وفاته بيومين، قاله ابنُ الكلبي.

وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال: امدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله، فإن ذلك يأتي على كل شرط، وبايعه الناس.

وفي رواية: أن قيس بن سعد قال له: وعلى قتال المخالفين، فقال له الحسن: كتاب الله وسنة رسوله يأتي على ذلك كله، فبايعه.

قلت: وولي الحسن الخلافة وسِنُّه ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ولم يبلغ الأربعين؛ لأنه ولد في السنة الثالثة من الهجرة على ما ذكرنا، وقد اتفق لجماعة من الخلفاء مثل هذا؛ منهم: عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد، وأخوه إبراهيم بن الوليد، وهشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد، ومن بني العباس: السفّاح، والمهدي[1]، والهادي، والواثق، والمهتدي، والمعتضد، والقاهر، والمتقي، والمطيع، والطائع، كلُّ هؤلاء وَلوا الخلافة ولم يبلغوا الأربعين.

وقال الزهري: كان تحت يد قيس بن سعد سبعون ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً، وهو الأصح لما نذكر.

وقال الواقدي: لما بويع الحسن خطب فقال:

(١) كان في المخطوطتين: ويزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم ومن بني السفاح العباس وهشام بن عبد الملك والوليد ابن يزيد والمهدي، فأصلحته كما ترى، وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٨٦ـ٨٧.

يا أهل العراق، لقد قتلتُم رجلاً ما سبقه مَن كان قبلَه، ولا يُدركه مَن يأتي بعده، قبضه الله في الليلة التي رفع فيها إليه عيسى بن مريم، وقُبض فيها يُوشَع بن نون، وأنزل الله فيها القرآن على محمد ﷺ(١). وأقام الحسن أياماً يُفكّر في أمره.

وحكى ابن يونس(٢) عن الزهري، وذكر هشام: أن علياً عليه السلام جعل قيس بن سعد على مُقَدّمة أهل العراق في أربعين ألفاً، وولّاه أذربيجان، فبينما قيس على ذلك استُشهد علي عليه السلام، واستخلف الحسن، وكان الحسن لا يُريد القتال، ولكن يريد أن يأخُذَ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يُوافقه على رأيه، فنزعه عن أَذْرَبيجان، وأمَّر عليها عُبيد الله بن عباس، ولما علم عُبيد الله بما في نفس الحسن كتب إلى معاوية يَطلب الأمان لنفسه، ولما أصاب من الأموال، فأجابه معاوية إلى ذلك.

وكتب ابن عباس إلى الحسن كتاباً يُعزّيه فيه بأمير المؤمنين، ويقول له: شَمِّر للحرب، وجاهد عدوَّك، واشتر مِن الظَّنين دينه بما لا يَثْلُم دينك، ولِّ أهل البيوتات لتَستَصلِحَ به عشائرهم(٣).

وقال هشام: ولما بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين خطب فقال: إن الله أباح ابنَ أبي طالب مَن قتله؛ ببغيه وظُلمه وقطيعته لرَحمه، وقد وَلي مكانه ابنُه، وهو غِرّ حَدَث لا خِبرة له بالسياسة والحرب.

وقد كتب إلي مَن قِبَلُه يلتمسون الأمان، وكان ذلك مَكيدة من معاوية(٤).

وبلغ الحسن فكتب إلى معاوية: من الحسن بن علي أمير المؤمنين وابن أمير

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧ وسلف قريباً.

(٢) في الطبري ٥/ ١٥٨ : حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، حدثنا أبي، حدثنا سليمان، حدثنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري.

(٣) العقد الفريد ٤/ ٣٦١ .

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٣٧٩ .

المؤمنين، إلى معاوية بن صخر، أما بعد، فإنك نَزَوتَ على هذا الأمر من غير سابقةٍ لك في الإسلام، ولا أثرٍ محمود في الدِّين، فسفكتَ الدمَ الحرام، بقتل عثمان وأنت قتلته، وإني لأرجو أن أُلحِقَك به، وبلغني تَشفّيك بأمير المؤمنين، فإن الله اختار له دارَ أنبيائه، ومقرَّ أوليائه، وقد بايعني المهاجرون والأنصار وأشراف القبائل، وأنا سائر اليك بمئة ألف، قد بايعني منهم سبعون ألفاً ـ أو أربعون ألفاً ـ على الموت، حتى يَحكم الله بيني وبينك وهو خير الحاكمين.

وقال الواقدي: وأقام الحسن بالكوفة شهر شوال وذي القعدة، واجتمع إليه الرؤساء والأشراف وقالوا: سِر بنا إلى الشام.

وقيل: إنما أقام بالكوفة ستة أشهر، وقال له [قيس بن] سعد بن عُبادة: سِرْ بنا إلى قتال عدوِّنا، فنزل المدائن[1] بجيوشه، وبعث قيس بن سعد في مُقدّمته في اثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية من الشام فنزل مَنْبِج، وكتب إلى أشراف الكوفة، وبعث إليهم بالأموال، فخذلوا الحسن كما فعلوا بأبيه.

وسار قيس بن سعد حتى نزل بمَسْكِن على دُجَيل، والحسن نازل على المدائن في العسكر، فبينما الناس على هذا إذ نادى منادٍ: ألا إن قيس بن سعد قد قُتل، فانفروا فنَفروا، وكانت مَكيدة من معاوية، وهَجم جماعة على الحسن إلى سُرادِقه فنهبوا متاعَه، حتى نازعوه بِساطاً كان تحته، وطعنه رجل بمِشْقَص فأدماه، فذُعر منهم، ودخل المقصورة البيضاء التي بالمدائن.

والمِشْقَص ـ بالكسر ـ من النِّصال: ما طال وعرض.

قال هشام: وكان على المدائن من قِبل أمير المؤمنين سعدُ بنُ مسعود عمّ المختار بن أبي عُبيد، فقال له المختار وهو يومئذٍ غلام حدث: هل لك في أمرٍ تَسود به العرب،

---

(١) في (خ) و(ع): المدينة، وهو خطأ، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨١، والطبري ٥/ ١٥٩، وأنساب الأشراف ٢/ ٣٨١، والمنتظم ٥/ ١٦٦.

ويَحصل لك به الغنى والشَّرف؟ قال: وما هو؟ قال: تستوثق من الحسن[١]، وتُسلِّمه إلى معاوية، فقال له سعد: لعنك الله، أَثِبُ على ابن بنت رسول الله ﷺ، فأُوثِقُه وأُسْلِمُه إلى ابن هند، بئس الرَّجل أنا إن فعلتُ ذلك.

وفي رواية: فقال له سعد: يا مَلعون، ما هذا بلاؤهم عندنا أهل البيت.

وقد أخرج القصةَ ابنُ سعد، عن موسى بن إسماعيل بإسناده، عن ثابت بن زهير[٢] قال: لما أتى الحسن بن علي قصرَ المدائن قال المختار لعمّه: هل لك في أمرٍ تَسود به العرب؟ قال: وما هو؟ قال: تَدَعني أضربْ عُنُق هذا، وأذهب برأسه إلى معاوية، فقال: ما ذاك بلاؤهم عندنا أهل البيت.

وقال البلاذري: وبلغ الشيعة: ظبيان بن عُمارة التميمي، والحارث الأعور، وغيرهما، قول المختار، فقصدوه ليقتلوه، فنهاهم الحسن عن قتله.

وقال البلاذري: كان المختار عثمانياً؛ إلى أن بعث الحسين مسلمَ بنَ عَقيل إلى الكوفة، فجاء المختار فبايعه سرًّا[٣].

وقال البلاذري أيضاً: إن الحسن قبل وصوله المدائن نزل بساباط دون الجسر، وكان قد علم بواطنَ القوم، فقام فخطب وقال: إني لأرجو أن أكونَ أنصحَ خلقِ الله لهذه الأمة، وما أنا بمُحتمِلٍ على أحدٍ ضَغينة ولا حِقْداً، ألا وإن الجماعة خيرٌ من الفرقة.

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خار والله وضَعُف، وقد عزم على الصُّلح، وشدُّوا على فُسطاطه فنهبوه، وشدَّ عليه عبد الرحمن بن أبي جِعال الأزدي، فنزع مِطرَفَه عن عاتقه.

---

(١) كذا، والذي في الطبري ٥/ ١٥٩، وأنساب الأشراف ٢/ ٣٨٢، والمنتظم ٥/ ١٦٦: توثق الحسن، وهو الصواب.

(٢) في (خ): هر ر، دون نقط، ولم أقف على الخبر في طبقات ابن سعد، ولا مَن نقله عنه.

(٣) أنساب الأشرف ٦/ ٣٨-٣٩.

وانطلق الجَرَّاح بن سِنان ـ وكان يرى رأيَ الخوارج ـ فقعد له في مُظْلِمِ ساباط، فلما جاء الحسن وثب إليه، فأخذ بلجام فرسه، وقال: أشركتَ يا حسن كما أشرك أبوك، ثم طعنه في فَخِذه بمِعْوَل، فشقَّ فخذه، وكاد أن يصل إلى العظم، فضربه الحسن في وجهه، واعتنقا وسقط الحسن إلى الأرض، ووَثب عبدل بن الحصل فنزع المعول من يد الجراح، ووثب ظبيان بن عُمارة التميمي على الجرّاح فقتله، وحمل سعد بن مسعود الحسنَ إلى أبيض المدائن، وجاء بطبيب فعالجه فبرئ[(١)].

وقال الواقدي: وكان معاوية قد كتب إلى الحسن سرّاً يسأله الصلح ويقول: لو لم أعلم أنك ما تقوم بهذا الأمر قيامي لسَلَّمتُه إليك، ولكني أشدُّ سياسةً منك، وأقدم تَجربة، وأكبر سنًّا، وأجمع للمال، وأرهب للعدو، وأرفق بالمسلمين منك، فإن سلَّمتَ إليَّ الأمر فلله علي أن لا تُنازَعه بعدي، وأنني لا أستبدُّ بأمرٍ يُراد به وَجه الله دونك، ولك جميع ما في بيت مال العراق بالغاً ما بلغ، ولك خراج أيّ الكُوَر شئت بسبب نَفقتك، والسلام.

فلم يجبه الحسن ظنًّا منه أن أهل العراق ينصرونه، فبعث الحسن بكتاب معاوية إلى ابن عباس، فكتب إليه ابن عباس: أَنشدُكَ الله في دماء هذه الأمة؛ أن تسفكها لتُصيبَ سلطاناً من الدنيا، عسى أن لا تُمتَّع به إلا قليلاً، وحرّضه على صُلْحِ معاوية.

فإن قيل: هذا يُخالف كتابه الأول، قلنا: لما بلغ ابن عباس أن معاوية قد كاتب أهل العراق، ووَعدهم بالولايات، وبعث إليهم بالأموال واستمالهم، وليس مع الحسن إلا قيس بن سعد، وأنه لا يقوم مقام أمير المؤمنين، فخاف أن يُسلموه إلى معاوية، وجرت هذه الكائنة على الحسن في ساباط المدائن، فتحقق الحال، وبعث إلى معاوية يسأله الصُّلْح، فقال له أخوه الحسين: يا أخي، أَنشدك الله أن تُصدِّق أُحدوثةَ معاوية، وتُكذِّبَ أُحدوثةَ أبيك، فقال له: يا أخي ما ترى ما نحن فيه؟! والله ما ننتظر إلا أن

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٣٨١ـ٣٨٢، ومظلم ساباط موضع مُضاف إلى ساباط التي قرب المدائن. معجم البلدان.

يُسلمونا إلى معاوية برقابنا، فقال له الحسين وعبد الله بن جعفر وابن الحنفيّة: لا تكذّب أبانا في قبره، فقال: أنا أكبر منكم وأعرف بالأمر، قالوا: فافعل ما بدا لك.

وقال الهيثم: استدعى الحسنُ عبد الله بنَ جعفر وقال له: يا ابن العم، قد شاهدت ما جرى عليّ، وقد طالت الغَيبة فسُفِكَت الدّماء، وقُطّعت الأرحام، وأُخِيفَت السُّبُل، وتَعَطَّلَت الثُّغور، وقد عزمت على نزول المدينة، وأُخلّي بين معاوية وبين هذا الأمر، فقال: جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً، وأنا معك على هذا الحديث[١].

وقد أخرج ابن سعد بمعناه عن عمرو بن سلمة بن عَمِيرة الهَمْدَاني ـ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، ممن روى عن علي عليه السلام، وكان شريفاً ـ قال ابن سعد: بعثه الحسن بن علي إلى معاوية مع محمد بن الأشعث بن قيس في الصُّلح بينه وبين معاوية، فلما رآه معاوية أعجبه ما رأى من جَهْره وفَصاحته وجِسمه، فقال له: أمُضَريٌّ أنت؟ قال: لا، ثم قال: [من الطويل]

إنّي لَمن قومٍ بنى الله مَجْدَهم عـلى كلِّ بادٍ في الأنامِ وحاضِرِ

من أبيات، ثم قال: أنا من هَمْدَان.

قال ابن سعد: وكان عمرو ثِقةً قليلَ الحديث[٢].

وبعث معاوية إلى الحسن عبد الله بنَ عامر وعبد الرحمن بنَ سَمُرة وقال: مَنِّياه وأعطِياه ما أراد، فقَدِما عليه المدائن، فأعطياه ما أراد، وكان في كتاب الصُّلْح:

هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان، أنني صالحتُه على أن الأمرَ له بعدي، وله علي عَهدُ الله ومِيثاقُه، وذِمَّةُ رسوله ﷺ؛ أنني لا أَبغيه ولا أهل بيته مَكروهاً ولا غائلةً، وأن له ما في بيت المال بالكوفة؛ وهو خمسة آلاف ألفِ درهم، وأن لا أذكرَ علياً بسوء، وأن لا أعرض لأحدٍ من شيعته بسوء .... وذكر شروطاً كثيرة شرطها عليه الحسن، وأشهد عليه أعيانَ الناس: عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سَمُرة بن

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٤ـ٣٨٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٩١ .

حبيب بن عبد شمس، وغيرهما[١].

واختلفوا؛ هل كان الصُّلح في هذه السنة، أم في سنة إحدى وأربعين؟ والأصح أنه في سنة إحدى وأربعين.

فنذكر من توفي في هذه السنة، وقد ذكرنا تراجمَ مَن توفّي فيها إلى حرف العين ترجمة علي عليه السلام، وقد بقيت ترجمتان: ترجمة كعب بن مالك، وترجمة لَبيد الشّاعر، فنذكرهما.

وفيها توفي

كعب بن مالك

ابن أبي كعب بن القَيْن بن كعب بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، شاعر رسول الله ﷺ.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من الأنصار من الخزرج، قال: وأُمُّه ليلى بنت زيد ابن ثعلبة بن عُبيد، من بني سَلِمة[٢].

وكعب أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، وتاب الله عليهم، وكُنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو بَشير.

وقال الواقدي: وكانت كُنيته في الجاهلية: أبو بشير، فكَنّاه رسول الله ﷺ أبا عبد الله، ولم يكن لأبيه مالك ولدٌ سواه[٣].

قال ابن سعد: شهد أُحداً، والخندق، والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدراً وتبوك.

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٥-٣٨٦، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٩-١٦٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٣.

(٣) أخرجه ابن عساكر ٥٩/ ٤٠٠-٤٠١ من طريق البغوي، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن هارون بن إسماعيل.

واختلفوا في شهوده بدراً، فقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: آخى رسولُ الله ﷺ بين الزبير بن العَوّام وبين كعب بن مالك، قال الزبير: فلقد رأيتُ كعباً أصابته الجِراحة بأُحُد، فقلت: لو مات لَورِثْتُه، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥]، فصارت المواريث بَعْدُ إلى الأرحام والقرابات، وانقطعت تلك المواريث في المُؤاخاة.

ثم قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وهذا عندنا ليس بثَبْتٍ، ولم يكن بعد بدر مُوارثة، وإنما جُرح كعب بن مالك بأُحُد بِضعةَ عشر جِراحة، وارتُثَّ، ولم يَشهد بدراً[١].

وهو وَهْمٌ منه، ولا خِلاف أنه شهد العَقَبة مع السبعين من الأنصار.

وقال ابن أبي حاتم: كان من أهل الصُّفَّة[٢].

وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وأوس بنَ الحَدَثان فناديا في أيام التَّشريق: إنها أيامُ أَكْلٍ وشُرْب.

قلت: وقد أخرج حديثهما مُسلم، وفيه: أن رسول الله ﷺ أمرهما أن يُناديا أن: «لا يدخل الجنةَ إلا مؤمن»[٣].

وقال سفيان بن عُيينة: هو عَقَبي، وليس ببدريّ.

وقال ابن إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين الزبير، ويقال: بينه وبين طلحة بن عبيد الله.

قال: وكعب أوَّل مَن بَشَّر المسلمين بحياة رسول الله ﷺ يوم أُحد، وأعطى رسولَ الله ﷺ لأْمَته يوم أُحد ـ وكانت صفراء ـ فلَبِسها وقاتلَ فيها.

قال كعب: عرفتُ رسول الله ﷺ بعينيه وهما يَزْهَران من تحت المِغْفَر، ولم يعرفه

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٤.

(٢) الجرح والتعديل ٧/ ١٦٠، ونقله المصنف عن ابن عساكر ٥٩/ ٤٠٣.

(٣) صحيح مسلم (١١٤٢).

غيري، فناديت: يا معاشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فأومأ إليَّ: أن اسكُت، وقد ذكرناه في غَزاة أُحد.

وكان كعب شاعراً مُفْلِقاً، قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين: أن النبي ﷺ أتى كعبَ بن مالك على جَمل قد شنق له حتى بلغ رأس المَوْرِك، فقال: أين هو؟ فجاء من خلفه فقال: «هِيه»، فأنشده، فقال رسول الله ﷺ: «لَهو أشَدُّ عليهم من وَقْعِ النَّبْلِ»(١).

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه: أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، قد أنزل الله في الشعر ما أنزل، فكيف أصنع؟ فقال النبي ﷺ: «المؤمن يُجاهد بنَفْسه وبسيفه وبلسانه، والذي نفسي بيده، لكأنَّ ما تَرمونهم به نَضْحُ النَّبْل»(٢).

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: لما حَضرتْ كعب بنَ مالك الوفاةُ أتَتْه أمُّ بِشر بن البَراء بن مَعْرور، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، إن لَقيتَ ابني فلاناً فأقرئه مني السلام، فقال: يغفر الله لك يا أمَّ بِشر، لنحن أشغلُ من ذلك، فقالت: أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إن أرواحَ المؤمنين طيرٌ خُضرٌ تَعْلُق من شجر الجنة»؟ قال: بلى، قالت: فهو ذاك(٣).

قلت: الحديث المشهور: «إن أرواح الشهداء»(٤)، وإنما وقع هذا الحديث كذا.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه كعب بن مالك: أنه كان له على عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ مالٌ، فلَقيه فلَزِمه، فتكلّما حتى ارتفعتْ

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٥ ، وقوله: حتى بلغ رأس المورك؛ معناه: بالغ في جذب رأس الجمل إليه ليكفه عن السير.

(٢) مسند أحمد (٢٧١٧٤).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٣-٣٩٤ .

(٤) أخرجه أحمد (٢٧١٦٦) ، والترمذي (١٦٤١).

الأصواتُ، فمرّ بهما رسول الله ﷺ فقال: «يا كعب» وأشار بيده كأنه يقول النِّصف، فأخَذ نِصْفاً مما عليه، وترك نِصفاً[١].

قلت: وقد أخرجاه في الصحيحين[٢] بمعناه، وأن رسول الله ﷺ كان في بيته، وكانا في المسجد، فارتفعت أصواتُهما، فخرج رسول الله ﷺ إليهما فقال: «يا كعب، ضَعْ من دَينك الشطر»، قال: قد فعلتُ، فقال: «قم فاقْضِه».

وقال الواقدي: وَفَد كعب وحسان بن ثابت ـ وكانا عُثمانِيَّيْن ـ على معاوية بعد قتل عثمان، فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَ دينار.

وحكى ابن سعد عن الواقدي: أن كعباً ذهب بَصَرُه في آخر عمره[٣].

واختلفوا في وفاته، فقال عامّة المؤرّخين: إنه توفي في سنة أربعين، وحكى ابن سعد عن الواقدي: أنه تُوفّي في سنة خمسين في خلافة معاوية وهو ابن [سبعٍ و] سبعين سنة[٤].

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: فوَلَد كعب بن مالك: عبد الله، وعُبيد الله، وفَضالة، ووَهباً، ومَعْبَداً، وخَوْلة، وسُعاد، وأمُّهم عميرة بنت جُبَير بن صَخْر بن أميَّة، من بني سَلِمة. وأم عُمر، تزوَّجها زياد بن عبد الله بن أنيس، حَليف بني سَواد. وعبد الرحمن، وأم قيس، تزوّجها عطية بن عبد الله بن أنيس، حَليف بني سواد، وأُمّهم أم وَلَد. ورَمْلَة، وأمُّها تُماضِر بنت مَعْقِل بن جُنْدب بن النَّضْر، من بني ثَعلبة بن سعد بن قيس. وسُمَيكَة، وكَبْشَة، وأمُّهما صَفِيّة من أهل اليمن. وصَفِيَّة لأُمّ وَلَد. وليلى وأمُّها أمُّ بِشر من جُهَيْنَة[٥].

أسند كعب الحديث عن رسول الله ﷺ، أخرج له أحمد في «المسند» أربعة عشر

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٥.

(٢) صحيح البخاري (٤٥٧)، وصحيح مسلم (١٥٥٨).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٩٣.

حديثاً، منها حديث غزاة تبوك لما تخلّفوا عنها، وحديث ليلة العَقَبة، وقد ذكرناه، أخرج له منها في الصحيحين ستة أحاديث، المُتَّفق عليه منها ثلاثة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[(١)].

وروى عنه بنوه: عبد الله، وعُبيد الله، وعبد الرحمن بنو كعب، وابن عبّاس، وجابر ابن عبد الله، وأبو أُمامة الباهليّ، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وقيل: روى عنه ابنٌ له اسمُه محمد بن كعب[(٢)]، ولم يَذكره ابنُ سعد.

وليس في الصحابه مَن اسمُه كعب بن مالك سوى رجلين؛ أحدهما هذا، والثاني كعب بن مالك بن مَبْذُول، أبو هُبَيْرَة[(٣)]، له صحبة وليس له رواية.

وفيها توفي

لَبيد بن ربيعة

ابن كِلاب بن مالك بن جعفر بن كِلاب[(٤)]، الشاعر العامري، وكُنيته أبو عَقيل، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من القبائل الذين أسلموا بعد الفتح[(٥)]، وقد ذكرنا أنه وفد على رسول الله ﷺ في سنة تسعٍ من الهجرة، فأسلم هو وقومه، ورجعوا إلى بلادهم، ولما مات رسول الله ﷺ نزل الكوفة.

قال ابن سعد بإسناده عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٩.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٥٩/ ٣٩٨، وتهذيب الكمال (٥٥٧٠)، والسير ٢/ ٥٢٣. وانظر في ترجمته غير ما ذكر من مصادر: الاستيعاب (٢١٧٠)، والأغاني ١٦/ ٢٢٦، والاستبصار ١٦٠، والإصابة ٣/ ٣٠٢.

(٣) كذا، وهو خطأ، فإن أبا هبيرة هو: ابن الحارث بن علقمة بن عمرو بن كعب بن مالك، بن مبذول، وكنيته هي اسمه، استشهد يوم أحد، انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٣١٩، والاستيعاب (٣١٨٢)، والإصابة ٤/ ٢٠١.

(٤) كذا، وأجمعوا على أن نسبه: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر، فزيادة كلاب الأولى في نسبه خطأ، انظر طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٢ و٨/ ١٥٥، وطبقات فحول الشعراء ١٢٥، والمعارف ٣٣٢، والشعر والشعراء ٢٧٤، والأغاني ١٥/ ٣٦١، والاستيعاب (٢٢٣٣)، والمنتظم ٥/ ١٧٩، والإصابة ٣/ ٣٢٦.

(٥) وذكره أيضاً فيمن نزل الكوفة من الصحابة.

وهو عاملُه على الكوفة: أن ادعُ مَن قِبَلِك من الشعراء، فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والإسلام، ثمّ اكتُب إليّ بذلك.

فدعاهم المغيرة، فقال للبيد بن ربيعة: انشِدْني ما قلتَ من الشعر في الجاهلية والإسلام، فقال: قد أبدلني الله سورةَ البقرة، وسورة آل عمران، وقال للأَغْلَب العِجْلِيّ: أنشِدْني فقال: [من الرجز]

أَرَجَــزاً تُــريــد أم قَــصِــيــدا لَــقَــد سـألـتَ هَـيِّـنـاً مَـوجـودا

فكتب المغيرة إلى عمر بذلك، فكتب إليه: أن انقص الأغلب خمس مئة من عطائه، وزِدْها في عطاء لبيد، فرحل إليه الأغْلب فقال: يا أمير المؤمنين، أتَنقُصني وقد أطعتك؟! فكتب عمر إلى المغيرة: أن رُدَّ على الأغلب الخمس مئة، وأقْرِرها في عطاء لبيد[1].

وقال أبو عبيدة مَعْمَر: لم يقل لَبيد في الإسلام بعد ما أسلم إلا بيتاً واحداً، وهو هذا: [من البسيط]

الـحـمـدُ لله إذْ[2] لـم يَـأتِـنـي أَجَـلـي حـتـى لَـبِـسْـتُ مـن الإسـلامِ سِـرْبـالا

وقال عمر بن شَبَّة: كان لبيد من أجواد العرب، وكان قد آلى أن [لا] تَهُبَّ الصَّبا إلا أطعم، وكان له جَفْنتان يُغْدا بهما ويُراح في كلِّ يومٍ على مسجد قومه، فهَبَّت الصَّبا يوماً ـ والوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط عامل عثمان على الكوفة، فصَعد الوليد المنبر وقال: إن أخاكم لَبيد بنَ ربيعة نَذر في الجاهلية أن لا تَهُبَّ الصَّبا إلا أطعم، وهذا يومٌ قد هَبَّت فيه الصَّبا، فأعينوه، وأنا أوّل مَن فعل ذلك، ثم نزل عن المنبر، وأرسل إلى لبيد بمئة ناقة، وكتب إليه الوليد هذه الأبيات: [من الوافر]

أرى الـجَـزَّارَ يَـشْـحَـذُ شَـفْـرَتَـيْـهِ إذا هَــبَّــتْ رِيــاحُ أبــي عَــقــيــلِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٢ـ١٩٣ ، وطبقات فحول الشعراء ١٣٥ـ١٣٦ ، والأغاني ١٥/ ٣٦٩ـ٣٧٠ .

(٢) في (خ) و(ع): الذي، والمثبت من الأغاني ١٥/ ٣٦٩ ، والمنتظم ٥/ ١٧٩ ، وانظر الاستيعاب (٢٢٣٣)، والشعراء ٢٧٥ .

أَشَمُّ الأَنْفِ أَصْيَدُ عامِرِيٌّ ... طَويلُ الباعِ كالسَّيفِ الصَّقيلِ

فقال لبيد لابنته: أجيبيه، وكان لبيد قاصراً في الجواب[1]، فقالت: [من الوافر]

إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عَقيلٍ ... دَعونا عند هَبَّتِها الوَليدا
أَشَمَّ الأَنْفِ أَرْوَعَ عَبْشَمِيًّا ... أعانَ على مُروءَتِهِ لَبيدا
بأمثالِ الهِضابِ كأنَّ رَكْباً ... عليها من بني حامٍ قُعودا
أبا وَهْبٍ جَزاكَ اللهُ خَيراً ... نَحَرْناها وأَطْعَمْنا الثَّريدا
فَعُدْ إنَّ الكَريمَ لهُ مَعادٌ ... وظَنِّي يا ابنَ أَرْوى أن تَعودا

قال لها لَبيد: أحسنتِ؛ لولا أنّك استطعَمتيه بقولك: أن تَعودا، فقالت: إن الملوك لا يُستحيا من مَسْأَلَتهم، فقال: يا بُنيّة، وأنت في هذا أشعر[2].

قلت: وهذا الوليد هو الذي أنزل الله فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾الآية[3][الحجرات:٦]، وجَلده علي عليه السلام في الخمر.

واختلفوا في وفاته، فقال ابن سعد بإسناده عن عبد الملك بن عُمير[4] قال: مات لَبيد بن رَبيعة ليلةَ نزل معاوية النُّخَيْلَة لمُصالحة الحسن بن علي.

وفي رواية ابن سعد: ودُفن في صحراء بني [جعفر بن] كِلاب، وكان قد هاجر إلى الكوفة، ودُفن في هذا المكان.

وقيل: مات سنة إحدى وأربعين، والأوّل أصحّ.

واختلفوا في سِنّه على أقوال؛ أحدها: أنه عاش عشرين ومئة سنة، والثاني: مئة وسبعاً وخمسين سنة، والثالث: ثلاثين ومئة سنة[5].

وحكى ابن سعد عن هشام، عن جعفر بن كِلاب، عن أشياخه قالوا: لما حُضِرَ لَبيد

---

(١) في المصادر الآتية أنه قال لها: لقد عشتُ برهة وما أعيا بجواب شاعر.

(٢) الشعروالشعراء٢٧٦-٢٧٧، والأغاني ١٦/ ٣٧٠-٣٧١، والاستيعاب (٢٢٣٣)، والمنتظم ٥/ ١٧٩-١٨٠ .

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ٤١٢ .

(٤) في (خ): عبيد بن عمير، وفي (ع): عبد الله بن عمر، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٣ .

(٥) انظر الاستيعاب (٢٢٣٣).

دخل عليه أشياخُ بني جعفر وشُبَّانهم، فقال: ابْكُوا عليَّ حتى أسمع، فقال شابٌّ منهم: [من الطويل]

لِتَبْكِ لَبِيداً كلُّ قِدْرٍ وجَفْنَةٍ   وتبكي الصَّبا مَن بادَ وهو فَقِيدُ[(١)]

فقال: أحسنتَ يا ابن أخي، زِدْني، فقال: ما عندي غَيرُ هذا البيت. فقال لَبيد: ما أسرع ما أكْدَيْتَ.

قال ابن سعد: وقال هشام: كان للَبيد بالكوفة بَنون، فرجعوا كلّهم إلى البادية أعراباً[(٢)].

وليس في الصحابة مَن اسمُه لَبيد بن ربيعة غيره، فأما لَبيد غيرُ ابنِ ربيعة فاثنان:

لَبيد بن سَهْل الأنصاري، وهو الذي نُسبت إليه السَّرِقة في قصة بني أُبَيْرِق، وقد ذكرناه في السيرة.

والثاني: لَبيد بن عُقبة بن نافع، أبو محمود[(٣)].

وهؤلاء الثلاثة لهم صُحبة، وليست لهم رواية.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) في طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٣: وهو حَميد.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٣ و٨/ ١٥٥.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٤٧. قال محقق هذين الجزءين عمار عدنان ريحاوي غفر الله له: تمت الخلافة الراشدة، ويتلوها: السنة الحادية والأربعين، فيها سلَّم الحسن الأمر إلى معاوية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين. دمشق ٨/ ٤/ ٢٠٠٨.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

عبد الله بن مسعود ٥

عبد الرحمن بنُ عَوف ١٤

أبو بَرزة الأسلمي ٢٦

أبو سَبْرَة ٢٦

كعب الأحبار بن ماتِع الحِميريّ ٢٦

أبو مُسْلم ٢٧

نَوف وتُبَيْع ٢٧

مُعَيْقيب ٢٨

السنة الثالثة والثلاثون ٣٠

غزو معاوية الروم ٣٠

غزو ابن أبي سرح إفريقية ٣٠

بعث الأحنف إلى خراسان ٣٠

نفي عثمان جماعة إلى الشام ٣١

نفي حمران مولى عثمان إلى البصرة ٣١

تسيير عامر بن عبد القيس إلى الشام ٣١

ولادة زين العابدين ٣١

خروج محمد بن أبي حذيفة إلى مصر ٣١

السنة الرابعة والثلاثون ٣٤

تكلم الناس في عثمان ومناظرته ٣٤

قيام الناس عليه ٣٦

حج عثمان بالناس ٣٩

السنة الخامسة والثلاثون ٤٧

خلافة علي بن أبي طالب ٤٧

صفته ٤٨
استخلافه ٤٩
من تخلف عن بيعته ٥٢
أول خطبة خطبها ٥٥
أول ما بدأ به بعد البيعة ٥٥
دخول المغيرة عليه ٥٦
دخول الأشعث عليه ٥٨
عثمان بن عفان ٦١
اجتماع المصريين والبصريين والكوفيين على قتله وحصره في داره ٦٧
ما قالوا له في خلعه ٨٤
من كان يصلي بالناس وعثمان محصور ٨٧
مقتله ٩٣
ما نقل عن الصحابة في قتله ١٠٦
مارثي به من الأشعار ١٠٨
ما خلف من المال ١١٠
عماله ١١٠
فتوحاته ١١١
إرسال قميصه إلى الشام ١١١
حاجبه وكاتبه وقاضيه ١١٢
أولاده وأزواجه ١١٢
مسانيد عثمان ١٢٣

السنة السادسة والثلاثون ١٢٩
تفريق علي أمراءه وعماله على الأقطار ١٢٩
كتابه إلى أبي موسى لأخذ بيعة أهل الكوفة ١٣٠
تجهيز علي إلى الشام ١٣٢
اجتماع طلحة والزبير وعائشة وبني أمية بمكة ١٣٣
الأموال التي جهزوا بها الجيش ١٣٥
مسير علي خلفهم ١٣٩

ما جرى لطلحة والزبير وعائشة في طريق البصرة ١٤٠
حديث الحوأب ١٤١
وصولهم إلى البصرة ١٤٣
مسير علي إلى البصرة ١٥٣
اجتماعهم بأمير المؤمنين ١٥٧
إرسال علي القعقاع إلى أهل البصرة ١٥٨
اجتماع علي بالأحنف بن قيس ١٦١
حديث الوقعة ١٦٢
عقر الجمل ١٧٠
عدد أصحاب الجمل ١٧٤
دخول أمير المؤمنين البصرة ١٧٦
تجهيز عائشة إلى المدينة ١٧٨
حديث زياد بن أبيه مع علي وتولية ابن عباس البصرة ١٨١
إرسال جرير إلى معاوية ١٨٢
تولية قيس بن سعد مصر ١٨٦
قدوم محمد بن أبي بكر إلى مصر ١٩١
اتفاق عمرو بن العاص ومعاوية على علي ١٩٣
مسير أمير المؤمنين إلى صفين ٢٠٦
ثالث أيام صفين ٢٠٦
اليوم الثامن عشر ٢٠٦

السنة السابعة والثلاثون ٢٧٩
وقائع صفين ٢٧٩
بداية القتال ٢٨١
حديث رفع المصحف ٢٩٠
اجتماع الفريقين على التحكيم ٢٩٥
عدد الفريقين ومن قتل منهم ٣٠١
رجوع أمير المؤمنين إلى الكوفة ٣٠٢
اعتزال الخوارج أمير المؤمنين ٣٠٤

كتابهم إلى البصرة ٣٠٨
جواب كتابهم ٣١٠
كتاب أمير المؤمنين إلى الخوارج ٣١١
حديث عبد الله بن خباب ٣١٤
الرسول إليهم من علي ٣١٤
مسير أمير المؤمنين إليهم ٣١٥
حديث ذي الثدية ٣٢٠
رجوع أمير المؤمنين من النهروان إلى النخيلة ٣٢٤
خطبة أمير المؤمنين حين قعدوا عنه ٣٢٥
إرسال جعدة بن هبيرة إلى خراسان ٣٢٧

السنة الثامنة والثلاثون ٣٦٧
إرسال معاوية عبد الله الحضرمي إلى البصرة يدعو إلى نفسه ٣٦٧
تجهيز علي معقل بن قيس من الكوفة لقتال الخوارج ٣٧٣
تولية زياد بن أبيه فارس ٣٧٦

السنة التاسعة والثلاثون ٤٠٣
تفريق معاوية جيوشه نحو العراق ٤٠٣
الخلاف فيمن حج بالناس ٤٠٥

السنة الأربعون ٤٠٧
بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز ٤٠٧
المهادنة بين أمير المؤمنين ومعاوية ٤١٢
خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة ٤١٣
استشهاد أمير المؤمنين علي ٤١٥
حج المغيرة بالناس ٤١٦
علي بن أبي طالب ٤٣٣
ارتقاؤه على كتفي الرسول ﷺ ٤٤١
حديث الموالاة ٤٤١
في محبته ٤٤٢

زهده وورعه ٤٤٥
جملة من كلامه ٤٥٠
مقتله ٤٥٧
غسله وتكفينه ٤٦٦
مكان دفنه ٤٦٧
سنه ٤٦٨
مدة خلافته ٤٦٩
النوح عليه ومراثيه ٤٧٠
أزواجه وأولاده ٤٧٣
مواليه ٤٨٠
عماله ونقش خاتمه وميراثه ٤٨١
مقتل ابن ملجم ٤٨٣
مسانيده ٤٨٨
ما جرى للبرك مع معاوية ٤٨٩
ما جرى لعمرو بن بكر مع ابن العاص ٤٩٠
بيعة الحسن ٤٩١

فهرس الموضوعات ٥٠٥

تمت بحمد الله